

مَحَرَّرُ الْأَخْبَارِ

الْجَامِعَةُ لِذُرِّ أَخْبَارِ الْأَيْمَةِ الْأَطَهَارِ

مُكَاتِبَةُ

الْمَكْتَبَةُ الْعِلْمِيَّةُ فَتْرَةُ الْأَمَةِ الْبُكْرَةِ

السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بَاوَلِ الْحَكَمِ السَّيِّدِ

“فَدَسْرَانِي سَتَرَهُ”

١٣٧ - ١١١٠ هـ

طَبْعَةُ حَيَاتِيَّةِ حَقِيقَةِ وَمُصَحَّحَةُ

بِإِشْرَافِ لَجْنَةِ مَوْلَانَا

صَارَ أَحْيَاءُ الْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ

5

العدل
والعادل

مَجْلَدُ الْأَخْبَارِ

الْجَامِعَةُ لِذُرْرِ أَخْبَارِ الْأَيْمَةِ الْأَطْهَارِ

تَأَلَّفَ

الْعَلَمُ الْعَلَامَةُ الْمُجَمَّةُ فَخْرُ الْأُمَّةِ الْمُؤَلَّى

الْشَيْخُ مُحَمَّدٌ بَاقِرُ الْمَجْلِسِيِّ

« قَدْ سَرَّاهُ »

الْجُزْءُ الْخَامِسُ



دَارُ أَحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ

بَيْرُوت - لُبْنَانُ

الطبعة الثالثة المصححة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أمر عباده بالعدل و هو تعالى أولى
به من المأمورين ، و زجرهم فيّين أنّه لا يظلم المزجورين ،
و كلّف الخلق بعد استطاعتهم ليكونوا بطاعته في جنّاته
متنعمين ، و بمعصيته في نيرانه معذّبين ، و الصلاة على شافع
المذنبين ، و فخر المرسلين ، محمد خاتم النبيّين ، و على وصيّيه
رافع لواء الحمد يوم الدين ، و الساقين من حوض أخيه شيعته
المرحومين ، و على أوصيائهما الأُطهرين ، و ذرّيتهما الأكرميين
ما أظلمت السماوات على الأرضين .

أما بعد فهذا هو المجلّد الثالث من كتاب بحار الأنوار
المشتمل على أخبار العدل و المعاد ، و علل تكليف العباد ، ممّا
ألّفه الراجي لرحمة ربّه و شفاعة نبيّه يوم التناد محمد باقر بن
محمد تقي رزقه الله سلوك سبيل الرشاد ، و غفر له و لوالديه
يوم المعاد .

﴿ابواب العدل﴾

﴿باب ١﴾

﴿نفى الظلم والجور عنه تعالى ، و ابطال الجبر والتفويض ، ﴾

﴿واثبات الامر بين الامرين ، واثبات الاختيار والاستطاعة ﴾

الايات ، آل عمران ٣٠ ، ذلك بما قدّم أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ١٨٢ .
النساء ٤٠ « إن الله لا يظلم مثقال ذرة » وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ٤٠ « وقال : ولا يظلمون فتية » ٤٩ « وقال : ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » ٧٩ « وقال : ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً ١٤٧ .

الانعام ٦٠ ، ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون * ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون ١٣١-١٣٢ .

الاعراف ٧٠ « إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ٢٧-٢٨ .

الانفال ٨٠ ، ذلك بما قدّم أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ٥١ .

التوبة ٩٠ ، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ٧٠ .

يونس ١٠٠ « إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٤ » وقال تعالى : قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها وما أنا عليكم بوكيل ١٠٨ .

النحل ١٦ ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * فأصابهم سيئات ما عملوا ٣٣-٣٤ .

الحج ٢٢ ، ذلك بما قدّم يدك وأن الله ليس بظلام للعبيد ١٠ .

المؤمنون «٢٣» ولا نكلف نفساً إلاّ وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ٦٢.

النور «٢٤» لكلّ امرئ منهم ما اكتسب من الانم ١١.

سبا «٣٤» قل لا تسئلون عمنّا أجرنا ولا نسنل عمنّا تعملون ٢٥.

فاطر «٣٥» ولا تزروا زرة وزراً أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ١٨.

ص «٣٨» أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ٢٨.

الزمر «٣٩» إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزراً أخرى ٧.

المؤمن «٤٠» وما الله يريد ظلاماً للعباد ٣١ «وقال تعالى»: من عمل سيئة فلا يجزى إلاّ مثلها ٤٠ «وقال تعالى»: اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ١٧.

السجدة «٤١» من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ٤٦.

الزخرف «٤٣» وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ٧٦.

ق «٥٠» لا تختصموا لديّ وقد قدّمت إليكم بالوعيد * ما يبديل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد ٢٨ - ٢٩.

الطور «٥٢» إنّما تجزون ما كنتم تعملون ١٦ «وقال تعالى»: كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ١٩ «وقال سبحانه»: كلّ أمرئ بما كسب رهين ٢١.

النجم «٥٣» والله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا و يجزي الذين أحسنوا بالحسنى «إلى قوله تعالى»: أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى * ألاّ تزروا زرة وزراً أخرى * وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى * وأنّ سعيه سوف يرى * ثمّ يجزيه الجزاء الأوفى ٣١ - ٤١.

الواقعة ٥٦٦، جزاء بما كانوا يعملون ٢٤ .

تفسير: المبالغة في قوله تعالى : « بظلام » إما غير مقصودة ، أو هي لكثرة العبيد أوليان أن ما ينسبون إليه تعالى من جبرهم على المعاصي وتعذيبهم عليها غاية الظلم ، أوليان أنه لو اتصف تعالى به لكان صفة كمال فيجب كماله فيه ؛ والفتيل : الخيط الذي في شق النواة ؛^(١) وفي تفسير علي بن إبراهيم : هي القشرة التي على النواة «ص ١٢٨» قوله تعالى : وإن تدع مثقلة إلى حملها أي إن تدع نفس أثقلتها الأوزار لحمل بعض أوزارها لم تجب لحمل شيء منه ولو كان المدعو ذا قرابتها .

١ - لمي : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن صباح بن عبد الحميد ، وهشام وحفص وغير واحد قالوا : قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : إذا لا تقول جبراً ولا تفويضاً^(٢) . «ص ١٦٨»

٢ - يد ، ن ، لمي : السناني ، عن الأسدي ، عن سهل ، عن عبد العظيم الحسني ، عن الإمام علي بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه الرضا علي بن موسى عليه السلام قال : خرج أبو حنيفة ذات يوم من عند الصادق عليه السلام فاستقبله موسى بن جعفر عليه السلام فقال له : يا غلام ممن المعضية ؟ فقال عليه السلام : لا تخلو من ثلاثة : إما أن تكون من الله عز وجل و ليست منه فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لم يكتبه ،^(٣) وإما أن تكون من الله عز وجل و من العبد فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف ، وإما أن تكون من العبد وهي منه فإن عاقبه الله فبذنبه وإن عفى عنه فبكرمه وجوده .^(٤) «ص ٨٣ ص ٢٩٦»

٣ - ب : ابن حكيم ، عن البرنطي قال : سألت أبا الحسن عليه السلام قال : فقال لمي : اكتب قال الله تعالى : يا ابن آدم بمشييتي كنت أنت الذي تشاء ، وبنعمتي أديت إلي

(١) مأخوذ من الفتيل ، لكونه على هيئة ، يضرب به المثل في الشيء العقيد .

(٢) في المصدر : أنا لا أقول جبراً ولا تفويضاً . م

(٣) في أكثر المصادر : بما لا يكتبه . م

(٤) سيأتي الحديث مفصلاً من الاحتجاج تحت رقم ٣٣ .

فرائضي ، وبقدرتي قويت على معصيتي ، خلقتك سميعاً بصيراً ، أنا أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيئاتك مني لأنني لأسأل عمّا أفعل وهم يسألون ، قد نظمت جميع ما سألت عنه .^(١) ص ١٥١

٤ - ب : أحمد بن محمد ، عن البرنطي ، عن الرضا عليه السلام قال : كان علي بن الحسين عليه السلام إذا ناجى ربه قال : يارب قويت على معصيتك بنعمتك . قال : و سمعته يقول في قول الله تبارك و تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ » فقال : إِنَّ الْقَدْرِيَّةَ يَحْتَجُونَ بِأَوَّلِهَا وَلَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ لِأَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : « وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ » وَقَالَ نُوحٌ عَلَى نَيْبِنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ : وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ . قال : الأمر إلى الله يهدي من يشاء . ص ١٥٨

بيان : اعلم أن لفظ القدري يطلق في أخبارنا على الجبري و على التفويضي ، و

(١) في قرب الاسناد المطبوع : قد نظمت جميع ما تسأل عنه . أقول : أخرجه ثقة الاسلام في كتابه الكافي في باب الجبر والقدر أتم من هذا ، واللفظ هكذا : محمد بن أبي عبد الله وغيره ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : إن بعض أصحابنا يقول بالجبر ، و بعضهم يقول بالاستطاعة ، قال : فقال لي : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم قال علي بن الحسين : قال الله عز وجل : يا ابن آدم بشيتي كنت أنت الذي تشاء ، و بقوتي أدبت إلى فرائضي ، و بنعمتي قويت على معصيتي ، جعلتك سميعاً بصيراً ، ما أصابك من حسنة فمن الله ، و ما أصابك من سيئة فمن نفسك ، و ذلك أني أولى بحسناتك منك ، و أنت أولى بسيئاتك مني ، و ذلك لاستل عمّا أفعل و هم يسألون ، قد نظمت لك كل شيء . تريد . انتهى . و أخرجه أيضاً في باب الشية والارادة بصورة أخصر من هذا و يأتي بالاسناد تحت رقم ٩٣ و يأتي أيضاً تحت رقم ٨٨ بسند آخر مع اختلاف . قوله : بقوتي أدبت إلى فرائضي أي بقوتي التي أعطيتك و بتوفيقى الذي وفقك أدبت فرائضي ، ولو وكلتك إلى نفسك وخذلتك لاستطعتك نفسك إلى هوية الضلال ؛ و أدخلتك مداخل السوء والفحشاء ، و ذلك أني جعلتك سمعاً بالاستماع ما نطقت به أنبيائي وأدلة رشادى من شراعى ومعالم ديني ، و وفقك للاستماع ، وجعلتك بصيراً لتبصر آثار صنعي ، وآيات توحيدى والوحيى ، فما أصابك من حسنة فمن ناحيتي ومن عندي ، و لتوفيقى وقوتى ، و ما أصابك من سيئة فمن سوء اختيارك ، و غواية نفسك ، و اغتيال سوء سريرتك .

المراد في هذا الخبر هو الثاني ، وقد أحال كل من الفريقين ماورد في ذلك على الآخر قال شارح المقاصد : لاخلاف في ذم القدرية ، وقد ورد في صحاح الأحاديث : لعن الله القدرية على لسان سبعين نبياً ، والمراد بهم القائلون بنفي كون الخير والشر كله بتقدير الله ومشيته سموا بذلك لمباغتهم في نفيه ، وقيل : لإبائهم للعبد قدرة الإيجاد وليس بشيء ، لأن المناسب حينئذ القدري بضم القاف . وقالت المعتزلة : القدرية هم القائلون بأن الخير والشر كله من الله وبتقديره ومشيته لأن الشايع نسبة الشخص إلى ما يثبت به كالجبرية والحنفية والشافعية ، لا إلى ما ينفيه ، ورد بأنه صح عن النبي ﷺ قوله : « القدرية مجوس أممي » وقوله : « إذا قامت القيامة نادى مناد : أهل الجمع أين خصماء الله ؟ فتقوم القدرية » ولاخفاء في أن المجوس هم الذين ينسبون الخير إلى الله والشر إلى الشيطان ، ويسمونهما « يزدان و أهرمن » وأن من لا يفوض الأمور كلها إلى الله تعالى ويفرز بعضها فينسبها إلى نفسه يكون هو المخاصم لله تعالى ، وأيضاً من يضيف القدر إلى نفسه ويدعي كونه الفاعل والمقدر أولى باسم القدري ممن يضيفه إلى ربه . انتهى .

و قال العلامة رحمه الله في شرحه على التجريد : قال أبو الحسن البصري ومحمود الخوارزمي وجه تشبيهه ﷺ المجبرة بالمجوس من وجوه : أحدها أن المجوس اختصوا بمقالات سخيفة ، واعتقادات واهية معلومة البطلان وكذلك المجبرة .

وثانيها أن مذهب المجوس أن الله تعالى يخلق فعله ثم يتبرأ منه كما خلق إبليس ثم أنتمى عنه ، وكذلك المجبرة قالوا : إنه تعالى يفعل القبايح ثم يتبرأ منه .^(١) وثالثها : أن المجوس قالوا : إن نكاح الأخوات والأمهات بقضاء الله وقدره وإرادته ، ووافقهم المجبرة حيث قالوا : إن نكاح المجوس لأخواتهم وأمهاتهم بقضاء الله وقدره وإرادته .

ورابعها : أن المجوس قالوا : إن القادر على الخير لا يقدر على الشر والعكس

(١) في شرح التجريد : ثم يتبرأ منها .

والمجبرة قالوا : إن القدرة موجبة للفعل غير متقدمة عليه فلا نسان القادر على الخير لا يتقدر على ضده وبالعكس انتهى .

أقول . سيتضح لك أن كلاً منهما ضالٌّ ، صادق فيما نسب إلى الآخر ، وأن الحقَّ غيرما ذهباً إليه ، وهو الأمرين الأمرين .

٥ - ب : بالإسناد المذكور قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا ناجى ربه قال : اللهم يارب إنهما قويت على معاصيك بنعمك .^(١) «ص ١٦٧»

٦ - فس : قوله : «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً إلى قوله : » يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً « قال الصادق عليه السلام : إن هذا القول من الله رد على من زعم أن الله تبارك وتعالى يضل العباد ، ثم يعذبهم على ضلالتهم » ص ٣٠ .

بيان : الظاهر أنه عليه السلام جعل قوله تعالى : يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً من جملة قول الذين كفروا على خلاف ما ذهب إليه المفسرون من أنه من كلامه تعالى جواباً لقولهم .^(٢)

٧ - ل : الخليل بن أحمد ، عن ابن منيع ، عن الحسن بن عرفة ، عن عليّ بن ثابت عن إسماعيل بن أبي إسحاق ، عن ابن أبي ليلى ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة ، والقدريّة .

٨ - كنز الكراجمي : عن محمد بن عليّ بن محمد بن الصخر البصري ، عن عمر بن محمد ابن سيف ،^(٣) عن عليّ بن محمد بن مهرويه القزويني ، عن داود بن سليمان ، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام مثله . «ص ٥١»

بيان : قال الكراجمي : ظننت المعتزلة أن الشيعة هم المرجئة لقولهم : إننا نرجو من الله تعالى العفو عن الملو من إذا ارتكب معصية ومات قبل التوبة ، وهذا غلط

(١) أقول : غير خفى أنه والخبر المتقدم تحت رقم ٤ قطعتان من الخبر الثالث .

(٢) ولعل الحديث مربوط بآخر الآية ، وهو قوله : وما يضل به إلا الفاسقين الآية . ط

(٣) في المصدر : يوسف . م

منهم في التسمية ، لأنَّ المرجئة مشتقُّ من الإرجاء ، وهو التأخير ^(١) بل هم الذين أخروا الأعمال ولم يعتقدوا من فرائض الإيمان . ثمَّ قال : إنَّ المعتزلة لها من الزلات الفظيعة ما يكثُر تعداده وقد صنَّف ابن الراوندي كتاب فضائحهم فأورد فيه جملاً من اعتقاداتهم و آراء شيوخهم ممَّا ينافر العقول ويضادُّ شريعة الرسول وقد وردت الأخبار بذيهم عن أهل البيت عليه السلام ولعنهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال : لعن الله المعتزلة أرادت أن توحِّدت فألحدت ورامت أن ترفع التشبيه فأثبتت .

٩ - ل : محمد بن عليّ بن بشّار القزويني ، عن المظفر بن أحمد ، وعليّ بن محمد بن سليمان ، عن عليّ بن جعفر البغدادي ، عن جعفر بن محمد بن مالك الكوفي ، عن الحسن ابن راشد ، عن عليّ بن سالم ، عن أبيه قال : قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يجلس إلى غال ويستمع إلى حديثه ويصدِّقه على قوله ، إنَّ أبي حدَّثني عن أبيه عن جدِّه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : صنفان من أمتي لانصب لهما في الإسلام : الغلاة والقدرية .

١٠ - عد : اعتقادنا في الاستطاعة ما قاله موسى بن جعفر عليه السلام حين قيل له : أكون العبد مستطيعاً ؟ قال : نعم بعد أربع خصال : أن يكون مخلى السرب ، صحيح الجسم ، سليم الجوارح ، له سبب وارد من الله عزَّ وجلَّ ، فإذا تمت هذه فهو مستطيع فقيل له : مثل أي شيء ؟ فقال : يكون الرجل مخلى السرب ، صحيح الجسم ، سليم الجوارح لا يقدر أن يزني إلَّا أن يرى امرأة فإذا وجد المرأة فإنَّه أن يعصم فيمتنع كما امتنع يوسف ، وإنَّه أن يخلّي بينه وبينها فيزني وهو زان ولم يطع الله بإكرامه ، ولم يعص بغلبة . ^(٢)

(١) قال في الكنز بعد ذلك ص ٥٠ : يقال لمن أخر أمراً : أرجأت الأمر بإرجل ، فأنت مرجى . قال الله : « أدرجه وأخاه » أي أخره ، وقال تعالى : « وآخرون مرجون لأمرك » أي مؤخرون إلى مشيئته ، وأما الرجاء فأنما يقال : منه رجوت فأنا راج ، فيجب أن تكون الشيعة راجية لا المرجئة والمرجئة هم الذين أخروا الأعمال ، ولم يعتقدوا من فرائض الإيمان ، وقد لعنهم النبي فيما وردت به الاخبار . انتهى . ثم ذكر الحديث المتقدم .

(٢) سيوافيك الحديث مسنداً عن الرضا عليه السلام تحت رقم ٥٤ .

١١- وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل : «وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» قال : مستطيعون للأخذ بما أمروا به ، و الترك لما نهوا عنه ، و بذلك ابتلوا .^(١)

١٢ - وقال أبو جعفر عليه السلام : في التوراة مكتوب مسطور : يا موسى إني خلقتك واصطفيتك وقويتك ،^(٢) وأمرتك بطاعتي ، و نهيتك عن معصيتي ، فإن أعطتني أعنتك على طاعتي وإن عصيتني لم أعنك على معصيتي ، ولي المنة عليك في طاعتك ، ولي الحجة عليك في معصيتك . «ص ٧٢-٧٣»

١٣ - فس : في رواية أبي الجارود^(٣) قوله : «كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة» قال : خلقهم حين خلقهم مؤمناً وكافراً و شقيّاً و سعيداً ، و كذلك يعودون يوم القيامة مهتدو ضالاً ، يقول : إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ؛ وهم القدرية الذين يقولون : لا قدر ، و يزعمون أنهم قادرون على الهدى والضلالة ، وذلك إليهم إن شاؤوا اهدوا ، وإن شاؤوا ضلّوا ، وهم مجوس هذه الأمة ، و كذب أعداء الله المشية . والقدرة لله «كما بدأكم تعودون» من خلقه الله شقيّاً يوم خلقه كذلك يعود إليه ،^(٤) ومن خلقه سعيداً يوم خلقه كذلك يعود إليه سعيداً ، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : الشقي من شقى في بطن أمه ، والسعيد من سعد في بطن أمه . «ص ٢١٤»

١٤ - ل : الفامي وابن مسرور ، عن ابن بطّة ، عن الصفار ، و محمد بن علي بن محبوب ،^(٥) عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الناس في القدر على ثلاثة أوجه : رجل زعم أن الله عز وجل أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم الله عز وجل في حكمه وهو كافر ، ورجل يزعم أن الأمر

(١) سيأتي الحديث مستنداً عن الصادق عليه السلام تحت رقم ٥٦ و ٤١ .

(٢) في الأصل : وهديتك وقويتك وفي آخر الحديث : في معصيتك لى .

(٣) في تفسير القمي بعد ذلك : عن أبي جعفر عليه السلام . م

(٤) وفيه ايضاً : يعود اليه شقياً . م

(٥) في التوحيد بعد ذلك : و محمد بن حسين بن عبد العزيز ، عن ابن عيسى . م

مفوض إليهم فهذا وهن الله في سلطانه فهو كافر ، ورجل يقول : إن الله عز وجل كلف العباد ما يطيقون ، ولم يكلفهم ما لا يطيقون ، فإذا أحسن حمد الله ، وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ .

يد : الوراق ، عن ابن بطّة مثله .

١٥ - ل : أبي ، عن علي ، عن أبيه ، عن الحسن بن الحسن بن الفارسي ، عن سليمان بن جعفر البصري ، عن عبد الله بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن آبائه ، عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله عز وجل لما خلق الجنة خلقها من لبنتين ، لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وجعل حيطانها الياقوت ، وسقفها الزبرجد ، وحصائها اللؤلؤ ، ^(١) و ترابها الزعفران والمسك الأزفر ، فقال لها : تكلمي ، فقالت : لا إله إلا أنت الحي القيوم ، قد سعد من يدخلني . فقال عز وجل : بعزتي وعظمتي وجلالي وارتفاعي لا يدخلها مدمن خمر ، ولا سكير ، ولا قتات ^(٢) وهو النمام ، ولا ديوث وهو القلطان ، ولا قلاع وهو الشرطي ، ولا ذنوق وهو الخشي ، ولا خيوف ^(٣) وهو النباش ، ولا عشار ، ولا قاطع رحم ، ولا قدري .

توضيح : السكير بالكسر وتشديد الكاف : الكثير السكر ، والفرق بينه وبين المدمن إنما يكون المراد بالخمر ما يتخذ من العنب وبالسكير من يسكر من غيره ، أو يكون المراد بالمدمن أعم ممن يسكر . وشرط السلطان : نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيره من جنده ، والنسبة إليهم شرطي كتركي ، ولم أجد اللغويين فسروا الزنوق والخيوف بما فسروا به في الخبر .

١٦ - ل : أبي وابن الوليد ، عن أحمد بن إدريس ، ومحمد العطّار ، عن الأشعري عن محمد بن الحسين بإسناده يرفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يدخل الجنة مدمن

(١) في نسخة : وحصاها اللؤلؤ .

(٢) من القت وهو الكذب ، وسمى النمام قتاتاً لأنه يزور الحديث ويهتنتها و يبلنها على جهة الكذب والفساد .

(٣) في نسخة من الكتاب : ولا خيوف . وفي الخصال المطبوع : ولا خيوق في الموضعين .

خمر ، ولاسكّير ، ولاعاق ، ولاشديد السواد ، ولاديوث ، ولا قلاع وهو الشّرطيّ ، ولا زنبوق وهو الخنثى ، ولا خيتوف وهو النباش ، ولا عشار ، ولا قاطع رحم ، ولا قدرى .

قال الصدوق رحمه الله : يعنى بشديد السواد الذي لا يبيض شيء من شعر رأسه ، ولا من شعر لحيته مع كبر السن ، ويسمى الغريب .^(١)

١٧ - ن : السنانيّ ، عن الأسديّ ، عن سهل ، عن عبد العظيم الحسينيّ ، عن إبراهيم ابن أبي محمود قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل : « وتركهم في ظلمات لا يبصرون » فقال : إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بالتّرك كما يوصف خلقه ، ولكنّه متى علم أنّهم لا يرجعون عن الكفر والضلّال منهم المعاونة والّلطف ، وخلا بينهم وبين اختيارهم . قال : وسألته عن قول الله عز وجل « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » قال : الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم كما قال تعالى : « بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً » قال : وسألته عن الله عز وجل هل يجبر عباده على المعاصي ؟ فقال : بل يخيرهم^(٢) ويمهلهم حتّى يتوبوا ، قلت : فهل يكلف عباده ما لا يطيقون ؟ فقال : كيف يفعل ذلك وهو يقول : « وما ربك بظلام للعبيد » ؟ ثمّ قال عليه السلام : حدّثني أبي موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال : من زعم أنّ الله يجبر عباده على المعاصي أو يكلفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته ، ولا تقبلوا شهادته ، ولا تصلّوا وراءه ، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً . « ص ٧٠ »

ج : مرسلان عن الحسنيّ مثله . « ص ٢٢٥ »

١٨ - ن : تميم القرشيّ ، عن أبيه ، عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ ، عن يزيد بن عمير ابن معاوية الشاميّ^(٣) قال : دخلت على عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بمرو فقلت له : يا بن

(١) وذان عفريت .

(٢) فى الاحتجاج : لا بل يعبرهم ٢٠

(٣) الوجود فى العيون : « زيد بن عمير بن معاوية الشاميّ » وحكى فيه عن نسخة اخرى « يزيد بن عمير ، عن معاوية الشاميّ » .

رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين فما معناه ؟ فقال : من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذب بنا عليها فقد قال بالجبر ومن زعم أن الله عز وجل فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض فالقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك . فقلت له : يا بن رسول الله فما أمرين أمرين ؟ فقال : وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نهوا عنه . فقلت له : فهل لله عز وجل مشيئة وإرادة في ذلك ؟ فقال : أمّا الطاعات فأرادة الله ومشيتة فيها الأمر بها ، والرضا لها ، والمعانة عليها ؛ وإرادته ومشيتة في المعاصي النهي عنها ، والسخط لها ، والخذلان عليها . قلت : فله عز وجل فيها القضاء ؟ ^(١) قال : نعم ما من فعل يفعله العباد من خير وشر إلا والله فيه قضاء . قلت : فما معنى هذا القضاء ؟ قال : الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة . «ص ٧٨»

ج : رواه رسلاً مثله .

١٩٤ - ن : الدقاق ، عن محمد بن الحسن الطائي ، عن سهل بن زياد ، عن علي بن جعفر الكوفي قال : سمعت سيدي علي بن محمد عليه السلام يقول : حدثني أبي محمد بن علي ، عن أبيه الرضا علي بن موسى ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه عليه السلام .

وحدثنا محمد بن عمر الحافظ البغدادي ، عن إسحاق بن جعفر العلوي ، عن أبيه ، عن سليمان بن محمد القرشي ، عن إسماعيل بن أبي زياد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن علي عليه السلام .

وحدثنا أبو الحسين محمد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسي الغرائمي ، عن أحمد بن محمد ابن رميح النسوي ، عن عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر ، عن عبد الوهّاب بن عيسى

(١) في الميون المطبوع : فهل عز وجل فيها القضاء ؟

(هـ) أورده الإمام علي بن محمد العسكري عليه السلام ملخصاً في رسالته إلى أهل الأهواز في معنى الجبر والتفويض ، وسيوردها المصنف قدس سره في الباب الاتي . و يأتي عن كتاب الاحتجاج أيضاً في الباب الثالث تحت رقم ١٩ وعن الارشاد تحت رقم ٧٥ وعن النهج تحت رقم ٧٩ .

المروزي، عن الحسن بن علي بن محمد البلوي، عن محمد بن عبد الله بن نجيج، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه عليه السلام.

وحدثنا أحمد بن الحسن القطان، عن السكّري، عن الجوهري، عن العباس بن بكار الضبي، عن أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس قالوا : لما انصرف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من صفين قام إليه شيخ ممن شهد الواقعة معه فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا هذا أبقاء من الله وقدر ؟ وقال الرضا في روايته عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام : دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام أبقاء من الله وقدر ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أجل يا شيخ فوالله ما علوتم تلة ولا هبطتم بطن واد إلا بقاء من الله وقدر ؛ فقال الشيخ عند الله أحسب غنائي يا أمير المؤمنين^(١) فقال : مهلاً يا شيخ لعلك تظن قضاءً حتماً وقدرًا لازماً ، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر والنهي والزجر ، ولسقط معنى الوعد والوعيد ، ولم تكن على مسيء لائمة ، ولما لمحسن محمّدة ، ولما لمحسن أولى بالائمة من المذنب ، والمذنب أولى بالإحسان من المحسن ، تلك مقالة عبدة الأوثان وخصماء الرحمن ، وقد ريمة هذه الأمة ومجوسها ، يا شيخ إن الله عز وجل كلف تخييراً ، ونهى تحذيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً^(٢) ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، قال : فنهض الشيخ وهو يقول :

(١) الظاهر كما يستفاد من الكافي سقوط جملة من هنا إما من الصدوق أو من النسخ ومن روى الحديث عنه ، وهى فى الكافي هكذا : فقال له : مه يا شيخ فوالله لقد عظم الله الاجر فى مسيركم وأنتم سائرون ، وفى مقامكم وأنتم مقيمون ، وفى منصرفكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا فى شىء من حالاتكم مكرهين ، ولا إليه مضطرين . فقال له الشيخ : وكيف لم تكن فى شىء من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطرين وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا ؟ فقال له : و تظن أنه كان قضاءً حتماً ؟ وأورد مثله العلامة فى شرح التجريد فى باب القضاء والقدر باسناده عن الاصبغ مع اختلاف نشر إليه بعد ذلك . وفيه أيضاً بعد قوله : يا أمير المؤمنين قوله : ما أدى لى من الاجر شيئاً . ويأتى نحوه أيضاً فى خبر ١٩ من الباب الثالث مع زيادة .

(٢) يوجد فى الكافي هنا أيضاً زيادة وهى : ولم يبعث النبیین مبشرين ومنذرين عبثاً .

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ☆ يوم النجاة من الرحمن غفراناً
 أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً ☆ جزاك ربك عنا فيه إحساناً
 فليس معذرة في فعل فاحشة ☆ قد كنت راكبها فسقاً و عصياناً
 لا لولا قابلاً ناهيه أوقعه ☆ فيها عبدت إذا يا قوم شيطاناً
 ولا أحب ولا شاء الفسوق ولا ☆ قتل الولي له ظملاً وعدواناً
 أنى يحب وقد صحت عزيمته ؟ ☆ ذو العرش أعلن ذاك الله إعلاناً

لم يذكر محمد بن عمر الحافظ في آخر هذا الحديث من الشعر إلا بيتين من أوّله . (١) ص ٧٩ .

يد : زاد ابن عباس في حديثه : فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين القضاء والقدر اللذان ساقانا ؟ وما هبطنا وادياً وما علونا تلة ؟ إلا بهما ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الأمر من الله والحكم ، ثم تلا هذه الآية : «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً» . ص ٣٩٠ .
 بيان : التلة : ما ارتفع من الأرض .

قوله : عند الله احتسب عناي أي لما لم نكن مستحقين للأجر لكوننا مجبورين فأحتسب أجر مشقة التي عند الله لعله يثيبني بلطفه ، ويحتمل أن يكون استفهاماً على سبيل الإنكار ، وقال الجزري : الاحتساب من الحساب كالاعتداد من العدد ، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله : احتسبه لأن له حينئذ أن يعتدّ عمله ، و الاحتساب في الأعمال الصالحات ، وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر ، وتحصيله بالتسليم والصبر ، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها . انتهى .

قوله عليه السلام : ولكن المذنب أولى بالإحسان أقول : لأنه حملة على ما هو قبيح عقلاً و شرعاً ، وصيره بذلك محلاً للائمة الناس ، فهو أولى بالإحسان لتدارك ذلك وأيضاً لما حمل المحسن على ما هو حسن عقلاً و شرعاً و صار بذلك مورداً لمُدح الناس

(١) كالكليني في الكافي إلا أنه قال : أوضحت من أمرنا ما كان ملتبساً . جزاك ربك بالإحسان .

فإن عاقبه وأضرّ به تداركاً لما أحسن إليه كان أولى من جمع الإضرارين على المسيء، وقيل: إنّما كان المذنب أولى بالإحسان لأنّه لا يرضى بالذنب كما يدلّ عليه جبره عليه، والمحسن أولى بالعقوبة لأنّه لا يرضى بالإحسان لدلالة الجبر عليه، ومن لا يرضى بالإحسان أولى بالعقوبة من الذي يرضى به.

ويحتمل أن يكون هذا متفرّغاً على مأمّر أي إذا بطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والوعد والوعيد لكان المذنب أولى النج؛ ووجهه أنّه لم يبق حينئذ إلا الإحسان والعقوبة الدنيويّة، والمذنب في الدنيا متنعم بأنواع اللذات، وليست له مشقة التكاليف الشرعيّة، والمحسن في التعب والنصب بارتكاب أفعال لا يشتهيها، وترك ما يلتذّبها مقرر عليه لاجتناب المحرّمات من الأموال، فحينئذ الإحسان الواقع للمذنب أكثر ممّا وقع للمحسن، فهو أولى بالإحسان من المحسن، والعقوبة الواقعة على المحسن أكثر ممّا وقع على المذنب فهو أولى بالعقوبة من المذنب.^(١) والقدريّة في هذا الخبر أطلقت على الجبريّة وقوله: لم يعص على بناء المفعول، وكذا قوله: ولم يطع مكرهاً - بكسر الراء - وفي الفتح تكلف.

و في الكافي بعد ذلك: ولم يملك مفوّضاً. إشارة إلى نفي التفويض التام، بحيث لا يقدر على صرفهم عنه، أو بحيث لا يكون لتوقيفه وهدايته مدخل فيه.

٢٠ - يد، ن: ابن مسرور، عن ابن عامر، عن معلى بن محمد البصري، عن

(١) وذكر وجهين آخرين في كتابه المرأة أيضاً، أحدهما أنّه لما اقتضى ذات المذنب أن يحسن إليه في الدنيا بأحداث اللذات فيه فينبغي أن يكون في الآخرة أيضاً كذلك، لعدم تغير اللذات في الشأين، وإذا اقتضى ذات المحسن المشقة في الدنيا وإلزامه بالتكاليف الشاقة في الآخرة أيضاً فينبغي أن يكون كذلك. الثاني ما قيل: لعل وجه ذلك أن المذنب بصدد القباح والسيئات منه متأمم منكسر البال، لظنه أنّها وقعت منه باختياره وقد كانت بجبر جابر وقهر قاهر فيستحق الإحسان، وأن المحسن لفرحاته بصدد الحسنات عنه وزعمه أنّه قد فعلها بالاختيار أولى بالعقوبة من المذنب أقول: لعل قوله: ولكن المحسن أولى إله فيه تصحيف، وصحيحة كما في شرح التجريد في رواية الأصمغ: ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن. أو كما يأتي في حديث ١٩ من الباب الثالث: ولا كان المحسن أولى إله ومناه ظاهر لا يحتاج إلى شيء من التوجيهات المذكورة، لأن العبد إذا كان مجبوراً على الفعل مسلوباً عنه الاختيار كان المحسن والمسيء كلاهما متساويين في عدم صحة استناد الإحسان والإساءة إليهما فلا يكون أحدهما أولى بالمدح أو الذم من الآخر.

الوشاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سألته فقلت : الله فَوْضُ الأمر إلى العباد ؟ قال : الله أعزُّ من ذلك ؛ قلت : فأجبرهم على المعاصي ؟ قال : الله أعدل وأحكم من ذلك ، ثم قال : قال الله عزَّ وجلَّ : يا بن آدم أنا أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيئاتك مني ، عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك . «ص ٣٧١ ص ٨٢»

٢١ - يد ، ن : الطالقاني ، عن أحمد بن علي الأنصاري ، عن الهروري قال : سمعت أبا الحسن علي بن موسى بن جعفر عليه السلام يقول : من قال بالجبر فلا تعطوه من الزكاة ، ولا تقبلوا لهم شهادة ، ^(١) إن الله تبارك وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ، ولا يحملها فوق طاقتها ، ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزراً أخرى . «ص ٣٧١ ص ٨٢»

٢٢ - يد ، ن : أبي ، عن سعد ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن الجعفري ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : ذكر عنده الجبر والتفويض فقال : ألا أُعطيكُم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ولا يخاصمكم عليه أحدٌ إلا كسرتموه ؟ ^(٢) قلنا : إن رأيت ذلك ؛ فقال : إن الله عزَّ وجلَّ لم يطع بأكره ، ولم يعص بغلبة ، ولم يهمل العباد في ملكه ، هو المالك لممالكهم ، والقادر على ما أقدرهم عليه ، فإن ائتمر العباد بطااعته ^(٣) لم يكن الله عنها صاداً ، ولا منها مانعاً ، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل ، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه ، ثم قال عليه السلام : من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه . «ص ٣٧٠ ص ٨٢»

ج : مرسل أمثله . ^(٤) «ص ٢٢٥ - ٢٢٦»

بيان : لعل ذكر الائتمار ثانياً للمشاكلة ، أو هو بمعنى الهم ، أو الفعل من غير مشاورة ، كما ذكر في النهاية والقاموس .

٢٣ - يد ، مع : حدَّثنا أبو الحسن محمد بن سعيد السمرقندي ^(٥) الفقيه بأرض بلخ

(١) في المصدرين : ولا تقبلوا له شهادة . م

(٢) في التوحيد المطبوع : ولا تخاصمون عليه أحدٌ إلا كسرتموه .

(٣) ائتمروا الأمر وبه : امثله . أقول : أورد الحديث الكليني في باب القضاء والقدر .

(٤) إلا ان صدر الرواية من قوله : « فقال لا أعطيكُم » إلى قوله : « قلنا ان رأيت ذلك ، غير

مذكور في المصدر . م

(٥) كذا في النسخ ولله تصحيف «محمد» .

قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن الزاهد السمرقنديّ بإسناد رفعه إلى الصادق عليه السلام أنّه سأله رجل فقال له : إنّ أساس الدين التوحيد والعدل ، وعلمه كثير لا بدّ لعالم منه ، فاذكر ما يسهل الوقوف عليه ، ويتّبعاً حفظه ، فقال : أمّا التوحيد فأن لا تجوز على ربك ما جاز عليك ، وأمّا العدل فأن لا تنسب إلى خالك ما لا ملك عليه . « ص ٨٣ »

٢٤ - فس : قوله : « وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم » إلى قوله : « سابقين »^(١) فهذا ردّ على المجبّرة الذين زعموا أنّ الأفعال لله عزّ وجلّ ، ولا صنع لهم فيها ولا اكتساب ، فردد الله عليهم فقال : فكلاً أخذنا بذنبه ، ولم يقل : بفعلنا لأنّه عزّ وجلّ عدل من أن يعذب العبد على فعله الذي يجبره عليه . « ص ٤٩٦ »

٢٥ - فس : محمد بن أبي عبدالله ، عن موسى بن عمران ، عن النوفليّ ، عن السكونيّ قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : وجدت لأهل القدر أسماء في كتاب الله : « إنّ المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر إنّنا كلّ شيء خلقناه بقدر » فهم المجرمون . « ص ٦٥٧ » .

٢٦ - ج : عن أبي حمزة الثماليّ أنّه قال : قال أبو جعفر عليه السلام للحسن البصريّ : إياك أن تقول بالتفويض^(٢) فإنّ الله عزّ وجلّ لم يفوّض الأمر إلى خلقه وهنأمنه وضعفاً ، ولا أجبرهم على معاصيه^(٣) ظلماً . الخبر « ص ١٧٨ »

٢٧ - يد : الدقاق ، عن الأسديّ ، عن خنيس بن محمد ، عن محمد بن يحيى الخزّاز ، عن المفضل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لا جبر ولا تفويض ولكن أمرين أمرين ، قال : قلت : ما أمر بين أمرين ؟ قال : مثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية . « ص ٣٧١ »

٢٨ - عد : اعتقادنا في الجبر والتفويض قول الصادق عليه السلام : لا جبر ولا تفويض « ص ٦٩ »

(١) العنكبوت : ٣٩ .

(٢) ليست هذه العبارة مروية على استقلالها في المصدر : بل مذكورة في ضمن حديث مفصل . م

(٣) في نسخة : المعاصي .

اقول : وساق الخبر إلى آخر ما رواه المفضل ، وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه في شرحه : الجبر هو الحمل على الفعل ، والاضطرار إليه بالقسر والغلبة ، وحقيقة ذلك إيجاد الفعل في الخلق من غير أن يكون له قدرة على دفعه والامتناع من وجوده فيه ، وقد يعبر عنه بفعله الإنسان بالقدرة التي معه على وجه الإكراه له على التخويف والإلجاء أنه جبر ، والأصل فيه ما فعل من غير قدرة على امتناعه منه حسب ما قد مناه ، وإذا تحقق القول في الجبر على ما وصفناه كان مذهب الجبر هو قول من يزعم أن الله تعالى خلق في العبد الطاعة من غير أن يكون للعبد قدرة على ضدها والامتناع منها ، وخلق فيهم المعصية كذلك ، فهم المجبرة حقاً ، والجبر مذهبهم على التحقيق ، والتفويض هو القول برفع الحظر^(١) عن الخلق في الأفعال والإباحة لهم ، مع ما شأوا من الأعمال ، وهذا قول الزنادقة وأصحاب الإباحات ، والواسطة بين هذين القولين أن الله أقدر الخلق على أفعالهم ، وممكنهم من أعمالهم ، وحد لهم الحدود في ذلك ، ورسم لهم الرسوم ، ونهاهم عن القبائح بالزجر والتخويف والوعد والوعيد ، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها ، ولم يفرض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها ، ووضع الحدود لهم فيها ، وأمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها ، فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض على ما بينناه .

٢٩ - ج : عن هشام بن الحكم قال : سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فقال : أخبرني عن الله عز وجل كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موحدين وكان على ذلك قادراً ؟ قال عليه السلام : لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب لأن الطاعة إذا ما كانت فعلهم لم تكن جنة ولا نار ، ولكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته ، واحتج عليهم برسله ، وقطع عذرهم بكتبه ليكونوا هم الذين يطيعون ويعصون ، ويستوجبون بطاعتهم له الثواب ، وبمعصيتهم إتياء العقاب ، قال : فالعمل الصالح من العبد هو فعله ،

(١) الحظر : المنع ، وظاهره أنه رحمه الله يفسر التفويض بالإلزام مع أن الظاهر أن المراد بالتفويض في الأخبار هو ما قالت به المعتزلة في مقابل الإشاعة ، وهو أن الأفعال مخلوقة للإنسان ، وإن كانت القوى والأدوات مخلوقة لله خلافاً لما ينسب إلى الإشاعة أن الجميع مخلوق لله . ط

والعمل الشرّ من العبد هو فعله ؟ قال : العمل الصالح العبد يفعله والله به أمره ، و العمل الشرّ العبد يفعله والله عنه نهاه ؛ قال : أليس فعله بالآلة التي ركبها فيه ؟ ^(١) قال : نعم ، ولكن بالآلة التي عمل بها الخير قدّر بها على الشرّ الذي نهاه عنه . ^(٢) قال : فإلى العبد من الأمر شيء ؟ قال : ما نهاه الله عن شيء ، إلا وقد علم أنّه يطيق تركه ، ولا أمره بشيء ، إلا وقد علم أنّه يستطيع فعله لأنّه ليس من صفته الجور والعبث والظلم وتكليف العباد ما لا يطيقون .

قال : فمن خلقه الله كافراً يستطيع الإيمان وله عليه بتركه الإيمان حجة ؟ قال عليه السلام : إن الله خلق خلقه جميعاً مسلمين ، أمرهم ونهاهم ، والكفر اسم يلحق الفعل حين يفعله العبد ، ولم يخلق الله العبد حين خلقه كافراً إنّما كفر من بعد أن بلغ وقتاً لمتمته الحجة من الله فعرض عليه الحقّ فجحدته فبأنكاره الحقّ صار كافراً ، قال : فيجوز أن يقدّر على العبد الشرّ ويأمره بالخير وهو لا يستطيع الخير أن يعمل به ويعذّب به عليه ؟ قال : إنّهُ لا يليق بعدل الله ورأفته أن يقدّر على العبد الشرّ ويريد منه ، ثمّ يأمره بما يعلم أنّه لا يستطيع أخذه ، والإنزاع عما لا يقدر على تركه ، ثمّ يعذّب به على تركه أمره الذي علم أنّه لا يستطيع أخذه الخبر . « ص ١٨٦ »

عد : اعتقادنا في أفعال العباد أنّها مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين ، ومعنى ذلك أنّه لم يزل الله عالماً بمقاديرها .

اقول : قال الشيخ المفيد قدس الله روحه في شرح العقائد عند شرح هذا الكلام الذي ذكره أبو جعفر رحمه الله : قد جاء به حديث غير معمول به ، ولا مرضي الإسناد ، ^(٣)

(١) وهي قدرته وإرادته ومشيته .

(٢) أي الآلة التي جعلها الله في العبد لا يقتضى طرفاً من الفعل دون طرفه الآخر حتى يكون العبد مقهوراً لها ومجبوراً على الفعل بسببها فيستند الفعل إلى الله وينفي عن العبد ، بل الآلة وهي قدرة العبد وإرادته يقتضى طرفي الفعل من الوجود والعدم ، ويمكن أن يستعملها في الخير والشر ، فتخصيص طرفي الفعل أو الخير والشر بالوجود من العبد .

(٣) وهو الحديث الاتي تحت رقم ٣٧ و ٣٨ ، وفيهما عبد الواحد بن محمد بن عبدوس ولم يرو توثيقه من قدماء أهل الرجال .

والأخبار الصحيحة بخلافه ، وليس نعرف في لغة العرب أن العلم بالشيء هو خلق له ، ولو كان ذلك كما قال المخالفون للحق لوجب أن يكون من علم النبي صلى الله عليه وآله فقد خلقه ، ومن علم السماء والأرض فهو خالق لهما ، ومن عرف بنفسه شيئاً من صنع الله تعالى وقرّره في نفسه أن يكون خالقاً له ؛ وهذا محال لا يذهب وجه الخطأ فيه على بعض رعية الأئمة عليهم السلام فضلاً عنهم .

فأمّا التقدير فهو الخلق في اللغة لأنّ التقدير لا يكون إلا بالفعل ، فأمّا بالعلم فلا يكون تقديرأ ، ولا يكون أيضاً بالفكر ، والله متعال عن خلق الفواحش والقبائح على كلّ حال . وقد روي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنه سئل عن أفعال العباد أهى مخلوقة لله تعالى ؟ فقال عليه السلام لو كان خالقاً لها لما تبرأ منها وقد قال سبحانه : « إن الله برىء من المشركين » ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم ، وإنما تبرأ من شركهم وقبائحهم ، وكتاب الله تعالى المقدم على الأحاديث والروايات ، وإليه يتقاضى في صحيح الأخبار و سقيمها ، فما قضى به فهو الحقّ دون ما سواه ، قال الله تعالى : « الذي أحسن كلّ شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين » فخبّر بأنّ كلّ شيء خلقه فهو حسن غير قبيح ، فلو كانت القبائح من خلقه لما حكم بحسن جميع ما خلق ، وقال تعالى : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » فنفى التفاوت عن خلقه ، وقد ثبت أنّ الكفر والكذب متفاوت في نفسه ، والمتضادّ من الكلام متفاوت فكيف يجوز أن يطلقوا على الله تعالى أنّه خالق لأفعال العباد وفي أفعال العباد من التفاوت ما ذكرناه ؟ .

✽ ٣٠ - ج : مما أجاب به أبو الحسن عليّ بن محمد العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز حين سأله عن الجبر والتفويض أن قال : اجتمعت الأئمة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك أنّ القرآن حقّ لا ريب فيه عند جميع فرقها ، فهم في حالة الاجتماع عليه مصيبون ، وعلى تصديق ما أنزل الله مهتدون لقول النبي صلى الله عليه وآله : لا تجتمع أمتي على ضلالة ، فأخبر النبي صلى الله عليه وآله أنّ ما اجتمعت عليه الأئمة ولم يخالف بعضها بعضاً هو الحقّ ، فهذا معنى الحديث لا ما تأوّه الجاهلون ، ولما قاله المعاندون من إبطال

حكم الكتاب ، واتباع حكم الأحاديث المزورة ،^(١) والروايات المزخرفة ،^(٢) واتباع الأهواء المردية المهلكة التي تخالف نص الكتاب وتحقيق الآيات الواضحات النيرات ونحن نسأل الله أن يوفقنا للصواب ، ويهدينا إلى الرشاد .

ثم قال ﷺ : فإذا شهد الكتاب بتصديق خبر وتحقيقه فأكثرته طائفة من الأمة وعارضته بحديث من هذه الأحاديث المزورة فصارت بائناً لها ودفعتها الكتاب كفاراً ضاللاً ، وأصح خبر ما عرف تحقيقه من الكتاب مثل الخبر المجمع عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله ، حيث قال : إني مستخلف فيكم خليفين كتاب الله وعترتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ، وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض . واللفظة الأخرى عنه في هذا المعنى بعينه قوله ﷺ : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، أما أنكم إن تمسكتم بهما لن تضلوا . فلمّا وجدنا شواهد هذا الحديث نصّاً في كتاب الله مثل قوله : «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» ثم أتت روايات العلماء في ذلك لأئمة المؤمنين عليه السلام أنه تصدّق بختامه وهو راع فشكر الله ذلك له ، وأنزل الآية فيه ، ثم وجدنا رسول الله ﷺ قد أبانه من أصحابه بهذه اللفظة : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من واه وعاد من عاداه . وقوله ﷺ : علي يقضي ديني ، وينجز مواعيدي ، وهو خيلتي عليكم بعدي . وقوله ﷺ حيث استخلفه على المدينة فقال : يا رسول الله أتخلفني على النساء والصبيان ؟ فقال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانيبي بعدي . فعلمنا أن الكتاب شهد بتصديق هذه الأخبار ، وتحقيق هذه الشواهد فيلزم الأمة الإقرار بها كانت هذه الأخبار موافقة للقرآن ، ووافق القرآن هذه الأخبار ، فلمّا وجدنا ذلك موافقاً لكتاب الله وجدنا كتاب الله موافقاً لهذه الأخبار وعليها دليلاً كان الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد والفساد .

(١) أى الاحاديث المتزينة بالكذب ، أو الاحاديث الكاذبة .

(٢) أى الروايات السوّهة بالكذب .

ثم قال ﷺ : ومردنا وقصدنا الكلام في الجبر والتفويض وشرحهما وبيانهما ، وإنما قدّمنا ما قدّمنا لكون اتفاق الكتاب والخبر إذا اتفقا دليلاً لما أردناه وقوة لما نحن مبينوه من ذلك إن شاء الله ، فقال : الجبر والتفويض بقول الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عندما سئل عن ذلك فقال : لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين . وقيل : فماذا يابن رسول الله ﷺ ؟ فقال : صحة العقل ، وتخليّة السرب ، والمهلة في الوقت ، والزاد من قبل الراحلة ، والسبب المهيّج للفاعل على فعله ، فهذه خمسة أشياء فإذا نقص العبد منها خلة ^(١) كان العمل عنه مطرّحاً بحسبه ، وأنا أضرب لكل باب من هذه الأبواب الثلاثة وهي الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين مثلاً يقرّب المعنى للطالب ، ويسهل له البحث من شرحه ، ويشهد به القرآن بمحكم آياته ، وتحقيق تصديقه عند ذوي الألباب ، وبالله العصمة والتوفيق .

ثم قال ﷺ : فأما الجبر فهو قول من زعم أن الله عز وجلّ جبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها ، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله وكذّب به وردّ عليه قوله : ولا يظلم ربك أحداً وقوله جلّ ذكره : ذلك بما قدّمته يدك وأن الله ليس بظلام للعبيد ، مع أي كثيرة في مثل هذا ، فمن زعم أنه مجبور على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله عز وجلّ وظلمه في عقوبته له ، ومن ظلم ربه فقد كذّب كتابه ، ومن كذّب كتابه لزمه الكفر باجتماع الأئمة . والمثل المضروب في ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك إلا نفسه ، ولا يملك عرضاً ^(٢) من عروض الدنيا ، ويعلم مولاه ذلك منه ، فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق بحاجة يأتيه بها ، ولا يملكه ثمن ما يأتيه به ، وعلم المالك أن على الحاجة رقيقاً لا يطمع أحد في أخذها منه إلا بما يرضى به من الثمن ، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور ، فأوعد عبده ^(٣) إن لم يأتيه بالحاجة أن يعاقبه ، فلما صار العبد إلى السوق وحاول أخذ الحاجة التي بعثه

(١) بضم الغاء : الخصلة .

(٢) العرض بفتح العين وسكون الراء : المتاع وكل شيء سوى الدراهم والدنانير ، والجمع : العروض .

(٣) أي فتهده .

المولى للإبتان بها وجد عليها مانعاً يمنعه منها إلا بالثمن ، ولا يملك العبد منها ، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته فاغتاز مولاه لذلك ، وعاقبه على ذلك فإنه كان ظالماً متعدياً مبطالاً وصف من عدله وحكمته ونصفه ، وإن لم يعاقبه كذب نفسه أليس يجب أن يلعاقبه ؟ والكذب والظلم ينفيان العدل والحكمة ، تعالى الله عما يقول المجترّة علواً كبيراً .

ثم قال العالم رحمته الله بعد كلام طويل : فأما التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وخطأ من دان به فهو قول القائل : إن الله تعالى فوّض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهلهم ، ^(١) وفي هذا كلام دقيق ^(٢) لم يذهب إلى غوره ودقته إلا الأئمة المهديّة عليهم السلام من عترة آل الرسول صلوات الله عليهم ، فإنهم قالوا : لو فوّض الله أمره إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضا واختاره ، ^(٣) واستجوابه من الثواب ، ولم يكن عليهم فيما اجترهوا العقاب ^(٤) إذ كان الإهمال واقعاً ، وتنصرف هذه المقالة على معنيين : إما أن يكون العباد تظاهروا عليه فالزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة ، كره ذلك أم أحبه ، فقد لزمه الوهن ، أو يكون جلّ وتقدّس عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي عن إرادته ، ففوّض أمره ونهيه إليهم ، وأجراهما على محبتهم ، إذ عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي على إرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان ، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه ، ويعرف له فضل ولايته ، ويقف عند أمره ونهيه ، وادّعى مالك العبد أنه قادر قاهر عزيز حكيم ، فأمر عبده ونهاه ، ووعد على اتّباع أمره عظيم الثواب وأوعده على معصيته أليم العقاب فخالف العبد إرادة مالكه ، ولم يقف عند أمره ونهيه ، فأمر أمره به أو نهى نهاه عنه لم يأتمر على إرادة المولى بل كان العبد يتبّع إرادة نفسه ، وبعثه في بعض حوائجه وفيها الحاجة له ، فصار العبد بغير تلك الحاجة

(١) أهله : تركه ولم يستعمله عمداً أو نسياناً .

(٢) في المصدر : وهذا الكلام دقيق . م

(٣) في المصدر : ما اختاروه واستجوابه الثواب . م

(٤) أي لم يكن عليهم فيما اكتسبوا العقاب .

خلافاً على مولاه، وقصد إرادة نفسه، واتبع هواه، فلما رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه فإذا هو خلاف ما أمره فقال العبد: اتسكنت على تفويضك الأمر إليّ فاتبعت هواي وإرادتي لأنّ المفوض إليه غير محظور عليه لاستحالة اجتماع التفويض والتحصير.

ثم قال عليه السلام: فمن زعم أنّ الله فوّض قبول أمره ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز، وأوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير أو شرّ، وأبطل أمر الله تعالى ونهيه، ثم قال: إنّ الله خلق الخلق بقدرته وملّكهم استطاعة ما تعبدهم به من الأمر والنهي، وقبل منهم اتباع أمره، ورضي بذلك منهم، ونهاهم عن معصيته، وذمّ من عصاه وعاقبه عليها، والله الخيرة في الأمر والنهي، يختار ما يريد ويأمر به وينهى عما يكره، ويثيب ويعاقب بالاستطاعة التي ملّكها عباده لاتباع أمره واجتناب معاصيه لأنّه العدل، ومنه النصفة والحكومة، بالحقّ الحجة بالإعذار والإيذار، وإليه الصفوة يصطفي من يشاء من عباده، اصطفى محمداً صلوات الله عليه وآله، وبعثه بالرسالة إلى خلقه، ولوفوض اختيار أمور، إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أميّة بن الصلت وأبي مسعود الثقفي إذ كانا عندهم أفضل من محمد لما قالوا: «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» يعنونهما بذلك، فهذا هو القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض، بذلك أخبر أمير المؤمنين عليه السلام حين سأله عباية بن ربعي الأسديّ، عن الاستطاعة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عباية بن ربعي، ^(١) فقال له: قل يا عباية؟ قال: وما أقول؟ قال: إنّ قلت: تملكها مع الله قتلتك وإن قلت: تملكها من دون الله قتلتك، قال: وما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: تقول: تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن ملّكها كان ذلك من عطائه، وإن سلبها كان ذلك من بلائه، وهو المالك لما ملّكك، والمالك لما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حيث يقولون: لاحول ولا قوة إلا بالله؟ فقال الرجل: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال: لاحول لنا عن معاصي الله إلا بعصمة الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله، قال: فوثب الرجل وقبّل يديه ورجليه.

ثمَّ قال ﷺ : في قوله تعالى : « ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين ونبلو أخباركم » وفي قوله : « سنسند رجهم من حيث لا يعلمون » وفي قوله : « أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » وفي قوله : « ولقد فتننا سليمان » وفي قوله : « إنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري » وقول موسى : « إن هي إلا فتنتك » وقوله : « ليبلوكم فيما آتاكم » وقوله : « ثمَّ صرفكم عنهم ليبتليكم » وقوله : « إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة » وقوله : « ليبلوكم آيكم أحسن عملاً » وقوله : « وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات » وقوله : « ولو شاء الله لاتصمرنهم ولكن ليبلوبعضكم ببعض » إنَّ جميعها جاءت في القرآن بمعنى الاختبار .

ثمَّ قال ﷺ : فإن قالوا : ما الحجَّة في قول الله تعالى : « يهدي من يشاء ويضلَّ من يشاء » وما أشبه ذلك ؟ قلنا : فعلى مجاز هذه الآية يقتضي معنيين : أحدهما أنه إخبار عن كونه تعالى قادراً على هداية من يشاء وضلالة من يشاء ، ولو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب ، ولا عليهم عقاب على ما شرحناه . والمعنى الآخر أن الهداية منه : التعريف ، كقوله تعالى : « وأما نوح وفهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى » وليس كلَّ آية مشتبهة في القرآن كانت الآية حجة على حكم الآيات اللاتي أمر بالأخذ بها وتقليدها وهي قوله : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أم الكتاب وأخر متشابهاً فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » الآية ، وقال : « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى ، ويقرَّب لنا ولكم الكرامة والزلفى ، وهذان لما هو لنا ولكم خيراً وأبقى ، إنه الفعَّال لما يريد ، الحكيم الجواد المجيد . « ص ٢٤٩ - ٢٥٢ »

٢١ - ج : عن داود بن قبيصة^(١) قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : سئل أبي عليه السلام

(١) هكذا في نسخ الكتاب والاحتجاج المطبوع وهو غير مذكور في التراجم . ولكن الظاهر أنه تصحيف « دارم بن قبيصة » المترجم في ص ١١٧ من رجال النجاشي بقوله : دارم بن قبيصة بن نهشل ابن مجيب أبو الحسن التميمي الدارمي السامح ، روى عن الرضا عليه السلام ، وله عنه كتاب الوجوه .

هل منع الله عما أمر به ؟ وهل نهى عما أراد ؟ وهل أعان على ما لم يرد ؟ فقه - آل (عليه السلام) أما ما سألت : هل منع الله عما أمر به ؟ فلا يجوز ذلك ، ولو جاز ذلك لكان قد منع إبليس عن السجود لآدم ، ولو منع إبليس لعذره ^(١) ولم يلغنه ؛ وأما ما سألت : هل نهى عما أراد ؟ فلا يجوز ذلك ، ولو جاز ذلك لكان حيث نهى آدم عن أكل الشجرة أراد منه أكلها ، ولو أراد منه أكلها ما نادى عليه صبيان الكتائب ^(٢) . وعصى آدم ربه فغوى . والله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشيء ، ويريد غيره ؛ وأما ما سألت عنه من قولك : هل أعان على ما لم يرد ؟ فلا يجوز ذلك ، وجل الله تعالى عن أن يعين على قتل الأنبياء ، و تكذيبهم ، وقتل الحسين بن عليٍّ والفضلاء من ولده ، وكيف يعين على ما لم يرد وقد أعد جهنم لمخالفيه ، ولعنهم على تكذيبهم لطاعته ، وارتكابهم لمخالفته ؛ ولو جاز أن يعين على ما لم يرد لكان أعان فرعون على كفره وادّعاءه أنه رب العالمين ؛ ، أفترى أراد الله من فرعون أن يدعي الربوبية ؟ يستتاب قائل هذا فإن تاب من كذبه على الله . وإلا ضربت عنقه . « ص ٢١٠ »

٣٢ - ج : و روي عن علي بن محمد العسكري (عليه السلام) ^(٣) أن أبا الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) قال : إن الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صائرون فأمرهم ونهاهم ، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به ، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بأذنه ، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته ، بل اختبرهم بالبلوى ، كما قال تعالى « ليملؤكم أيمانكم أحسن عملاً » . « ص ٢١٠ » قوله (عليه السلام) : ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بأذنه أي بتخليته وعلمه .

• والنظار ، وكتاب الناسخ والمنسوخ إله وقال العلامة في القسم الثاني من الغلاصة : يروى عن الرضا عليه السلام قال ابن الغضائري : لا يؤنس بعديته ولا يؤثق به . انتهى . أقول : دارم بفتح الدال وكسر الراء وزان فاعل ، وقبصة كسفية ، ونهشل بفتح النون وسكون الهاء وفتح الشين ، ومجمع بالميم المضومة والجيم المفتوحة والهم المشددة المكسورة وزان محدث .

(١) عذره يعذره على ما صنع : دفع عنه اللوم والذنب أو قبل عذره .

(٢) جمع الكتاب - بضم الكاف وتشديد التاء - : موضع التعليم .

(٣) في المصدر : عن الحسن بن علي بن محمد العسكري . م

٣٣ - ج : و روي أنه دخل أبو حنيفة المدينة ومعه عبدالله بن مسلم فقال له : يا أباحنيفة إن ههنا جعفر بن محمد من علماء آل محمد عليه السلام فاذهب بنا إليه نقتبس منه علماً فلما أتيا إذا هما بجماعة من شيعته ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه ، فينماهم كذلك إذ خرج غلام حدث ^(١) فقام الناس هيبة له ، فالتفت أبو حنيفة فقال : يا بن مسلم من هذا ؟ قال : هذا موسى ابنه ، قال : والله لأجبهنه ^(٢) بين يدي شيعته قال : مه لن تقدّر على ذلك ، قال : والله لأفعلنه ^(٣) ثم التفت إلى موسى عليه السلام فقال : يا غلام أين يضع الغريب حاجته في بلدكم هذه ؟ قال : يتوارى خلف الجدار ، ويتوقى أعين الجار ، و شطوط الأنهار ، ومسقط الثمار ، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، فحينئذ يضع حيث شاء ، ^(٤) ثم قال : يا غلام تَمَنّ المعصية ؟ قال : يا شيخ لا نخلو من ثلاث إما أن تكون من الله وليس من العبد شيء ، فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله ، وإما أن تكون من العبد ومن الله أقوى الشريكين فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه ، وإما أن تكون من العبد وليس من الله شيء ، فإن شاء عفى وإن شاء عاقب . قال : فأصابت أباحنيفة سكتة كأنما ألقم فوه الحجر ، ^(٥) قال : فقلت له ألم أقل لك لا تتعرّض لأولاد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ « ص ٢١٠-٢١١ »

(١) الحدث : الشاب .

(٢) أي لا تكسن رأسه ، وفي نسخة : لا هجينه لعله من (الهجب) : السوق والسرعة ؛ الضرب بالعصا . وفي الاحتجاج المطبوع : والله اخجله .

(٣) يعرف من هذا نفسيات إمام السنية ووزائنه وعفافه في الاحتجاج ؛ هبه لم يكن يرى لسلالة النبوة قداسة وحرمة فيم كان يرى إباحة تخجيل امرء مسلم ، وهو يراه غلاماً حدثاً ؛ لم يكن بينه وبينه عداوة ولا خصام ؛ كما يعرف تبحر الإمام عليه السلام في الأصول والفروع وقوة حجاجه وهو غلام حدث .

(٤) أقول : أخرج الكليني صدر الحديث من قوله : « يا غلام أين يضع الغريب ببلدكم » في المجلد الاول من فروع الكافي ص ٦ عن علي بن ابراهيم رفعه ، وفيه زيادة وهو هكذا : فقال : اجتنب أفنية المساجد ، وشطوط الأنهار ، ومساقط الثمار ، و منازل النزال ، ولا تستقبل القبلة بباطل ولا بول ، وادفع ثوبك ، وضع حيث شئت . وأورده الشيخ باسناده عن الكليني في التهذيب ج ١ ص ٩ .

(٥) مثل سائر يضرب لمن تكلم فاجيب بمسكتة .

و في ذلك يقول الشاعر هذه الأبيات :

لم تخل أفعالنا اللآتي نذمّ بها ☆ إحدى ثلاث معان حين نأتيها
إمّا تفرّد بارينا بصنعتها ☆ فيسقط الكوم عنا حين ننشئها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه ☆ ماسوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهي في جنابتها ☆ ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها

فس : وأما الردّ على المجبّرة الذين قالوا : ليس لنا صنع ونحن مجبّرون ، يحدث الله لنا الفعل عند الفعل ، وإنما الأفعال هي منسوبة إلى الناس على المجاز لاعلى الحقيقة ، وتأولوا في ذلك آيات من كتاب الله عزّ وجلّ لم يعرفوا معناها ، مثل قوله : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله » وقوله : « ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » وغير ذلك من الآيات التي تأويلها على خلاف معانيها ، وفيما قالوه بإبطال الثواب والعقاب ، وإذا قالوا ذلك ثمّ أقرّوا بالثواب والعقاب نسبوا الله إلى الجور ، وأنّه يعذب على غير اكتساب وفعل ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً أن يعاقب أحداً على غير فعل وبغير حجة واضحة عليه ، والقرآن كلّ ردّ عليهم ، قال الله تبارك وتعالى : « لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » فقوله عزّ وجلّ : « لها وعليها » هو على الحقيقة لفعلها ، وقوله : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » وقوله : « كلّ نفس بما كسبت رهينة » وقوله : « ذلك بما قدّمت أيديكم » وقوله : « وأما نمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » وقوله : « إنّنا هديناه السبيل » يعني يدينا له طريق الخير وطريق الشرّ . إمّا شاكرأ وإمّا كفوراً » وقوله : « وعاداً ونمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين » وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلاً أخذنا بذنبه » فلم يقل : بقلنا » فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ومثله كثير . « ص ٢٠ - ٢١ »

أقول : سيأتي مثل هذا الكلام بوجه أبسط في كتاب القرآن في تفسير النعماني
فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٣٤ - يد : المفسر بإسناده إلى أبي محمد عليه السلام قال : قال الرضا عليه السلام : ما عرف الله
من شبهه بخلقه ، ولا وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباد^(١) الخير . ص ٣٤ - ٣٥ ،
٣٥ - ن : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن حمدان بن سليمان قال : كتبت إلى الرضا
عليه السلام أسأله عن أفعال العباد أم مخلوقة أم غير مخلوقة ؟ فكتب عليه السلام : أفعال العباد
مقدرة في علم الله عز وجل قبل خلق العباد بألفي عام . ص ٧٨

٣٦ - يد ، ل ، ن : أبو الحسن محمد بن عمرو بن علي البصري ، عن علي بن الحسن
الميثمي ، عن علي بن مهرويه القزويني ، عن أبي أحمد الغازي ، عن علي بن موسى الرضا ،
عن آبائه ، عن الحسين بن علي عليه السلام قال : سمعت أبي علي بن أبي طالب عليه السلام يقول :
الأعمال على ثلاثة أحوال : فرائض ، وفضائل ، ومعاصي ، فأما الفرائض فبأمر الله تعالى
وبرضى الله وبقضائه وتقديره ومشيته وعلمه ؛ وأما الفضائل فليست بأمر الله^(٢) و
لكن برضى الله وبقضائه الله وبقدر الله وبمشية الله وبعلم الله ، وأما المعاصي فليست بأمر
الله^(٣) ولكن بقضاء الله وبقدر الله وبمشية الله وبعلمه ثم يعاقب عليها . يد : ٣٧٧ ، ن ٨١ ،
يد ، ن : قال^(٤) مصنف هذا الكتاب : المعاصي بقضاء الله معناه بنهي الله ، لأن
حكمه عز وجل فيها على عبادته الانتهاء عنها ،^(٥) ومعنى قوله : بقدر الله أي بعلم الله بمبلغها

(١) هذا صريح في أنه من قول الرضا عليه السلام ، وفي المصدر صريح في أنه من كلام رسول الله
صلى الله عليه وآله .

(٢) أي الأمر الوجوبى .

(٣) ولا برضاء ، لأن الله لا يرضى بالكفر والمعاصي .

(٤) في التوحيد : قال مصنف هذا الكتاب قضاء الله عز وجل في المعاصي حكمه فيها ، ومشيته في المعاصي
نهيها عنها ، وقدره فيها علمه بمقاديرها ومبالغتها . م

(٥) هذا على أحد معاني القضاء ، وهو الحكم والالزام كما قال الله تعالى : وقضى ربك ألا تعبدوا
إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، وقوله : والله يقضى بالحق ، أي يحكم . أقول : ويمكن أن يكون بمعنى
الفصل والقطع ونجس الأمر ، لوقوعه قبال القدر وهو التقدير ، وإسناد ذلك إلى الله تعالى بحيث
لا يستلزم الجبر إما بواسطة علمه تعالى بحصول ذلك الفعل عند وجود سببه وعلته التامة ومنها
إرادة الإنسان واختيار فاعله ، أو بواسطة جعله الإنسان مختارا ، وعدم ردعه التكويني وكفه عن
الفعل مع قدرته عليه ، أو لصحة إسناد الفعل إلى أحد علله الضولية .

ومقدارها، ومعنى قوله : بمشيئة الله فإنهم عز وجل شاء أن لا يمنع العاصي إلا بالزجر والقول والنهي والتحذير ، دون الجبر والمنع بالقوة ، والدفع بالقدرة . (ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ص ٢٨١
 ٣٧ - مع ، ن : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن حمدان ، ^(١) عن الهروي قال :
 سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : أفعال العباد مخلوقة ، فقلت : يا بن رسول الله ما
 معنى مخلوقة ؟ قال : مقدرة . مع ١١٢ ، ن : ١٧٥

٣٨ - ن : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن الفضل ، عن الرضا عليه السلام فيما كتب
 للمأمون : من محض الإسلام أن الله تبارك وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وأن أفعال
 العباد مخلوقة لله خلق تقدير لخلق تكوين ، والله خالق كل شيء ، ولا نقول بالجبر و
 التفويض . الخبر . ص ٢٦٧

٣٩ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن معروف ، عن ابن أبي نجران ،
 عن حماد بن عثمان ، عن عبدالرحيم القصير قال : كتبت على يدي عبدالملك بن أعين إلى
 أبي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك اختلف الناس في أشياء قد كتبت بها إليك ، فإن رأيت
 جعلت فداك أن تشرح لي جميع ما كتبت إليك ، اختلف الناس - جعلت فداك - بالعراق في
 المعرفة والجحود ، فأخبرني - جعلت فداك - أهما مخلوقتان ؟ واختلفوا في القرآن فزعم
 قوم أن القرآن كلام الله غير مخلوق وقال آخرون : كلام الله مخلوق ، وعن الاستطاعة أقبل
 الفعل أو مع الفعل ؟ فإن أصحابنا قد اختلفوا فيه وروا فيه ، وعن الله تبارك وتعالى هل
 يوصف بالصورة وبالتخطيط ؟ فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إلي بالذهب الصحيح
 من التوحيد ، وعن الحركات أهي مخلوقة أو غير مخلوقة ؟ وعن الإيمان ماهو ؟

فكتب صلى الله عليه وسلم علي يدي عبدالملك بن أعين : سألت عن المعرفة ماهي ؟ فأعلم
 رحمة الله أن المعرفة من صنع الله عز وجل في القلب مخلوقة ، والجحود صنع الله في القلب

(١) لعله حمدان بن سليمان .

(٥) أقول : أخرج الكليني قطعة من الحديث وهي « وصف الله بالصورة والتخطيط » في باب
 النهي عن الصفة ، وقطعة وهي « الإيمان ماهو » في باب « أن الإسلام قبل الإيمان » في كتابه الكافي عن
 علي بن إبراهيم ، عن العباس بن معروف ، عن ابن أبي نجران ، عن حماد بن عثمان ، عن عبدالرحيم بن
 عتيك القصير . فيظهر من هذا اتحاد ابن عتيك مع عبدالرحيم القصير .

مخلوق ، وليس للعباد فيهما من صنع ، ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب ، فبشهورتهم الإيمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين ، و بشهورتهم الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضلّالاً ، و ذلك بتوفيق الله لهم ، و خذلان من خذله الله ، فبالاختيار و الاكتساب عاقبهم الله و أنابهم ؛ و سألت رحمك الله عن القرآن و اختلاف الناس قبلكم فإن القرآن كلام الله محدث غير مخلوق ، و غير أزلّي مع الله تعالى ذكره ، و تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، كان الله عزّ وجلّ ولاشيء غير الله معروف ولامجهول كان عزّ وجلّ ولا متكلّم ولا مريد ولا متحرّك ولا فاعل ، جلّ و عزّ ربّنا ، فجميع هذه الصفات محدثة عند حدوث الفعل منه ، جلّ و عزّ ربّنا ، و القرآن كلام الله غير مخلوق ، فيه خبر من كان قبلكم ، و خبر ما يكون بعدكم ، ^(١) أنزل من عند الله على محمد رسول الله ﷺ . و سألت رحمك الله عن الاستطاعة للفعل فإن الله عزّ وجلّ خلق العبد وجعل له الآلة و الصحة ، وهي القوة التي يكون العبد بها متحرّكاً مستطيعاً للفعل ، و لا متحرّك إلاّ وهو يريد الفعل ، وهي صفة مضافة إلى الشهوة التي هي خلق الله عزّ وجلّ ، مركبة في الإنسان فإذا تحرّكت الشهوة للإنسان ^(٢) اشتهى الشيء ، و أراد ، فمن ثم قيل للإنسان : مريد ، فإذا أراد الفعل و فعل كان مع الاستطاعة و الحركة ، فمن ثم قيل للعبد : مستطيع متحرّك ، فإذا كان الإنسان ساكناً غير مريد للفعل و كان معه الآلة وهي القوة و الصحة اللتان بهما تكون حركات الإنسان وفعله كان ساكناً لعلّة سكون الشهوة فقليل : ساكن ، فوصف بالسكون فإذا اشتهى الإنسان و تحرّكت شهوته التي ركبت فيه اشتهى الفعل و تحرّك بالقوة المركبة فيه ، و استعمل الآلة التي يفعل بها الفعل فيكون الفعل منه عند ما تحرّك و اكتسبه فقليل : فاعل و متحرّك و مكتسب و مستطيع أو لا ترى أن جميع ذلك صفات يوصف بها الإنسان ؟ و سألت رحمك الله عن التوحيد و ما ذهب إليه من قبلك فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، تعالى الله عما يصفه الواصفون المشبهون الله تبارك و تعالى بخلقه ، المفترّون على الله عزّ وجلّ ، فاعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عزّ وجلّ ،

(١) في نسخة : و خبر من يكون بعدكم .

(٢) في التوحيد المطبوع : في الإنسان .

فانف عن الله البطلان والتشبيه فلا نفى ولا تشبيه هو الله عز وجل ، الثابت ، الموجود ، تعالى الله عما يصفه الواصفون ، ولا تعد القرآن ^(١) فتضل بعد البيان ، و سألت ربحك الله عن الإيمان فالإيمان هو إقرار باللسان ، وعقد بالقلب ، وعمل بالأركان ، فالإيمان بعضه من بعض ، ^(٢) وقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً ، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً ، فالإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان ، فإذا أتى العبد بكبيرة من كبائر المعاصي ، أو صغيرة من صفائر المعاصي التي نهى الله عز وجل عنها كان خارجاً من الإيمان ، وساقطاً عنه اسم الإيمان ، وثابتاً عليه اسم الإسلام ، فإن تاب واستغفر عاد إلى الإيمان ، ^(٣) ولم يخرج به إلى الكفر والجحود والاستحلال ، ^(٤) وإذا قال للحلال : هذا حرام ، وللحرام : هذا حلال ودان بذلك فعندها يكون خارجاً من الإيمان والإسلام إلى الكفر ، وكان بمنزلة رجل دخل الحرم ثم دخل الكعبة فأحدث في الكعبة حدثاً فأخرج عن الكعبة وعن الحرم فضربت عنقه وصار إلى النار . « ص ٢٢٧ - ٢٣٠ »

قال الصدوق رحمه الله : كان المراد من هذا الحديث ما كان فيه من ذكر القرآن ، ومعنى ما فيه أنه غير مخلوق أي غير مكذوب ، ولا يعني به أنه غير محدث لأنه قد قال : محدث غير مخلوق ، وغير أزلي مع الله تعالى ذكره .

بيان : قوله : علي يدي عبد الملك أي أرسلت الكتاب معه . قوله ﷺ : إن المعرفة من صنع الله أي أصل المعرفة ، أو كمالها من الله تعالى بعد اكتسابهم وتفكرهم فالمفوض للمعارف هو الرب تعالى ، وللتفكر والنظر والطلب مدخل فيها ، وإنما يثابون ويعاقبون بفعل تلك المبادي وتركها ، أو المعنى أن المعرفة ليست إلا من قبله تعالى ، إما بإلقائها في قلوبهم ، أو ببيان الأنبياء والحجج ﷺ ، وإما كلف العباد بقبول ذلك

(١) أي لا تتجاوز عما في القرآن .

(٢) في الكافي هنا زيادة وهي قوله : وهو دار وكذلك الإسلام دار والكفر دار ، فقد يكون الخ .

(٣) في الكافي : إلى دار الإيمان .

(٤) في الكافي : ولا يخرج به إلى الكفر إلا الجحود والاستحلال أن يقول للحلال هـ

و إقرارهم به ظاهراً و تخليه النفس قبل ذلك لطلب الحقّ عن العصبية والعناد ، وعمّا يوجب الحرمان عن الحقّ من تقليد أهل الفساد ، وهذا هو المراد بالاختيار من الاكتساب .
ثم بيّن ﷺ أن لتوفيق الله وخذلانه أيضاً مدخلاً في ذلك الاكتساب أيضاً كما سيأتي تحقيقه ؛ ولعلّ المنع من إطلاق الخلق على القرآن إمّا للتقية مما شاة مع العامة ، أو لكونه موهماً لمعنى آخر أطلق الكفار عليه بهذا المعنى فقالوا : إن هذا الاختلاق ، كما أشار إليه الصدوق رحمه الله .^(١) قوله : معروف ولا مجهول أي لم يكن مع الله شيء يعرفه الخلق أو يجهلونه .

٤٠ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمد البرقي ، عن أبي شعيب المحاملي ،^(٢) عن أبي سليمان الجمّال ،^(٣) عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألت عن شيء من الاستطاعة فقال : ليست الاستطاعة من كلامي ولا من كلام آبائي .
ص ٣٥٤ - ٣٥٥

قال الصدوق رحمه الله : يعني بذلك أنه ليس من كلامي ولا من كلام آبائي أن يقول لله عز و جل : إنه مستطيع كما قال الذين كانوا على عهد عيسى عليه السلام : « هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » .

بيان : لعلّ منعه عن إطلاق الاستطاعة فيه تعالى لكونه استفعالاً من الطاعة فلا يليق إطلاقه بجنابه تعالى ، أو لأن الاستطاعة إنما تطلق على القدرة المتفرّعة على حصول الآلات والأدوات ،^(٤) والله تعالى منزّه عن ذلك ، وسيأتي تحقيق معنى الخبر .

(١) بل الحق أن الكلام هو اللفظ لا بما أنه صوت بل بما أنه دال على المعنى أي المعنى المدلول عليه بما أنه مرتبط بالصوت الذي هو كيف مسوع ، وهذا معنى اعتباري لا يتعلق به الجمل وهذا بخلاف الحدوث ؛ ولتفصيل الكلام محل آخر . ط

(٢) هو صالح بن خالد الكوفي ، من رجال أبي الحسن موسى عليه السلام مولى علي بن الحكم بن الزبير الأنباري ، له كتاب ، وثقه النجاشي في باب الكنى من رجاله .

(٣) لم نجد ذكره في التراجم . وفي المصدر : أبو سلمان .

(٤) هذا وما ذكره الصدوق رحمه الله من عجيب التأويل . وظاهر الرواية أن المراد بالاستطاعة قول دائر بين الناس وليس إلا ما كان دائراً بين المتمتلة يومئذ من القول بالاستطاعة وهو استناد الفعل إلى قدرة العبد واستطاعته من غير أن يكون لله سبحانه فيه صنع . ويمكن أن يكون إشارة إلى مسألة تحقق الاستطاعة قبل الفعل الذي نفتها الإشارة ويكون الخبر واردة على التقية . ط

٤١ - يد : أبي وابن الوليد معاً ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسن بن فضال ، عن أبي جميلة ، ^(١) عن محمد بن علي الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون » قال : وهم مستطيعون ، يستطيعون الأخذ بما أمروا به ، وترك لما نهوا عنه ، وبذلك ابتلوا ، قال : و سألته عن رجل مات وترك مائة ألف درهم ولم يحجّ حتى مات ، هل كان يستطيع الحجّ ؟ قال : نعم إنما استغنى عنه بماله وصحته . « ص ٣٥٥ - ٣٥٦ »

بيان : ليس « عنه » في بعض النسخ وهو أظهر ، ومع وجوده يحتمل أن يكون « عن » بمعنى « اللأم » كما قيل في قوله تعالى : « إلا عن مودة » و يحتمل أن يكون الاستغناء عنه كناية عن الترك ، و الباء بمعنى « مع » أي تركه مع وجود ماله وصحته .

٤٢ - يد : بهذا الإسناد ، عن ابن عيسى ، عن علي بن حديد ، عن جميل ، عن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل « ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون » قال : صارت أصلاً بهم كصياصي البقر - يعنى قردنها - « وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون » قال : ^(٢) وهم سالمون ، وهم مستطيعون . « ص ٣٥٦ »

٤٣ - يد : بهذا الإسناد ، عن ابن عيسى ، عن محمد البرقي ، عن محمد بن يحيى الصيرفي عن صباح الحذاء ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سأله زرارة - وأنا حاضر - فقال : أفرأيت ما افترض الله علينا في كتابه وما نهانا عنه ؟ جعلنا مستطيعين لما افترض علينا ، مستطيعين ترك ما نهانا عنه ؟ فقال : نعم . « ص ٣٥٧ »

٤٤ - يد : بهذا الإسناد ، عن ابن عيسى ، عن سعيد بن جناح ، عن عوف بن عبد الله الأزدي ، عن عمه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة ، فقال : وقد فعلوا ؟ فقلت : نعم زعموا أنها لا تكون إلا عند الفعل وإرادة في حال الفعل ^(٣) لا قبله ، فقال : أشرك القوم . « ص ٣٦٠ »

(١) هو الفضل بن صالح الاسدي النخاس ضعيف .

(٢) في المصدر : قال : وهم مستطيعون .

(٣) في التوحيد المطبوع : واردة في حال الفعل .

بيان : قوله عليه السلام : وقد فعلوا أي نفوا الاستطاعة أيضاً بعد ما نفوا سائر ضروريات الدين ؛ أو المعنى أنهم فعلوا الفعل باختيارهم فكيف لا يستطيعون .

٤٥ - يد : بهذا الإسناد عن ابن عيسى ، عن علي بن عبد الله ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي الحسن الحذاء ، ^(١) عن الملقى بن خنيس قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما يعنى بقوله عز وجل : « وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون » ؟ قال : وهم مستطيعون . « ص ٣٦١ - ٣٦٢ »

٤٦ - يد : ابن الوليد ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، وتجد بن عبد الحميد ، وابن أبي الخطّاب جميعاً عن البرنطي ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا يكون العبد فاعلاً ولا متحرراً كلاً إلا والاستطاعة معه من الله عز وجل ، وإنما وقع التكليف من الله عز وجل بعد الاستطاعة فلا يكون مكلفاً للفعل إلا مستطيعاً . « ص ٢٦٢ »

٤٧ - يد : عبد الله بن محمد بن عبد الوهّاب ، عن أحمد بن الفضل ، ^(٢) عن منصور بن عبد الله ، ^(٣) عن علي بن عبد الله ، عن ابن أبي الخطّاب ، عن محمد بن أبي الحسين ، ^(٤) عن سهل المصيصي ، ^(٥) عنه عليه السلام مثله . « ص ٣٥٥ »

٤٨ - يد : أبي ، عن سعد ، ^(٦) عن ابن بزيع ، عن ابن أبي عمير ، عن رواه من أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : لا يكون العبد فاعلاً إلا وهو مستطيع وقد يكون مستطيعاً غير فاعل ، ولا يكون فاعلاً أبداً حتى يكون معه الاستطاعة . « ص ٣٦٠ »

٤٩ - يد : أبي وابن الوليد معاً ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن علي بن عبد الله

(١) لم نعرف اسمه ولا حاله . وفي بعض النسخ : والخزاعي بدل الحذاء .

(٢) في التوحيد : أحمد بن الفضل بن المغيرة . أقول : لم نجد له ذكر أفي الرجال .

(٣) > > منصور بن عبد الله بن إبراهيم الاصفهاني . أقول : هو كسابقه .

(٤) > > محمد بن أبي الحسين القريني . أقول هو أيضاً كسابقه .

(٥) > > سهل (بن خل) أبي محمد المصيصي . أقول : هو أيضاً كسابقه .

(٦) > > أبي ، عن سعد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن محمد بن أبي عمير .

عن أحمد بن محمد البرقي^(١)، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى : «و سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون» قال : أكذبهم الله في قولهم : لو استطعنا لخرجنا معكم ، وقد كانوا مستطيعين للخروج . «ص ٣٦١»

٥٠ - يد : بهذا الإسناد ، عن ابن عيسى ، عن الحجاج ، عن ثعلبة ، عن عبد الأعلى بن أعين ، عن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية «لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا يتبعوك ولكن بدعت عليهم الشقة» و سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون» أنهم كانوا يستطيعون للخروج ، وقد كان في العلم أنه لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً افعلوا . «ص ٣٦١»

٥١ - يد : أبي وابن الوليد ، عن سعد والحميري ، هما عن ابن عيسى ، عن الحسن ابن علي بن فضال ، عن أبي حميلة ، عن محمد الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما أمر العباد إلا بدون سعتهم ، فكل شيء أمر الناس بأخذه فهم متسعون له ، وما لا يتسعون له فهو موضوع عنهم ، ولكن الناس لا خير فيهم . «ص ٣٥٨»

٥٢ - يد : ابن الوليد ، عن ابن أبان ، عن الحسين بن سعيد ،^(٢) عن عبيد بن زرارة ، عن حمزة بن حمران قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة فلم يجبني ، فدخلت عليه دخلة أخرى فقلت : أصلحك الله إنه قد وقع في قلبي منها شيء لا يخرجني إلا شيء ، أسمعته منك ؛ قال : فإنه لا يضرك ما كان في قلبك ؛ قلت : أصلحك الله فإنه شيء أقول : إن الله تعالى لم يكلف العباد إلا ما يستطيعون وإلا ما يطيقون ، فإنه لا يصنعون شيئاً من ذلك إلا بإرادة الله ومشيتته وقضائه وقدره ، قال : هذا دين الله الذي أنا عليه وأبائي ؛ أو كما قال . «ص ٣٥٧»

(١) لا يعرف الرجل في أصحاب الصادق عليه السلام .

(٢) أقول : أخرج الحديث ثقة الاسلام في باب الاستطاعة من كتابه الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن بعض أصحابنا ، عن عبيد بن زرارة . والظاهر أنه الصحيح لمجد رواية الحسين بن سعيد عن عبيد بن زرارة بلا واسطة .

قال الصدوق رحمه الله: مشيئة الله وإرادته في الطاعات الأمر بها، وفي المعاصي النهي عنها والمنع منها بالزجر والتحذير.

٥٣ - يد: العطّار، عن أبيه، عن ابن عيسى، عن علي بن الحكم، عن ابن بكير عن حمزة بن حمران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن لنا كلاماً نتكلم به، قال: هاته؛ قلت: نقول: إن الله عز وجل أمر ونهى وكتب الآجال والآثار لكل نفس بما قدر لها وأراد وجعل فيهم من الاستطاعة لطاعته ما يعملون به ما أمرهم به وما نهاهم عنه، فإذا تركوا ذلك إلى غيره كانوا محجوجين بما صير فيهم من الاستطاعة والقوة لطاعته، فقال: هذا هو الحق إذا لم تعده إلى غيره. «ص ٣٥٧-٣٥٨»

٥٤ - يد: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطاب، عن ابن أسباط قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الاستطاعة، فقال: يستطيع العبد بعد أربع خصال: أن يكون مخلص السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وارد من الله عز وجل قال: قلت: جعلت فداك فسرّ هالي، قال: أن يكون العبد مخلص السرب، صحيح الجسم سليم الجوارح، يريد أن يزني فلا يجد امرأة ثم يجدها، فإمّا أن يعصم فيمتنع كما امتنع يوسف عليه السلام، أو يخلص بينه وبين إرادته فيزني فيسمى زانياً، ولم يطع الله بأكراه، ولم يعص بغلبة. «ص ٣٥٨-٣٥٩»

بيان: السبب الوارد من الله هو العصمة أو التخلية.

٥٥ - يد: ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل خلق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه، وأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون فيه آخذين ولا تاركين إلا بأذن الله عز وجل. قال^(١) الصدوق رحمه الله: يعني بعلمه. «ص ٣٥٩»

(١) ليست في النسخ الثلاثة المطبوعة من التوحيد جملة «قال الصدوق» ولعل العلامة المجلسي

استظهر أن جملة «يعني بعلمه» من الصدوق رحمه الله ٢٠

٥٦ - يد : بهذا الإسناد ، عن الحسين ، عن فضالة ، عن أبان ، عن حمزة بن محمد الطيار قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : «وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» قال : مستطيعون يستطيعون الأخذ بما أمروا به ، والترك لما نهوا عنه ، وبذلك ابتلوا ، ثم قال : ليس شيء مما أمروا به ونهوا عنه إلا ومن الله عز وجل فيه ابتلاء وقضاء . «ص ٣٥٩»

سن : ابن فضال ، عن أبي جميلة ، عن محمد الحلبي مثله . ^(١) «ص ٢٧٩»

٥٧ - يد : أبي ، عن سعد ، ^(٢) عن الحسين بن سعيد ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام ابن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما كلف الله العباد كلفة فعل ، ولا نهاهم عن شيء ، حتى جعل لهم الاستطاعة ، ثم أمرهم ونهاهم فلا يكون العبد آخذاً ولا تاركاً إلا باستطاعة متقدمة قبل الأمر والنهي ، وقبل الأخذ والترك ، وقبل القبض والبسط . «ص ٣٦٢»

٥٨ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن سليمان بن خالد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لا يكون من العبد قبض ولا بسط إلا باستطاعة متقدمة للقبض والبسط . «ص ٣٦٢»

٥٩ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن أبي الخطاب ، عن المحاملي ، و صفوان بن يحيى معاً ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول - وعنده قوم يتناظرون في الأفاعيل والحركات - فقال : الاستطاعة قبل الفعل ، لم يأمر الله عز وجل بقبض ولا بسط إلا والعبد لذلك مستطيع . «ص ٣٦٢ - ٣٦٣»

(١) وزاد في الماسن بعد قوله عليه السلام : ولذلك ابتلوا : وقال ليس في العبد قبض ولا بسط مما امر

الله به او نهى عنه الا ومن الله فيه ابتلاء وقضاء . م

(٢) في التوحيد المطبوع : سعد ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن سعيد . وهو الصحيح لان سعد لا يروى عن الحسن أو الحسين إلا بواسطة وهي أحمد بن محمد بن عيسى ، نص على ذلك الكاظمي في المشتركات ، وأما الحسين بن سعيد فهو شريك أخيه الحسن في رواياته ومشايخه إلا في زرة بن محمد وفضالة بن أيوب ، فان الحسين يروى عنهما بواسطة أخيه الحسن ، فعلى ذلك يصح أن يكون مآل السند الحسين أو الحسن كما في التوحيد المطبوع .

٦٠ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن مروك بن عبيد ، ^(١) عن عمرو رجل من أصحابنا ، عمن سأل أبا عبد الله عليه السلام فقال له : إن لي أهل بيت قدرية يقولون : نستطيع أن نعمل كذا وكذا ، و نستطيع أن لا نعمل ؛ قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : قل له : هل تستطيع أن لا تذكر ماتكره وأن لا تنسى ماتحب ؟ فإن قال : لا فقد ترك قوله ، وإن قال : نعم فلا تكلمه أبداً فقد ادعى الربوبية . « ص ٣٦٣ »

٦١ - يد : أبي ، عن سعد ، عن صالح بن أبي حماد ، ^(٢) عن أبي خالد السجستاني ، ^(٣) عن علي بن يقطين ، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال : مر أمير المؤمنين عليه السلام بجماعة بالكوفة وهم يختصمون بالقدر ، ^(٤) فقال لمتكلمهم : أيا الله تستطيع ؟ أم مع الله ؟ أم من دون الله تستطيع ؟ فلم يدر ما يرد عليه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إن زعمت أنك بالله تستطيع فليس إليك ^(٥) من الأمر شيء ، وإن زعمت أنك مع الله تستطيع فقد زعمت أنك شريك معه في ملكه ، وإن زعمت أنك من دون الله تستطيع فقد ادعى الربوبية من دون الله تعالى ؛ فقال : يا أمير المؤمنين لا بل بالله أستطيع ، فقال : أما إنك لو قلت غير هذا لضربت عنقك . ^(٦) « ص ٣٦٣ - ٣٦٤ »

(١) بفتح الهم وسكون الراء وفتح الواو هو صالح بن عبيد بن زياد أبي حفصة .

(٢) أبي النخير الرازي ، واسم أبي حماد سلمة ، قال النجاشي : وكان أمره ملبسا ، يعرف و ينكر ، له كتب : منها كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكتاب نوادر .

(٣) لم نقف على اسمه إلا أن الفاضل السامقاني قال : لا يبعد أن اسمه سالم بن سلمة الكندي السجستاني ، ولكنني لم أقف على من كناه بأبي خالد . م

(٤) في نسخة من التوحيد : في القدر . م

(٥) في المصدر : فليس لك .

(٦) لا يجب أن اسباب الفعل والالات والقوى كلها من الله ولا خلاف فيه من معتزلي ولا أشعري ولا إمامي وإنما الكلام في أن استطاعة الفعل هل هي قبل الفعل أو معه ؛ الثاني للأشعري وغيره لغيرهم . ثم اختلف في الاستطاعة قبل الفعل هل العبد مستقل بها بحيث يتصرف في الأسباب وآلات الفعل من غير أن يرتبط شيء من تصرفه بالله أم الله فيه صنع بحيث أن القدرة لله مضافة إلى سائر الأسباب وإنما يقدر العبد بتبليك الله إياه شيئا منها ؛ المعتزلة على الأول والمتحصل من أخبار أهل البيت عليهم السلام هو الثاني ، إذا عرفت ذلك ظهر لك ما في تفسير المصنف رحمه الله لعمى الحديث فقدأوله تاويلا عجيبا مع أن الروايات صريحة في خلافه . ط

بيان : لعله أراد عليه السلام بقوله : بالله تستطيع أن الله يجبره على الفعل ، فلذا قال : فليس إليك من الأمر شيء ، ولما نفى المتكلم الثلاثة وقال : بالله أستطيع علم أن مراده أنني مستطيع قادر بماملكني الله من الأسباب والآلات ، فلذا لم يرد عليه السلام كلامه و قبل منه ، ويحتمل على بعد أن يكون اختار الشق الأول ، فقوله عليه السلام : ليس إليك من الأمر شيء ، أي لا استقل في الفعل بأن تقدر على تحصيل جميع ما يتوقف عليه الفعل ، والحاصل أنه لما كان قدرياً تفويضياً قال عليه السلام : إن اخترت هذا فقد أقرت ببطالان ماتعته من استقلال العبد ولا بد لك من اختياره .

٦٢ - ن ، يد : تميم القرشي ، عن أبيه ، عن أحمد بن علي ، عن الهروي قال : سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل : « الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً » فقال : إن غطاء العين لا يمنع من الذكر ، والذكر لا يرى بالعيون ، ولكن الله شبه الكافرين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام بالعميان لأنهم كانوا يستثقلون قول النبي صلى الله عليه وآله فيه ، وكانوا لا يستطيعون سماعاً ، فقال المأمون : فرتجت عنني فرج الله عنك . « ص ٧٨ ص ٣٦٤ »

٦٣ - ف : كتب الحسن البصري إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام : أما بعد فأنا نسلك معشر بني هاشم الفلك الجارية في اللجج الغامرة ، والأعلام النيرة الشاهرة ، أو كسفينة نوح عليه السلام التي نزلها المؤمنون ونجا فيها المسلمون ، كتبت إليك يا بن رسول الله عند اختلافنا في القدر ، وحيرتنا في الاستطاعة ، فأخبرنا بالذي عليه رأيك ورأي آبائك عليهم السلام ، فإن من علم الله علمكم ، وأنتم شهداء على الناس ، والله الشاهد عليكم ، ذرئته بعضها من بعض والله سميع علیم

فأجابه الحسن عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم وصل إلي كتابك ، ولولا ما ذكرته من حيرتك وحيرة من مضى قبلك إذا ما أخبرتك ، أما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره و شره أن الله يعلمه فقد كفر ، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر ، إن الله لم يطع مكرهاً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يهمل العباد سدى من المملكة ، ^(١) بل هو المالك لما ملكهم ، و

(١) أهمله : تركه ولم يستعمله عمداً أو نسياناً . وسدى أى باطلا ومهطلا .

القادر على ما عليه أقدرهم ، بل أمرهم تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، فإن ائتمروا للطاعة لم يجدوا عنها صادراً ، وإن انتهوا إلى المعصية فشاء أن يمنَّ عليهم بأن يحول بينهم وبينها فعل ، وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً ، ولا ألزموها كرهاً ، بل منَّ عليهم بأن يصبرهم وعرفهم وحذرهم وأمرهم ونهاهم ، لاجبلاً لهم على ما أمرهم به فيكونوا كاملاً نكته ، ولا جبراً لهم على ما نهاهم عنه ، والله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين . والسلام على من أتبع الهدى . « ص ٢٣١ »

أقول : سيأتي في كتاب الاحتجاجات بسند آخر أبسط من هذا .

٦٤ - سن : علي بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون ، والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد . « ص ٢٩٦ »

٦٥ - سن : أبي ، عن حماد ، عن الحسين بن المختار ، عن حمزة بن حمران قال : قلت له : إننا نقول : إن الله لم يكلف العباد إلا ما آتاهم ، و كل شيء لا يطيقونه فهو عنهم موضوع ، ولا يكون إلا ما شاء الله وقضى وقدّر وأراد ؛ فقال : والله إن هذا لديني ودين آبائي . ^(١) « ص ٢٩٦ »

٦٦ - سن : علي بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما كلف الله العباد إلا ما يطيقون ، وإنما كلفهم في اليوم والليلة خمس صلوات ، وكلفهم من كل مائتي درهم خمسة دراهم ، وكلفهم صيام شهر رمضان في السنة ، وكلفهم حجة واحدة وهم يطيقون أكثر من ذلك ، وإنما كلفهم دون ما يطيقون ونحو هذا . « ص ٢٩٦ »

٦٧ - سن : أبي ، عن العباس بن عامر ، عن محمد بن يحيى الخثعمي ، عن عبد الرحيم القصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سأله حفص الأور - وأنا أسمع - : جعلني الله فداك قول الله : ^(٢) « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » قال : ذلك القوة في المال أو اليسار ، قال : فإن كانوا موسرين فهم ممن يستطيع إليه السيل ؛ قال : نعم ، فقال له

(١) تقدم الحديث عن التوحيد تحت رقم ٥٢ وفيه زيادة .

(٢) في المصدر : فقال جعلني الله فداك ما قول الله . م

ابن سبابة : بلغنا عن أبي جعفر عليه السلام أنه كان يقول : يكتب وفد الحاج ؛ فقطع كلامه فقال : كان أبي يقول : يكتبون في الليلة التي قال الله : « فيها يفرق كل أمر حكيم » قال : فإن لم يكتب في تلك الليلة يستطيع الحج ؟ قال : لامعاذ الله ، فتكلم حفص ^(١) فقال : لست من خصومتكم في شيء ، هكذا الأمر . ص ٢٩٥ - ٢٩٦

٦٨ - ضا : أروي أن رجلاً سأل العالم عليه السلام فقال : يا بن رسول الله أليس أنا مستطيع لما كلفت ؟ فقال له عليه السلام : ما الاستطاعة عندك ؟ قال : القوة على العمل ، قال له عليه السلام : قد أعطيت القوة إن أعطيت المعونة ، قال له الرجل : فما المعونة ؟ قال : التوفيق ؛ قال : فلم إعطاء التوفيق ؟ قال : لو كنت موفقاً كنت عاملاً ، وقديكون الكافر أقوى منك ولا يعطى التوفيق فلا يكون عاملاً . ثم قال عليه السلام : أخبرني عنك من خلق فيك القوة ؟ قال الرجل : الله تبارك وتعالى ، قال العالم : هل تستطيع بتلك القوة دفع الضر عن نفسك وأخذ النفع إليها بغير العون من الله تبارك وتعالى ؟ قال : لا ، قال : فلم تنتحل ما لا تقدر عليه ؟ ! ثم قال : أين أنت عن قول العبد الصالح : ^(٢) « وما توفيقى إلا بالله » .

٦٩ - وأروي أن رجلاً سأل عن الاستطاعة ، فقال : أتستطيع أن تعمل ما لم يكن ؟ قال : لا ، قال : أتستطيع أن تنتهي عما يكون ؟ قال : لا ، قال : ف فيما أنت مستطيع ؟ قال الرجل : لأدري ! فقال العالم عليه السلام : إن الله عز وجل خلق خلقاً فجعل فيهم آلة الفعل ، ثم لم يفوض إليهم ، فهم مستطيعون للفعل في وقت الفعل مع الفعل . قال له الرجل : فالعباد مجبورون ؟ فقال : لو كانوا مجبورين كانوا معذورين . قال الرجل : ففوض إليهم ؟ قال : لا . قال : فما هو ؟ قال العالم عليه السلام : علم منهم فعلاً فجعل فيهم آلة الفعل ، فإذا فعلوا كانوا مستطيعين . ^(٣)

(١) في الصدور : حفص بن سالم . م

(٢) أي شيع على نبينا وآله وعليه السلام حيث قال : « إن اريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب » . هود : ٨٨ .

(٣) أقول : أخرج الكليني قدس الله روحه الحديث في باب الاستطاعة من كتابه الكافي ، عن محمد بن يحيى وعلي بن إبراهيم جيعاً ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، و عبد الله بن يزيد جيعاً ، عن رجل من أهل البصرة ، عن أبي عبد الله عليه السلام . وفيه زيادة على ما في الكتاب فليراجع .

بيان : ماورد في هذا الخبر من عدم تقدّم الاستطاعة على الفعل موافقاً لأخبار أوردها الكليني في ذلك يحتمل وجوهاً :

الأول : التقية لموافقته لما ذهب إليه الأشاعرة من أنّ للعبد قدرة وكسباً ، مقارنة للفعل ، غير مؤثرة فيه ، ولمخالفته لما سبق من الأخبار الكثيرة الدالة على تقدّم الاستطاعة وأنّ من لا يقول به فهو مشرك .

الثاني : أن يكون المراد بالاستطاعة في أمثال هذا الخبر الاستقلال بالفعل ، بحيث لا يمكن أن يمنعه عنه مانع ، ولا يكون هذا إلّا في حال الفعل إذ يمكن قبل الفعل أن يزيله الله عن الفعل ولو بإعدامه وإزالة عقله ، أو شيء آخر ممّا يتوقف عليه الفعل .

الثالث : أن يكون المعنى أنّ في حال الفعل يظهر الاستطاعة ويعلم أنّه كان مستطيعاً قبله ، بأن أذن الله له في الفعل ، كما ورد أنّ بعد القضاء لابتداء ؛ والأوّل أظهر .

جاء : عليّ بن مالك النحويّ ، عن محمد بن الفضل ، عن محمد بن أحمد الكاتب ، عن يموت بن المزروع ، عن عيسى بن إسماعيل ، عن الأصمعيّ ، عن عيسى بن عمر قال : كان ذوالرمة الشاعر^(١) يذهب إلى النفي في الأفعال ، وكان رؤية بن العجاج^(٢) إلى الإنبات فيها ، فاجتمعا في يوم من أيامهما عند بلال بن أبي بردة - وهو والي البصرة - و بلال يعرف ما بينهما من الخلاف ، فحضّهما على المناظرة فقال رؤية : والله ما يفحمس طائر أفضوصاً ولا يقرمص سبع قرهوصاً إلّا كان ذلك بقضاء الله وقدره ، فقال له ذوالرمة : والله ما أذن الله للذئب أن يأخذ حلوبة عالية عيايل ضرابك ، فقال له رؤية : أفضيسته أخذها ؟ أم بمشيئة الله ؟ فقال ذوالرمة : بل بمشيئته وإرادته ، فقال رؤية : هذا والله الكذب على الذئب ! فقال ذوالرمة : والله الكذب على الذئب أهون من الكذب على

(١) اسمه خيلان بن عقبة ، وكنيته أبو العارث ، أورد ذكره وأخباره ومن أشعاره أبو الفرج في الأغاني ج ١٦ ص ١١٠ توفي في خلافة هشام بن عبد الملك وله أربعون سنة .

(٢) واسم العجاج عبيد الله بن رؤية ، يتصل نسبه بزيدين مناة الراجز المشهور من مغمضمي الدولتين ومن اعراب البصرة ، سمع من أبي هريرة والنسابة البكري ، وعداده في التابعين ، روى عنه معمر بن النسي والنضر بن شبل ، مات في زمن المنصور سنة ١٤٥ قاله ياقوت في ارشاد الارباب ج ٤ ص ٢١٤ .

ربّ الذئب ! فقال : و أنشدني أبو الحسن عليّ بن مالك النحويّ في أثر هذا الحديث لمحمود الورّاق :

أعاذل لم آت الذنوب على جهل	✧	ولا أنتها من فعل غيري ولا فعلي
ولا جراً منّي على الله جئتها	✧	ولا أن جهلي لا يحيط به عقلي
ولكن بحسن الظنّ منّي بعفون	✧	تفرّد بالصنع الجميل وبالفضل
فإن صدق الظنّ الذي قد ظننته	✧	ففي فضله ما صدق الظنّ من مثلي
وإن نالني منه العقاب فأنا نّما	✧	أُتيت من الإِصاف في الحكم والعدل

«ص ٦٢-٦٣»

أقول : روى السيّد المرتضى في الغرر هذا الخبر بسند آخر عن أبي عبيدة .
بيان : قال الجزريّ : أ فحوص القطاة : موضعها الذي تجثم فيه ^(١) وتبيض كأنّها تفحص عنه التراب أي تكشفه ، والفحص : البحث والكشف . وقال : في مناظرة ذي الرمة ورؤبة : ما تقرر مص سبع قرموصاً إلّا بقضاء ؛ القرموص : حفرة يحفرها الرجل يكنّ فيها من البرد ، يأوي إليها الصيد ، وهي واسعة الجوف ضيقة الرأس ، وقرمص وتقرمص : إذا دخلها ، وتقرمص السبع : إذا دخلها للاصطياد .

وقال : في قصّة ذي الرمة ورؤبة : عالة ضرائك الضرائك جمع ضريك ، وهو الفقير سيّء الحال ، وقيل : الهزيل .

وقال السيّد في الغرر : العيائل جمع عيل ، وهو ذو العيال ، والضرائك جمع ضريك وهو الفقير . وفي رواية السيّد : هذا كذب على الذئب ثان ، فالمعنى أنّه كذب ثان على الذئب بعدما كذب عليه في قصّة يوسف :

٧٠ - كش : حمدويه و ابراهيم ابنا نصير ، عن العبيديّ ، عن هشام بن إبراهيم المشرقيّ قال : قال لي أبو الحسن الخراسانيّ ^(٢) : كيف تقولون في الاستطاعة بـعديونس ؟ فذهب فيها مذهب زرارة ^(٣) ومذهب زرارة هو الخطأ ؛ فقلت : لا ولكنّه - بأبي أنت وأُمّي -

(١) تجثم الطائر أو الحيوان : تلبد بالأرض وأقام فيه .

(٢) في المصدر : أبو الحسن الخراسانيّ عليه السلام . والظاهر أنه هو الرضا عليه السلام . م

(٣) في الكشي المطبوع : تذهب فيها مذهب زرارة ؟

ما يقول زرارة في الاستطاعة ، وقول زرارة هم قدر ،^(١) ونحن منه برآء ، وليس من دين آبائكم ، قال : فبأي شيء تقولون ؟ قلت : بقول أبي عبدالله عليه السلام : « و سئل عن قول الله عز وجل : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ما استطاعته ؟ قال : فقال أبو عبدالله عليه السلام : صحته وماله ، فنحن بقول أبي عبدالله عليه السلام نأخذ ، قال : صدق أبو عبدالله عليه السلام هذا هو الحق .^(٢) » ص ٩٦ - ٩٧ »

بيان : قوله : ما يقول زرارة في الاستطاعة وقول زرارة فيمن قدر كذا في بعض النسخ ، فلعل المعنى أن زرارة لا يقول بالاستطاعة ، بل إنما يقول بها فيمن قدر على الفعل بإذنه وتوفيقه تعالى ، ونحن من القول بالاستطاعة المحضه برآء ، فكلمة « ما » نافية ، ويحتمل أن يكون استفهاماً للإنكار والتحقير أي شيء قول زرارة فنقول به ؟ ثم يبين أنه قوله بالاستطاعة فيمن قدر على الفعل ، وفي أكثر النسخ « هم قدر » فيحتمل الوجه الثاني ، ويكون قدر بضم القاف وتشديد الدال جمع قادر أي يقول : هم قادرون بالاستقلال . وفي بعض النسخ « قدر » بالذال المعجمة ، وربما قرأ قوم زرارة ، وقد يقرأ هيم قدر ، والهيم بالكسر الإبل العطاش ، وأثر التصحيف والتحريف فيه ظاهر .

٧١ - كش : محمد بن قولويه ، عن محمد بن أبي القاسم ماجيلويه ، عن زياد بن أبي الحلّال قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إن زرارة روى عنك في الاستطاعة شيئاً فقبلنا منه وصدقناه وقد أحببت أن أعرضه عليك ، فقال : هاته ، فقلت : زعم أنه سألك عن قول الله عز وجل : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » فقلت : من ملك زاداً وراحلة ؟ فقال : كل من ملك زاداً وراحلة فهو مستطيع للحج وإن لم يحج ؟ فقلت : نعم . فقال : ليس هكذا سألني ولا هكذا قلت ، كذب علي والله ، كذب علي والله

(١) في الكشي : ما تقول في الاستطاعة ، وقول زرارة فيمن قدر .

(٢) أقول : حمله الأصحاب وأمناله مما ورد في ذم زرارة ونظراته من أجل الإصحاب على النقية حفظاً لهم وحقناً لدمائهم ، ويدل على صحة هذا الحمل ما ورد من الروايات ، من الاعتذار عن ذمهم مثل قول الصادق عليه السلام لعبد الله بن زرارة : اقرء مني على والدك السلام ، وقل له إنني إنما أعيبك دفاعاً مني عنك ، فإن الناس العدو يسارعون إلى كل من قربناه وحدثنا مكانه لادخال أذى فيمن نحبّه ونقربه ، ويدمونه لمجتنا له ، وقربه ودنوه منا . والحدث طويل فليراجع .

لعن الله زرادة ! لعن الله زرادة ! إنما قال لي : من كان له زادوراحلة فهو مستطيع للحج ؟ قلت : وقدوجب عليه ، قال : فمستطيع هو ؟ قلت : لاحتى يؤذن له . قلت : فأخبر زرادة بذلك ؟ قال : نعم . قال زياد : فقدمت الكوفة فلقيت زرادة فأخبرته بما قال أبو عبدالله عليه السلام وسكت عن لعنه ، قال : أما إنه قد أعطاني الاستطاعة من حيث لا يعلم ، و صاحبكم هذا ليس له بصيرة بكلام الرجال .^(١) « ص ٩٨ »

٧٢ - كش : محمد بن مسعود ، عن محمد بن عيسى ، عن حرز ، قال : خرجت إلى فارس ، وخرج معنا محمد الحلبي إلى مكة ، فاتفق قدومنا جميعاً إلى حنين ، فسألت الحلبي فقلت له : أظرفنا بشيء .^(٢) قال : نعم جئتكم بما تكره ، قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ما تقول في الاستطاعة ؟ فقال : ليس من ديني ولا من دين آبائي ، فقلت : الآن تلج عن صدري والله لأعود لهم مريضاً ، ولا أشيع لم جنازة ، ولا أعطيهم شيئاً من زكاة مالي . قال : فاستوى أبو عبدالله عليه السلام جالساً وقال لي : كيف قلت ؟ فأعدت عليه الكلام ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : كان أبي عليه السلام يقول : أولئك قوم حرّم الله وجوههم على النار ، فقلت : جعلت فداك وكيف قلت لي : ليس من ديني ولا من دين آبائي ؟ قال : إنما أعني بذلك قول زرادة وأشباهه . « ص ٩٠ »

(١) حكى عن ابن طاووس مناقشة في سند هذا الخبر بقوله : الذي يظهر أن الرواية غير متصلة لأن محمد بن أبي القاسم كان معاصراً لأبي جعفر محمد بن بابويه ، ومات محمد بن بابويه سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، ومات الصادق عليه السلام سنة مائة وثمان وأربعين ، ويبعد أن يكون زياد بن أبي الحلال عاش من زمان الصادق عليه السلام حتى لقي محمد بن أبي القاسم معاصر أبي جعفر محمد بن بابويه ، بل ذكر شيخنا في الرجال أن زياد بن أبي الحلال من رجال الباقر عليه السلام ومات الباقر عليه السلام سنة مائة وأربع عشرة ، وهذا أكد في كون السند مقطوعاً انتهى .

أقول : المعروف المتكرر في الإسانيد رواية الصدوق عن محمد بن أبي القاسم بوساطة محمد بن علي ماجيلويه أو غيره ، ونجد روايته عنه بلا واسطة ، ولكن مع ذلك رواية ابن أبي الحلال عنه بعيد جداً ؛ ويمكن أن يقال : إن المعاصرة أعم من الملاقاة ونقل الرواية عنه . قلت : هذا وإن كان حقا إلا أن النجاشي صرح بأن محمد بن أبي القاسم هذا كان صهراً لأحمد بن أبي عبدالله البرقي الذي توفي سنة ٢٧٤ أو ٢٨٠ وهذا يبعد إدراك ابن بابويه عصره فتأمل ، ومع هذا كله ما قرب ابن طاووس من انقطاع الحديث قوى جداً .

(٢) أطرف : أتى بالطرفة أى الحديث الجديد المستحسن .

بيان : قوله : لأعود لهم مريضاً أي للقائلين بالاستطاعة من الشيعة فعرف عليه السلام أن مراده مطلق القائلين بالاستطاعة ، فردّ عليه بأنّ ما نفите هو ما ينسب إلى زرادة موافقاً لمذهب التفويض ، بل الحقّ الأمرين الأمرين كما مرّ ، وهذا هو معنى الخبر ، لا ما حمله عليه الصدوق رحمه الله سابقاً .

٧٣ - يف : روى جماعة من علماء الإسلام ، عن نبيهم عليه السلام أنّه قال : لعنت القدريّة على لسان سبعين نبياً ؛ قيل : ومن القدريّة يا رسول الله ؟ فقال : قوم يزعمون أن الله سبحانه قدّرعليهم المعاصي وعذبّهم عليها . «ص ٩٧-٩٨»

٧٤ - و روى صاحب الفائق وغيره من علماء الإسلام ، عن محمد بن عليّ المحمّدي بإسناده قال : إن رجلاً قدم على النبيّ عليه السلام فقال له رسول الله عليه السلام : أخبرني بأعجب شيء رأيت ، قال رأيت قوماً ينكحون أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم فإذا قيل لهم : لم تفعلون ذلك ؟ قالوا : قضاء الله تعالى علينا وقدره ؛ فقال النبيّ عليه السلام : سيكون من أمّتي أقوام يقولون مثل مقالتهم ، أولئك مجوس أمّتي . «ص ٩٨»

٧٥ - وروى صاحب الفائق وغيره ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبيّ عليه السلام أنّه قال : يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي ، ويقولون : إن الله قد قدّرها عليهم ، الرادّ عليهم كشاهر سيفه في سبيل الله . «ص ٩٨»

٧٦ - كشى : محمد بن مسعود ، عن عبد الله بن محمد بن خالد ، عن الوشاء ، عن ابن خدّاش^(١) عن عليّ بن إسماعيل ، عن ربعي ، عن الهيثم بن حفص العطار ، عن حمزة ابن حمران قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : يقول زرادة : إن الله عز وجل لم يكلف العباد إلا ما يطيقون ، وإنهم لم يعملوا إلا إن يشاء الله ويريد ويقضي ، قال : هو والله الحقّ ، ودخل علينا صاحب الزطبيّ ، فقال له : يا مهيسر ألسنت على هذا ؟ قال : على أيّ شيء .

(١) بكسر الغاء المعجمة كما في تقريب ابن حجر و ضوابط الاسماء للطريحي رحمه الله ، واسمه عبد الله بن خدّاش أبو خدّاش المهرى ، قال النجاشي : ضعيف جدا وفي مذهبه ارتفاع انتهى . وحكى الكشي عن محمد بن مسعود أنّه قال : قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن خالد : أبو خدّاش عبد الله بن خدّاش المهرى - ومهر معلة بالبصرة - وهوتة .

أصلحك الله؟ - أوجعلت فداك - قال : فأعادهذا القول عليه كما قلت له ، ثم قال : هذا والله ديني ودين آبائي . ^(١) ص ٩٧ - ٩٨ .

٧٧ - كشف : علي بن الحسين بن قتيبة ، عن محمد بن أحمد ، عن محمد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن الوليد بن صبيح قال : مررت في الروضة بالمدينة فإذا إنسان قد جذبني ، فالتفت فإذا أنا بزرارة فقال لي : استأذن لي على صاحبك ، قال : فخرجت من المسجد ودخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته الخبر ، فضرب يده على لحيته ، ثم قال : لا تأذن له - ثلاثاً - فإن زرارته يريدني على القدر على كبر السن ، وليس من ديني ولا دين آبائي . ص ١٠٦ - ١٠٧ .

٧٨ - ما : الحسين بن إبراهيم القزويني ، عن محمد بن وهبان ، عن أحمد بن إبراهيم ، عن الحسن بن علي الزعفراني ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : - في قول الله تعالى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة » - فقال : كانوا يقولون : قد فرغ من الأمر .

٧٩ - يد : علي بن أحمد الأسواري ، عن مكّي بن أحمد البردعي ، عن محمد بن القاسم بن عبد الرحمن ، عن محمد بن أشرس ، عن بشير بن الحكم ، وإبراهيم بن أبي نصر ، عن عبد الملك بن هارون ، عن غياث بن المجيب ، عن الحسن البصري ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وآله قال : قال : سبق العلم ، وجف القلم ، وتم القضاء بتحقيق الكتاب وتصديق الرسالة ، والسعادة من الله ، والشقاوة من الله عز وجل ، قال عبد الله بن عمر : إن رسول الله

(١) لم نجد الحديث بهذه الصورة في رجال الكشي ، والموجود فيه هكذا : محمد بن مسعود ، قال : حدثني عبد الله بن محمد بن خالد ، قال : حدثني الوشاء ، عن ابن خدّاش ، عن علي بن إسماعيل ، عن ربیع ، عن الهيثم بن حفص العطار قال : سمعت حمزة بن حمران يقول - حين قدم من اليمن - لقيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له : بلغني أنك لعنت عمي زرارته ، قال فرفع يده حتى صك بها صدره ، ثم قال : لا والله ما قلت ، ولكنكم تأتون عنه بالفتيا فأقول : من قال هذا فأنا منه بريء ؛ قال : قلت : وأحكى لك ما تقول ؟ قال : نعم ؛ قال : قلت : إن الله عز وجل لم يكف العباد إلا بما يطيقون إياه أقول : قوله : واحكى لك ما تقول لعله تصحيف ما يقول : أو ما تقول .

صلى الله عليه وآله كان يروي حديثه عن الله عز وجل ، قال : قال الله : يا بن آدم بمشييتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء ، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد ، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي ، وبعصمتي وعفوي وعافيتي أدبت إلي فرائضي ، فأنا أولى باحسانك منك ، وأنت أولى بذنبك مني ، فالخير مني إليك بما أوليت بدا ، والشر مني إليك بما جنيت جزاء ، وبسوء ظنك بي قنطت من رحمتي ، فلي الحمد والحجة عليك بالبيان ، ولي السبيل عليك بالعصيان ، ولك الجزاء الحسن عني بالإحسان ، لم أدع تحذيرك ، ولم أخذل عند عزتك ، ولم أكلفك فوق طاقتك ، ولم أحملك من الأمانة إلا ما قدرت عليه ، رضيت منك لنفسي ، رضيت به لنفسك مني . قال عبد الملك : لن أعذبك إلا بما عملت . ص ٣٥١ - ٣٥٢

بيان : قال الجزري : فيه : جفت الأقلام ، وطويت الصحف ، يريد ما كتب في اللوح المحفوظ من المقادير والكائنات والفراغ منها تمثيلاً بفراغ الكاتب من كتابته و يبس قلمه انتهى . قوله تعالى : بدأ كفعل أو كفعال أي ابتداء من غير استحقاق ، وفي بعض النسخ يبدأ أي نعمة .

أقول : قول عبد الملك بن هارون في آخر الخبر تفسير للفقرة الأخيرة أي رضيت بسبيك ، أو من الأمور المتعلقة بك لنفسي ، إن أعذبك كما رضيت لنفسك بفعل ما يوجبها فيرجع حاصله إلى أنه لن أعذبك إلا بما عملت .

٨٠ - يد : تميم القرشي ، عن أبيه ، عن أحمد بن علي الأنصاري ، عن الهروي قال : سأل المؤمن يوماً علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال له : يا بن رسول الله ما معني قول الله عز وجل " ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله " فقال الرضا عليه السلام : حدثني أبي موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام أن المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله : لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثير عددنا وقومنا على عدونا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما كنت لألقى الله عز وجل ببذعة لم يحدث إلي فيها شيئاً وما أنا من

المتكلفين . فأنزل الله تبارك وتعالى : يا محمد «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً» على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدنيا ، كما يومنون عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة ، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا مني ثواباً ولا مدحاً لكنني أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين ، ليستحقوا مني الزلفى والكرامة ودوام الخلود في جنة الخلد ، «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» وأما قوله عز وجل : « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله » فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها ، ولكن على معنى أنها ما كانت لتؤمن إلا بإذن الله ، وإذنه أمره لها بالإيمان ، ما كانت مكلفة متعبدة وإلجاءه إياها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبد عنها . فقال المؤمنون : فرجت عنا يا أبا الحسن فرج الله عنك «ص ٣٥٢-٣٥٣»

بيان : قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : «ولو شاء ربك» : ^(١) معناه الإخبار عن قدرة الله تعالى ، وأنه يقدر على أن يكره الخلق على الإيمان كما قال : «إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين» ^(٢) ولذلك قال بعد ذلك : «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» ومعناه أنه لا ينبغي أن تريد إكراههم على الإيمان ، مع أنك لا تقدر عليه لأن الله تعالى يقدر عليه ولا يريد أن ينافي في التكليف ؛ وقوله تعالى : « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله » معناه أنه لا يمكن أحداً أن يؤمن إلا بإطلاق الله له في الإيمان ، وتمكينه منه ، و دعائه إليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك ؛ وقيل : إن إذنه ههنا أمره كما قال : «يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم» ^(٣) وقيل : إن إذنه ههنا علمه ، أي لا تؤمن نفس إلا بعلم الله ، من قولهم : أذنت لكذا : إذا سمعته وعلمته ، وآذنته : أعلمته ، فتكون خبراً عن علمه تعالى بجميع الكائنات ، ويجوز أن يكون معناه إعلام الله تعالى المكلفين بفضل الإيمان وما يدعوههم إلى فعله ويبعثهم عليه .

(١) يونس : ٩٩ .

(٢) الشعراء : ٤ .

(٣) النساء : ١٧٠ .

٨١ - يد : أبي وابن الوليد معاً ، عن محمد العطّار وأحمد بن إدريس ، هما عن الأشعريّ ، عن ابن هاشم ، عن ابن معبد ، عن درست ، عن الفضيل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : شاء الله أن أكون مستطيعاً لمالم يشأ أن أكون فاعله ؛ قال : وسمعت يقول : شاء وأراد ولم يحبّ ولم يرض ، شاء أن لا يكون في ملكه شيء ، إلا بعلمه وأراد مثل ذلك ، ولم يحبّ أن يقال له : ثالث ثلاثة ، ولم يرض لعباده الكفر . «ص ٣٥٣»

٨٢ - يد : ابن المتوكل ، عن السعد آبادي ، عن البرقيّ ، عن أبيه ، عن يونس ، عن غير واحد ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ، قالوا : إن الله عزّ وجلّ أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثمّ يعدّ بهم عليها ، والله أعرّ من أن يريد أمراً فلا يكون ، قال : فسملاً عليهما السلام : هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة ؟ قالوا : نعم أوسع ممّا بين السماء والأرض . «ص ٣٦٨ - ٣٦٩»

٨٣ - يد : الورّاق ، عن سعد ، عن إسماعيل بن سهل ، عن عثمان بن عيسى ، عن محمد بن عجلان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : فوَضَّ الله الأمر إلى العباد ؟ قال : الله أكرم من أن يفوَضَ إليهم ؛ قلت : فأجبر الله العباد على أفعالهم ؟ فقال : الله أعدل من أن يجبر عبداً على فعل ثمّ يعدّ به عليه . «ص ٣٧٠»

٨٤ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليمانيّ ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عزّ وجلّ خلق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه ، وأمرهم ونهاهم ، فما أمرهم به من شيء ، فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به ، وما نهاهم عنه من شيء ، فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بأذن الله . ^(١) «ص ٣٦٨»

٨٥ - يد : أبي ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن اليقطينيّ ، عن يونس ، عن حفص بن قرط ، ^(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من زعم أن الله تعالى يأمر بالسوء

(١) تقدم مثله عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مع زيادة تحت رقم ٣٢ وأورد الكليني رضي الله عنه في باب الجبر والقدر من الكافي باسناده عن إبراهيم بن عمر اليماني ، وفي متنه نقصان .
(٢) بضم القاف وسكون الراء .

والفحشاء فقد كذب على الله ومن زعم أن الخير والشر بغير مشيئة الله فقد أخرج الله من سلطانه،^(١) ومن زعم أن المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله الله النار. يعني بالخير والشر الصحة والمرض، وذلك قوله عز وجل: «وبلّوكم بالشر والخير فتنة». ص ٣٦٨.

٨٦ - نهج: سئل عليه السلام عن التوحيد والعدل، فقال: التوحيد أن لاتوهمه والعدل أن لاتتهمه.^(٢)

٨٧ - يد: ابن الوليد، عن ابن متّيل،^(٣) عن البرقي، عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الله أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون، والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد. ص ٣٦٩.

٨٨ - ن، يد: الفامي، عن الحميري، عن أبيه، عن ابن هاشم، عن ابن معبد، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: قلت له: يا بن رسول الله إن الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر. لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك الأئمة عليهم السلام، فقال: يا بن خالد أخبرني عن الأخبار التي رويت عن آبائي عليهم السلام في التشبيه والجبر أكثر أم الأخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك؟ فقلت: بل ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك أكثر، قال عليه السلام: فليقولوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول بالتشبيه والجبر إذا: قلت له: إنهم يقولون: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل من ذلك شيئاً وإنما روي عليه؛ قال عليه السلام: فليقولوا في آبائي عليهم السلام:

(١) فان من زعم استقلال الخلق وعدم قدرته تعالى على صرفهم عن أفعالهم وعدم مدخلته سبحانه في أفعالهم بوجه فقد أخرج الله من سلطانه وعزله عن التصرف في ملكه، قاله المصنف في المرأة. أقول: أوردته الكليني في الكافي إلى قوله: «أدخله الله النار» والظاهر أن ما بعده من كلام الصدوق.

(٢) يأتي مصدراً عن الصادق عليه السلام تحت رقم ١٠٦.

(٣) بالميم المفتوحة، والتاء الشدة، قاله الطريحي في العنوايط، وحكى عن ابن داود أنه ضبطه بالميم المضمومة، وتضعيف التاء المفتوحة والياء المثناة من تحت، هو الحسن بن متّيل، قال النجاشي: وجه من وجوه أصحابنا، كثير الحديث له كتاب نوادر.

إنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وإنما روي عليهم . ثم قال ﷺ : من قال بالتشبيه و الجبر فهو كافر و مشرك و نحن منه برآء في الدنيا و الآخرة ، يابن خالد إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه و الجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله ، فمن أحبهم فقد أبغضنا ، ومن أبغضهم فقد أحببنا ومن والاهم فقد عادانا ، ومن عاداهم فقد والانا ، ومن وصلهم فقد قطعنا ، ومن قطعهم فقد وصلنا ، ومن جفاهم فقد برأنا ، ومن برأهم فقد جفانا ، ومن أكرمهم فقد أهاننا ، ومن أهانهم فقد أكرمنا ، ومن قبلهم فقد ردنا ، ومن ردّهم فقد قبلنا ، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا ، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا ، ومن صدّقهم فقد كذّبنا ، ومن كذّبهم فقد صدّقنا ، ومن أعطاهم فقد حرّمنا ، ومن حرّمهم فقد أعطانا . يابن خالد من كان من شيعة فلا يتخذن منهم ولياً ولا نصيراً .^(١) (ص ٨١ - ٨٢ ص ٣٧٢ - ٣٧٣)

٨٩ - يد : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن الأشعري ، عن أبي عبد الله الرازي ، عن اللؤلؤي ، عن ابن سنان ، عن مهزم^(٢) قال : قال أبو عبد الله ﷺ : أخبرني عما اختلف فيه من خلفت من موالي ، قال : فقلت : في الجبر والتفويض ، قال : فأسألني ، قلت : أجاز الله العباد على المعاصي ؟ قال : الله أقهر لهم من ذلك ، قال : قلت : ففوّض إليهم ؟ قال : الله أقدر عليهم من ذلك ، قال : قلت : فأيّ شيء هذا أصلحك الله ؟ قال : فقلّب يده مرّتين أو ثلاثاً ثم قال : لو أحببتك فيه لكفرت . * ص ٢٧١ - ٢٧٢ *

بيان : قوله ﷺ : الله أقهر لهم من ذلك لعلّ المعنى أن جبرهم على المعاصي ثمّ تعذيبهم عليها هو الظلم ، و الظلم فعل العاجزين ، كما قال سيّد الساجدين ﷺ : إنما يحتاج إلى الظلم الضعيف والله أقهر من ذلك . أو المعنى أنه تعالى لو أراد تعذيبهم ولم يمنعه عدله من ذلك لما احتاج إلى أن يكلفهم ثمّ يجبرهم على المعاصي ثمّ يعذبهم عليها ، فإنّ هذا تلبيس يفعله من لا يقدر على التعذيب ابتداءً ، وهو أقهر لهم من ذلك ، والظاهر أنه تصحيف أراف أو نحوه ؛ وإنما امتنع ﷺ عن بيان الأمرين

(١) تقدم الخبر في باب نفى التشبيه تحت رقم .

(٢) يفتح اليم أو كسرهما وسكون الهاء ، وفتح الزاى المعجمة ، هو والد إبراهيم بن مهزم ، لم نجد

لأنه كان يعلم أنه لا بدركه عقل السائل فيشك فيه أو يجحده فيكفر .

٩٠ - ضا : سألت العالم عليه السلام : أجبر الله العباد على المعاصي ؟ فقال : الله أعدل من ذلك ؛ فقلت له : فمفوض إليهم ؟ فقال : هو أعز من ذلك ، فقلت له : فصف لنا المنزلة بين المنزلتين ، فقال : الجبر هو الكره ، فالله تبارك وتعالى لم يكره على معصيته ، وإنما الجبر أن يجبر الرجل على ما يكره وعلى ما لا يشتهي ، كالرجل يغلب على أن يضرب أو يقطع يده ، أو يؤخذ ماله ، أو يغصب على حرمة ، أو من كانت له قوة و منعة فقهر ، فأما من أتى إلى أمر طائعاً محبباً له يعطى عليه ماله لينال شهوته فليس ذلك بجبر ، إنما الجبر من أكرهه عليه ، أو اغضب حتى فعل ما لا يريد ولا يشتهي ، وذلك أن الله تبارك وتعالى لم يجعل لهم هوى ولا شهوة ولا محبة ولا مشيئة إلا فيما علم أنه كان منهم ، وإنما يجرون في علمه وقضائه وقدره على الذي في علمه و كتابه السابق فيهم قبل خلقهم ، والذي علم أنه غير كائن منهم هو الذي لم يجعل لهم فيه شهوة ولا إرادة .

٩١ - وأروي عن العالم عليه السلام أنه قال : منزلة بين منزلتين في المعاصي وسائر الأشياء ، فالله جل وعزّ الفاعل لها والقاضي والمقدّر والمدبّر .

٩٢ - وقد أروي أنه قال : لا يكون المؤمن مؤمناً حقاً حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

٩٣ - وأروي عن العالم عليه السلام أنه قال : مساكين القدرية أرادوا أن يصفوا الله عز وجلّ بعدله فأخرجوه من قدرته وسلطانه .

٩٤ - وروي : لو أراد الله سبحانه أن لا يعصى ما خلق إبليس .

٩٥ - وأروي أن رجلاً سأل العالم عليه السلام : أكلف الله العباد ما لا يطيقون ؟ فقال : كلف الله جميع الخلق ما لا يطيقون إن لم يعنهم عليه ، فإن أعانهم عليه أطاقوه ، قال الله جل وعزّ لنبيه عليه السلام : «واصبر وماصبرك إلا بالله» .

٩٦ - قلت : و رويت عن العالم عليه السلام أنه قال : القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد ، فالروح بغير الجسد لا يتحرك ولا يرى ، والجسد بغير الروح صورة لا خراك له

فإذا اجتماعاً قويا و صلحا و حسنا و ملحا ، كذلك القدر و العمل ، فلولم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق ، ولولم يكن العمل بموافقة من القدر لم يعض ولم يتم ، ولكن باجتماعهما قويا و صلحا و لله فيه العون لعباده الصالحين . ثم تلا هذه الآية : «ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم» الآية ، ثم قال عليه السلام : وجدت ابن آدم بين الله وبين الشيطان ، فإن أحبه الله قدّست أسماؤه خلّصه واستخلصه ،^(١) وإلا خلا بينه وبين عدوه .

٩٧ - وقيل للعالم عليه السلام : إن بعض أصحابنا يقول بالجبر وبعضهم يقولون بالاستطاعة ، قال : فأمر أن يكتب : بسم الله الرحمن الرحيم قال الله عز وجل : يا بن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء . وساق إلى آخر ما سيأتي في خبر البرز نطمي .^(٢)

٩٨ - شى : عن الحسن ^(٣) بن محمد الجمال ، عن بعض أصحابنا قال : بعث عبد الملك ابن مروان إلى عامل المدينة أن وجهه إلى محمد بن علي بن الحسين ولا تهيّجه ولا تروعه ، واقتض له حوائجه ، وقد كان ورد على عبد الملك رجل من القدرية فحضر جميع من كان بالشام فأعياهم جميعاً ، فقال : ما هذا إلا محمد بن علي ، فكتب إلى صاحب المدينة أن يحمل محمد بن علي إليه ، فأتاه صاحب المدينة بكتابه ، فقال أبو جعفر عليه السلام : إنني شيخ كبير لا أقوى على الخروج ، وهذا جعفر ابني يقوم مقامي فوجهه إليه ، فلما قدم على الأموي أزرأه لصغره ، وكره أن يجمع بينه وبين القدري مخافة أن يغلبه ، وتسامع الناس بالشام بقدم جعفر لمخاصمة القدرية ، فلما كان من الغدا اجتمع الناس بخصوصتهما ، فقال الأموي لأبي عبد الله عليه السلام : إنّه قد أعيانا أمر هذا القدري ، وإنما كتبت إليه لأجمع بينه وبينه ، فإنه لم يدع عندنا أحداً إلا خصمه ، فقال : إن الله يكفيناه ، قال : فلما اجتمعوا قال القدري لأبي عبد الله عليه السلام : سل عما شئت ! فقال له : اقرأ سورة الحمد ، قال : فقرأها ، وقال الأموي وإنا معه ما في سورة الحمد غلبنا ، إننا لله وإنا إليه راجعون قال : فجعل القدري

(١) بتوفيقه وتسديده وتأنيده وعدم إيكاله على نفسه ، وتوجيه الأسباب له نحو مطلوب الغير

وإلا فتركه بحاله ، ولم ينصره على عدوه ، وهذا معنى التوفيق والغدلان ، والهداية والإضلال .

(٢) الأتني تحت رقم ١٠٤ .

(٣) في نسخة : الحسين .

يقرأ سورة الحمد حتّى بلغ قول الله تبارك وتعالى : «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» فقال له جعفر : قف ؛ من تستعين ؟ وما حاجتك إلى المؤونة ؟ إن الأمر إليك ، فبهت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم الظالمين .

٩٩ - شى : عن صفوان بن يحيى ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : قال الله تبارك و تعالى : ابن آدم ! بمشيتي كنت أنت الذي تشاء وتقول ، ويقوّتي أدّيت إليّ فرائضي و بنعمتي قويت على معصيتي ، ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وذلك أني أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيئاتك مني ، وذلك أني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون .

١٠٠ - وفي رواية الحسن بن عليّ الوشاء ، عن الرضا عليه السلام : وأنت أولى بسيئاتك مني ، علمت المعاصي بقوّتي التي جعلت فيك .

١٠١ - شى : عن ابن مسكان ، عمّن رواه ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً فقال أبو عبدالله عليه السلام : إنك لتسأل من كلام أهل القدر وما هو من ديني ولادين آبائي ، ولا وجدت أحداً من أهل بيتي يقول به .

١٠٢ - شى : عن الحسن بن عليّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : ويح هذه القدرية إنّما يقرؤون هذه الآية : «إلا أمرأتها قد رناها من الغابرين» ويحهم من قدرها إلا الله تبارك وتعالى ؟ .

١٠٣ - من كتاب مطالب السؤل لمحمد بن طلحة البيهقي ، بإسناده عن الشافعي عن يحيى بن سليم ، عن الإمام جعفر بن محمد ، عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه ، عن الجميع عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال يوماً : أعجب ما في الإنسان قلبه فيه مواد من الحكمة وأضداد لها من خلافها ، فإن سنح له الرجاء وله الطمع ، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص ، وإن ملكه اليأس قتله الأسف ، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وإن أسعد بالرضا نسي التحفظ ، وإن ناله الخوف شغله الحزن ، وإن أصابته مصيبة قصمه

الجزع، ^(١) وإن وجد مالا أطغاه الغنى، وإن عضته فاقة ^(٢) شغله البلاء، وإن أجده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط به الشبع كظته البطنة، ^(٣) فكلّ تقصير به مضر، و كلّ إفراط له مفسد. فقام إليه رجل ممن شهد وقعة الجمل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر، فقال: عن القدر، فقال: بحر عميق فلا تلججه؛ فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر؛ فقال: بيت مظلم فلا تدخله. فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر؛ فقال: سر الله فلا تبحث عنه، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر، فقال: لما أبيت فإنه أمر بين أمرين لاجبر ولا تفويض. فقال يا أمير المؤمنين إن فلاناً يقول بالاستطاعة وهو حاضر، فقال عليّ عليه السلام: عليّ به، فأقاموه فلمّا رآه قال له: الاستطاعة تملكها مع الله أو من دون الله؛ وإياك أن تقول واحدة منهما فترتد، فقال: وما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: قل: أملكها بالله الذي أنشأ ملكتها.

١٠٤ - ب: ابن حكيم، عن البرزطي قال: قلت للرضا عليه السلام إن أصحابنا بعضهم يقول بالجبر، وبعضهم يقول بالاستطاعة، فقال لي: اكتب قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوّتي أدّيت إليّ فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعاً بصيراً قوياً، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذلك أنني أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك مني، وذلك أنني لا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون، فقد نظمت لك كلّ شيء، تريد. ^(٤) «ص ١٥٥»

يد، ن: أبي وابن الوليد، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البرزطي مثله.

«ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ص ٨٣»

(١) أي هلكه الجزع.

(٢) أي، إن اشتدت عليه الفاقة.

(٣) كظ الطعام فلاناً: ملاءه حتى لا يطيق النفس: وكظ الامر فلاناً. غمه وكرهه وبهظه، والمناسب للحديث المعنى الثاني.

(٤) تقدم ذيل الخبر الواقع تحت رقم ٣ ما يناسب هذا الخبر فراجع.

١٠٥ - أعلام الدين للدبلمي: روي أن طاووس اليماني^(١) دخل على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وكان يعلم أنه يقول بالقدر ، فقال له : يا طاووس من أقبل للعذر من الله ممن اعتذر وهو صادق في اعتذاره ؟ فقال له : لا أحد أقبل للعذر منه ، فقال له : من أصدق ممن قال : لا أقدر وهو لا يقدر ؟ فقال طاووس : لا أحد أصدق منه ، فقال الصادق عليه السلام له : يا طاووس فما بال من هو أقبل للعذر لا يقبل عذر من قال : لا أقدر وهو لا يقدر ؟ فقام طاووس وهو يقول : ليس بيني وبين الحق عداوة ، الله أعلم حيث يجعل رسالته ، فقد قبلت نصيحتك .

١٠٦ - وقال الصادق عليه السلام لهشام بن الحكم : ألا أعطيك جملة في العدل والتوحيد ؟ قال : بلى جعلت فداك ، قال : من العدل أن لاتنتهمه ، ومن التوحيد أن لاتتوهمه .^(٢)

١٠٧ - يف : روي كثير من المسلمين عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال يوماً لبعض المجبرة : هل يكون أحد أقبل للعذر الصحيح من الله ؟ فقال : لا ، فقال : فما تقول فيمن قال ما أقدر وهو لا يقدر ؟ أيكون معذوراً أم لا ؟ فقال المجبر : يكـون معذوراً ، قال له : فإذا كان الله يعلم من عباده أنهم ماقدروا على طاعته وقال لسان حالهم أو مقالهم يوم القيامة : يارب ما قدرنا على طاعتك لأنك منعتنا منها أما يكون قولهم وعذرهم صحيحاً على قول المجبرة ؟ فقال : بلى والله ، فقال : فيجب على قولك أن الله يقبل هذا العذر الصحيح ولا يؤاخذ أحداً أبداً وهذا خلاف قول أهل الملل كلهم . فتاب المجبر من قوله بالجبر في الحال . «ص ٩٥»

١٠٨ - يف : روي أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصري وإلى عمرو ابن عبيد وإلى واصل بن عطا وإلى عامر الشعبي أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم

(١) هو طاووس بن كيسان اليماني ، أبو عبد الرحمن الحبري مولاهم الفارسي ، يقال : اسمه ذكوان و طاووس لقب ، مات سنة ١٠٦ وقيل بعد ذلك ، قاله ابن حجر في ص ٢٤١ من التقریب ووثقه وقال : فقيه فاضل من الثالثة انتهى . أقول : أورده الشيخ أبو جعفر الطوسي في رجاله في أصحاب السجاد عليه السلام ، ويستفاد من بعض الاخبار كونه محباً للإمام السجاد عليه السلام ، ومن بعض آخر كونه متعنتاً ممتحناً للباقر عليه السلام ، وسيوافيك ذلك في كتاب الاحتجاجات ، والمسلم أن الرجل من العامة وزهادهم .

(٢) مأخوذ مما تقدم تحت رقم ٨٦ من كلام علي عليه السلام .

في القضاء والقدر ، فكتب إليه الحسن البصري : إن أحسن ما انتهى إليّ ما سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : أنتظر أن الذي نهاك دهاك ، وإتعا دهاك أسفلك وأعلاك ، والله بريء من ذاك . وكتب إليه عمرو بن عبيد : أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : لو كان الزور ^(١) في الأصل محتوماً كان المزور في القصاص مظلوماً . وكتب إليه واصل بن عطا : أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : أيد لك على الطريق ويأخذ عليك المضيق ؟ . وكتب إليه الشعبي أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : كل ما استغفرت الله منه فهو منك ، وكل ما حمدت الله عليه فهو منه . فلما وصلت كتبهم إلى الحجّاج ووقف عليها قال : لقد أخذوها من عين صافية . «ص ٩٥»

أقول : روى الكراچكي مثله . وفيه : من وسّع عليك الطريق لم يأخذ عليك المضيق وفي القاموس : دهاه : أصابه بداهية ، وهي الأمر العظيم . «ص ١٧٠»

١٠٩ - يف : روي أن رجلاً سأل جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن القضاء والقدر فقال : ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه ، وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله ، يقول الله تعالى للعبد : لم عصيت ؟ لم فسقت ؟ لم شربت الخمر ؟ لم زנית ؟ فهذا فعل العبد ؛ ولا يقول له : لم مرضت ؟ لم قصرت ؟ لم ابيضضت ؟ لم اسوددت ؟ لأنّه من فعل الله تعالى .

١١٠ - يف : روي أن الفضل بن سهل سأل الرضا عليه السلام بين يدي المأمون فقال : يا أبا الحسن الخلق مجبورون ؟ فقال : الله أعدل من أن يجبر خلقه ثمّ يعذبهم ، قال : فمطلقون ؟ قال : الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه .

يف : ومن الحكايات ما روي أن بعض أهل العدل وقف على جماعة من المجبّرة ، فقال لهم : أنا ما أعرف المجادلة والإطالة لكنّي أسمع في القرآن قوله تعالى : «كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله» ومفهوم هذا الكلام عند كلّ عاقل أن الموقد للنار غير الله ، وأن المطفئ للنار هو الله ، وكيف تقبل العقول أن الكلّ منه ؟ وأن

الموقد للنار هو المطفئ، لها؟ فانقطعوا ولم يردّوا جواباً. «ص ٩٧»

ومن الحكايات أنّ جماعة من اليهود اجتمعوا إلى أبي بحر الخاقاني فقالوا له : مامعناه أنت سلطان عادل منصف ، ومن المسلمين في بلدك المجبّرة وهم الذين يعوّلون عليهم في الأقوال والأفعال ، وهم يشهدون لنا أنّنا لا نقدر على الإسلام ولا الإيمان ، فكيف تأخذ الجزية من قوم لا يقدرّون على الإسلام ولا الإيمان ؛ فجمع المجبّرة وقال لهم : ماتقولون فيما قد ذكره اليهود من احتجاجهم عليكم ؟ فقالوا : كذا نقول : إنّهم لا يقدرّون على الإسلام والإيمان . فطالبهم بالدليل على قولهم فلم يقدروا عليه فنفاهم . «ص ٩٧»

ومن الحكايات المذكورة في ذلك ماروي عن القاسم بن زياد الدمشقي أنّه قال : كنت في حرس عمر بن عبدالعزيز فدخل غيلان فقال : يا عمر : إنّ أهل الشام يزعمون أنّ المعاصي قضاء الله ، وأنّك تقول ذلك ؛ فقال : ويحك يا غيلان ؛ أولست تراني أسمّي مظالم بني مروان ظلماً وأردّها أفراني أسمّي قضاء الله ظلماً وأردّه ؟ . «ص ٩٨»
أقول : أورد السيّد في الطرائف فصلاً مشبّعاً في الردّ على المجبّرة تركنا إيرادها لئلا يطول الكتاب مع كونه خارجاً عن مقصودنا فمن أراد الاطلاع عليه فليراجع إلى الكتاب المذكور ؛ وقد مرّ خبر الحسين بن خالد في ذلك في باب نفي التشبيه .^(١)

١١١ - وقال الكراجكي في كنز الفوائد : قال الصادق عليه السلام لزُرارة بن أعين : يا زُرارة أعطيك جملة في القضاء والقدر ؟ قال : نعم جعلت فداك ، قال : إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلاق سألهم عمّا عهد إليهم ولم يسألهم عمّا قضى عليهم . «ص ١٧١»

١١٢ - وروي عن محمد بن أحمد بن شاذان القمي ، عن الصدوق ، عن أبيه ، عن سعد ، عن أيوب بن نوح ، عن الرضا ، عن آباءه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ : خمسة لا تطفئ نيرانهم ، ولا تموت أبدانهم : رجل أشرك ، ورجل عقر والده ، ورجل سعى بأخيه إلى السلطان قتلته ، ورجل قتل نفساً بغير نفس ، ورجل أذنّب وحمل ذنبه على الله عزّ وجلّ . «ص ٢٠٢»

(١) وتقدم في هذا الباب أيضاً تحت رقم ٨٨ .

فائدة : قال السيد المرتضى قدس الله روحه : إن سأل سائل فقال : بم تدفعون من خالفكم في الاستطاعة وزعم أن المكلف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه إذا تعلّق بقوله تعالى : « انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً »^(١) فإن الظاهر من هذه الآية يوجب أنهم غير مستطيعين للأمر الذي هم غير فاعلين له ، وأن القدرة مع الفعل ؛ وإذا تعلّق بقوله تعالى في قصة موسى : « إنك لن تستطيع معي صبراً »^(٢) وأنه نفى أن يكون قادراً على الصبر في حال هو فيها غير صابر ، وهذا يوجب أن القدرة مع الفعل ؛ وبقوله تعالى : « ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون »^(٣) .

يقال له : أوّل ما نقوله : إن المخالف لنا في هذا الباب من الاستطاعة لا يصحّ له فيه التعلّق بالسمع ، لأنّ مذهبه لا تسلم معه صحّة السمع ، ولا يتمكّن مع المقام عليه من معرفة السمع بأدلّته ، وإنّما قلنا ذلك لأنّ من جوّز تكليف الله تعالى الكافر بالإيمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبائح عن الله عزّ وجلّ ، وإذا لم يمكنه ذلك فلا بدّ من أن يلزمه تجويز القبائح على الله في أفعاله وأخباره ، ولا يأمن من أن يرسل كذاباً ، وأن يخبرهم بالكذب ، تعالى عن ذلك ، فالسمع إن كان كلامه قدح في حجّته تجويز الكذب عليه ، وإن كان كلام رسول قدح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذاب ، وإنّما طرق ذلك تجويز بعض القبائح عليه ، وليس لهم أن يقولوا : إنّ أمره تعالى الكافر بالإيمان وإن لم يقدر عليه يحسن من حيث أتى الكافر فيه من قبل نفسه لأنّه تشاغل بالكفر فترك الإيمان ، وإنّما كان يبطل تعلّقنا بالسمع لو أضفنا ذلك إليه تعالى على وجه يقبح ، وذلك لأنّ ما قالوه إذا لم يؤثّر في كون ما ذكرناه تكليفاً لما لا يطاق لم يؤثّر في نفي ما ألزمناه عنهم لأنّه يلزم على ذلك أن يفعل الكذب وسائر القبائح وتكون حسنة منه بأن يفعلها من وجه لا يقبح منه ، وليس قولهم : إنّنا لم نضفه إليه من وجه يقبح بشيء ، يعتمد ، بل يجري مجرى قول من جوّز عليه أن يكذب ويكون الكذب منه حسناً ، ويدّعي مع ذلك صحّة معرفة السمع بأن يقول : إنني لم أضف إليه قبيحاً فيلزمني إفساد

(١) الاسراء : ٤٨ .

(٢) الكهف : ٦٧ .

(٣) هود : ٢٠ .

طريقة السمع ، فلو كان من ذكرناه لا عذر له في هذا الكلام لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر بمثله .

و نعود إلى تأويل الآي : أمّا قوله : « انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً » فليس فيه ذكر للشئ الذي لا يقدرّون عليه ولا بيان له ، وإنما يصح ما قالوه لو بين لهم أنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى أمر معين ، فأمّا إذا لم يذكر ذلك كذلك فلا متعلّق لهم .

فإن قيل : فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم فيجب أن يكون المراد بقوله : « فلا يستطيعون سبيلاً » إلى مفارقة الضلال .

قلنا : إنّه تعالى كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب المثل منهم ، فيجوز أن يريد أنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ما ضربوه من الأمثال ، وذلك غير مقدور على الحقيقة ولا استطاع ، والظاهر أن هذا الوجه أولى لأنّه تعالى حكى عنهم أنهم ضربوا له الأمثال ، وجعل ضلالهم وأنهم لا يستطيعون السبيل متعلّقاً بما تقدّم ذكره ، وظاهر ذلك يوجب رجوع الأمرين جميعاً إليه ، وأنهم ضلّوا بضرب المثل ، وأنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ما ضربوه من المثل ، على أنّه تعالى قد أخبر عنهم بأنهم ضلّوا ، وظاهر ذلك الإخبار عن ماضي فعلهم ، فإن كان قوله : « فلا يستطيعون سبيلاً » يرجع إليه فيجب أن يدلّ على أنهم لا يقدرّون في المستقبل على ترك الماضي ، وهذا ممّا لا يخالف فيه ، وليس فيه ما ناباه من أنهم لا يقدرّون في المستقبل أو في الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وتعذّر تركه ، وبعد^(١) فإذا لم يكن للآية ظاهر فلم صاروا بأن يحملوا نفي الاستطاعة على أمر كلّفوه بأولى منها إذا حملنا ذلك على أمر لم يكلفوه ؛ أو على أنّه أراد الاستئصال والخبر عن عظم المشقة عليهم ، وقد جرت عادة أهل اللغة بأن يقولوا لمن يستثقل شيئاً : إنّه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكّن منه ؛ ألا ترى أنهم يقولون : فلان لا يستطيع أن يكلم فلاناً ولا ينظر إليه وما أشبه ذلك وإنّما غرضهم الاستئصال وشدة الكلفة والمشقة .

فإن قيل : فإذا كان لظاهر الآية يشهد بمذهب المخالف فما المراد به عندكم ؟ قلنا : قد ذكر أبو علي أن المراد أنهم لا يستطيعون إلى بيان تكذيبه سبيلاً لأنهم ضربوا الأمثال ظناً منهم بأن ذلك يبين كذبه ، فأخبر تعالى أن ذلك غير مستطاع لأن تكذيب صادق وإبطال حق مما لا تتعلق به قدرة ولا تنأوله استطاعة . وقد ذكر أبو هاشم أن المراد بالآية أنهم لأنجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول إلى الثواب ، وليس يمكن على هذا أن يقال : كيف لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير والهدى وهم عندكم قادرون على الإيمان والتوبة ؟ ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب ، لأن المراد أنهم مع التمسك بالضلال والمقام على الكفر لاسيّل لهم إلى خير وهدى ، وإنما يكون لهم سبيل إلى ذلك بأن يفارقوا ما هم عليه ، وقد يمكن أيضاً في معنى الآية ما تقدّم ذكره من أن المراد بنفي الاستطاعة عنهم أنهم مستثقلون للإيمان ، فقد يخبر عمن يستثقل شيئاً بأنه لا يستطيعه على ما تقدّم ذكره ، كذا في كتاب الغرر للسيّد رحمه الله .

فأمّا قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام : « إنك لا تستطيع معي صبراً » فظاهره يقتضي أنك لا تستطيع ذلك في المستقبل ، ولا يدل على أنه غير مستطيع للصبر في الحال أن يفعله في الثاني ، وقد يجوز أن يخرج في المستقبل من أن يستطيع ما هو في الحال مستطيع له ، غير أن الآية تقتضي خلاف ذلك ، لأنه قد صبر عن المسألة أوقاناً ، وإن لم يصبر عنها في جميع الأوقات فلم تنتف الاستطاعة للصبر عنه في جميع الأحوال المستقبلية ؟ .

على أن المراد بذلك واضح ، وأنه تعالى خبر عن استثقاله الصبر عن المسألة عما لا يعرف ولا يقف عليه لأن مثل ذلك يصعب على النفس ، ولهذا يجد أحداً إذا جرى بين يديه ما ينكره ويستبدعه تنازعه نفسه إلى المسألة عنه والبحث عن حقيقته ، ويثقل عليه الكفّ عن الفحص عن أمره ، فلمّا حدث من صاحب موسى عليه السلام ما يستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسألة عن ذلك ، ويشهد لهذا الوجه قوله تعالى : « وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً » فيبين أن العلة في قلة صبره ما ذكرناه دون غيره ، ولو كان الأمر على ما ظنوا لوجب أن يقول : وكيف تصبر وأنت غير مطيق للصبر ؟ .

وأما قوله تعالى : « ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » فلا تعلق لهم بظاهره ، لأنَّ السمع ليس بمعنى فيكون مقدوراً ، لأنَّ الإدراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى ، ولو ثبت أنَّه معنى على ما يقوله أبو عليٍّ لكان أيضاً غير مقدور للعبد من حيث اختصَّ القديم تعالى بالقدرة عليه . هذا إن أُريد بالسمع الإدراك ، وإن أُريد به نفس الحاسة فهي أيضاً غير مقدورة للعباد لأنَّ الجواهر وما تختصُّ به الحواسُّ من البديهة والمعاني ليصحَّ به الإدراك ممَّا ينفرد القديم تعالى بالقدرة عليه ^(١) فالظاهر لاجتِماع لهم فيه .

فإن قالوا : ولعلَّ المراد بالسمع كونهم سامعين ، كأنَّه نفى عنهم استطاعة أن يسمعوا . قلنا : هذا خلاف الظاهر ، ولو ثبت أنَّ المراد ذلك لحملنا نفى الاستطاعة ههنا على ما تقدم ذكره من الاستقلال وشدة المشقة كما يقول القائل : فلان لا يستطيع أن يراني ، ولا يقدر على أن يكلمني ، وما أشبه ذلك ، وهذا يبين لمن تأمله ^(٢) .

وقال رضي الله عنه : إن سأل سائل عن قوله تعالى : « قال أتعبدون ما نتحتون والله خلقكم وما تعملون » ^(٣) فقال : أليس ظاهر هذا القول يقتضي أنَّه خالق لأعمال العباد ؟ لأنَّ « ما » ههنا بمعنى « الذي » فكأنَّه قال : خلقكم وخلق أعمالكم .

قلنا : قد حمل أهل الحقَّ هذه الآية على أنَّ المراد بقوله : وما تعملون أي وما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما ممَّا كانوا يتخذونه أصناماً أو يعبدونها ، قالوا : وغير منكر أن يريد به له : وما تعملون ذلك ، كما أنَّه قد أراد ما ذكرناه بقوله : « أتعبدون ما نتحتون » لأنَّه لم يرد أنكم تعبدون نحتكم الذي هو فعل لكم بل أراد ما تفعلون فيه النحت ، كما قال تعالى في عصاموسى عَلَيْهِ السَّلَام : « تلقف ما يأفكون » ^(٤) وتلقف ما

(١) هكذا في النسخ ولكن الصحيح كما في الامالي المطبوع : لا يصح بها الادراك فانه ما ينفرد به القديم تعالى بالقدرة عليه .

(٢) يوجد ذلك كله في كتابه الامالي المسمى بالغرر ، في ج ٤ ص ٧١-٧٤ ويوجد بعده في ص ١٤٣-١٤٦ من هذا المجلد .

(٣) الصافات : ٩٤ و ٩٥ .

(٤) الاعراف : ١١٧ .

صنعوا»^(١) وإنما أراد أن العصا تلقف الحبال التي أظهرها سحرهم فيها ، وهي التي حلتها صنعتهم وإفكهم فقال : «ماصنعوا وما يافكون» وأراد ما صنعوا فيه ، وما يافكون فيه ، ومثله قوله تعالى : «يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان»^(٢) وإنما أراد المعمول فيه دون العمل - وهذا الاستعمال أيضاً سائع شائع - لأنهم يقولون : هذا الباب عمل النجار ؛ وفي الخلخال : هذا من عمل الصائغ ؛ وإن كانت الأجسام التي أُشير إليها ليست أعمالاً لهم ، وإنما عملوا فيها فحسن إجراء هذه العبارة .

فإن قيل : كل الذي ذكرتموه وإن استعمل فعلى وجه المجاز والانتساع ، لأن العمل في الحقيقة لا يجري إلا على فعل الفاعل دون ما يفعل فيه ، وإن استعير في بعض المواضع . قلنا : ليس نسلم لكم أن الاستعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز ، بل نقول : هو المفهوم الذي لا يستفاد سواء لأن القائل إذا قال : هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه إلا أنه عمل فيه ، وما رأينا أحداً قط يقول في الثوب بدلاً من قوله : هذا من عمل فلان : هذا مما حله عمل فلان ؛ فالأول أولى بأن يكون حقيقة ، وليس ينكر أن يكون الأصل في الحقيقة ما ذكره ، ثم انتقل بعرف الاستعمال إلى ما ذكرناه ، وصار أخص به ومما لا يستفاد من الكلام سواء كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحد ، ولا اعتبار بالمفهوم من الألفاظ إلا بما استقر عليه استعمالها دون ما كانت عليه في الأصل فوجب أن يكون المفهوم .

والظاهر من الآية ما ذكرناه على أننا سلمنا أن ذلك مجاز لوجب المصير إليه من وجوه ، فمن ذلك^(٣) أنه تعالى أخرج الكلام مخرج التهجين لهم ، والتوبيخ لأفعالهم ، والإزراء على مذاهبهم ، فقال «أتعبدون ما تفتحون والله خلقكم وما تعملون» ومتى لم يكن قوله : «وما تعملون» المراد به تعملون فيه ليصير تقدير الكلام أتعبدون الأصنام التي تفتحونها ، والله خلقكم وخلق هذه الأصنام التي تفعلون فيها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولا مدخل في باب التوبيخ ، ويصير على ما ذكره المخالف كأنه

(١) ص ٦٩ : أقول : لقف الشيء : تناوله بسرعة .

(٢) سبأ : ١٣ .

(٣) في الإمالى المطبوع هكذا : منها ما يشهد به ظاهر الآية ويقضيه ولا يسوغ سواء ، ومنها

ما تقتضيه الأدلة القاطعة الخارجة عن الآية ، فمن ذلك أنه تعالى أخرج . إهـ

قال : أتعبدون ما تنتحتون والله خلقكم و خلق عبادتكم فأني وجه للتقريع ، وهذا إلى أن يكون عذراً أقرب من أن يكون لوماً وتوبيخاً لأنه إذا خلق عبادتهم للأصنام فأني وجه للمومهم عليها .^(١) على أن قوله تعالى : « والله خلقكم وماتعملون » بعد قوله : « أتعبدون ما تنتحتون » إنما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره تعالى فلا بد أن يكون متعلّقاً بما تقدّم من قوله : « أتعبدون ما تنتحتون » ومؤثراً في المنع من عبادة غير الله ، فلو أفاد قوله : « ماتعملون » نفس العمل الذي هو النحت دون المعمول فيه لكان لافائدة في الكلام لأن القوم لم يكونوا يعبدون النحت ، وإنما كانوا يعبدون محله ، وأنه كان لاحظ في الكلام للمنع من عبادة الأصنام ، وكذلك إن حمل قوله تعالى : « ماتعملون » على أعمال آخر ليست نحتهم ولاهي ما عملوا فيه لكان أظهر في باب اللغو والعبث والبعد عن التعلّق بما تقدّم ، فلم يبق إلا أنه أراد أنه خلقكم وماتعملون فيه النحت فكيف تعبّدون مخلوقاً مثلكم ؟ !

فإن قيل : لم زعمتم أنه لو كان الأمر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظ في باب المنع من عبادة الأصنام ؟ وما تنكرون أن يكون لما ذكرناه وجه في المنع من ذلك ، على أن ما ذكرتموه أيضاً لو أُريد لكان وجهاً ، وهو أن من خلقنا وخلق الأفعال فينا لا يكون إلا الإله القديم الذي تحق له العبادة ، وغير القديم تعالى كما يستحيل أن يخلقنا يستحيل أن يخلق فينا الأفعال على الوجه الذي يخلقها القديم عليه فصار لما ذكرناه تأثير .

قلنا : معلوم أن الثاني إذا كان كالتعليل للأوّل والمؤثّر في المنع من العبادة فلأن يتضمن أنكم مخلوقان وما تعبّدونه أولى من أن ينصرف إلى ما ذكرتموه ممّا لا يقتضي أكثر من خلقهم دون خلق ما عبّدوه فإنه لا شيء أدلّ على المنع من عبادة الأصنام من كونها مخلوقة كما أن عابدها مخلوق ، ويشهد بما ذكرناه قوله تعالى في موضع آخر : « أبشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون »^(٢)

(١) اضاف في الامالى المطبوع : وتقريعهم بها .

(٢) الاعراف : ١٩١ - ١٩٢ .

فاحتجّ تعالى عليهم في المنع من عبادة الآلهة دونه بأنّها مخلوقة لانه خلق شيئاً ولا تدفع عن أنفسها ضرراً ولا عنهم ، وهذا واضح على أنّه لو ساوى ما ذكره ما ذكرناه في التعلّق بالأول لم يسخّ حمله على ما ادّعوه لأنّ فيه عذراً لهم في الفعل الذي عنّفوا به وقرّعوا من أجله ، وقبيح أن يوبّخهم بما عذّروهم ، ويذمّهم بما ينزّههم على ما تقدّم ؛ على أنّنا لانسلكم أنّ من يفعل أفعال العباد ويخلقها يستحقّ العبادة لأنّ من جملة أفعالهم القبائح ، ومن فعل القبائح لا يكون إلهاً ولا تحقّ العبادة له ، فخرج ما ذكره من أن يكون مؤثراً في انفراد بالعبادة ؛ على أنّ إضافته العمل إليهم بقوله تعالى : « تعملون » يبطل تأويلهم هذه الآية ، لأنّه لو كان خالفاً له لم يكن عملاً لهم لأنّ العمل إنّما يكون عملاً لمن يحدثه و يوجدّه ، فكيف يكون عملاً لهم والله خلقه ؛ وهذه مناقضة لهم ، ثبت بهذا أنّ الظاهر شاهد لنا أيضاً ؛ على أنّ قوله : « وما تعملون » يقتضي الاستقبال ، وكلّ فعل لم يوجد فهو معدوم ، ومحال أن يقول تعالى : إنّني خالق للمعدوم .

فإن قالوا : اللفظ وإن كان للاستقبال فالمراد به الماضي فكأنّه قال : والله خلقكم وما علمتم . قلنا : هذا عنول منكم عن الظاهر الذي ادّعيتم أنّكم متمسكون به ، وليس أنتم بأن تعدلوا عنه بأولى منّا ، بل نحن أحقّ لأنّا نعدل عنه بدلالة ، وأنتم تعدلون بغير حجة .

فإن قالوا : فأنتم تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تأويلكم ، وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي . قلنا : نحن لا نحتاج في تأويلنا إلى ذلك لأنّا إذا حملنا قوله : « وما تعملون » على الأصنام المعمول فيها ومعلوم أنّ الأصنام موجودة قبل علمهم فيها فجاز أن يقول تعالى : « إنّني خلقتها » ولا يجوز أن يقول : « إنّني خلقت ما سيقع من العمل في المستقبل » على أنّه لو أراد بذلك أعمالهم لما عملوا فيه على ما ادّعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لأنّ الخلق هو التقدير والتدبير ، وليس يمتنع في اللغة أن يكون الخالق خالفاً لفعل غيره إذا قدره و دبّره ألا ترى أنّهم يقولون : خلقت الأديم وإن لم يكن الأديم فعلاً لمن يقول ذلك فيه ؟ ويكون معنى خلقه لأفعال العباد أنّه مقدّر لها ومعرّف لنا بمقاديرها ومراتبها ، وما به نستحقّ عليها من الجزاء .

﴿باب ٢﴾

﴿(آخر وهو من الباب الاول)﴾

وفيه رسالة أبي الحسن الثالث صلوات الله عليه في الرد على أهل الجبر والتفويض وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين بوجه أبسط متماماً.

❖ ١ - ف : من علي بن محمد : سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته ، فإنه ورد علمي كتابكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر ، ومقالة من يقول منكم بالجبر ، ومن يقول بالتفويض ، وتفرقكم في ذلك وتقاطعكم ، وما ظهر من العداوة بينكم ، ثم سألتوني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كله ، اعلموا رحمكم الله أننا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام^(١) بمن يعقل عن الله جلّ وعز لا تخلو من معنيين : إما حق فيتبع ، وإما باطل فيجتنب ، وقد اجتمعت الأمة قاطبة لاختلاف بينهم أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق ، وفي حال اجتماعهم مقرّون بتصديق الكتاب و تحقيقه مصيرون مهتدون ، وذلك بقول رسول الله ﷺ : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق ، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً ، والقرآن حق لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه ، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة ، حين^(٢) اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب ، فإن هي جمحت وأنكرت لزمها الخروج من الملة ، فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله ﷺ ، ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه ، بحيث لا تخالفه أقاويلهم حيث قال : « إنني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما تمسكتكم بهما وأنهما لن يفترقا حتى يردا

(١) أورد شطراً من الحديث عن الاحتجاج في الباب المتقدم تحت رقم ٣٠ .

(٢) أي من ينتسب إليه .

(٢) في نسخة : حيث .

عليّ الحوض^(١)، فلمّا وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً مثل قوله جلّ وعزّ: «إِنَّمَا وَلِيَ تَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»^(٢) وروى العامة في ذلك أخباراً لأئمة المؤمنين عليهم السلام أنّه تصدّق بخاتمه وهو راحة فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه ، فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أتى بقوله : « من كنت مولاه فعليّ مولاه . و بقوله : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لانبئ بعدي . و وجدناه يقول : « عليّ يقضي ديني وينجز مواعيدي وهو خليفتي عليكم من بعدي . فالخير الأوّل الذي استنبط منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم ، وهو أيضاً موافق للكتاب ، فلمّا شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد الأخرى لمزج على الأمة الإقرار بها ضرورة ، إذ كانت هذه الأخبار شواهداً من القرآن ناطقة ، و وافقت القرآن والقرآن وافقها ، ثمّ وردت حقائق الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، عن الصادقين عليهم السلام نقلها قوم ثقة معروفون فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كلّ مؤمن ومؤمنة ، لا يتعدّاه إلاّ أهل العناد ، و ذلك أنّ أقاويل آل رسول الله صلى الله عليه وآله متصلة بقول الله ، و ذلك مثل قوله في محكم كتابه : «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا» ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « من آذى عليّاً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه » وكذلك قوله صلى الله عليه وآله : « من أحبّ عليّاً فقد أحبّني ، ومن أحبّني فقد أحبّ الله » ومثل قوله صلى الله عليه وآله في بني وليعة^(٣) : « لا بعثنّ إليهم رجلاً كنفسه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله قم يا عليّ فسر إليهم » وقوله صلى الله عليه وآله يوم خيبر : « لا بعثنّ إليهم غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، كرّاراً غير فرّار ، لا يرجع حتّى يفتح الله عليه » فقضى

(١) سيوافيك الحديث وما يأتي بعدها من الأحاديث الواردة في أمير المؤمنين عليه السلام بأسنادها المتفقة عليها عند جمهور المسلمين في كتاب الإمامة .

(٢) سيأتي كلام المفسرين من العامة والخاصة حول الآية وغيرها مما نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإمامة .

(٣) قال الفيروز آبادي في القاموس : بنو وليعة كسفينة : حى من كنفة .

رسول الله ﷺ بالفتح قبل التوجيه فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله ﷺ، فلما كان من الغد دعا علياً عليه السلام فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه الصفة ^(١) وسماه كراً أرغبراً، فسماه الله محباً لله ولرسوله، فأخبر أن الله ورسوله يحبانه. وإنما قد منا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أردنا وقوة لما نحن مبينونه من أمر الجبر والتفويض، والمنزلة بين المنزلتين، وبالله العون والقوة وعليه تنوكل في جميع أمورنا، فإننا نبداً من ذلك بقول الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين» وهي صحة الخلقة، و تخليمة السرب، والمهلة في الوقت، والزاد مثل الراحلة، والسبب المهييج للفاعل على فعله؛ فهذه خمسة أشياء جمع بها الصادق عليه السلام جوامع الفضل فإذا نقص العبد منها خلة ^(٢) كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته، ونطق الكتاب بتصديقه، فشهد بذلك محكمات آيات رسوله، لأن الرسول ﷺ وآله ﷺ لا يعدوشيء من قوله وأقاولهم حدود القرآن فإذا وردت حقائق الأخبار والتمست شواهدا من التنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد كما ذكرنا في أول الكتاب، ولما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجبر والتفويض وجدنا الكتاب قد شهد له وصدق مقالته في هذا وخبر عنه أيضاً موافقاً لهذا أن الصادق عليه السلام سئل: هل أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال الصادق عليه السلام: هو أعدل من ذلك، فقليل له: فهل فوّض إليهم؟ فقال عليه السلام: هو أعزّ وأقهر لهم من ذلك.

وروي عنه أنه قال: الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم أن الأمر مفوّض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك، و رجل يزعم أن الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي وكلفهم ما لا يطيقون فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك، و رجل يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا

(١) في نسخة: المنقبة.

(٢) بضم الناء وفتحها: خصلة.

مسلم بالغ ، فأخبر ﷺ أن من تقلد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحق ، فقد شرحت الجبر الذي من دان به يلزمه الخطاء ، وأن الذي يتقلد التفويض يلزمه الباطل فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما ، ثم قال : وأضرب لكل باب من هذه الأبواب مثلاً يقرب المعنى للطالب ويسهل له البحث عن شرحه ، تشهد به محكمات آيات الكتاب ، وتحقق تصديقه عند ذوي الأبواب وبالله التوفيق والعصمة .

فأمّا الجبر الذي يلزم من دان به الخطاء فهو قول من زعم أن الله جل وعز أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها ، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه وكذب به ورد عليه قوله : « ولا يظلم ربك أحداً » وقوله : « ذلك بما قد مت يدك » وأن الله ليس بظلام للعبيد » وقوله : « إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون » مع أي كثيرة في ذكر هذا ، فمن زعم أنه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله ، وقد ظلمه في عقوبته ، ومن ظلم الله فقد كذب كتابه ، ومن كذب كتابه فقد لزمه الكفر باجتماع الأمة ، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك نفسه ، ولا يملك عرضاً من عروض الدنيا ، ويعلم مولاه ذلك منه ، فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملكه ثمن ما يأتيه به من حاجته ، وعلم المالك أن على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلا بما يرضي به من الثمن ، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة ، وإظهار الحكمة ، ونفي الجور ، وأوعد عبده إن لم يأت به بحاجته أن يعاقبه على علم منه بالرقب الذي على حاجته أنه سيمنعه ، وعلم أن المملوك لا يملك ثمنها ولم يملكه ذلك ، فلمّا صار العبد إلى السوق وجاء ليأخذ حاجته التي بعته المولى لها وجد عليها مانعاً يمنع منها إلا بشراء وليس يملك العبد ثمنها فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته ، فاغتاظ مولاه من ذلك وعاقبه عليه ، ليس يجب في عدله وحكمته أن لا يعاقبه وهو يعلم أن عبده لا يملك عرضاً من عروض الدنيا ولم يملكه ثمن حاجته ؛ فإن عاقبه عاقبه ظالماً متعدياً عليه ، مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته ، وإن لم يعاقبه كذب نفسه في وعيده إياه حين أوعدته بالكذب والظلم اللذين ينفيان العدل والحكمة ، تعالى عما يقولون علواً كبيراً ؛ فمن دان بالجبر أو بما يدعو

إلى الجبر فقد ظلم الله، ونسبه إلى الجور والعدوان، إذ أوجب على من أجبر العقوبة، ومن زعم أن الله أجبر العباد فقد أوجب على قياس قوله أن الله يدفع عنهم العقوبة، ومن زعم أن الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذب الله في وعيده، حيث يقول: «بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» وقوله: «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيء مبطلون سعيهم» وقوله: «إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كل ما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً» مع أي كثيرة في هذا الفن، فمن كذب وعيد الله يلزمه في تكذيبه آية من كتاب الله الكفر، وهو ممن قال الله: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا و يوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون» بل نقول: إن الله عز وجل جازى العباد على أعمالهم، ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملكهم إياها فأمرهم ونهاهم، بذلك ونطق كتابه «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون» وقال جل ذكره: «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما علمت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه» وقال: «اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم» فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ومن دان به، ومثالها في القرآن كثير، اختصرنا ذلك لثلاً بطول الكتاب، وبالله التوفيق.

فأمّا التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وخطأ من دان به وتقلده فهو قول القائل: إن الله جل ذكره فوض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم، وفي هذا كلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقته، وإلى هذا ذهب الأئمة المهتدية من عتره الرسول عليهم السلام، فإسهم قالوا: لو فوض إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضى ما اختاروه، واستوجبوا به الثواب، ولم يكن عليهم فيما جنوه العقاب إذا كان الإهمال واقعاً، وتنصرف هذه المقالة على معنيين: إما أن يكون العباد تظاهروا عليه فالزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة، كره ذلك أم أحب، فقد لزمه الوهن؛ أو يكون جل وعز عجز عن تبديهم بالأمر والنهي على إرادته، كرهوا أو أحبوا ففوض أمره ونهيه إليهم

وأجراهما على محبتهم ، إذ عجز عن تعبدهم بإرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان ، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه لخدمه ، ويعرف له فضل ولايته ، ويقف عند أمره ونهيه ، وادعى مالك العبد أنه قاهر عزيز حكيم فأمر عبده ونهاه ووعده على اتباع أمره عظيم الثواب ، وأوعده على معصيته ألم العقاب ، فخالف العبد إرادة مالكه ، ولم يقف عند أمره ونهيه ، فأمر أمره به أو أي نهى نهاه عنه لم يأت به على إرادة المولى ، بل كان العبد يتبع إرادة نفسه ، واتباع هواه ، ولا يطيق المولى أن يردّه إلى اتباع أمره ونهيه والوقوف على إرادته ، ففوّض اختيار أمره ونهيه إليه ورضي منه بكل ما فعله على إرادة العبد لاعلى إرادة المالك ، وبعثه في بعض حوائجه وسمى له الحاجة فخالف على مولاه ، وقصد لإرادة نفسه ، واتباع هواه ، فلمّا رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه به فإذا هو خلاف ما أمره به فقال له : لم أتيتني بخلاف ما أمرتك ؟ فقال العبد : اتسكنت على تفويضك الأمر إليّ فاتبعته هواي وإرادتي لأنّ المفوّض إليه غير محظور عليه فاستحال التفويض ، أو ليس يجب على هذا السبب إيمان أن يكون المالك للعبد قادراً يأمر عبده باتباع أمره ونهيه على إرادته لاعلى إرادة العبد ، وبملكه من الطاقة بقدر ما يأمره به وينهاه عنه ، فإذا أمره بأمر ونهاه عن نهى عرفه الثواب والعقاب عليهما وحدّره ورغبه بصفة ثوابه وعقابه ليعرف العبد قدرة مولاه بما ملكه من الطاقة لأمره ونهيه وترغبه وترهبه فيكون عدله وإنصافه شاملاً له ، وحقته واضحة عليه للإعذار والإنذار . فإذا اتبع العبد أمر مولاه جازاه ، وإذا لم يزدجر عن نهيه عاقبه ؛ أو يكون عاجزاً غير قادر ففوّض أمره إليه أحسن أم أساء أطاع أم عصى عاجز عن عقوبته وردّه إلى اتباع أمره ، وفي إثبات العجز نفى القدرة والتأله ، وإبطال الأمر والنهي والثواب والعقاب ، ومخالفة الكتاب ، إذ يقول : « ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم » وقوله عزّ وجلّ : « اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون » وقوله : « وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون » وقوله : « اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » وقوله : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تولّوا عنه وأنتم تسمعون » فمن زعم أنّ الله تعالى فوّض أمره

ونهيهِ إلى عباده فقد أثبت عليه العجز ، وأوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير وشر ، وأبطل أمر الله ونهيهِ ، ووعدهِ وعيده لعلة ما زعم أن الله فوضها إليها لأن المفوض إليه يعمل بمشيئته ، فإن شاء الكفر أو الإيمان كان غير مردود عليه ولا محذور فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد أبطل جميع ما ذكرنا من وعدهِ ووعدهِ وأمرهِ ونهيهِ ، وهو من أهل هذه الآية « أفْتُؤْمِنُونَ ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » تعالى الله عما يدين به أهل التفويض علواً كبيراً ؛ لكن نقول : إن الله عز وجل خلق الخلق بقدرته ، وملكهم استطاعة تعبدهم بها ، فأمرهم ونهاهم بما أراد فقبل منهم اتباع أمرهِ ورضي بذلك لهم ، ونهاهم عن معصيته وذم من عصاه وعاقبه عليها ، والله الخيرة في الأمر والنهي ، يختار ما يريد ويأمر به ، وينهى عما يكره ويعاقب عليه ، بالاستطاعة التي ملكها عباده لاتباع أمرهِ واجتناب معاصيه لأنه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة ، بالغ الحجة بالإعذار والإنذار ، وإليه الصفة يصطفي من يشاء من عباده لتبليغ رسالته واحتجاجه على عباده اصطفاً محمدًا ﷺ وبعثه برسالاته إلى خلقه فقال من قال من كفر أرقومه حسداً واستكباراً : « لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » يعني بذلك أمية بن أبي الصلت وأبا مسعود الثقفي ، فأبطل الله اختيارهم ولم يجز لهم آراءهم حيث يقول : « أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليؤخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون » ولذلك اختار من الأمور ما أحب ، ونهى عما كره ، فمن أطاعه أثابه ، ومن عصاه عاقبه ، ولو فوض من اختيار أمرهِ إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أمية ابن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي إذ كانا عندهم أفضل من محمد ﷺ ، فلمَّا أدب الله المؤمنين بقوله : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » فلم يجز لهم الاختيار بأهوائهم ولم يقبل منهم إلا اتباع أمرهِ واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه فمن أطاعه رشد ، ومن عصاه ضلَّ وغوى ولزمته الحجة بما ملكه من الاستطاعة لاتباع أمرهِ واجتناب

نبيه ، فمن أجل ذلك حرمه نوابه ، وأنزل به عقابه ، وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربعي الأسدي حين سأله عن الاستطاعة التي بها يقوم ويقعد ويفعل ، فقال له أمير المؤمنين : سألت عن الاستطاعة تملكها من دون الله أو مع الله ؟ فسكت عباية ، فقال له أمير المؤمنين : قل يا عباية ، قال وما أقول ؟ قال عليه السلام : إن قلت إنك تملكها مع الله قتلتك ! وإن قلت : تملكها دون الله قتلتك ! قال عباية : فما أقول يا أمير المؤمنين عليه السلام ؟ قال عليه السلام : تقول : إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك ، فإن يملكها إياك كان ذلك من عطائه ، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه هو المالك لما ملكك ، والقادر على ما عليه أقدرك ، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حين يقولون : لاحول ولا قوة إلا بالله ؟ قال عباية : وما تأويلها يا أمير المؤمنين ؟ قال : عليه السلام لاحول عن معاصي الله إلا بعصمة الله ، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله ، قال : فوثب عباية فقبل يديه ورجليه .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله قال : يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك ؟ قال عليه السلام : بالتمييز الذي خولني ، ^(١) والعقل الذي دلّني ، قال : أفمجبول أنت عليه ؟ قال : لو كنت مجبولاً ما كنت محموداً على إحسان ، ولا مذموماً على إساءة ، وكان المحسن أولى باللائمة من المسيء ، فعلمت أن الله قائم باق ، ومادونه حدث حائل زائل ، وليس التقديم الباقي كالحدث الزائل . قال نجدة : أجدك أصبحت حكيماً يا أمير المؤمنين ! قال : أصبحت مخيراً فإن أتيت السيئة بمكان الحسنة فأنا المعاقب عليها .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرجل سأله بعد انصرافه من الشام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر ؟ قال : نعم يا شيخ ما علمتم تلعة ولا هبطم وادياً إلا بقضاء وقدر من الله ، فقال الشيخ : عند الله أحسن عنائى يا أمير المؤمنين ، فقال : مه يا شيخ فإن الله قد عظم أجركم في مسيركم وأنتم ساعرون ، وفي مقامكم وأنتم مقيمون ، وفي انصرافكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من أموركم

(١) خوله الشيء : أعطاه إياه متفضلاً ، أو ملكه إياه .

مكرهين ، ولا إليه مضطربين ، لعلك ظننت أنه قضاء حتم وقدر لازم ، ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ، ولسقط الوعد والوعيد ، ولما ألزمت الأشياء أهلها على الحقائق ، ذلك مقالة عبدة الأوثان وأولياء الشياطين^(١) إن الله جل وعز أمر تخييراً ، ونهى تحذيراً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . فقام الشيخ فقبل رأس أمير المؤمنين عليه السلام وأنشأ يقول :

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته * يوم النجاة من الرحمن غفراناً
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً * جزاك ربك عنا فيه رضواناً
فليس معذرة في فعل فاحشة * عندي لراكبها ظلماً و عياناً

فقد دل قول أمير المؤمنين عليه السلام على موافقة الكتاب ونفي الجبر والتفويض للذين يلزمان من دان بهما وتقلدهما الباطل والكفر وتكذيب الكتاب ، ونعوذ بالله من الضلالة والكفر ، ولساندين بجبر ولا تفويض ، لكننا نقول بمنزلة بين المنزلتين ، وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملكها الله وتعبّدنا بها على ما شهد به الكتاب ودان به الأئمة الأبرار من آل الرسول صلوات الله عليهم .

ومثل الاختبار بالاستطاعة مثل رجل ملك عبداً أو ملك مالا كثيراً أحب أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول إليه ، فملكه من ماله بعض ما أحب ، ووقفه على أمور عرفها العبد ، فأمره أن يصرف ذلك المال فيها ؛ ونهاه عن أسباب لم يحبها ، وتقدّم إليه أن يجتنبها ، ولا ينفق من ماله فيها ، والمال يتصرف في أي الوجهين ؛ فصرف المال أحدهما في اتباع أمر المولى ورضاه ، والآخر صرفه في اتباع نهيه وسخطه ، وأسكنه دار اختبار أعلمه أنه غير دائم له السكنى في الدار ، وأن له داراً غيرها ، وهو مخرجه إليها فيها ثواب وعقاب دائم ، فإن أنفذ العبد المال الذي ملكه مولاه في الوجه الذي أمره به جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مخرجه إليها ، وإن أنفق المال في الوجه الذي نهاه عن إنفاقه فيه جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود ،

وقد حدّ المولى في ذلك حدّاً معروفاً وهو المسكن الذي أسكنه في الدار الأولى ، فإذا بلغ الحدّ استبدل المولى بالمال والعبد على أنّه لم يزل مالكا للمال والعبد في الأوقات كلّها ، إلا أنّه وعد أن لا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الأولى إلا أن يستتم^(١) سكناه فيها ؛ فوفى له لأن من صفات المولى العدل والوفاء والنصفة والحكمة وليس يجب إن كان ذلك العبد صرف ذلك المال في الوجه المأمور به أن يفي له بما وعده من الثواب وتفضّل عليه بأن استعمله في دار فانية و أثابه على طاعته فيها نعيماً دائماً في دار باقية دائمة ؟ وإن صرف العبد المال الذي ملكه مولاه أيتام سكناه تلك الدار الأولى في الوجه المنهي عنه وخالف أمر مولاه كذلك يجب عليه العقوبة الدائمة التي حدّرها إياها غير ظالم له لما تقدّم إليه وأعلمه وعرفه وأوجب له الوفاء بوعده ووعيده بذلك يوصف القادر القاهر ؟

وأما المولى فهو الله جلّ وعزّ ، وأما العبد فهو ابن آدم المخلوق ، و المال قدرة الله الواسعة ، ومحتنه إظهار الحكمة والقدرة ، والدار الفانية هي الدنيا ، وبعض المال الذي ملكه مولاه هو الاستطاعة التي ملك ابن آدم ، والأُمور التي أمر الله بصرف المال إليها هو الاستطاعة لاتباع الأنبياء والإقرار بما أوردوه عن الله جلّ وعزّ ، واجتناب الأسباب التي نهى عنها هي طرق إبليس ؛ وأما وعده فالنعيم الدائم وهي الجنة ، و أما الدار الفانية فهي الدنيا ، وأما الدار فهي الدار الباقية وهي الآخرة ، والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار والامتحان والبلوى بالاستطاعة التي ملك العبد ؛ وشرحها في خمسة الأمثال التي ذكرها الصادق عليه السلام أنّها جمعت جوامع الفضل ، وأنا مفسرها بشواهد من القرآن والبيان إن شاء الله .

تفسير صحّة الخلقة ، أما قول الصادق عليه السلام فإنّ معناه كمال الخلق للإنسان بكمال^(٢) الحواسّ ونبات العقل والتمييز ، وإطلاق اللسان بالنطق ، وذلك قول الله : «ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على

(١) في المصدر : الى ان يستتم . م

(٢) في المصدر : وكمال الحواس . م

كثير ممن خلقنا تفضيلاً» فقد أخبر عز وجل عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه من البهائم والسباع ودواب البحر والطير وكل ذي حركة تدركه حواس بني آدم بتميز العقل والنطق، وذلك قوله: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» وقوله، «يا أيها الإنسان ما غرك ربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك» وفي آيات كثيرة، فأول نعمة الله على الإنسان صحة عقله وتفضيله على كثير من خلقه بكمال العقل وتميز البيان، وذلك أن كل ذي حركة على بسيط الأرض هو قائم بنفسه بحواسه مستكمل في ذاته بفضل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المذكور بالحواس. فمن أجل النطق ملك الله ابن آدم غيره من الخلق حتى صار أمراً ناهياً، وغيره مسخر له، كما قال الله: «كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم» وقال: «وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها» وقال: «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس» فمن أجل ذلك دعا الله الإنسان إلى اتباع أمره وإلى طاعته بتفضيله إياه باستواء الخلق وكمال النطق والمعرفة، بعد أن ملكهم استطاعة ما كان تعبد بهم به بقوله: «فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا» وقوله: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها» وقوله: «لا يكلف الله نفساً إلا ما آتتها» وفي آيات كثيرة.

فإذا سلب العبد حاسة من حواسه رفع العمل عنه بحاسته كقوله: «ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج» الآية، فقد رفع عن كل من كان بهذه الصفة الجهاد وجميع الأعمال التي لا يقوم إلا بها، وكذلك أوجب على ذي اليسار الحج والزكاة لما ملكه من استطاعة ذلك، ولم يوجب على الفقير الزكاة والحج، قوله تعالى: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» وقوله في الظهار: «والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة» إلى قوله: «فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً» كل ذلك دليل على أن الله تبارك وتعالى لم يكلف عباده إلا ما ملكهم استطاعته بقوة العمل به، ونهاهم عن مثل ذلك فهذه صحة الخلقة.

وأما قوله : تخلية السرب فهو الذي ليس عليه رقيب يحظر عليه ويمنعه العمل بما أمره الله به وذلك قوله في من استضعف وحظر عليه العمل فلم يجد حيلة ولم يمتد سبيلاً^(١) : «من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً» فأخبر أن المستضعف لم يخلّ سربه وليس عليه من القول شيء، إذا كان مطمئن القلب بالإيمان . وأما المهلة في الوقت فهو العمر الذي يمتنع به الإنسان^(٢) من حدّ ما يجب عليه المعرفة إلى أجل الوقت ، وذلك من وقت تمييزه وبلوغ الحلم إلى أن يأتيه أجله ، فمن مات على طلب الحق ولم يدرك كماله فهو على خير وذلك قوله : «ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله الآية ، وإن كان لم يعمل بكمال شرائعه لعلّة مالم يمهله في الوقت إلى استتمام أمره ، وقد حظر على البالغ مالم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم في قوله تعالى : «وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن» الآية فلم يجعل عليهن حرجاً في إبداء الزينة للطفل وكذلك لا تجري عليه الأحكام .

وأما قوله : الزاد فمعناه الجدة والبلغة^(٣) التي يستعين بها العبد على ما أمره الله به ، وذلك قوله : «ما على المحسنين من سبيل» الآية ألا ترى أنّه قبل عذر من لم يجد ما ينفق ، وألزم الحجّة كل من أمكنته البلغة ، والراحلة للحجّ والجهاد وأشباه ذلك ، كذلك قبل عذر الفقراء وأوجب لهم حقاً في مال الأغنياء بقوله : «للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله» الآية ، فأمر بإعفائهم ، ولم يكلفهم الإعداد لما لا يستطيعون ولا يملكون .

وأما قوله : في السبب المهيج ، فهو النية التي هي داعية الإنسان إلى جميع الأفعال ، وحاسستها القلب ، فمن فعل فعلاً وكان بدين لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل

(١) في المصدر : ولا يهتدى سبيلاً كما قال الله تعالى «الا المستضعفين من الرجال والنساء

والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً» . م

(٢) في التحف المطبوع : يبلغ به الإنسان .

(٣) الجدة بكسر الجيم وفتح الدال المخففة كمعة : الفنى . البلغة بضم الباء وسكون اللام : ما

يكفى من العيش .

الله منه عملاً إلا بصدق النية، كذلك^(١) أخبر عن المنافقين بقوله: «يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون» ثم أنزل على نبيه ﷺ توبيخاً للمؤمنين «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون» الآية، فإذا قال الرجل: قولاً واعتقد في قوله دعته النية إلى تصديق القول بإظهار الفعل، وإذا لم يعتقد القول لم يتبين حقيقة، وقد أجاز الله صدق النية وإن كان الفعل غير موافق لها لعلامة مانع يمنع إظهار الفعل في قوله: «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» وقوله: «لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم» الآية، فدل القرآن وأخبار الرسول ﷺ أن القلب مالك لجميع الحواس يصحح أفعالها، ولا يبطل ما يصحح القلب شيء، فهذا شرح جميع الخمسة الأمثال التي ذكرها الصادق عليه السلام أنها تجمع المنزلة بين المنزلتين، وهما الجبر والتفويض، فإذا اجتمع في الإنسان كمال هذه الخمسة الأمثال وجب عليه العمل كمالاً لما أمر الله عز وجل به ورسوله، وإذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنه مطروحاً بحسب ذلك.

فأمّا شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين فكثيرة، ومن ذلك قوله: «ولنبلو نكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم» وقال: «سنستدرجهم من حيث لا يعلمون» وقال: «الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون» وقال في الفتن التي معناها الاختبار: «ولقد فتنا سليمان» الآية، وقال في قصة قوم موسى: «فإنّا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري» وقول موسى: «إن هي إلا فتنتك» أي اختبارك، فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض ويشهد بعضها لبعض، وأمّا آيات البلوى بمعنى الاختبار قوله: «ليبلوكم فيما آتاكم» وقوله: «ثم صرفكم عنهم ليبتليكم» وقوله: «إنّا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة» وقوله: «خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً» وقوله: «وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات» وقوله: «ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض» وكلّ ما في القرآن من بلوى هذه الآيات التي شرح أو لها فهي اختبار وأمثالها في القرآن كثيرة، فهي إثبات الاختبار والبلوى إن الله جل وعز لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم

(١) في المصدر: ولذلك م

سدى ، ولا أظهر حكمته لعباً ، بذلك أخبر في قوله : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً . فإن قال قائل : فلم يعلم الله ما يكون من العباد حتى اختبرهم ؟ قلنا : بلى قد علم ما يكون منهم قبل كونه ، وذلك قوله : « ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه » وإنما اختبرهم ليعلمهم عدله ولا يعدّ بهم إلا بحجة بعد الفعل ، وقد أخبر بقوله : « ولو أننا أهلكناهم بعداذ من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلنا إلينا رسولاً » وقوله : « وما كنا معدّين حتى نبعث رسولاً » وقوله : « رسلاً مبشرين ومنذرين » فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملكها عبده وهو القول بين الجبر والتفويض بهذا نطق القرآن و جرت الأخبار عن الأئمة من آل الرسول .

فإن قالوا : ما الحجة في قول الله : « يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء » وما أشبهها ؟ قيل : مجاز هذه الآيات كلها على معنيين : أمّا أحدهما فأخبار عن قدرته أي أنه قادر على هداية من يشاء وضلال من يشاء ، وإذا أجبرهم بقدرته على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب على نحو ما شرحنا في الكتاب ، والمعنى الآخر أن الهداية منه تعريفه كقوله : « وأمّا نمود فهديناهم » أي عرفناهم « فاستجبوا العمى على الهدى » فلو جبرهم على الهدى لم يقدروا أن يضلّوا ، وليس كلّمّا وردت آية مشتبهة كانت الآية حجة على محكم الآيات اللواتي أمرنا بالأخذ بها ، من ذلك قوله : « منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » الآية ، وقال : « فيشتر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » أي أحكمه وأشرحه « أولئك الذين هديهم الله وأولئك هم أولوالألباب » وفقنا الله وإيتاكم من القول والعمل لما يحب ويرضى ، وجنّبنا وإيتاكم معاصيه بمنه وفضله ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . « ص ٤٥٨ - ٤٧٥ »

بيان : قوله تعالى : فقد ظلم الله على بناء التفعيل أي نسبه إلى الظلم . قوله ﷺ : ومن زعم أن الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب أي عموماً بحيث لا يعاقب أحداً منهم كما هو مقتضى الجبر ، فلا ينافي سقوط بعضها بالعفو أو الشفاعة . قوله ﷺ : ولما لزمتم

الأشياء أي الخطايا والذنوب ، وفي بعض النسخ الأسماء وهو أوفق بما روي عنه عليه السلام في موضع آخر أي لا يصح إطلاق المؤمن والكافر والصالح والطالح وأشباهها على الحقيقة .

فذلكة : اعلم أن الذي استفاض عن الأئمة عليهم السلام هو نفي الجبر والتفويض ، وإثبات الأمرين ، وقد اعترف به بعض المخالفين أيضاً ، قال إمامهم الرازي : حال هذه المسألة عجيبة فإن الناس كانوا مختلفين فيها أبداً بسبب أن ما يمكن الرجوع فيها إليها متعارضة متدافعة : فمعمول الجبرية على أنه لا بد لترجيح الفعل على الترك من مرجح ليس من العبد ؛ ومعمول القدرية على أن العبد لو لم يكن قادراً على فعل لما حسن المدح والذم والأمر والنهي ، وهما مقدمتان بديهيتان ، ثم من الأدلة العقلية اعتماد الجبرية على أن تفاصيل أحوال الأفعال غير معلومة للعبد ، و اعتماد القدرية على أن أفعال العباد واقعة على وفق تصورهم ودواعيهم وهما متعارضتان ، ومن الإلزامات الخطائية أن القدرة على الإيجاد صفة كمال لا يليق بالعبد الذي هو منبع النقصان ، وأن أفعال العباد تكون سفهاً وعبثاً ، فلا يليق بالمعالى عن النقصان ، وأما الدلائل السمعية فالقرآن مملوء بما يوهم بالأمرين وكذا الآثار ، فإن أئمة من الأمم لم تكن خالية من الفرقين ، وكذا الأوضاع والحكايات متدافعة من الجانبين ، حتى قيل : إن وضع النرد على الجبر ، ووضع الشطرنج على القدر ، إلا أن مذهبنا أقوى بسبب أن القدح في قولنا : لا يترجح الممكن إلا بمرجح يوجب انسداد باب إثبات الصانع ، ونحن نقول : الحق ما قال بعض أئمة الدين : إنه لا جبر ولا تفويض ، ولكن أمرين أمرين ، وذلك أن مبنى المبادي القريبة لأفعال العبد على قدرته واختياره ، والمبادي البعيدة على عجزه واضطراره فالإنسان مضطر في صورة مختار كالقلم في يد الكاتب و التودد في شق الحائط ، وفي كلام العقلاء : قال الحائط للوتد : لم تشقني ؛ فقال : سل من يدقني انتهى .

وأما معنى الجبر فهو ما ذهب إليه الأشاعرة من أن الله تعالى أجرى الأعمال على أيدي العباد من غير قدرة مؤثرة لهم فيها ، وعذبهم عليها .

وَأَمَّا التَّفْوِيزُ فَهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُعْتَزِلَةُ مِنْ أَنَّهٗ تَعَالَى أَوْجَدَ الْعِبَادَ وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْأَفْعَالِ ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِمُ الْإِخْتِيَارَ ، فَهُمْ مُسْتَقْلُونَ بِإِجَادِهَا عَلَى وَفْقِ مَشِيَّتِهِمْ وَقَدَرَتِهِمْ ، وَلَيْسَ لِلَّهِ فِي أَفْعَالِهِمْ صَنْعٌ .

وَأَمَّا الْأَمْرُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فَالَّذِي ظَهَرَ مِمَّا سَبَقَ مِنَ الْأَخْبَارِ هُوَ أَنَّ لَهْدَايَاتِهِ وَتَوْفِيقَاتِهِ تَعَالَى مَدْخَلًا فِي أَفْعَالِ الْعِبَادِ بَحِثٌ لَا يَصِلُ إِلَى حَدِّ الْإِلْجَاءِ وَالْإِضْطِرَّارِ كَمَا أَنَّ سَيِّدًا أَمْرَ عَبْدِهِ بِشَيْءٍ يَقْدِرُ عَلَى فَعْلِهِ ، وَفَهْمُهُ ذَلِكَ ، وَوَعْدُهُ عَلَى فَعْلِهِ شَيْئًا مِنَ الثَّوَابِ ، وَ عَلَى تَرْكِهِ شَيْئًا مِنَ الْعِقَابِ فَلَوْ اكْتَفَى مِنْ تَكْلِيفِ عَبْدِهِ بِذَلِكَ وَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ الْفِعْلَ بِمَحْضٍ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُلُومًا عِنْدَ الْعُقَلَاءِ لَوْ عَاقَبَهُ عَلَى تَرْكِهِ ، وَلَا يَقُولُ عَاقِلٌ بِأَنَّهُ أَجْبَرَهُ عَلَى تَرْكِ الْفِعْلِ ، وَ لَوْ لَمْ يَكْتَفِ السَّيِّدُ بِذَلِكَ وَ زَادَ فِي الطَّافَةِ ، وَالْوَعْدِ بِإِكْرَامِهِ ، وَالْوَعْدِ عَلَى تَرْكِهِ ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بَبْعَثٍ مِنْ يَحْثُهُ عَلَى الْفِعْلِ وَبِرَغْبَةٍ فِيهِ ، ثُمَّ فَعَلَ بِقُدْرَتِهِ وَإِخْتِيَارِهِ ذَلِكَ الْفِعْلَ فَلَا يَقُولُ عَاقِلٌ بِأَنَّهُ جَبَرَهُ عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ ؛ وَأَمَّا فَعْلُ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جِهَاتِهِ وَتَرْكِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى آخَرِينَ فَيَرْجِعُ إِلَى حَسَنِ إِخْتِيَارِهِمْ وَصَفَاءِ طَوْبَتِهِمْ ، أَوْ سُوءِ إِخْتِيَارِهِمْ وَقُبْحِ سَرِيرَتِهِمْ ، فَالْقَوْلُ بِهَذَا لَا يَوْجِبُ نِسْبَةَ الظُّلْمِ إِلَيْهِ تَعَالَى بِأَنْ يُجْبِرَهُمْ عَلَى الْمُعَاصِي ثُمَّ يَعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا كَمَا يُلْزَمُ الْأَوَّلِينَ ، وَلَا عَزْلُهُ تَعَالَى عَنْ مُلْكِهِ ، وَاسْتِقْلَالِ الْعِبَادِ بِبَحْثٍ لَا مَدْخَلَ لِلَّهِ فِي أَفْعَالِهِمْ فَيَكُونُونَ شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي تَدْيِيرِ عَالَمِ الْوُجُودِ كَمَا يُلْزَمُ الْآخَرِينَ ، وَقَدْ مَرَّتْ شَوَاهِدُ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْأَخْبَارِ ؛ وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ الْكَلْبِيُّ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ سَأَلَهُ رَجُلٌ : أَجْبَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى الْمُعَاصِي ؟ قَالَ : لَا ؛ فَقَالَ : فَفَوَّضَ إِلَيْهِمُ الْأَمْرَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَمَاذَا ؟ قَالَ : لَطَفَ مِنْ رَبِّكَ بَيْنَ ذَلِكَ . ^(١) وَيُظْهِرُ مِنْ ^(٢)

(١) أوردته الكليني في باب الجبر والقدر من الكافي بإسناده عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن الحسن زعلان ، عن أبي طالب القمي ، عن رجل ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

(٢) ومرجع الخبرين في مؤداهما واحد ، وهو الذي يشاهده كل إنسان من نفسه عياناً وهو أنه مع قطع النظر عن سائر الأسباب من الموجبات والموانع يملك اختيار الفعل أو الترك فله أن يفعل وله أن يترك ، وأما كونه مالكا للاختيار فأنما ملكه إياه ربه سبحانه كما في الأخبار ؛ ومن أحسن الأمثلة لذلك مثال الولي إذا ملك عبده ما يحتاج إليه في حياته من مال يتصرف فيه و زوجة يأنس إليها و دار يسكنها وإثنا ومتاع فإن قلنا أن هذا التملك يبطل ملك الولي كان قولاً بالتفويض ، وإن قلنا أن ذلك لا يوجب للعبد ملكاً والولي باق على ملكيته كما كان كان قولاً بالجبر ، وإن قلنا أن العبد يملك بذلك والولي مالك لجميع ما يملكه في عين ملكه وأنه من كمال ملك الولي كان قولاً بالأمر بين الأمرين . ط

بعض الأخبار أن المراد بالتفويض المنفيّ هو كون العبد مستقلاً في الفعل بحيث لا يقدر الربّ تعالى على صرفه عنه ، و الأمر بين الأمرين هو أنّه جعلهم مختارين في الفعل و الترك مع قدرته على صرفهم عمّا يختارون ، و منهم من فسّر الأمر بين الأمرين بأنّ الأسباب القريبة للفعل يرجع إلى قدرة العبد ، و الأسباب البعيدة كالألات و الأسباب والأعضاء والجوارح والقوى إلى قدرة الربّ تعالى ، فقد حصل الفعل بمجموع القدرتين ؛ وفيه أنّ التفويض بهذا المعنى لم يقل به أحد حتّى يردّ عليه ؛ و منهم من قال : الأمر بين الأمرين هو كون بعض الأشياء باختيار العبد وهي الأفعال التكليفية ، و كون بعضها بغير اختياره كالصحة والمرض والنوم واليقظة ، والذكر والنسيان وأشياء ذلك ، و يرد عليه ما أوردناه على الوجه السابق والله تعالى يعلم وحججه عنه السلام . وبسط القول في تلك المسألة وإيراد الدلائل والبراهين على ما هو الحق فيها و دفع الشكوك والشبه عنها لا يناسب ما هو المقصود من هذا الكتاب ، والله يهدي من يشاء إلى الحق والصواب .

﴿باب ٣﴾

﴿القضاء والقدر^(١) والمشيئة والارادة وسائر أسباب الفعل﴾

الآيات ، البقرة : «٢» ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ٢٥٣ .

آل عمران «٣» وما كان لنفس أن تموت إلّا بأذن الله كتاباً مؤجلاً ١٤٥ .

الانعام «٦» ولو شاء الله ما أشركوا ١٠٧ . وقال تعالى : ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم

وما يفترون ١٣٧ . وقال تعالى : سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا

ولا حرمنا من شيء . كذلك كذب الذين من قبلهم حتّى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من

علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلّا الظنّ وإن أنتم إلّا تخرصون ﴿ قل فليلق الحجرة البالغة

فلو شاء لهدىكم أجمعين ١٤٨ - ١٤٩ .

(١) مسألة القضاء والقدر من المقامات التي جاءت بها جميع الأديان ، وليست خاصة بالمسلمين ، ولكن

استعمال هاتين اللفظتين ظنّ بعض الناس أن فيهما معنى الإكراه والإجبار وليس كما ظنّ ، وسيوافيك

الأخبار والروايات وكلمات الأعلام في ذلك فتعلم أنّهما لا يتنافيان الاختيار .

الاعراف ٧) قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ١٨٧ .

الانفال ٨) ولكن ليقتضي الله أمراً كان مفعولاً ٤٢ .

التوبة ٩) قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولينا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ٥١ « وقال تعالى : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ٥٥ .

يونس ١٠) ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين * وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ٩٩-١٠٠ .

الاحزاب ٣٣) وكان أمر الله مفعولاً ٣٧ وقال وكان أمر الله قدراً مقدوراً ٣٨ .
فاطر ٣٥) وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ١١ .

الحجدة ٤١) ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم ٤٥ .

حمعسق ٤٢) ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ٨ « وقال تعالى : ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم ٢١ .
الزخرف ٤٣) وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون ٢٠ .

القمر ٥٤) إنا كل شيء خلقناه بقدر ٤٩ « وقال : وكل شيء فعلوه في الزبر *
وكل صغير وكبير مستطر ٥٢-٥٣ .

الحديد ٥٧) ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ٢٢ .

الحشر ٥٩) ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ٥ .

التغابن ٦٤) ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ١١ .

الطلاق ٦٥) يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ١٢ .

المقدر «٧٤» كذلك يضلُّ الله من يشاء ويهدي من يشاء «٣١» وقال تعالى : وما يذكرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ٥٦ .

الدهر «٧٦» وما تشاؤون إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ٣٠ . وقال تعالى : يدخل من يشاء في رحمته ٣١ .

كورت «٨١» وما تشاؤون إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٩ .

تفسير : ولو شاء الله ما اقتتلوا أي لو شاء أن يجبرهم ويلجئهم على ترك الاقتتال لفعل لكنه مناف للتكليف فلذا وكلهم إلى اختيارهم فاقتتلوا ، وإذن الله أمره وتقديره ، وقيل : علمه ، من أذن بمعنى علم .

وقال الطبرسي في قوله تعالى : «فلو شاء لهداكم أجمعين» أي لو شاء لأجأكم إلى الإيمان ، وهذه المشيئة تخالف المشيئة المذكورة في الآية الأولى . لأنَّ الله سبحانه أثبت هذه ونفى تلك ، فالأولى مشيئة الاختيار والثانية مشيئة الإلجاء . وقيل : إنَّ المراد به : لو شاء لهداكم إلى نيل الثواب ودخول الجنة ابتداءً من غير تكليف . قوله تعالى : «قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا» أي مطلقاً لأنَّ ما يتوقف عليه الفعل من الأسباب والآلات إنما هو بقدرته تعالى ، وهو لا ينافي الاختيار ، أو فيما ليس باختيار العبد من دفع البلايا وجلب المنافع ، ويؤيد قوله تعالى بعد ذلك : «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء» .

قوله تعالى : «ليقضي الله أمراً كان مفعولاً» أي قد رآه التقاءكم مع المشركين في بدر على غير ميعاد منكم ليقضي أمراً كان كائناً لا محالة ، أو من شأنه أن يكون هو إغزاز الدين وأهله ، وإذلال الشرك وأهله ، ومعنى «ليقضي» : ليفعل ، أو ليظهر قضاؤه .

قوله تعالى : في الزبر «أي في الكتب التي كتبها الحفظة» ، أو في اللوح المحفوظ ، «وكل صغير وكبير مستطر» أي وما قدّموه من أعمالهم من صغير وكبير مكتوب عليهم ، أو كل صغير وكبير من الأرزاق والآجال ونحوها مكتوب في اللوح .

قوله تعالى : «وما يذكرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» أي إِلَّا أَنْ يَشَاءَ أَنْ يجبرهم على ذلك بقرينة قوله سابقاً : «إنها تذكرة فمن شاء ذكره» وقيل : إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ من حيث

أمر به ونهى عن تركه فكانت مشيئته سابقة أي لا يذكرون إلا والله قد شاء ذلك .

١ - ب : ابن طريف ، عن ابن علوان ، عن جعفر ، عن أبيه ، قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله : يا رسول الله رقي^(١) يستشفى بها هل ترد من قدر الله ؟ فقال : إنها من قدر الله . ص ٤٥ .

٢ - ل : الخليل بن أحمد السنجري ، عن محمد بن إسحاق بن خزيمة ، عن علي بن حجر ، عن شريك ، عن منصور بن المعتمر ،^(٢) عن ربعي بن خراش ،^(٣) عن علي بن الحسين قال : قال رسول الله ﷺ : لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة : حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأني رسول الله بعثني بالحق ، وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت ، وحتى يؤمن بالقدر .

٣ - ل : أبو أحمد محمد بن جعفر البندار ، عن جعفر بن محمد بن نوح ، عن محمد بن عمر ، عن يزيد بن زريع ، عن بشر بن نمير ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة^(٤) قال : قال رسول الله ﷺ : أربعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : عاق ، ومنان ، ومكذب بالقدر ، ومد من خمر .

٤ - ل : حمزة العلوي ، عن أحمد الهمداني ، عن يحيى بن الحسن بن جعفر ، عن

(١) جمع الرقية بالضم : العوذة .

(٢) قال العلامة في القسم الثاني من الخلاصة : منصور بن معتمر من أصحاب الباقر عليه السلام تبرأ انتهى . وقال ابن حجر في تقريب التهذيب : منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي ، أبو عثاب - بثلاثة ثقيلة ثم موحدة - الكوفي ، ثقة ، ثبت ، وكان لا يدلس ، من طبقة الاعمش ، مات سنة ١٣٢ .

(٣) روى بكسر الراء وسكون الباء ، والعين المهملة ، خراش بالغاء المعجمة المكسورة والراء والسين المعجمة ، ضبطه كذلك الميرزا في هامس الوسيط ، وحكى ذلك أيضا عن ابن داود ، وضبطه ابن حجر في التقريب بكسر المهملة وآخره معجمة وقال : أبو مريم العباسي الكوفي ثقة ، عابد ، مخضرم ، من الثانية ، مات سنة مائة ، وقيل : غير ذلك انتهى . أقول : وأرخ وفاته في الوسيط وفي المحكي عن مختصر الذهبي سنة ١٠٩ . وحكى عن البرقي وغيره أنه وأخاه مسعود من خواص أمير المؤمنين عليه السلام من مضر .

(٤) لعله صدى - بالتصغير - ابن عجلان أبو أمامة الباهلي الصحابي المشهور سكن الشام ومات بها سنة ٨٦ وقيل ٨١ .

محمد بن ميمون الخزّاز، عن عبد الله بن ميمون، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستّة لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والتارك لسنّتي، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله، والمتسلّط بالجبروت ليدلّ من أعزّه الله ويعزّ من أذلّه الله، والمستأثر بغير المسلمين المستحلّ له.

٥ - ل: ابن المتوكّل، عن محمد العطّار، عن محمد بن أحمد، عن أحمد بن محمد، عن أبي القاسم الكوفي، عن عبد المؤمن الأنصاري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وآله: إنّي لعنت سبعة لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب قبلي، فقيل: ومن هم يا رسول الله؟ فقال: الزائد في كتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والمخالف لسنّتي، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله، والمتسلّط بالجبريّة ^(١) ليعزّ من أذلّ الله ويدلّ من أعزّ الله، والمستأثر على المسلمين ^(٢) بفيئهم مستحلّ له والمحرمّ ما أحلّ الله عزّ وجلّ.

٦ - ل: محمد بن عمر الحافظ، عن محمد بن الحسين الخثعمي، عن ثابت بن عامر السنجاري، عن عبد الملك بن الوليد، عن عمرو بن عبد الجبار، عن عبد الله بن زياد، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جدّه، عن علي عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: سبعة لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب، المغيّر لكتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والمبدّل سنّة رسول الله، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله عزّ وجلّ، والمتسلّط في سلطانه ليعزّ من أذلّ الله ويدلّ من أعزّ الله، والمستحلّ لحرم الله ^(٣) والمتكبّر عبادة الله عزّ وجلّ.

٧ - ل: أبي، عن سعد، عن إبراهيم بن هاشم، عن أبي عبد الله البرقي، عن زكريّا ابن عمران، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: لا يكون شيء في السماوات والأرض إلّا بسبعة: بقضاء، وقدر، وإرادة، ومشية، وكتاب، وأجل، وإذن، فمن قال غير هذا فقد كذب على الله، أو ردّ على الله عزّ وجلّ.

(١) المتسلّط بالجبريّة أو بالجبروت أي بالقدرة والسلطة والعظمة.

(٢) مستأثر بالشيء على الغير أي استبدّه وخصّ به نفسه.

(٣) الحرم بضم الحاء والراء جمع الحرام: ضدّ الحلال.

٨ - فس : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن مسكان ، ^(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
 إن موسى عليه السلام سأل ربه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السلام فجمع ، فقال له موسى :
 يا أبا له ألم يخلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأمرك أن لا
 تأكل من الشجرة ؟ فلم عصيته ؟ قال : يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في
 التوراة ؟ قال : بثلاثين سنة ، ^(٢) قال : فهو ذلك ، قال الصادق عليه السلام : فحج آدم موسى
 عليه السلام . ^(٣) ص ٣٦-٣٧ .

بيان : من أصحابنا من حل هذا الخبر على التقيّة ، إذ قد ورد ذلك في كتبهم بطرق
 كثيرة ، وقد رواه السيد في الطرائف من طرقهم وردّه ، ويمكن أن يقال : إن المراد أنّه
 كتب في التوراة أن الله وكل آدم إلى اختياره حتّى فعل ما فعل لمصلحة إهباطه إلى
 الدنيا ، وأمّا كونه قبل خلقه عليه السلام فلأن التوراة كتب في الألواح السماوية في ذلك
 الوقت وإن وجده موسى عليه السلام بعد بعثته ، ويحتمل اطلاع روح موسى على ذلك قبل
 خلق جسد آدم والله يعلم .

٩ - ع : أحمد بن محمد ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد بن مالك ، عن عباد بن يعقوب ،
 عن عمر بن بشر البرزّاز قال : قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام : ما يستطيع أهل القدر
 أن يقولوا ؛ والله لقد خلق الله آدم للدنيا وأسكنه الجنة ليعصيه فيردّه إلى ما خلقه له .
 ص ١٩٢-١٩٣ .

بيان : قوله : ليعصيه أي عالماً بأنّه يخلّيه مع اختياره فيعصيه ، فيكون اللام لام
 العاقبة أي ليخلّيه فيعصيه بذلك ختاراً والله يعلم .

١٠ - مع : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمد ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن

(١) قد عرفت سابقاً عدم ثبوت رواية ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام بلا واسطة مما ذكرنا
 عن النجاشي ، فانه قال : إنه روى عن أبي عبد الله عليه السلام وليس ثبت انتهى ، وما نقلنا عن الكشي
 من أنه لم يسمع عنه عليه السلام إلا حديث من أدرك المشعر فقد أدرك الحج ، فعلى هذا فالرواية
 مرسلّة .

(٢) في المصدر : بثلاثين ألف سنة .

(٣) أي غلب آدم موسى بالحجة .

شعيب، عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : شاء وأراد، ولم يحبّ ولم يرض . قلت : كيف ؟ قال : شاء أن لا يكون شيء إلا بعلمه، وأراد مثل ذلك، ولم يحبّ أن يقال له : ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر .

١- عد : اعتقادنا في الإرادة والمشية قول الصادق عليه السلام : شاء الله، وأراد، ولم يحب، ولم يرض، شاء أن لا يكون شيء إلا بعلمه، وأراد مثل ذلك، ولم يحبّ أن يقال له : ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر .^(١) وقال الله عز وجل : « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء »^(٢) وقال عز وجل : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله »^(٣) وقال عز وجل : « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »^(٤) وقال عز وجل : « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله »^(٥) كما قال : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً »^(٦) كما قال : « يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز آل الذين كذب عليكم عليهم القتلى إلى مضاجعهم »^(٧) وقال عز وجل : « ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون »^(٨) وقال عز وجل : « ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً »^(٩) وقال عز وجل : « ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها »^(١٠) وقال عز وجل : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء »^(١١) وقال عز وجل : « يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم »^(١٢) وقال الله عز وجل : « يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة »^(١٣) وقال عز وجل : « يريد الله

(١) تقدم مسنداً تحت رقم ١١ ويأتي بسند آخر تحت رقم ٣٤ .

(٢) القصص : ٥٦ . (٣) الدهر : ٣٠ .

(٤) يونس : ٩٩ . (٥) يونس : ١٠٠ .

(٦) آل عمران : ١٤٥ . (٧) آل عمران : ١٥٤ .

(٨) الانعام : ١١٢ . (٩) الانعام : ١٠٧ .

(١٠) الم السجدة : ١٣ . (١١) الانعام : ١٢٥ .

(١٢) النساء : ٢٦ . (١٣) آل عمران : ١٧٦ .

أَن يَخْفَفَ عَنْكُمْ»^(١) وقال : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »^(٢) وقال عز وجل : « والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً »^(٣) وقال عز وجل : « وما الله يريد ظلاماً للعباد »^(٤).

فهذا اعتقادنا في الإرادة والمشية ، ومخالفونا يشنعون علينا في ذلك ، ويقولون : إننا نقول : إن الله عز وجل أراد المعاصي وأراد قتل الحسين عليه السلام وليس هكذا نقول ، ولكننا نقول : إن الله عز وجل أراد أن يكون معصية العاصين خلاف طاعة المطيعين ، وأراد أن تكون المعاصي غير منسوبة إليه من جهة الفعل ، وأراد أن يكون موصوفاً بالعلم بها قبل كونها ، ونقول : أراد الله أن يكون قتل الحسين عليه السلام معصية له خلاف الطاعة ، ونقول : أراد أن يكون قتله منهياً عنه غير مأمور به ، ونقول : أراد الله أن يكون مستقبلاً غير مستحسن ، ونقول : أراد الله عز وجل أن يكون قتله سخطاً لله غير رضاه ، ونقول : أراد الله عز وجل أن لا يمنع من قتله بالجبر والقدرة كما منع منه بالنهي ، ونقول : أراد الله أن لا يدفع القتل عنه كما دفع الحرق عن إبراهيم عليه السلام ، حين قال عز وجل للنار التي أُلقي فيها : « يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم »^(٥) ونقول : لم يزل الله عالماً بأن الحسين عليه السلام سيقتل ويدرك بقتله سعادة الأبد ، ويشقى قاتله شقاوة الأبد ، ونقول : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . هذا اعتقادنا في الإرادة والمشية ، دون ما نسب إلينا أهل الخلاف والمشنعون علينا من أهل الإلحاد . « ص ٦٩ - ٧١ »

أقول : قال الشيخ المفيد نوّ الله ضريحه : الذي ذكره الشيخ أبو جعفر رحمه الله في هذا الباب لا يتحصل ومعانيه تختلف وتتناقض ، والسبب في ذلك أنه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة ، ولم يكن بمن يرى النظر فيميز بين الحق والباطل ، ويعمل على ما توجب الحجّة ! ومن عوّل في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرواة كانت حاله في الضعف ما وصفناه ! والحق في ذلك أن الله تعالى لا يريد إلّا ما حسن من الأفعال ، ولا

(٢) البقرة : ١٨٥ .

(٤) النساء : ٣١ .

(١) النساء : ٢٧ .

(٣) النساء : ٢٧ .

(٥) الانبياء : ٦٩ .

يشاء إلا الجميل من الأعمال ، ولا يريد القبائح ، ولا يشاء الفواحش ، تعالى الله عما يقول
الميطلون علواً كبيراً ، قال الله تعالى : « وما الله يريد ظملاً للعباد » وقال : « يريد الله
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقال : « يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سنن الذين
من قبلكم ، الآية » والله يريد أن يتوب عليكم و يريد الذين يتبعون الشهوات أن
تميلوا ميلاً عظيماً ؛ يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً ، فخبّر سبحانه أنه
لا يريد لعباده العسر ، بل يريد بهم اليسر ، وأنه يريد لهم البيان ، ولا يريد لهم الضلال ،
ويريد التخفيف عنهم ، ولا يريد التثقيل عليهم ، فلو كان سبحانه مريداً لمعاصيهم لنافى ذلك
إرادة البيان لهم ، أو التخفيف عنهم واليسر لهم ، فكتاب الله تعالى شاهد بضدّ ماذهب
إليه الضالّون المفترون على الله الكذب ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

فأمّا ما تعلّقوا به من قوله تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه » الآية فليس للمجبّرة
به تعلّق ولا فيه حجة ، من قبل أن المعنى فيه من أراد الله تعالى أن ينعمه ويثيبه جزاءً
على طاعته شرح صدره للإسلام بالألطف التي يحبوه بها ، فييسر له بها استدامة أعمال
الطاعات ، والهداية في هذا الموضع هي التنعيم ، قال الله تعالى - فيما خبر به عن أهل
الجنة - : « الحمد لله الذي هدانا لهذا »^(١) الآية أي نعمنا به وأنابنا إياه ، و الضلال
في هذه الآية هو العذاب ، قال الله تعالى : « إنّ المجرمين في ضلال وسعر »^(٢) فسمّى العذاب
ضلالاً والنعيم هداية ، والأصل في ذلك أن الضلال هو الهلاك ، و الهداية هي النجاة ،
قال الله تعالى - حكاية عن العرب - : « أمّذا ضللنا في الأرض أمّنا لفي خلق جديد »^(٣)
يعنون إذا هلكنا فيها ، وكأنّ المعنى في قوله : « فمن يرد الله أن يهديه » ماقدّمناه « ومن
يرد أن يضلّه » ماوصفناه ، و المعنى في قوله : « يجعل صدره ضيقاً حرجاً » يريد سلبه
التوفيق عقوبة له على عصيانه ، ومنعه الألطف جزاءً له على إساءته ، فشرح الصدر :
نواب الطاعة بالتوفيق ، وتضييقه : عقاب المعصية بمنع التوفيق ، وليس في هذه الآية على
ما يبتسّاه شبهة لأهل الخلاف فيما ادّعوه من أن الله تعالى يضلّ عن الإيمان ، و يصدّ

(١) الاعراف : ٤٣ .

(٢) القمر : ٤٧ .

(٣) الم السجدة : ١٠ .

عن الإِسلام ، ويريد الكفر ، ويشاء الضلال ؛ وأما قوله تعالى : « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً » فالمراد به الإخبار عن قدرته ، وأنه لو شاء أن يلجئهم إلى الإِيمان ويحملهم عليه بالإِكره والاضطرار لكان على ذلك قادراً ، لكنّه شاء تعالى منهم الإِيمان على الطوع والاختيار ، وآخر الآية يدلّ على ما ذكرناه وهو قوله : « أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين »^(١) يريد أن الله قادر على إكراههم على الإِيمان لكنّه لا يفعل ذلك ، ولو شاء لتيسر عليه ، وكلّ ما يتعلّقون به من أمثال هذه الآية فالقول فيه ما ذكرناه أو نحوه على ما بينناه ، وفرار المجبّرة من إطلاق القول : بأن الله يريد أن يعصى ويكفر به ويقتل أوليائه إلى القول بأنّه يريد أن يكون ماعلم كما علم ويريد أن يكون معاصيه قبائح منهيّاً عنها وقوع فيما هربوا منه ، و تورط فيما كرهوه ،^(٢) وذلك أنّه إذا كان ماعلم من القبيح كما علم وكان تعالى مريداً لأن يكون ماعلم من القبيح كما علم فقد أراد القبيح وأراد أن يكون قبيحاً ، فما معنى فرارهم من شيء إلى نفسه ؟ وهربهم من معنى إلى عينه ؟ فكيف يتمّ لهم ذلك مع أهل العقول ؟ وهل قولهم هذا إلّا كقول إنسان : أنا لا أسبّ زيداً لكنّي أسبّ أبا عمرو وزيد هو أبو عمرو ؟ وكقول اليهود إذ قالوا سخرية بأنفسهم : نحن لا نكفر بمحمّد ﷺ لكنّا نكفر بأحد ؟ فهذا رعونة^(٣) وجهل ممّن صار إليه .

١٢ - ن : أحمد بن إبراهيم بن بكر الخوري ، عن إبراهيم بن محمد بن مروان ، عن جعفر بن محمد بن زياد ، عن أحمد بن عبد الله الجوباري ، عن عليّ بن موسى الرضا ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن عليّ بن الحسين قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل قدّر المقادير ، و دبّر التدابير قبل أن يخلق آدم بألفي عام . » ص ٨٠ .

ن : بالأسانيد الثلاثة عنه ﷺ مثله . صح : عنه ﷺ مثله .

١٣ - فس : أبي ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن جعفر ، عن أبيه صلوات الله

(١) قدأشرنا قبيل ذلك إلى موضع الآية وإلى مواضع سائر الآيات .

(٢) تورط الرجل : وقع في الورطة أو في أمر مشكل .

(٣) الرعونة : الحق والهوج في الكلام .

عليهما قال : قال رسول الله ﷺ : سبق العلم وجفّ القلم ومضى القضاء وتمّ القدر بتحقيق الكتاب ، وتصديق الرسل ، وبالسعادة من الله لمن آمن و اتقى ، وبالشقاء لمن كذب وكفر ، وبالولاية من الله للمؤمنين ، وبالبراءة منه للمشركين . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله يقول : يا بن آدم بمشييتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء ، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد ، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي ، وبقوتي وعصمتي وعافيتي أدّيت إليّ فرائضي ، وأنا أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بذنوبك مني ، الخير مني إليك بما أوليتك به ،^(١) والشر مني إليك بما جئت جزاءً ، وبكثير من تسلّطي لك انطويت عن طاعتي ، وبسوء ظنّك بي قنطت من رحمتي ، فلي الحمد والحجّة عليك بالبيان ، ولي السبيل عليك بالعصيان ، ولك الجزاء الحسن عذبي بالإحسان ، لم أدع تحذيرك بي ، ولم آخذك عند عزّتك ، وهو قوله : « ولويؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة » لم أكلفك فوق طاقتك ، ولم أحملك من الأمانة إلّا ما أقررت بها على نفسك ، ورضيت لنفسي منك ما رضيت به لنفسك مني . « ص ٥٤٧ - ٥٤٨ »

١٤ - يد : أبي وابن الوليد معاً ، عن محمد العطار ، وأحمد بن إدريس معاً ، عن الأشعري ، عن ابن يزيد ، عن علي بن حسان ، عن السكوني ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن سعدان ، عن معاذ بن جبل ، عن النبي ﷺ مثله . « ص ٣٥٣ - ٣٥٤ »
بيان : قوله ﷺ : بتحقيق الكتاب أي جنس الكتاب ، فالمراد كل كتاب منزل ، أو القرآن ، أو اللوح . قوله تعالى : بمشييتي كنت أنت الذي تشاء أي شئت أن أجعلك شائياً مختاراً ، وأردت أن أجعلك سريداً فجعلتك كذلك وفي « يد » : الخير مني بما أوليت بدماء . فيمكن أن يقرأ أوليت على صيغة الخطاب والتكلم .

قوله تعالى : وبكثير من تسلّطي لك أي من التسلّط الذي جعلت لك على الخلق وعلى الأمور . وانطوى عن الشيء أي هاجره وجانبه . وفي التوحيد مكان تلك الفقرة : وبإحساني إليك قويت على طاعتي .

(١) في المصدر : الخير مني إليك واصل بما أوليتك .

قوله تعالى : ولم آخذك عند عزّك أي لم أَعْذِّبك عند غفلتك ، بل وعظمتك و
نَبَهتَكَ وحذرتك . وقوله : وهو قوله إلى قوله : من دابة ليس في التوحيد ولا بعد كونه
كلام علي بن إبراهيم .

١٥ - فسي : « والذي قد رفهدي » قال : قدّر الأشياء في التقدير الأوّل ثم هدى
إليها من يشاء . « ص ٧٢١ »

١٦ - ج : روي أنّه سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن القضاء والقدر ، فقال : لاتقولوا :
وكلهم الله إلى أنفسهم فتوهّموه ، لاتقولوا : جبرهم ^(١) على المعاصي فتظلموه ، ولكن
قولوا : الخير بتوفيق الله ، والشرّ بخذلان الله ، وكلّ سابق في علم الله . « ص ١١٠ »

١٧ - قال الرضا عليه السلام : ثمانية أشياء لاتكون إلّا بقضاء الله وقدره : النوم ، و
اليقظة ، والقوّة ، والضعف ، والصحّة ، والمرض ، والموت ، والحياة . ^(٢)

١٨ - و قال النبي صلّى الله عليه وآله : يقول الله عزّ وجلّ : من لم يرض بقضائي ، ولم يشكر
لنعماي ، ولم يصبر على بلاي ، فليتخذ ربّاً سوائيّ . ^(٣)

١٩ - ج : روي عن عليّ بن محمد العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز
في نفي الجبر والتفويض أنّه قال : روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : أنّه سأله رجل بعد
انصرافه من الشام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر ؟ فقال
له أمير المؤمنين : نعم يا شيخ ما علوتم تلة ولا هبطتم بطن واد إلّا بقضاء من الله وقدره ؛
فقال الرجل : عند الله أحتسب عناي والله ما أرى لي من الأجر شيئاً .

فقال عليّ عليه السلام : بلى فقد عظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم ذاهبون ، وعلى
منصرفكم وأنتم مقلبون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ؛ ^(٤) فقال الرجل :
وكيف لانكون مضطرينّ والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا ؟ فقال أمير المؤمنين

(١) في المصدر : اجبرهم . م

(٢) لم نجده في الاحتجاج . م

(٣) لم نجده ايضاً فيه . م

(٤) في المصدر : من حالاتكم مكرهين ولا اليه مضطرين . م

عليه السلام : لعلك أردت قضاءً لازماً وقدرأً حتماً لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، والأمر من الله والنهي ، وما كانت تأتي من الله لائمة لمذنب ، ولا محمداً لمحسن ، ولا كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المذنب ، ولا المذنب أولى بعقوبة الذنب من المحسن ، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان ، و جنود الشيطان ، و خصماء الرحمن ، وشهداء الزور والبهتان ، وأهل العمى ^(١) والطفيان ، هم قدرية هذه الأمة ومجوسها ؛ إن الله تعالى أمر بخيراً ، ونهى تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يرسل الرسل هزلاً ، ولم ينزل القرآن عبثاً ، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . قال ثم تلا عليهم : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » .

قال : فنهض الرجل مسروراً وهو يقول :

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ☆ يوم النشور من الرحمن رضواناً

وساق الأبيات إلى قوله :

أننى يحبّ وقد صحّت عزيمته ؟ ☆ على الذي قال أعلن ذاك إعلاناً

«ص ١٠٩-١١٠»

٢٠ - و روي أن الرجل قال : فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين ؟

قال : الأمر بالطاعة ، والنهي عن المعصية ، والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية ، والمعونة على القربة إليه ، والخذلان لمن عصاه ، والوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا ، أمّا غير ذلك فلا تظننه فإن الظن له محبط للأعمال ، فقال الرجل : فرّجت عني يا أمير المؤمنين فرّج الله عنك «ص ١٠٩»

٢١ - فوائد الكراچكي ، عن المفيد ، عن محمد بن عمر الحافظ ، عن إسحاق بن

جعفر العلوي ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، عن سليمان بن محمد القرشي ، عن السكوني ، عن الصادق عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدّه عليه السلام قال : دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام ؛ إلى آخر الخبرين .

«ص ١٦٩-١٧٠»

٢٢ - عد : اعتقادنا في القضاء والقدر قول الصادق عليه السلام لزراعة حين سأله فقال : ماتقول في القضاء والقدر ؟ قال : أقول : إن الله عز وجل إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد إليهم ، ولم يسألهم عما قضى عليهم ،^(١) والكلام في القدر منهى عنه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل قد سأله عن القدر : فقال : بحر عميق فلا تلجه ، ثم سأله ثانية فقال : طريق مظلم فلا تسلكه ، ثم سأله ثالثة فقال : سر الله فلا تتكلفه .^(٢) « ص ٧١ »

٢٣ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام في القدر : ألا إن القدر سر من سر الله ،^(٣) وحرز من حرز الله مرفوع في حجاب الله ، مطوي عن خلق الله ، محتوم بخاتم الله ، سابق في علم الله ، وضع الله عن العباد علمه ، ورفع فوق شهاداتهم ،^(٤) لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانية ، ولا بقدر الصمدانية ، ولا بعظمة النورانية ، ولا بعزة الوحداية ، لأنه بحر آخر ، موج ، خالص لله عز وجل ، عمقه ما بين السماء والأرض ، عرضه ما بين المشرق والمغرب ، أسود كالليل الدامس ، كثير الحيات والحيتان ، تعلمو مرة وتسفل أخرى ، في قعره شمس تضيء ، لا ينبغي أن يطالع عليها إلا الواحد الفرد ، فمن تطلع عليها فقد ضاد الله في حكمه ، ونازعه في سلطانه ، وكشف عن سره وستره ، وباء بغضب من الله ، وماواه جهنم ، وبش المصير .^(٥) « ص ٧١ »

٢٤ - وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل إلى مكان آخر ، فقيل له : يا أمير المؤمنين تفر من قضاء الله ؟ فقال عليه السلام : أفر من قضاء الله إلى قدر الله .^(٦) وسئل

(١) سيأتي الحديث مسنداً تحت رقم ٣٨ وتقدم مرسل عن زرارة في الباب السابق تحت رقم ١١١ نحوه .

(٢) سيأتي مسنداً تحت رقم ٣٥ .

(٣) في المصدر : سر من سرا لله وستر من ستر الله . م

(٤) في المصدر : ورفع فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم . م

(٥) أورده مسنداً في ص ٣٩٢ من التوحيد ، والسند هكذا : محمد بن موسى المتوكل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان ، عن زياد بن المنذر ، عن ابن طريف ، عن الأصم ، عن أمير المؤمنين عليه السلام . فليراجعه .

(٦) انظر الحديث مسنداً تحت رقم ٤١ .

الصادق عليه السلام عن الرقي هل تدفع من القدر شيئاً؟ فقال : هي من القدر. ^(١) ص ٧١-٧٢.

أقول : قال الشيخ المفيد رحمه الله في شرح هذا الكلام : عمل أبو جعفر في هذا الباب على أحاديث شواذ لها وجوه تعرفها العلماء متى صححت و ثبت أسنادها ، ولم يقل فيه قولاً محصلاً ، وقد كان ينبغي له لما لم يعرف للقضاء معنى أن يحمل الكلام فيه والقضاء معروف في اللغة ، وعليه شواهد من القرآن فالقضاء على أربعة أضراب : أحدها الخلق ، والثاني الأمر ، والثالث الإعلام ، والرابع القضاء بالحكم ؛ فأما شاهد الأول فقوله تعالى : « ففضيبن سبع سموات » ^(٢) وأما الثاني فقوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » ^(٣) وأما الثالث فقوله تعالى : « وقضينا إلى بني إسرائيل » ^(٤) وأما الرابع فقوله : « والله يقضي بالحق » ^(٥) يعني يفصل بالحكم بالحق بين الخلق ، وقوله : « وقضى بينهم بالحق » ^(٦) . وقد قيل : إن للقضاء معنى خامساً وهو الفراغ من الأمر ، واستشهد على ذلك بقول يوسف عليه السلام : « قضى الأمر الذي فيه تستفتيان » ^(٧) يعني فرغ منه ، وهذا يرجع إلى معنى الخلق .

وإذا ثبت ما ذكرناه في أوجه القضاء بطل قول المجبّرة : أن الله تعالى قضى بالمعصية على خلقه لأنّه لا يخلو إمّا أن يكونوا يريدون به أن الله خلق العصيان في خلقه فكان يجب أن يقولوا : قضى في خلقه بالعصيان ، ولا يقولوا قضى عليهم لأنّ الخلق فيهم لا عليهم ، مع أن الله تعالى قد أكذب من زعم أنّه خلق المعاصي بقوله سبحانه : « الذي

(١) تقدم الحديث مسنداً تحت رقم ١ عن كتاب قرب الاسناد ، وأورده الصدوق في ص ٣٩٠ من التوحيد باسناد آخر وهو هكذا : الدقاق ، عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي ، عن موسى بن عمران النخعي ، عن عمه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن علي بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألت عن الرقي أتدفع من القدر شيئاً ؟ فقال : هي من القدر ، وقال عليه السلام : إن القدرية مجوس هذه الأمة ، وهم الذين أرادوا أن يصفوا الله ببدله فأخرجوه من سلطانه ، وفيهم نزلت هذه الآية : « يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنّا كمل شيء خلقناه بقدر » .

(٢) حم السجدة : ١٢ . (٣) اسرى : ٢٣ .

(٤) اسرى : ٤ . (٥) المؤمن : ١٠ .

(٦) الزمر : ٦٩ . (٧) يوسف : ٤١ .

أحسن كل شيء خلقه^(١) كما مرّ؛ ولأوجه لقولهم: قضى المعاصي على معنى أمرها لأنّه تعالى قد أكذب مدّعي ذلك بقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^(٢)، ولا معنى لقول من زعم أنّه قضى بالمعاصي على معنى أنّه أعلم الخلق بها إذ كان الخلق لا يعلمون أنّهم في المستقبل يطيعون أو يعصون، ولا يحيطون علماً بما يكون منهم في المستقبل على التفصيل؛ ولأوجه لقولهم: إنّّه قضى بالذنوب على معنى أنّه حكم بها بين العباد لأنّ أحكام الله تعالى حقّ، والمعاصي منهم، ولذلك فائدة وهو لغو باتفاق فبطل قول من زعم أنّ الله تعالى يقضى بالمعاصي والقبائح.

والوجه عندنا في القضاء والقدر بعد الذي بيّناه أنّ الله تعالى في خلقه قضاءً و قدراً وفي أفعالهم أيضاً قضاءً وقدراً معلوماً، ويكون المراد بذلك أنّه قد قضى في أفعالهم الحسنة بالأمر بها، وفي أفعالهم القبيحة بالنهي عنها، وفي أنفسهم بالخلق لها، وفيما فعله فيهم بالإيجاد له؛ والقدر منه سبحانه فيما فعله إيقاعه في حقّه وموضع، وفي أفعال عباده ما قضاه فيها من الأمر والنهي والثواب والعقاب لأنّ ذلك كلّه واقع موقعه وموضوع في مكانه لم يقع عبثاً ولم يصنع باطلاً.

فاذا فسّر القضاء في أفعال الله تعالى والقدر بما شرحناه زالت الشبهة منه وثبتت الحجّة به ووضح القول فيه لذوي العقول ولم يلحقه فساد ولا اختلال.

فأمّا الأخبار التي رواها في النهي عن الكلام في القضاء والقدر فهي تحتّم وجهين: أحدهما أن يكون النهي خاصّاً بقوم كان كلامهم في ذلك يفسدهم ويضلّهم عن الدين ولا يصلحهم إلّا الإمساك عنه وترك الخوض فيه، ولم يكن النهي عنه عامّاً لكافة المكلفين وقد يصلح بعض الناس بشيء يفسد به آخرون، ويفسد بعضهم بشيء يصلح به آخرون، فدبّر الأئمّة عليهم السلام أشياعهم في الدين بحسب ما علموه من مصالحهم فيه.

والوجه الآخر أن يكون النهي عن الكلام فيهما النهي عن الكلام فيما خلق الله تعالى وعن علله وأسبابه وعمّا أمر به وتعبّد، وعن القول في علل ذلك إذ كان طلب علل الخلق والأمر محظوراً لأنّ الله تعالى سترها من أكثر خلقه ألا ترى أنّه لا يجوز لأحد

أن يطلب لخلقه جميع ما خلق عللاً مفصّلات ، فيقول : لمَ خلق كذا وكذا ؟ حتى يعدّ المخلوقات كلّها ويحصيها ، ولا يجوز أن يقول : لمَ أمر بكذا وتعبّد بكذا ونهى عن كذا ؟ إذ تعبّد به بذلك وأمره لما هو أعلم به من مصالح الخلق ، ولم يطلع أحداً من خلقه على تفصيل ما خلق وأمر به وتعبّد ، وإن كان قد أعلم في الجملة أنّه لم يخلق الخلق عبثاً ، وإنما خلقهم للحكمة والمصلحة ، ودلّ على ذلك بالعقل والسمع ، فقال سبحانه : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لالعين »^(١) وقال : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً »^(٢) وقال : « إنا كلّ شيء خلقناه بقدر »^(٣) يعني بحقّ ، و وضعناه في موضعه ، وقال : « وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون »^(٤) وقال فيما تعبّد : « لن ينال الله لحومها ولادماؤها و لكن يناله التقوى منكم »^(٥)

وقد يصحّ أن يكون تعالى خلق حيواناً بعينه لعلّمه تعالى بأنّه يؤمن عند خلقه كفاراً ، أو توب عند ذلك فساقاً ، أو ينتفع به مؤمنون ، أو يتعظ به ظالمون ، أو ينتفع المخلوق نفسه بذلك ، أو يكون عبرة لواحد في الأرض أو في السماء ، و ذلك يغيب عنا ، و إن قطعنا في الجملة أن جميع ما صنع الله تعالى إنّما صنعه لأغراض حكميّة ، ولم يصنعه عبثاً ، وكذلك يجوز أن يكون تعبّدنا بالصلاة لأنّها تقرّبنا من طاعته و تعبّدنا عن معصيته ، وتكون العبادة بها لطفاً لكافة المتعبّدين بها أو لبعضهم .

فلمّا خفيت هذه الوجوه وكانت مستورة عنا و لم يقع دليل على التفصيل فيها وإن كان العلم بأنّها حكمة في الجملة كان النهي عن الكلام في معنى القضاء والقدر إنّما هو عن طلب علل لها مفصّلة فلم يكن نهيّاً عن الكلام في معنى القضاء والقدر .

هذا إن سلمت الأخبار التي رواها أبو جعفر رحمه الله ، فأما إن بطلت أو اختلف سندها فقد سقط عنا عهدة الكلام فيها ، والحديث الذي رواه عن زرارة حديث صحيح من بين ما روى ، والمعنى فيه ظاهر ليس به على العقلاء خفاء ، وهو مؤيد للقول بالعدل

(٢) المؤمنون : ١١٥ .

(٤) الذاريات : ٥٦ .

(١) الانبياء : ١٦ .

(٣) القمر : ٤٩ .

(٥) الحج : ٣٧ .

ألتري إلى مارواه عن أبي عبد الله عليه السلام من قوله : إذا حشر الله تعالى الخلائق سألمهم عما عهد إليهم ولم يسألهم عما قضى عليهم ^(١) . وقد نطق القرآن بأن الخلق مسؤولون عن أعمالهم انتهى كلامه رحمه الله .

و أقول : من تفكر في الشبه الواردة على اختيار العباد وفروع مسألة الجبر والاختيار والقضاء والقدر علم سرّ نهى المعصوم عن التفكر فيها فإنّه قلّ من أمعن النظر فيها ولم يزلّ قدمه إلّا من عصمه الله بفضلّه .

٢٥ - يد : المفسّر بإسناده إلى أبي محمد العسكري عليه السلام قال : قال الرضا عليه السلام - فيما يصف به الربّ - : لايجوز في قضيتّه ، الخلق إلى ما علم متقادون ، وعليّ ماسطر في كتابه ماضون ، لايعملون خلاف ما علم منهم ، ولاغيره يريدون . الخبر ^(٢) .

٢٦ - يد : في خبر الفتح بن يزيد ، عن أبي الحسن عليه السلام إنّ الله إرادتين ومشيتين : إرادة حتم ، وإرادة عزم ، ينهى وهويشاء ، ويأمر وهولاء ، أو ما رأيت أنّ الله نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك ؛ ولولم يشأ لم يأكلا ، ولوأكلا لغلبت مشيتهما مشيّة الله ، وأمر إبراهيم بذبح ابنه وشاء أن لا يذبحه ، ولولم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشيّة إبراهيم مشيّة الله عزّ وجلّ . «ص ٤٦-٤٧»

أقول : أوردنا الخبر بإسناده وتماحه في باب جوامع التوحيد ، قال الصدوق رحمه الله بعد إيراد هذا الخبر : إنّ الله تعالى نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وقد علم أنّهما يأكلا من الشجرة لكنّه عزّ وجلّ شاء أن لا يحول بينهما وبين الأكل منها بالجبر والقدر ، كما منعهما عن الأكل منها بالنهي والزجر ، فهذا معنى مشيتّه فيهما ، ولو شاء عزّ وجلّ منعهما من الأكل بالجبر ثمّ أكلا منها لكان مشيتهما قد غلبت مشيّة الله كما قال العالم ، تعالى الله عن العجز علوّاً كبيراً .

بيان : قيل : المراد بالمشيّة في تلك الأخبار هو العلم ، وقيل : هي تهية أسباب الفعل بعد إرادة العبد ذلك الفعل ، وقيل : إرادة بالعرض يتعلّق بفعل العبد ، والأصوب

(١) يأتي الحديث مسنداً تحت رقم ٣٨ وفيه : إبراهيم بن هاشم وعلى بن مبد .

(٢) تقدم الحديث بشماحه في باب نفى الجسم والصورة .

أنها عبارة عن منع الألفاظ والهدايات الصارفة عن الفعل والداعية إليه لضرب من المصلحة، أو عقوبة لما صنع العبد بسوء اختياره كما مرّ بيانه^(١).

٢٧- يد : الدقاق ، عن الكليني ، عن ابن عامر ، عن المعلى قال : سئل العالم عليه السلام كيف علم الله ؟ قال : علم وشاء ، وأراد وقدّر ، وقضى وأمضى ؛ فأمضى ما قضى ، وقضى ما قدّر ، وقدّر ما أراد ؛ فبعلمه كانت المشيئة ، وبمشيئته كانت الإرادة ، وبإرادته كان التقدير ، وبتقديره كان القضاء ، وبقضائه كان الإمضاء ، فالعلم متقدّم على المشيئة ، والمشية ثانية ، والإرادة ثالثة ، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء ، فلكه تبارك وتعالى البدء فيما علم متى شاء ، وفيما أراد لتقدير الأشياء ، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء ، فالعلم بالمعلوم قبل كونه ، والمشية في المشاء قبل عينه ، والإرادة في المراد قبل قيامه ، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقياماً^(٢) والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس ، من ذي لون وريح ، ووزن وكيل ، ومادبّ ودرج ، من إنس وجنّ ، وطير وسباع ، وغير ذلك ممّا يدرك بالحواس ، فلكه تبارك وتعالى فيه البدء ممّا لا عين له ، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء ، والله يفعل ما يشاء ، وبالعلم علم الأشياء قبل كونها ، وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها ، وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها وحدودها ، وبالتقدير قدّر أقواتها^(٣) وعرف أولها وآخرها ، وبالقضاء أبان للناس أماكنها وذلّهم عليها ، وبالإمضاء شرح علمها وأبان أمرها ذلك تقدير العزيز العليم . (ص ٢٤٥ - ٢٤٦)

بيان : قوله عليه السلام : قبل تفصيلها وتوصيلها أي في لوح المحو والإنبات ، أو في الخارج . قوله عليه السلام : فإذا وقع العين المفهوم المدرك أي فصل وميّن في اللوح ، أو أوجد في الخارج ، ولعلّ تلك الأمور عبارة عن اختلاف مراتب تقديرها في لوح المحو

(١) ما تضمنه الخبر هي الإرادة التشريعية ، والإرادة التكوينية المتعلقة بأفعال العباد من طريق اختيارهم وإرادتهم ، والذي ذكره المصنف رحمه الله بقوله : والاصوب الخ من لوازم تعلق الإرادة من طريق الاختيار . ط

(٢) في الكافي : عياناً و وقتاً .

(٣) في المصدر : في ألوانها وصفاتها وبالتقدير قدر أوقاتها . م

الإثبات قد جعلها الله من أسباب وجود الشيء، وشرائطه لمصالح، وقد مرّ بيانها في باب البدء، فالمشيئة كتابة وجود زيد وبعض صفاته مثلاً مجعلاً، والإرادة كتابة العزم عليه تبعاً مع كتابة بعض صفاته أيضاً، والتقدير تفصيل بعض صفاته وأحواله لكن مع نوع من الإجمال أيضاً، والقضاء تفصيل جميع الأحوال وهو مقارن للإمضاء أي الفعل والإيجاد، والعلم بجميع تلك الأمور أزلّي قديم، فقوله: وبالمشيئة عرف على صيغة التفعيل، وشرح العلل كناية عن الإيجاد.

وقال بعض الأفاضل: الظاهر من السؤال أنه كيف علم الله؟ أبعلم مستند إلى الحضور العيني في وقته والشهود لموجود عيني؟^(١) أوفي موجود عيني كما في علومنا؟ أبعلم مستند إلى الذات سابق على خلق الأشياء؟ فأجاب عليه السلام بأن العلم سابق على وجود المخلوق بمراتب، فقال: علم وشاء وأراد وقد روقضى وأمضى، فالعلم ما به ينكشف الشيء، والمشيئة ملاحظته بأحوال مرغوب فيها يوجب فينا ميلاً دون المشيئة له سبحانه لتعاليه عن التغير والاتصاف بالصفة الزائدة، والإرادة تحريك الأسباب نحوه بحركة نفسانية فينا بخلاف الإرادة فيه سبحانه، والقدر التحديد وتعيين الحدود والأوقات، والقضاء هو الإيجاب، والإمضاء هو الإيجاد، فوجود الخلق بعد علمه سبحانه بهذه المراتب؛ وقوله: فأمضى ما قضى أي فأوجد ما أوجب، وأوجب ما قدر، وقدّر ما أراد، ثم استأنف البيان على وجه أوضح فقال: بعلمه كانت المشيئة وهي مسبوقه بالعلم، وبمشيئته كانت الإرادة وهي مسبوقه بالمشيئة، وبإرادته كان التقدير والتقدير مسبوق بالإرادة، وبتقديره كان القضاء والإيجاب وهو مسبوق بالتقدير، إذ لا إيجاب إلا للمحدد الموقوف، وبقضائه وإيجابه كان الإمضاء والإيجاد؛ والله تعالى البدء فيما علم متى شاء فإن الدخول في العلم أول مراتب السلوك إلى الوجود العيني، وله البدء فيما علم متى شاء أن يبدو وفيما أراد، وحرك الأسباب نحو تحريكه متى شاء قبل القضاء والإيجاب فإذا وقع القضاء والإيجاب متلبساً بالإمضاء والإيجاد فلا بد، فلم أن في المعلوم العلم قبل كون المعلوم وحصوله في الأذهان والأعيان، وفي المشاء المشيئة قبل عينه وجوده

(١) في بعض النسخ هكذا: أبعلم مستند إلى الحضور العيني في وقته والشهود في وقته بوجود ٢٠

العيني. وفي أكثر النسخ: المنشأ ولعل المراد به الإ نشاء قبل الإظهار، كما في آخر الحديث، وفي المراد الإرادة قبل قيامه والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها وحضورها العيني في أوقاتها، والقضاء بالإمضاء هو المبرم الذي يلزمه وجود المقضي، فبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وأصل العلم غير مرتبط بنحو من الحصول للمعلوم ولو في غيره بصورته المتحدده، ولا يوجب نفس العلم والانكشاف بما هو علم وانكشاف للأشياء إنشائها، وبالمشيئة ومعرفتها بصفاتنا وحدودها أنشائها إنشاءً قبل الإظهار والإدخال في الوجود العيني، وبالإرادة وتحريك الأسباب نحو وجودها العيني ميز بعضها عن بعض بتخصيص تحريك الأسباب نحو وجود بعض دون بعض، وبالتقدير قدرها وعين وحدد أوقاتها وأوقاتها وآجالها، وبالقضاء وإيجابها بموجباتها أظهر للناس أماكنها، ودلهم عليها بدلائلها، فاهتدوا إلى العلم بوجودها حسب ما يوجبها الموجب بعد العلم بالموجب، وبالإمضاء والإيجاد أوضح تفصيل عللها وأبان أمرها بأعيانها.

٢٨ - يد: القطان، عن أحمد الهمداني، عن علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن مروان بن مسلم، عن الثمالي، عن ابن طريف، عن الأصبغ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى داود: يا داود تريد وأريد، ولا يكون إلا ما أريد، إن أسلمت لما أريد أعطيتك ماتريد، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد. «ص ٣٤٩»

٢٩ - يد: أبي، عن سعد، عن ابن أبي الخطاب، عن جعفر بن بشير، عن العرزمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان لعلي عليه السلام غلام اسمه قنبر، وكان يحب علياً عليه السلام حباً شديداً، فاذا خرج علي عليه السلام خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال: يا قنبر مالك؟ قال: جئت لأمشي خلفك فإن الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين فخفت عليك! قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض؟ قال: لا بل من أهل الأرض، قال: إن أهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً إلا بإذن الله عز وجل من السماء، فارجع فرجع. «ص ٣٥٠»

٣٠ - كا: علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام

قال : إن أمير المؤمنين عليه السلام جلس إلى حائط مائل يقضي بين الناس ، فقال بعضهم : لا تقع تحت هذا الحائط فإنه معور ، ^(١) فقال أمير المؤمنين : حرس امرء أجله ، فلما قام سقط الحائط . قال : وكان أمير المؤمنين عليه السلام يفعل هذا وأشباهه وهذا اليقين . « ج ٢ ص ٥٨ »

٣١ - ٣٢ : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الوشاء ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي حمزة ، عن سعيد بن قيس الهمداني قال : نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحركت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع ؟ فقال : نعم يا سعيد بن قيس ، إنه ليس من عبد إلا وله من الله عز وجل حافظ وواقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل ، أو يقع في بحر فإذا نزل القضاء خلبا بينه وبين كل شيء . « ج ٢ ص ٥٨ - ٥٩ »

بيان : يمكن أن يكون هذه الأمور من خصائصهم عليهم السلام ، لعلمهم بعدم تضررهم بهذه الأمور و بوقت موتهم و سببه ، ولذا فرَّ عليه السلام من حائط كماسيأتي ولم يفر من حائط كمار ، لعلمه بسقوط الأول و عدم سقوط الثاني ، ويحتمل أن يكون المقصود من تلك الأخبار عدم المبالغة في الفرار عن البلايا والمصائب ، وعدم ترك الواجبات للتوهمات البعيدة . ^(٢)

ويؤيده ما رواه الصدوق في الخصال عن ابن المتوكل ، عن محمد العطار ، عن محمد بن أحمد بن علي الكوفي ، ومحمد بن الحسين ، عن محمد بن حماد الحارثي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خمسة لا يستجاب لهم : أحدهم رجل مر بحائط مائل وهو يقبل إليه ولم يسرع المشي حتى سقط عليه . الخبر .

(١) أى مخوف لا حافظ له .

(٢) قوله عليه السلام في آخر الرواية الأولى : « وهذا اليقين » الظاهر في المدح والتنظيم ينفي الاحتمال الأول إذ لا فضل لمن لا يتقى مكرهه وعلته بدم وجوده أو عدم تأثيره ، وكذا قوله عليه السلام : حرس امرء أجله يدفع الاحتمال الثاني إذ لا يعتد بالتوهمات البعيدة عند العقلاء فلا حاجة إلى دفعه بأن الاجل حارس . والذي ينبغي أن يقال : أن اليقين بأن الأمر بيد الله لا يدع احتمالاً لتأثير مؤثر غيره حتى يتقى آثار المكروه ومع ذلك فالمادة الجارية بين العقلاء من الإنسان أن يتقى ما يهدد عادة أنكر مكرهها ولن فاز بدوجة اليقين من أولياء الله أن يعمل على طبق يقينه ، وأن يجري على ما يجري عليه العقلاء فكان عليه السلام يتقن في سيرته فتارة هكذا وتارة كذلك . ط

٣٢ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن جعفر بن محمد بن عبد الله ، عن القداح ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليه السلام قال : قيل لعلي عليه السلام : إن رجلاً يتكلم في المشية فقال : ادعه لي ، فقال : فدعي له ، فقال : يا عبد الله خلقك الله لما شاء أولاً شئت ؟ قال : لما شاء ، قال : فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : إذا شاء ، قال : فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : إذا شاء ، قال : فيدخلك حيث يشاء أو حيث شئت ؟ فقال : حيث يشاء ، قال : فقال علي عليه السلام : لو قلت غير هذا لضربت الذي فيه عيناك . « ص ٣٤٨ »

٣٣ - يد : و بهذا الإسناد قال : دخل على أبي عبد الله عليه السلام أو أبي جعفر عليه السلام رجل من أتباع بني أمية ففخفنا عليه ، قلنا له : لوتواريت وقلنا ليس هو ههنا ! قال : بلى ائذنوا له ^(١) فإن رسول الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل عند لسان كل قائل ويد كل باسط ، فهذا القائل لا يستطيع أن يقول إلا ما شاء الله ، وهذا الباسط لا يستطيع أن يبسط يده إلا بما شاء الله فدخل عليه فسأله عن أشياء آمن بها و ذهب . « ص ٣٤٨ »

٣٤ - يد : أبي ، عن علي ، عن أبيه ، عن ابن معبد ، عن درست ، عن الفضيل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : شاء وأراد ولم يحب ولم يرض ، شاء أن لا يكون في ملكه ^(٢) شيء ، إلا بعلمه وأراد مثل ذلك ، ولم يحب أن يقال له : ثالث ثلاثة ، ولم يرض لعباده الكفر . « ص ٣٥٠ »

يد : إن الله تبارك و تعالى قد قضى جميع أعمال العباد وقد رها وجميع ما يكون في العالم من خير وشر ، والقضاء قد يكون بمعنى الإعلام كما قال الله عز وجل : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب » ^(٣) يريد أعلمناهم ، وكما قال الله عز وجل : « وقضينا إليه ذلك الأمر » ^(٤) يريد أخبرناه وأعلمناه ، فلا ينكر أن يكون الله عز وجل يقضي أعمال العباد وسائر ما يكون من خير وشر على هذا المعنى لأن الله عز وجل عالم بها أجمع ، ويصح أن يعلمها عباده ويخبرهم عنها ، وقد يكون القدر أيضاً في معنى

(١) في المصدر : بل ائذنوا له . م

(٢) ليست في المصدر كلمة « في ملكه » كما في الكافي ج ١ ص ١٥١ .

(٤) العجر : ٦٦ .

(٣) اسرى : ٢ .

الكتاب والإخبار كما قال الله عز وجل : «إلا أمرأته قد رناها من الغابرين»^(١) يعني كتبنا وأخبرنا ؛ وقال العجاج :

واعلم بأنّ ذا الجلال قد قدر ✽ في الصحف الأولى التي كان سطر
وقدر معناه كتب ؛ وقد يكون القضاء بمعنى الحكم والإلزام قال الله عز وجل :
« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحساناً »^(٢) يريد حكم بذلك وألزمه
خلقه ، فقد يجوز أن يقال : إن الله عز وجل قد قضى من أعمال العباد على هذا المعنى ما قد
ألزمه عباده وحكم به عليهم وهي الفرائض دون غيرها ، وقد يجوز أيضاً أن يقدّر الله
عز وجل أعمال العباد بأن يبين مقاديرها وأحوالها من حسن وقبح وفرض ونافلة وغير
ذلك ، ويفعل من الأدلة على ذلك ما يعرف به هذه الأحوال لهذه الأفعال فيكون عز وجل
مقدراً لها في الحقيقة ، وليس يقدّر لها ليعرف مقدارها ولكن ليبين لغيره بمن
لا يعرف ذلك حال ما قدره بتقديره إياه ، وهذا أظهر من أن يخفى وأبين من أن يحتاج
إلى الاستشهاد عليه ألا ترى أننا قد نرجع إلى أهل المعرفة بالصناعات في تقديرها لنا فلا
يمنعهم علمهم بمقاديرها من أن يقدّر روهالنا ليبينوا لنا مقاديرها ؟ وإنما أنكرنا أن
يكون الله عز وجل حكم بها على عباده ومنعهم من الانصراف عنها أو أن يكون فعلها و
كونها فأمّا أن يكون عز وجل خلقها خلق تقدير فلا ننكره .

وسمعت بعض أهل العلم يقول : إن القضاء على عشرة أوجه : فأول وجهه منها العلم ،
وهو قول الله عز وجل : «إلا حاجة في نفس يعقوب قضيتها»^(٣) يعني علمها .

والثاني : الإعلام وهو قوله عز وجل : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب »^(٤)
وقوله : « وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء »^(٥) أي أعلمناه .

والوجه الثالث : الحكم وهو قوله عز وجل : « ويقضى ربك بالحق » يعني
يحكم بالحق^(٦) .

(٢) اسرى : ٢٣ .

(٤) اسرى : ٤ .

(١) النمل : ٥٧ .

(٣) يوسف : ٦٨ .

(٥) العنكبوت : ٦٦ .

(٦) في المصدر : وهو قوله عز وجل « والله يقضى بالحق » أي يحكم بالحق ، والرابع القول وهو

قوله عز وجل « وهو يقضى بالحق » أي يقول بالحق . م

والرابع : القول وهو قوله عز وجل : « والله يقضي بالحق »^(١) أي يقول الحق .
والخامس : الحتم وهو قوله عز وجل : « فلما قضينا عليه الموت »^(٢) يعني حتمنا
فهو القضاء الحتم .

والسادس : الأمر وهو قوله عز وجل : « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه »^(٣)
يعني أمر ربك .

والسابع : الخلق وهو قوله عز وجل : « فقضيهن سبع سموات في يومين »^(٤) يعني
خلقهن .

والثامن : الفعل وهو قوله عز وجل : « فاقض ما أنت قاض »^(٥) أي افعل ما
أنت فاعل .

والتاسع : الإتمام وهو قوله عز وجل : « فلما قضى موسى الأجل »^(٦) وقوله
عز وجل حكاية عن موسى : « أيما الأجلين قضيت فلاعدوان عليّ » والله على ما نقول
وكيل ،^(٧) أي أتممت .

والعاشر : الفراغ من الشيء ، وهو قوله عز وجل : « قضى الأمر الذي فيه
تستفتيان »^(٨) يعني فرغ لكما منه ، وقول القائل : « قد قضيت لك حاجتك » يعني فرغت
لك منها فيجوز أن يقال : إن الأشياء كلها بقضاء الله وقدره تبارك وتعالى بمعنى أن الله
عز وجل قد علمها وعلم مقاديرها ، وله عز وجل في جميعها حكم من خير أو شر ، فما كان
من خير فقد قضاه بمعنى أنه أمر به وحتمه وجعله حقاً وعلم مبلغه ومقداره ، وما كان
من شر فلم يأمر به ولم يرضه ، ولكنّه عز وجل قد قضاه وقدّره بمعنى أنه علمه بمقداره
ومبلغه وحكم فيه بحكمه .

والفتنة على عشرة أوجه : فوجه منها الضلال .

- | | |
|-------------------|----------------------|
| (١) المؤمن : ٢٠ . | (٢) سبا : ٣٤ . |
| (٣) اسرى : ٢٣ . | (٤) حم السجدة : ١٢ . |
| (٥) طه : ٧٢ . | (٦) القصص : ٢٨ . |
| (٧) القصص : ٢٨ . | (٨) يوسف : ٤٩ . |

والثاني : الاختبار وهو قوله عز وجل : « وَفْتَنَّاكَ فِتْنَانًا ^(١) » يعني اختبرناك اختباراً ، وقوله عز وجل : « أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ^(٢) » يعني لا يختبرون .

و الثالث : الحجة وهو قوله عز وجل : « ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مِنْكُمْ مِشْرِكِينَ ^(٣) » .

والرابع : الشرك وهو قوله عز وجل : « وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ^(٤) » .
والخامس : الكفر وهو قوله عز وجل : « أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ^(٥) » يعني في الكفر .
والسادس : الإحراق بالنار ، وهو قوله عز وجل : « إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ^(٦) » الآية يعني أحرقوا .

والسابع : العذاب وهو قوله عز وجل : « يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ^(٧) » يعني يعذبون ، وقوله عز وجل : « ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكَذَّبُونَ ^(٨) » يعني عذابكم ، وقوله عز وجل : « وَمَنْ يَرِ اللَّهَ فِتْنَتَهُ » يعني عذابه « فَلَئِنْ تَمَلَّكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ^(٩) » .
والثامن القتل وهو قوله عز وجل : « إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتَنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا ^(١٠) » يعني إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُقْتَلُواكُمْ ، وقوله عز وجل : « فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يُفْتَنَهُمْ ^(١١) » يعني أَنْ يُقْتَلَهُمْ .

والتاسع : الصد وهو قوله تعالى : « وَإِنْ كَادُوا لَيُفْتِنُوكَ عَنْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ^(١٢) » يعني ليصدونك .

والعاشر : شدة المحنة وهو قوله عز وجل : « رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ^(١٣) »

(١) طه : ٤٠ . (٢) العنكبوت : ٢٩ - ٣٠ .

(٣) الانعام : ٢٣ . (٤) البقرة : ١٩١ .

(٥) التوبة : ٥٠ . (٦) المجادلة : ١٠ .

(٧) الحجر : ١٣ . (٨) الحجر : ١٤ .

(٩) المائدة : ٤١ . (١٠) النساء : ١٠١ .

(١١) يونس : ٨٣ . (١٢) (١٣) الممتحنة : ٥ .

(١٢) اسرى : ٧٣ .

وقوله عز وجل : « ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » ^(١) أي عنة فيفتنوا بذلك ، و يقولوا في أنفسهم : لم يقتلهم إلا و دينهم الباطل و ديننا الحق فيكون ذلك داعياً لهم إلى النار على ما هم عليه من الكفر والظلم . وقد زاد علي بن إبراهيم بن هاشم على هذه الوجوه العشرة وجهاً آخر فقال : في الوجوه من الفتنة ما هو المحبة وهو قوله عز وجل : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » ^(٢) أي محبة ، والذي عندي في ذلك أن وجوه الفتنة عشرة ، وأن الفتنة في هذا الموضع أيضاً المحنة بالنون لا المحبة بالباء ، و تصديق ذلك قول النبي ﷺ : « الولد مجهلة مجنبة مبخلة » وقد أخرج هذا الحديث مسنداً في كتاب مقتل الحسين بن علي عليه السلام . ص ٣٩٢ - ٣٩٧ .

بيان : قوله ﷺ : « الولد مجهلة مجنبة مبخلة » : مجهلة أي يحملون آباءهم على الجهل ، مجنبة أي يحملونهم على الجبن . مبخلة أي يحملونهم على البخل .

أقول : هذه الوجوه من القضاء والفتنة المذكورة في تفسير النعماني فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام وقد أثبتناه بإسناده في كتاب القرآن .

٣٥ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمد البرقي ، عن عبد الملك بن عنترة الشيباني ، ^(٣) عن أبيه ، عن جده قال : جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، فقال : بعميق فلا تلجه . فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، قال : طريق مظلم فلا تسلكه . قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، قال : سر الله فلا تتكلفه . قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، قال : فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أما إذا أبيت فإني ساءلك : أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله ؟ قال : فقال له الرجل : بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد ؟ فقال أمير المؤمنين

(١) يونس : ٨٥ .

(٢) التباين : ١٥ .

(٣) عنترة بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح التاء والراء المهملة والهاء ، والظاهر أنه عبد الملك بن هارون بن عنترة الشيباني المترجم في ص ١٦٧ من رجال النجاشي بقوله : عبد الملك بن هارون بن عنترة الشيباني كوفي ، ثقة ، عمن ، روى عن أصحابنا ورواه عنه ، ولم يكن متحققاً بأمرنا إله . و أورد ابن حجر ترجمة جده عنترة في التقریب ، قال : عنترة بن عبد الرحمن الكوفي ثقة من الثانية ، وهم من زعم أن له صحبة ، وهو جد عبد الملك بن هارون بن عنترة الكوفي . أقول : حكى عن رجال البرقي أن جد عبد الملك بن هارون بن عنترة يكون صيفي بن فسيل الذي سيره زياد بن أبيه إلى معاوية مع حجر بن عدى وقتله معاوية مع حجر وأصحابه .

عليه السلام قوموا فسلموا على أخيكم فقد أسلم ، وقد كان كافراً ، قال : وانطلق الرجل غير بعيد ثم أنصرف إليه فقال له : بأمر المؤمنين بألمشية الأولى تقوم وتقع وتقبض وتبسط ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : وإترك لبعيد في المشية ؟ ! أما إنني سأملك عن ثلاث لا يجعل الله لك في شيء منها مخرجاً : أخبرني أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاؤوا ؟ فقال : كما شاء ، قال : فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاؤوا ؟ فقال : لما شاء ، قال : يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا ؟ قال : يأتونه كما شاء ، قال : قم فليس إليك من المشية شيء . (ص ٣٧٤-٣٧٥) بيان : لعل المراد المشية المستقلة التي لا يحتاج معها إلى عون الله وتوفيقه . (١)

٣٦ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل ، عن زرارة ،

(١) كل واحد من أحاد الخلق محدود بعدد يتعين بها في وجوده كالطول والعرض واللون وسائر الاوصاف والروابط التي يرتبط بغيره بواسطتها ككون الانسان ابن فلان وأخا فلان وأباً فلان وفي زمان كذا ومكان كذا وهكذا . وإذا أمعنت النظر في ذلك وجدت أن جميع أسباب وجود الشيء ذوات دخل في حدود وجوده سائر ما يتعلق بوجوده وانها هي التي يتقدر بها الشيء . غير أن كلا من الاسباب أيضاً يتقدر بها يتقدمه من المقدرات ، ولا محالة تنتهي إليه سبحانه فعنده تعالى حقيقة ما يتقدر به كل شيء . ويتحدد به كل أمر .

والاشياء إنما ترتبط به تعالى من جهة صفاته الفعلية التي بها ينعم عليها ويقوم صلبها ويدبر أمرها كالرحمة والرزق والهداية والحياء والحفظ والخلق وغيرها وما يبايلها فله سبحانه من جهة صفات فعله دخل في كل شيء مخلوق وما يتعلق به من أثر وفعل اذ لا معنى لاثبات صفة فيه تعالى متعلقة بالاشياء وهي لا تتعلق بها .

ولذلك فانه عليه السلام سأل الرجل عن تقدم صفة الرحمة على الاعمال ، ولا معنى لتقدمها مع عدم ارتباطها بها وتأثيرها فيها فقد نظم الله الوجود بحيث تجري فيه الرحمة والهداية والثوبة والمنفرة وكذا ما يقابلها ولا يوجب ذلك بطلان الاختيار في الافعال فان تحقق الاختيار نفسه مقدمة من مقدمات تحقق الامر المقدر إذ لولا الاختيار لم يتحقق طاعة ولا معصية فلم يتحقق ثواب ولا عقاب ولا امر ولا نهى ولا يثبت ولا تبليغ . ومن هنا يظهر وجه تمسك الإمام عليه السلام بسبق صفة الرحمة على العمل ثم بيانه عليه السلام أن الله مشية في كل شيء . وأنها لا تلغو ولا تغلب مشية العبد فالفعل لا يخطئ مشيته تعالى ولا يوجب ذلك بطلان تأثير مشية العبد فان مشية العبد إحدى مقدمات تحقق ما تعلقت به مشيته تعالى فان شاء الفعل الذي يوجد به مشية العبد فلا بد لمشية العبد من التحقق والتأثير فانهم ذلك ، وهذه الرواية الشريفة على ارتفاع مكانتها ولطف مضمونها يتضح به جميع ما ورد في الباب من مختلف الروايات ، وكذا الايات المختلفة من غير حاجة الى أخذ بمض وتأويل بعض آخر . ط

عن عبدالله بن سليمان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : إن القضاء والقدر خلقان من خلق الله ، والله يزيد في الخلق ما يشاء . «ص ٣٧٣»

٣٧ - فسر : النضر ، عن هشام ، وعبيد ، عن حران ، عنه عليه السلام مثله . (١)

بيان : خلقان من خلق الله بضم الخاء أي صفتان من صفات الله ، أو بفتحها ، أي هما نوعان من خلق الأشياء وتقديرها في الألواح السماوية ، وله البدء فيها قبل الإيجاد ، فذلك قوله : يزيد في الخلق ما يشاء ؛ أو المعنى أنهما مرتبتان من مراتب خلق الأشياء فإنها تتدرج في الخلق إلى أن تظهر في الوجود العيني .

٣٨ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن هاشم ، عن ابن معبد ، عن درست ، عن ابن أذينة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال ، قلت له : جعلت فداك ما تقول في القضاء والقدر؟ قال : أقول : إن الله تعالى إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد إليهم ، ولم يسألهم عما قضى عليهم . «ص ٣٧٣ - ٣٧٤»

بيان : هذا الخبر يدل على أن القضاء والقدر إنما يكون في غير الأمور التكليفية كالمصائب والأمراض وأمثالها ، فلعل المراد بهما القضاء والقدر الحتميَّان . (٢)

٣٩ - يد : أبي ، عن سعد ، عن الإصبهاني ، عن المنقري ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري قال : قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام : جعلني الله فداك ، أبقدر بصيب الناس ما أصابهم أم بعمل ؟ فقال : إن القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد فالروح بغير جسد لا يحس ، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها ، فإذا اجتمعا قويا وصلحا ، كذلك العمل والقدر فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان

(١) ما وجدناه في تفسير القمي . م

(٢) الرواية تدل على أن التكليف والإحكام أمور اعتبارية غير تكوينية ، ومورد القضاء والقدر بالمعنى الدائر هو التكوينية فأعمال العباد من حيث وجودها الخارجي كسائر الموجودات متعلقات القضاء والقدر ، ومن حيث تعلق الأمر والنهي والاشتغال على الطاعة والمعصية أمور اعتبارية وضعية خارجة عن دائرة القضاء والقدر إلا بالمعنى الآخر الذي بينه أمير المؤمنين عليه السلام للرجل الشامي عند منصرفه من صفين كما في الروايات ومحصله التكليف لمصالح تستدعي ذلك فالقدر في الأعمال ينشأ من المصالح التي تستدعي التكليف الكفائي والقضاء هو الحكم بالوجوب والحرمة مثلاً بامر أو نهى . ط

القدر شيئاً لم يحسّ، ولولم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتم، ولكنهما باجتماعهما قويا، والله فيه العيون^(١) لعباده الصالحين. ثم قال: ألا إن من أجور الناس من رأى جوره عدلاً وعدل المهتدي جوراً، ألا إن للعبد أربعة أئین: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عز وجل بعد خيراً ففتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما العيب، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه. ثم التفت إلى السائل عن القدر فقال: هذا منه هذا منه ص ٣٧٥ - ٣٧٦.

بيان: أي فتح عيني القلب وتركهما من القدر.

٤٠ - يد: القطان، عن ابن زكريا، عن ابن حبيب، عن علي بن زياد، عن مروان بن معاوية، عن الأعمش، عن ابن حبان التيمي^(٢)، عن أبيه - وكان مع علي بن أبي طالب عليه السلام يوم صفين وفيما بعد ذلك - قال بينما علي بن أبي طالب عليه السلام يعبى الكتاب^(٣) يوم صفين، ومعاوية مستقبلة على فرس له يتأكل تحتها كلاً، وعلي عليه السلام على فرس رسول الله صلى الله عليه وآله المرتجز، ويده حربة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو متقلد سيفه ذا الفقار، فقال رجل من أصحابه: احترس يا أمير المؤمنين فإنا نخشى أن يغتالك هذا الملعون! فقال علي عليه السلام: لئن قلت ذلك إنه غير مأمون على دينه، وإنه لأشقى القاسطين، وألعن الخارجين على الأئمة المهتدين، ولكن كفى بالأجل حارساً، ليس أحد من الناس إلا ومعه ملائكة حفظة يحفظونه من أن أن يتردى في بئر^(٤) أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء، فإذا حان أجله^(٥) خلّوا بينه وبين ما يصيبه، فكذلك أنا إذا حان أجلي انبعت

(١) في المصدر: وفيه العيون. م

(٢) لم نجد في كتب التراجم من أصحابنا ترجمته ولا ترجمة أبيه، والظاهر هو يحيى بن سعيد بن حبان، أبو حيان التيمي الكوفي، وأورد ترجمته ابن حجر في ص ٥٤٩ من التقريب قال: ثقة من السادسة مات سنة خمس وأربعين. وأورد ترجمة أبيه في ص ١٨٥ قال: سعيد بن حبان التيمي الكوفي والد يحيى، وثقه العجلي، من الثالثة.

(٣) عبي تسمية الكتاب أي هياها وجهرها. والكتاب جمع الكتابة: القطعة من الجيش.

(٤) أي يحفظونه من أن يسقط في بئر.

(٥) أي قرب أجله.

أشقاها فغضب هذه من هذا - وأشار إلى لحيته ورأسه - عهداً معهوداً ، ووعداً غير مكذوب .
والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة . «ص ٣٧٦»

٤١ - يد : الوراق و ابن مغيرة معاً ، عن سعد ، عن النهدي ، عن ابن علوان ، عن عمرو بن ثابت ، عن ابن طريف ، عن ابن نباتة قال : إن أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل إلى حائط آخر فقيل له يا أمير المؤمنين تفر من قضاء الله ؟ قال : أفر من قضاء الله إلى قدر الله عز وجل . «ص ٣٧٧»

بيان : أي أن الفرار أيضاً من تقديره تعالى ، فلا ينافي كون الأشياء بقضاء الله الفرار من البلايا والسعي في تحصيل ما يجب السعي فيه ، فإن كل ذلك داخل في علمه وقضائه ، ولا ينافي شيء من ذلك اختيار العبد كما مر ، ويحتمل أن يكون المراد بقدر الله هنا حكمه وأمره أي إنما أفر من القضاء بأمره تعالى .

٤٢ - يد : أبي و ابن الوليد معاً ، عن محمد العطار ، و أحمد بن إدريس معاً ، عن الأشعري ، عن ابن هاشم ، عن ابن معبد ، عن ابن أذينة ، عن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : كما أن بادي النعم من الله عز وجل وقد نحلكموه ، كذلك الشر من أنفسكم وإن جرى به قدره . «ص ٣٧٦ - ٣٧٧»

٤٣ - يد : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن الأشعري ، عن يوسف بن الحارث ، عن محمد بن عبد الرحمن العرزمي ، عن أبيه رفعه إلى من قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : قد رآه المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة . «ص ٣٧٧»

٤٤ - فس : محمد بن جعفر ، عن محمد بن أحمد ، عن أحمد بن محمد السيار ، عن فلان ، (١) عن أبي الحسن عليه السلام قال : إن الله جعل قلوب الأئمة مودداً لإرادته فإذا شاء الله شيئاً شأوه ، وهو قوله : «وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين» . «ص ٧١٤»

٤٥ - فس : جعفر بن أحمد ، عن عبد الله بن موسى ، عن ابن البطائني ، (٢) عن أبيه ،

(١) لم نجد ذكره في كتب الرجال ، ويوجد في ج ٢ ص ٨٦ من فروع الكافي في باب الاسماء والكنى رواية ابن مياح عن فلان حميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

(٢) هو الحسن بن علي بن أبي حمزة سالم البطائني ، هو أبوه من الواقعة ، بل أبوه من عندها ضعفهما أصحابنا ، ووردت روايات في ذمهما . وكان على قائد أبي بصير يحيى بن القاسم .

عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : قوله تعالى : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين » قال : لأن المشيئة إليه تبارك وتعالى لا إلى الناس . « ص ٧١٤ »

بيان : لعل المراد أن المشيئة إنما هي مما خلقها الله في العبد وجعله شاعياً فلا يشاؤون إلا بعد أن جعلهم الله بحيث يقدرّون على المشيئة ، أو أن المشيئة المستقلة التي لا يعارضها شيء إنما هي لله تعالى ، وأما مشيئة العباد فهي مشوبة بالعجز يمكن أن يصرفهم الله تعالى عنها إذا شاء ، فهم لا يشاؤون إلا بعد أن يهتسئ الله لهم أسباب الفعل ولم يصرفهم عن مشيئتهم ، فالمعنى أن المشيئة المستقلة إليه تعالى ، أو أن أسباب المشيئة ونفوذها بقدرته تعالى .

و في الآية وجه آخر ذكر في الخبر السابق ، وحاصله أن الله تعالى بعد أن أكمل أوليائه وحججه عليهم السلام لا يشاؤون شيئاً إلا بعد أن يلهمهم الله تعالى ويلقي المشيئة في قلوبهم ، فهو المتصرف في قلوبهم وأبدانهم والمسدد لهم في جميع أحوالهم فلا آية خاصة غير عامة . وقال الطبرسي رحمه الله : فيه أقوال : أحدها أن معناه : وما تشاؤون الاستقامة إلا أن يشاء الله ذلك من قبل حيث خلقكم لها وكلفكم بها ، فمشيئته تعالى بين يدي مشيئتهم .

وثانيها : أنه خطاب للكفار والمراد : لا تشاؤون إلا سلام إلا أن يشاء الله أن يجبركم عليه و يلجئكم إليه ، ولكنه لا يفعل لأنه يريد منكم أن تؤمنوا اختياراً لتستحقوا الثواب .

وثالثها : أن المراد : وما تشاؤون إلا أن يشاء الله أن يلفظ لكم في الاستقامة .^(١)

(١) قال الشيخ في التبيان : أي وليس يشاؤون شيئاً من العمل بطاعته و بما يرضاه و بوصلكم إلى نوابه إلا و الله يشاؤه و يريد ، لأنه يريد من عباده أن يطيعوه ، وليس المراد أن يشاء كل ما يشاؤه العبد من المعاصي و المباحات ، لأن الحكيم لا يجوز أن يريد القبائح و لا المباح ، لأن ذلك صفة نقص و تعالى الله عن ذلك و قد قال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » و المعصية و الكفر من أعظم العسر ، فكيف يكون الله تعالى شائئاً له ؟ و هل ذلك إلتناقض ظاهر ؟ انتهى . *

٤٦ - فسي : قال علي بن إبراهيم : وأما الردّ على المعتزلة فإن الردّ من القرآن عليهم كثير ، و ذلك أن المعتزلة قالوا : نحن نخلق أفعالنا وليس لله فيها صنع ولا مشيئة ولا إرادة ويكون ما شاء إبليس ، ولا يكون ما شاء الله ، واحتجّوا أنهم خالقون بقول الله تعالى : « تبارك الله أحسن الخالقين » فقالوا : في الخلق خالقون غير الله ، فلم يعرفوا معنى الخلق و على كم وجه هو ، فسئل الصادق عليه السلام : أفوض الله إلى العباد أمراً ؟ فقال : الله أجلّ وأعظم من ذلك ، فقيل : فأجبرهم على ذلك ؟ فقال : الله أعدل من أن يجبرهم على فعل ثمّ يعذبهم عليه ، فقيل له : هل بين هاتين المنزلتين منزلة ؟ قال : نعم ما بين السماء والأرض .^(١)

٤٧ - وفي حديث آخر قال : سئل هل بين الجبر والقدر منزلة ؟ قال : نعم ، فقيل ماهو ؟ فقال : سرّ من أسرار الله .

٤٨ - وفي حديث آخر قال : هكذا خرج إلينا .^(٢)

٤٩ - قال : و حدّثني محمد بن عيسى بن عبيد ، عن يونس قال : قال الرضا عليه السلام : يا يونس لا تغفل بقول القدرية فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة ، ولا بقول أهل

• أقول النظر في الآية وسابقتها وهي قوله تعالى : « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً » ولا حقتها وهي قوله تعالى : « إن الله كان عليماً حكيماً يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعدلهم عذاباً أليماً » يعطى المراد ويفيد المغزى ، وهو أن الله تعالى أثبت لهم المشيئة وأثبت أن وقوع مشاهمها ما يكون في صورة مشيئته ، فلو كان أراد ذلك حقيقة لم يكن لاستناد الظلم إليهم معنى ، لأنهم كانوا فيما ظللوا كارهين غير مختارين ، بل كان استناد ذلك إليه تعالى أقوى و أولى ، كما أن الآيات أيضاً لم تكن لهم تذكرة في مشيئتهم اتخاذ السبيل ، بل لم يكن لنسبة الحكمة إلى ذاته أيضاً معنى محصل ، لأن فعل القبايح والظلم واجبار العبد عليها والعقاب بهما مع ذلك ينافي الحكمة ، فالظاهر غير مراد ، بل المراد بيان أن لتوفيقه وتأييده أيضاً دخلاً في أفعالهم ، بحيث لو تركهم وأنفسهم ولم يؤيدهم ويسددهم لكانت أنفسهم تدخلونهم مداخل السوء وتخرجونهم عن الصراط السوى وطريق المعروف .

(١) تقدم ما في معناه مسنداً تحت رقم ٨٢ و ٨٣ في الباب السابق .

(٢) لعله الخبر الآتي تحت رقم ٦٦ .

النار ، ولا يقول إبليس فإنَّ أهل الجنة قالوا : « الحمد لله الَّذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » ولم يقولوا يقول أهل النار ، فإنَّ أهل النار قالوا : « ربنا غلبت علينا شقوتنا » و قال إبليس : « ربِّ بما أغويتني » فقلت يا سيدي : والله ما أقول بقولهم ولكني أقول : لا يكون إلَّا ما شاء الله وقضى وقدر ، ^(١) فقال : ليس هكذا يا يونس ولكن لا يكون إلَّا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى ، أتدري ما المشيئة يا يونس ؟ قلت : لا ، قال : هو الذكر الأوَّل : وتدري ما الإرادة ؟ قلت : لا ، قال : العزيمة على ما شاء ؛ وتدري ما التقدير ؟ قلت : لا ، قال : هو وضع الحدود من الآجال والأرزاق والبقاء و الفناء ؛ ^(٢) وتدري ما القضاء ؟ قلت : لا ، قال : هو إقامة العین ، ^(٣) ولا يكون إلَّا ما شاء الله في الذكر الأوَّل . ص ٢١-٢٢ .

بيان : الظاهر أنَّ المراد بالقدرية هنا من يقول : إنَّ أفعال العباد و وجودها ليست بقدره الله وبقدره ، بل باستقلال إرادة العبد به واستواء نسبة الإرادتين إليه ، و صدور أحدهما عنه لا بموجب غير الإرادة ، كما ذهب إليه بعض المعتزلة . لا يقول بقول أهل الجنة من إسناد هدايتهم إليه سبحانه ، ولا يقول أهل النار من إسناد ضلالتهم إلى شقوتهم ، ولا يقول إبليس من إسناد الإغواء إليه سبحانه ، والفرق بين كلامه عليه السلام وكلام يونس إنما هو في الترتيب ، فإنَّ في كلامه عليه السلام التقدير مقدَّم على القضاء كما هو الواقع ، وفي كلام يونس بالعكس ، والذكر هو الكتابة مجملًا في لوح المحو والإثبات ، أو العلم القديم .

٥٠ - ثو : علي بن أحمد ، عن محمد بن جعفر ، عن محمد بن أبي القاسم ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن علي بن موسى البصري ، عن سليمان بن عيسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ،

(١) في الكافي عن علي بن إبراهيم « إلا ما شاء الله أراداد وقضى وقدر » . م .

(٢) في الكافي : قال هو الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء .

(٣) في الكافي : قال : والقضاء هو الأبرام وإقامة العین . أقول : إقامة العین أى إقامته في الإعيان والوجود الغاربي ، وهو في أعماله بمعنى الخلق والإيجاد على وفق الحكمة ، وفي أفعالنا ترتب الثواب والعقاب عليها على وجه الجزاء . وقال النصف : إقامة العین أى إيجاده ، وفي أفعال العباد إقدار العبد وتمكينه ورفع الموانع عنه انتهى . وبأتم الحديث بإسناد آخر مع تفاوت في ألفاظه تحت رقم ٦٩ .

عن الحارث ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : إن أرواح القدرية يعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا حتى تقوم الساعة ، فإذا قامت الساعة عذبوا مع أهل النار بألوان العذاب ، فيقولون : ياربنا عذبنا خاصةً وتعذبنا عامةً فردد عليهم « ذوقوا من سقر إننا كل شيء خلقناه بقدر » . « ص ٢٠٤ »

بيان : قال الطبرسي رحمه الله : أي خلقنا كل شيء خلقناه مقدراً بمقدار توجبه الحكمة لم نخلقه جزافاً ، فخلقنا العذاب أيضاً على قدر الاستحقاق ، وكذلك كل شيء خلقناه في الدنيا والآخرة خلقناه مقدراً بمقدار معلوم . وقيل : معناه خلقنا كل شيء على قدر معلوم ، فخلقنا اللسان للكلام ، واليد للبش ، والرجل للمشي ، والعين للنظر ، والأذن للسمع ، والمعدة للطعام ، ولوزاد أوتقص عما قدرنا ملاتهم الغرض . وقيل : معناه : جعلنا لكل شيء شكلاً يوافق به ويصلح له ، كالمراة للرجل ، والأثان للحمار ، و ثياب الرجال للرجال ، وثياب النساء للنساء . وقيل : خلقنا كل شيء بقدر مقدّر وقضاء محتوم في اللوح المحفوظ .

٥١ - ثو : علي بن أحمد ، عن محمد بن جعفر ، عن محمد بن أبي بشر ، عن محمد بن عيسى الدامغاني ، عن محمد بن خالد البرقي ، عن يونس ، عن حماد بن عيسى ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما أنزل الله هذه الآيات إلا في القدرية : « إن المجرمين في ضلال وسعي يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا من سقر إننا كل شيء خلقناه بقدر » . « ص ٢٠٤ »

٥٢ - ثو : علي بن أحمد ، عن محمد بن جعفر ، عن مسلمة بن عبد الملك ، عن داود ابن سليمان ، عن الرضا ، عن آباءه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة ، والقدرية . « ص ٢٠٤ »

٥٣ - ثو : العطار ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الأهوازي ، عن صفوان ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : يحشر المكذبون بقدر الله من قبورهم قد مسخوا قردة وخنائير . « ص ٢٠٥ »

٥٤ - ثو : ابن المتوكل ، عن الحميري ، عن ابن أبي الخطاب ، عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن زرارة و محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : نزلت هذه الآية

في القدرية : « ذوقوا من ستر إننا كل شيء خلقناه بقدر » . « ص ٢٠٥ »
 ٥٥ - شي : عن زرارة وحران و محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام
 في قوله : « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه » قال : قدره الذي قدره عليه .
 ٥٦ - وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : خيره وشره معه ، حيث
 كان لا يستطيع فراقه حتى يعطى كتابه يوم القيامة بماعمل .

بيان : قال الطبرسي رحمه الله : معناه ألزمتنا كل إنسان عمله من خير أو شر في
 عنقه ، أي جعلناه كالطوق في عنقه لا يفارقه . وقيل : طائره يمنه وشؤمه وهو ما يتطير به .
 وقيل : طائره حظّه من الخير والشر ؛ وخصّ العنق لأنه محلّ الطوق الذي يزين المحسن ،
 والغلّ الذي يشين المسيء ، وقيل : طائره كتابه . وقيل : معناه : جعلنا لكل إنسان دليلاً
 من نفسه لأن الطائر يستدلّ به عندهم على الأمور الكائنة ، فيكون معناه : كل إنسان دليل
 نفسه وشاهد عليها ، إن كان محسناً فطائره ميمون ، وإن أساء فطائره مشوم .^(١)

٥٧ - ثو : ابن المتوكل ، عن محمد بن جعفر ، عن النخعي ، عن النوفلي ، عن
 السكوني ، عن الصادق ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم قال : بجاء بأصحاب
 البدع يوم القيامة فترى القدرية من بينهم كالشامة البيضاء في الثور الأسود فيقول الله
 عز وجل : ما أردتم ؟ فيقولون : أردنا وجهك ، فيقول : قد أفلتكم عثراتكم و غفرت
 لكم ذلاتكم إلا القدرية فإتّهم دخلوا في الشرك من حيث لا يعلمون . « ص ٢٠٥ »

(١) قال السيد الرضى فى مجازات القرآن : وهذه استعارة والمراد بالطائر ههنا - والله أعلم -
 ما يعمل الإنسان من خير وشر ، ونفع وضر ، وذلك مأخوذ من زجر الطائر على مذهب العرب ،
 لأنهم يتركون الطائر المعترض من ذات اليمين ، ويتشائمون بالطائر المعترض من ذات الشمال ،
 ومعنى ذلك أنه سبحانه يجعل عمل الإنسان من الخير والشر كالطوق فى عنقه بالزمام إياه والحكم
 عليه به ، وقال بعضهم : معنى ذلك إنا جعلنا لكل إنسان دليلاً من نفسه على ما ينهيه له وهدينه إليه
 والعرب تقيم العنق والرقبة مقام نفس الإنسان وجملته ، فتقول : لى فى رقبة فلان دم ، لى فى رقبته
 دين أى عنده ، وفلان قد اعتق رقبة إذا اعتق عبداً أو أمة ، ويقول الداعى فى دعائه : اللهم أعتق رقبتي من
 النار ، وليس يريد العنق المخصوص وإنما يريد الذات والجملته ، وجعل سبحانه الطائر مكان الدليل
 التى يستدل به على استحقاق الثواب والمقاب على عادة العرب التى ذكرناها فى التبرك بالسانح
 والنشائم بالبارح .

بيان : المراد بأصحاب البدع من لم ينته به بدعته إلى الكفر فضلكوا من حيث لا يعلمون .

٥٨ - ثو : بهذا الإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون : لا قدر . «ص ٢٠٦»

٥٩ - ثو : بهذا الإسناد قال : دخل مجاهد مولى عبد الله بن عباس على علي عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ما تقول في كلام أهل القدر ؟ - ومعه جماعة من الناس - فقال أمير المؤمنين عليه السلام : معك أحد منهم أو في البيت أحد منهم ؟ قال : ما تصنع بهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : أستتيبهم فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم . «ص ٢٠٥»

٦٠ - ثو : بالإسناد المتقدم عن السكوني ، عن مروان بن شجاع ، عن سالم الأبطس ، عن سعيد بن جبير قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإيمان . ^(١) «ص ٢٠٥»

٦١ - ثو : ابن المتوكل ، عن محمد بن جعفر ، عن أحمد بن محمد العاصمي ، عن علي بن عاصم ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن يحيى بن سالم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ما الليل بالليل ولا النهار بالنهار أشبه من المرجئة باليهودية ، ولا من القدرية بالنصرية . «ص ٢٠٥ - ٢٠٦»

٦٢ - ير : أحمد بن محمد ، عن بعض أصحابنا ، عن جميل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألت عن القضاء والقدر ، فقال : هما خلقان من خلق الله والله يزيد في الخلق ما يشاء ، و أردت أن أسأله في المشية فنظر إلي فقال : يا جميل لا أجيبك في المشية . ^(٢)

٦٣ - سن : أبي ، عن إسماعيل بن إبراهيم ، وابن أبي عمير ، عن ابن بكير ، عن زرارة ، عن حران قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً» فقال : كان شيئاً ولم يكن مذكوراً ، قلت : فقوله :

(١) في نسخة : الإسلام .

(٢) روى الحديث في مختصر بصائر الدرجات «ص ١٣٤» بإسناد آخر عن جميل عن زرارة

عن عبد الله بن سليمان ، عن أبي عبد الله عليه السلام . م

« أولم ير الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » قال : لم يكن شيئاً في كتاب ولا علم . (ج ١ ص ٢٤٣)

بيان : ولا علم أي علم أحد من المخلوقين ، والخلق في هذه الآية يحتمل التقدير والإيجاد . قوله عليه السلام : كان شيئاً أي مقدراً ، كما روى الكليني عن مالك الجهنى مكان « شيئاً » مقدراً .^(١) غير مذكور أي عند الخلق أي غير موجود ليذكر عند الخلق ، أو كان مقدراً في اللوح لكن لم يوح أمره إلى أحد من الخلق .

٦٤ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله إذا أراد شيئاً قدره ، فإذا قدره قضاه ، فإذا قضاه أمضاه . (ص ٢٤٣-٢٤٤)

٦٥ - سن : أبي ، عن فضالة ، عن محمد بن عمار ، عن حريز بن عبد الله ، أو عبد الله بن مسكان قال : قال أبو جعفر عليه السلام لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبعة : بمشيئة ، وإرادة ، وقدر ، وقضاء ، وإذن ، وكتاب ، وأجل ؛ فمن زعم أنه يقدر على نقص واحدة منهن فقد كفر . (ص ٢٤٤)

٦٦ - سن : النضر ، عن هشام ، وعبيد بن زرارة ، عن حمran ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال :^(٢) كنت أنا والطيار جالسين فجاء أبو بصير فأفرجنا له فجلس بيني وبين الطيار ، فقال : في أي شيء أنتم ؟ قلنا : كنا في الإرادة والمشيئة والمحبة ، فقال أبو بصير : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : شاء لهم الكفر وأراد ؟ فقال : نعم ، قلت : فأحب ذلك ورضيه ؟ فقال : لا ، قلت : شاء وأراد ما لم يحب ولم يرض ؟ قال : هكذا خرج إلينا .^(٣) (ص ٢٤٥)

(١) أقول : أورده في كتابه الكافي في باب البدها باستاده عن أحمد بن مهران ، عن عبد العظيم الحسني ، عن علي بن أسباط ، عن ابن مسكان ، عن مالك الجهنى قال سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى : « أولم ير الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » قال : فقال : لا مقدراً ولا مكوناً . قال : وسئلته عن قوله : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » فقال : كان مقدراً غير مذكور .

(٢) الظاهر أن ضمير « قال » يرجع إلى حمran ، وأن لفظة « عن أبي عبد الله عليه السلام » زائدة من النسخ .

(٣) في المصدر : هكذا أخرج إلينا . م

٦٧ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : المشيئة محدثة . ص ٢٤٥

٦٨ - سن : أبي ، عن يونس ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت : لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى ^(١) ، قلت : فمما معنى شاء ؟ قال : ابتداء الفعل ، قلت : فما معنى أراد ؟ قال : الثبوت عليه ، قلت : فما معنى قدّر ؟ قال : تقدير الشيء من طوله و عرضه ، قلت : فمما معنى قضى ؟ قال : إذا قضى أمضاء فذلك الذي لا مرد له . ص ٢٤٤

بيان : ابتداء الفعل أي أول الكتابة في اللوح ، أو أول ما يحصل من جانب الفاعل ويصدر عنه مما يؤدي إلى وجود المعلول .

٦٩ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن إسحاق قال : قال أبو الحسن عليه السلام ليونس مولى علي بن يقطين : يا يونس لا تتكلم بالقدر ، قال : إنني لا أتكلم بالقدر ولكن أقول : لا يكون إلا ما أراد الله وشاء وقضى وقدّر ، فقال : ليس هكذا أقول ، ولكن أقول : لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى ؛ ثم قال : أتدري ما المشيئة ؟ فقال : لا ، فقال : همته بالشيء ؛ أتدري ما أراد ؟ قال : لا ، قال : إتمامه على المشيئة ، فقال : أتدري ما قدّر ؟ قال : لا ، قال : هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء . ثم قال : إن الله إذا شاء شيئاً أراحه ، وإذا أراد قدره ، وإذا قضاه قضاه ، وإذا قضاه أمضاء ؛ يا يونس إن القدرية لم يقولوا بقول الله : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله » ولا قالوا بقول أهل الجنة : « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » ولا قالوا بقول أهل النار : « ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين » ولا قالوا بقول إبليس : « رب بما أغويتني » ولا قالوا بقول نوح : « ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون » . ثم قال : قال الله : يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء ، وبقوتي أديت إلي قرائضي ، وبنعمتي قويت على معصيتي ، وجعلتك سميعاً بصيراً قوياً ، فما أصابك من حسنة فمنتني ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وذلك إنني لأسأل عمّا أفعّل وهم يسألون ، ثم قال : قد نظمت لك كل شيء تريده .

ص ٢٤٤ - ٢٤٥

(١) في المصدر : واراد وقضى ، فقال : لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى ، قال : قلت اه . م

٧٠ - ضا : سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن القدر قال : فقيل له : أنبتنا عن القدر يا أمير المؤمنين ؟ فقال : سر الله فلا تفتشوه . فقيل له الثاني : أنبتنا عن القدر يا أمير المؤمنين ، قال : بحر عميق فلا تلحقوه ،^(١) فقيل له : أنبتنا عن القدر ، فقال : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل لها »^(٢) فقال : يا أمير المؤمنين إنما سألناك عن الاستطاعة التي بها تقوم ونقعد ، فقال : استطاعة تملك مع الله أم دون الله ؟ قال : فسكت القوم ولم يحروا جواباً ، فقال عليه السلام : إن قلتكم : إنكم تملكونها مع الله قتلتمكم ، وإن قلتكم : دون الله قتلتمكم ! فقالوا : كيف نقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : تملكونها بالذي يملكها دونكم^(٣) فإن أمدكم بها كان ذلك من عطائه ، وإن سلبها كان ذلك من بلائه ، إنما هو المالك لما ملككم ، والقادر لما عليه أقدركم ، أما تسمعون ما يقول العباد ويسألونه الحول والقوة حيث يقولون : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فسئل عن تأويلها فقال : لا حول عن معصيته إلا ببعصته ، ولا قوة على طاعته إلا بوعونه .

٧١ . قال العالم كتب الحسن بن أبي الحسن البصري إلى الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما يسأله عن القدر ، وكتب إليه : فاتبع ما شرحت لك في القدر مما أفضي إلينا أهل البيت فإنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر ، ومن حمل المعاصي على الله عز وجل فقد افترى على الله افتراءً عظيماً ، إن الله تبارك وتعالى لا يطاع باكرام ، ولا يعصى بغلبة ، ولا يهمل العباد في الهلكة ، لكنه المالك لما ملكهم ، والقادر لما عليه أقدرهم ، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن الله صاداً عنها مبطلاً ، وإن ائتمروا بالمعصية

(١) في نسخة : فلا تلجوه . وفي فقه الرضا المطبوع هنا زيادة وهي قوله : فقيل له الثالث : أنبتنا عن القدر يا أمير المؤمنين ، فقال : طريق موعج فلا تسلكوه ، ثم قيل له الرابع : أنبتنا إله .
(٢) الآية تدل على سبق وجود الرحمة على إبتائهما وإفاضتها فإن الفتح نوع كشف وإظهار يحتاج إلى وجود المكشوف عنه وسبقه على الكشف فتدل على تقدم الرحمة الإلهية على أعمال العباد التي تفتح لهم الرحمة فيها وبها ، وحينئذ يعود مضمون الكلام إلى ما تقدم في الخبر الذي تحت رقم ٣٥ عن أمير المؤمنين عليه السلام فراجع . ط .

(٣) في المطبوع هكذا : تملكونها بالذي يملككم يملكها دونكم .

فشاء أن يمنَّ عليهم فيحول بينهم وبين ما ائتمروا به فعل ، وإن لم يفعل فليس هو حالم عليها قسراً ، ولا كلفهم جبراً ، بل بتمكينه إياهم بعد إعذاره وإنذاره لهم واحتجاجة عليهم طوقهم ومكنهم ، وجعل لهم السبيل إلى أخذ ما إليه دعاهم ، وترك مانعه ناهم ، جعلهم مستطيعين لأخذ ما أمرهم به من شيء غير آخذيه ، ولترك ما ناهم عنه من شيء غير تاركه ، والحمد لله الذي جعل عباده أقوياء لما أمرهم به ، ينالون بتلك القوة وما ناهم عنه ، وجعل العذر لمن يجعل له السبيل ، حمداً متقبلاً^(١) فأنا على ذلك أذهب وبه أقول ، والله وأنا وأصحابي أيضاً عليه ، وله الحمد .

٧٢ - نهج : قال عليه السلام : - وقد سئل عن القدر - طريق مظلم فلا تسلكوه ، و بحر عميق فلا تلجؤوه ، وسر الله فلا تنكلفوه .

٧٣ - ضا : سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن مشيئة الله وإرادته ، فقال عليه السلام : إن لله مشيئتين : مشيئة حتم ، ومشيئة عزم ، وكذلك إن لله إرادتين : إرادة حتم ، وإرادة عزم ، إرادة حتم لا تخطئ ، وإرادة عزم تخطئ ، وتصيب ، وله مشيئتان : مشيئة يشاء ، ومشيئة لا يشاء ؛ ينهى وهو يشاء ، ويأمر وهو لا يشاء ، معناه أراد من العباد وشاء^(٢) ولم يرد المعصية وشاء ، وكل شيء بقضائه وقدره ، والأمر تجري ما بينهما ، فإذا أخطأ القضاء لم يخطئ القدر ، وإذا لم يخطئ القدر لم يخطئ القضاء ، وإنما الخلق من القضاء إلى القدر^(٣) وإذا يخطئ ومن القدر إلى القضاء ؛ والقضاء على أربعة أوجه في كتاب الله جل وعز الناطق على لسان سفيره الصادق عليه السلام : منها قضاء الخلق وهو قوله تعالى : « فقضينهم سبع سموات في يومين » معناه خلقهن .

(١) إلى هنا أنهى الحديث في فقه الرضا المطبوع وليست فيه جملة « فأنا على ذلك » إلى قوله : « وله الحمد » بل أثبت الجملة عقيب قوله : « وعظم شأنه » في الخبر الاتي تحت رقم ٧٤ .

(٢) في فقه الرضا المطبوع : أراد البداة وشاء .

(٣) في فقه الرضا المطبوع : فإذا اضطر القضاء لم يخطئ القدر ، وإذا لم يخطئ القدر لم يخطئ القضاء ، وإنما الخلق من القضاء إلى القدر ، فإذا أخطأ القدر لم يخطئ القضاء ، وإنما الخلق من القدر إلى القضاء ، وللقضاء أربعة أوجه اه .

والثاني قضاء الحكم وهو قوله : « وقضى بينهم بالحق » معناه حكم .
والثالث قضاء الأمر وهو قوله : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » معناه أمر ربك .

والرابع قضاء العلم وهو قوله : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين » معناه علمنا من بني إسرائيل ، قد شاء الله من عباده المعصية وما أراد وشاء الطاعة وأراد منهم لأن المشيئة مشيئة الأمر ومشية العلم ، وإرادته إرادة الرضا وإرادة الأمر ، أمر بالطاعة ورضي بها ، و شاء المعصية يعني علم من عباده المعصية ولم يأمرهم بها ، فهذا من عدل الله تبارك وتعالى في عباده جل جلاله وعظم شأنه .
أقول : كانت النسخة سقيمة فأوردناه كما وجدناه .

قوله عليه السلام : إذا أخطأ القضاء يمكن أن يقرأ بغير همز : والمعنى إذا جاوز أمر من الأمور التي شرع في تهية أسباب وجوده القضاء ولم يصير مقضياً فلا يتجاوز عن القدر ، ولا محالة يدخل في التقدير ، وإنما يكون البدء بعد التقدير . وإذا لم يخطأ من المضاعف بمعنى الكتابة أي إذا لم يكتب شيء في لوح القدر لا يكتب في لوح القضاء إذ هو بعد القدر . وإنما الخلق من القضاء أي إذا لوحظت علل الخلق والإيجاد ففي الترتيب الصعودي يتجاوز من القضاء إلى القدر ، و التخطي و البدء ، إنما يكون بعد القدر قبل القضاء ، والأظهر أنه كان وإذا أخطأ القدر مكان « وإذا لم يخطأ القدر » و يكون من الخطأ لامن الخطأ ، فالمعنى أن كل ما يوجد من الأمور إما موافق للوح القضاء ، وإل للوح القدر على سبيل منع الخلو ، فإذا وقع البدء في أمر ولم يقع على ما أُنبت في القدر يكون موافقاً للقضاء ، ولعلّ ظاهر هذا الخبر تقدم القضاء على القدر ، ويحتمل أن يكون القضاء في الأولى بمعنى الأمر ، و في الثانية بمعنى الحتم فيستقيم ما في الرواية من النفي .

٧٤ - شا : روى الحسن بن أبي الحسن البصري قال : جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام بعد انصرافه من حرب صفين فقال له : يا أمير المؤمنين خبرني عما كان بيننا وبين هؤلاء القوم من الحرب أكان بقضاء من الله وقدر ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ما

علوتم تلمعة ولاهبطتم وادياً إلا والله فيه قضاء وقدر ، فقال الرجل : فعند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين ، فقال له : ولم ؟ قال : إذا كان القضاء والقدر ساقنا إلى العمل فما الثواب لنا على الطاعة ؟ وما وجه العقاب على المعصية ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أو ظننت يا رجل أنه قضاء حتم وقدر لازم لا تظن ذلك فإن القول به مقالة عبدة الأوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وقدرية هذه الأمة ومجوسها ، إن الله جل جلاله أمر تخييراً ونهى تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، فقال الرجل فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين ؟ قال : الأمر بالطاعة ، والنهي عن المعصية ، والتمكين من فعل الحسنة وترك السيئة ، والمعونة على القربة إليه ، والخذلان لمن عصاه ، والوعد والوعيد والترغيب والترهيب ، كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا ، فأما غير ذلك فلا تظنه فإن الظن له محبط للأعمال . فقال الرجل : فرجبت عنّي يا أمير المؤمنين فرج الله عنك ، وأنشأ يقول : أنت الإمام الذي نرجو بطاعته إلى آخر البيت .^(١)

٧٥ - الدرّة الباهرة : قال الرضا عليه السلام : المشيئة الاهتمام بالشيء ، والإرادة إتمام ذلك الشيء .

٧٦ - نهج : قال عليه السلام : - وقد سئل عن القدر - طريق مظلم فلا تسلكوه ، وبحر عميق فلا تلجؤوه ، وسر الله فلا تتكلفوه .

٧٧ - وقال عليه السلام : يغلب المقدار على التقدير حتى تكون الآفة في التدبير .
بيان : المقدار : القدر .

٧٨ - نهج : من كلامه عليه السلام للشامي لما سأله : أكان مسيره إلى الشام بقضاء من الله وقدره ؟ - بعد كلام طويل مختاره - : ويحك لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدرًا حاتماً ، ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، و كلف يسيراً ، ونم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل

كثيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً ، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً ، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ، ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار .

٧٩ - شى : عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من زعم أن الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله ، و من زعم أن الخير والشرّ بغير مشيئته فقد أخرج الله من سلطانه ، ومن زعم أن المعاصي عملت بغير قوة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله الله النار .

تتميم : قال العلامة رحمه الله في شرحه على التجرید : يطلق القضاء على الخلق والایتمام قال الله تعالى : «فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ»^(١) أي خلقهنّ وأتمهنّ . وعلى الحكم والإيجاب كقوله تعالى : «وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَاقُوه»^(٢) أي أوجب وألزم . وعلى الإیلام والإخبار كقوله تعالى : «وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ»^(٣) أي أعلمناهم وأخبرناهم . ويطلق القدر على الخلق كقوله تعالى : «فَقَدَرْنَا فِيهَا أَقْوَانَهَا»^(٤) والكتابة كقول الشاعر :

واعلم بأنّ ذالجلال قد قدر ✽ في الصحف الأولى التي كان سطر
والبيان كقوله تعالى : «إِلَّا أَمْرًا تَقْدَرُهَا مِنَ الْغَابِرِينَ»^(٥) أي بيئنا وأخبرنا
بذلك ، إذا ظهر هذا فنقول للأشعريّ : ما تعني بقولك : إنّ الله تعالى قضى أعمال العباد
وقدّرها ؟ إن أردت به الخلق والإيجاد فقد بيئنا بطلانه ، وأنّ الأفعال مستندة إلينا ،
وإن عني به الإلزام لم يصحّ إلّا في الواجب خاصّة ، وإن عني به أنّه تعالى بيئنا و
كتبها و علم أنّهم سيفعلونها فهو صحيح ، لأنّه تعالى قد كتب ذلك أجمع في اللوح
المحفوظ وبيئنا ملائكته ، وهذا المعنى الأخير هو المتعين للإجماع على وجوب الرضا
بقضاء الله تعالى وقدره ، ولا يجوز الرضا بالكفر وغيره من القبائح ، ولا ينفعهم الاعتذار

(٢) اسرى : ٢٣ .

(١) فصلت : ١٢ .

(٤) فصلت : ١١ .

(٣) اسرى : ٤ .

(٥) النمل : ٥٧ .

بوجوب الرضا به من حيث إنّه فعله ، وعدم الرضا به من حيث الكسب لبطلان الكسب أولاً ؛ وثانياً نقول : إن كان كون الكفر كسباً بقضائه تعالى وقدره وجب الرضا به من حيث هو كسب ، وهو خلاف قولكم وإن لم يكن بقضاء ، وقد بطل إسناد الكائنات بأجمعها إلى القضاء والقدر انتهى .

وقال شارح المواقف : اعلم أن قضاء الله عنداً لا شاعرة هو إرادته الأزليّة المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال ، وقدره إيجادها إيجاباً على وجه مخصوص وتقدير معين في ذواتها وأحوالها ، وأمّا عند الفلاسفة فalcضاء عبارة عن علمه بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتّى يكون على أحسن النظام و أكمل الانتظام ، وهو المسمّى عندهم بالعناية السّمي هي مبدء لفيضان الموجودات من حيث جملتها على أحسن الوجوه وأكملها والقدر عبارة عن خروجها إلى الوجود العينيّ بأسبابها على الوجه الذي تقرّر في القضاء والمعتزلة ينكرون القضاء والقدر في الأفعال الاختيارية الصادرة عن العباد ، ويثبتون علمه تعالى بهذه الأفعال ، ولا يسندون وجودها إلى ذلك العلم ، بل إلى اختيار العباد ، وقدرتهم انتهى .

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه في كتاب الغرر والدرر : إن قال قائل : ما تأويل قوله تعالى : «وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون» ^(١) فظاهر هذا الكلام يدلّ على أن الإيمان إنّما كان لهم فعله بإذنه وأمره وليس هذا مذهبكم ، فإن حمل الإذن ههنا على الإرادة اقتضى أن من لم يقع منه الإيمان لم يرد الله تعالى منه وهذا أيضاً بخلاف قولكم ، ثمّ جعل الرجس الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ، ومن كان فاقداً عقله لا يكون مكلفاً ، فكيف يستحقّ العذاب ؟ وهذا بالضدّ من الخبر المروي عن النبي ﷺ أنه قال : أكثر أهل الجنة الأبله . الجواب يقال له : في قوله : إلّا بإذن الله وجوه : منها أن يكون الإذن : الأمر ، ويكون معنى الكلام أن الإيمان لا يقع من أحد إلّا بعد أن يأذن الله فيه و يأمر به ، ولا يكون معناه ما ظنّه السائل من أنّه لا يكون للفاعل فعله إلّا بإذنه ، ويجري هذا مجرى

و يجري هذا مجرى قوله تعالى : « وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله » ^(١) و معلوم أن معنى قوله : « ليس لها » في هذه الآية هو ما ذكرناه ، وإن كان الأشبه في الآية التي فيها ذكر الموت أن يكون المراد بالأذن العلم .

ومنها أن يكون الإذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل ، ولا شبهة في أن الله تعالى يوفق لفعل الإيمان ويلطف فيه ويسهل السبيل إليه .

ومنها أن يكون الإذن : العلم ، من قولهم : أنت أذنت لكذا و كذا : إذا سمعته وعلمته ، وأذنت فلاناً بكذا و كذا : إذا أعلمته ، فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات وأنه بما لا تخفى عليه الخفيات ، وقد أنكر بعض من لبصيرة له أن يكون الإذن - بكسر الألف و تسكين الذال - عبارة عن العلم ، وزعم أن الذي هو العلم الأذن - بالتحريك - واستشهد بقول الشاعر : إن هممت في سماع و أذن . وليس الأمر على ما توهمه هذا المتوهم لأن الإذن هو المصدر والأذن هو اسم الفعل ويجري مجرى الحذر في أنه مصدر والحذر - بالتسكين - الاسم ؛ على أنه لو لم يكن مسموعاً إلا بالأذن - بالتحريك - لجاز التسكين ، مثل مثل وممثل وشبه وشبهه ، ونظائر ذلك كثيرة .

ومنها أن يكون الإذن : العلم ، و معناه إعلام الله المكلفين بفضل الإيمان وما يدعو إلى فعله ، فيكون معنى الآية : وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإعلام الله تعالى لها ما يبعثها على الإيمان ويدعوها إلى فعله ، فأما ظن السائل دخول الإرادة في محتمل اللفظ فباطل ، لأن الإذن لا يحتمل الإرادة في اللغة ، ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهمه لأنه إذا قال : إن الإيمان لم يقع إلا وأنا مرید له لم ينف أن يكون مریداً لما لم يقع ، و ليس في صريح الكلام ولا في دلالة شيء من ذلك . ^(٢)

(١) آل عمران : ١٤٥ .

(٢) قال الشيخ قدس سره في التبيان و معنى قوله : « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بأذن الله » أنه لا يمكن لاحد أن يؤمن إلا باطلاق الله له في الإيمان وتمكينه منه ودعاؤه إليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك . وقال الحسن وابو علي الجبائي : إذنه ههنا : أمره ، و حقيقة إطلاقه في الفعل بالأمر وقد يكون الإذن بالاطلاق في الفعل برفع التبعية . وقيل : معناه : وما كان لنفس أن تؤمن إلا بعلم الله ، وأصل الإذن : الإطلاق في الفعل ، فأما الإقذار على الفعل فلا يسمى إذناً فيه ، لان النهي ينافي الإطلاق . انتهى .

وأما قوله تعالى : « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » فلم يعن به الناقصي العقول ، وإنما أراد تعالى الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى ، والاعتراف بنبوة رسله ﷺ ، والالتحاق إلى طاعتهم ، ووصفهم بأنهم لا يعقلون تشبيهاً ، كما قال الله تعالى : « صم بكم عمي »^(١) وكما يصف أحدنا من لم يفظن لبعض الأمور أولم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل . فأما الحديث الذي أورده السائل شاهداً له فقد قيل فيه : إنه ﷺ لم يرد بالبله ذوي الغفلة والنقص والجنون وإنما أراد البله عن الشر والقيح وسمّاهم بلهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه ، لامن حيث فقد العلم به ، ووجه تشبيهه من هذه حاله بالآبله ظاهر .^(٢) ثم قال رحمه الله : إن سأل سائل عن قوله تعالى - حاكياً عن شعيب رضى الله عنه - : « قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا »^(٣) فقال : أليس هذا تصريحاً منه بأن الله تعالى يجوز أن يشاء الكفر والقيح ؛ لأن ملّة قومه كانت كفراً وضلالاً ، وقد أخبر أنه لا يعود فيها إلا أن يشاء الله .

الجواب قيل له : في هذه الآية وجوه : أولها أن تكون الملّة التي عناها الله تعالى إنما هي العبادات الشرعية التي كانت قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته .^(٤)

(١) البقرة : ١٨ .

(٢) قال بعد ذلك : فإن الآبله عن الشيء هو الذي لا يعرض له ولا يقصد إليه فإذا كان المتنزه عن الشر معرضاً عنه هاجراً لفعله جاز أن يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها ، ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر :

ولقد لهوت بطفلة ميالة * بلها تطلعنني على اسرارها

أراد بالبلها ما ذكرناه ؛ إلى آخر كلامه . ومن شاء الاطلاع عليه فليراجع ج ١ ص ٣١ من أماليه .

(٣) الاعراف : ٨٩ .

(٤) قال بعد ذلك : مما لا يجوز أن تختلف العبادات فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تبعت المصالح والالطاف والمعلوم من أحوال المكلفين ، فكانه قال : إن ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بأن الله قد نسخها وأزال حكمها إلا أن يشاء الله أن يتبعنا بمثلها فنمود إليها ، وتلك

وثانيها أنه أراد أن ذلك لا يكون أبداً من حيث علّقه بمشيئة الله تعالى ، لما كان معلوماً أنه لا يشاؤه ، وكلّ أمر علّق بما لا يكون فقد نفى كونه على أبعد الوجوه ، و تجري الآية مجرى قوله تعالى : «ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط» وثالثها ما ذكره قطرب من أن في الكلام تقدماً وتأخيراً وإن الاستثناء من الكفار وقع لامن شعيب فكأنه تعالى قال - حاكياً عن الكفار - : لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله أن نعود في ملّتنا ، ثم قال حاكياً عن شعيب : وما يكون لنا أن نعود فيها على كلّ حال .

ورابعها أن نعود الهاء التي في قوله تعالى : « فيها » إلى القرية لا إلى الملة لأنّ ذكر القرية قد تقدّم كما تقدّم ذكر الملة ، و يكون تلخيص الكلام : إنّنا سنخرج من قريبتكم ولا نعود فيها إلا أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الإظهار عليكم والظفر بكم فنعود إليها .

وخامسها أن يكون المعنى : إلا أن يشاء الله أن يردّكم إلى الحق فنكون جميعاً على ملة واحدة غير مختلفة ، لأنّه لما قال تعالى حاكياً عنهم : «أو لتعودنّ في ملّتنا» كان معناه أو لتكوننّ على ملة واحدة غير مختلفة فحسن أن يقول من بعد : إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة . فإن قيل : الاستثناء بالمشيئة إنّما كان بعد قوله : وما يكون لنا أن نعود فيها فكأنه قال : ليس نعود فيها إلا أن يشاء الله فكيف يصحّ هذا الجواب ؟ قلنا : هو كذلك إلا أنّه لما كان معنى أن نعود فيها هو أن نصير ملّتنا واحدة غير

• الافعال التي كانوا متسكين بها مع نسخها عنهم ونهيهم عنها وان كانت ضلّالا وكفراً فقد كان يجوز فيها هو مثلها أن يكون ايماناً وهدى ، بل فيها أنفسهم قد كان يجوز ذلك ، و ليس تجرى هذه الافعال مجرى الجهل بالله تعالى الذي لا يجوز أن يكون لإقبيعها ، وقدمن بعضهم على هذا الجواب فقال : كيف يجوز أن يتبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله : «قد افترينا على الله كذباً ان عدنانى ملّتك بعداذنينا الله منها ؟» فيقال له : لم ينف عودهم اليها على كلّ حال ، وانما نفى العود اليها مع كونها منسوخة منبهاً عنها ، والذي علّقه بشيئة الله تعالى من العود اليها هو بشرط أن يأمر بها ويتبده بمنّها ، والجواب مستقيم لا خلل فيه انتهى . يوجد ذلك في ج ٢ ص ٦٤ .

مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول : **إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ تَتَّقَ فِي الْمَلَّةِ أَنْ تَرْجِعُوا أَنْتُمْ إِلَى الْحَقِّ .**

فإن قيل : وكان الله ماشاء أن ترجع الكفار إلى الحق ؟ قلنا : بلى قد شاء ذلك **إِلَّا أَنَّهُ مَاشَاءَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، بَلْ مِنْ وَجْهِ دُونَ وَجْهِ ، وَهُوَ أَنْ يُؤْمِنُوا وَيَصِيرُوا إِلَى الْحَقِّ** مختارين ليستحقوا الثواب الذي أجرى بالتكليف إليه ، ولو شاء على كل حال لمجاز أن لا يقع منهم ^(١) .

وسادسها أن يكون المعنى : **إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يُمْكِّنَكُمْ إِكْرَاهَنَا وَيَخْلِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ فَنَعُودَ إِلَى إِظْهَارِهَا مَكْرَهِينَ ، وَيَقْوَى هَذَا الْوَجْهَ قَوْلُهُ تَعَالَى : «أُولُو كُنْهَاتٍ كَارِهِينَ» .** وسابعها أن يكون المعنى : **إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتَعَبَّدَنَا بِإِظْهَارِ مَلَّتْكُمْ مَعَ الْإِكْرَاهِ** لأن إظهار كلمة الكفر قد يحسن في بعض الأحوال إذا تعبد الله تعالى بإظهاره ؛ وقوله : **«أُولُو كُنْهَاتٍ كَارِهِينَ»** يقوَّى هذا الوجه أيضاً .

فإن قيل : فكيف يجوز من نبي من أنبياء الله تعالى أن يتعبد بإظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع ؟ قلنا : يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكأنه قال : **وَمَا يَكُونُ لِي وَلَا لَأَمْتِي أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتَعَبَّدَ أَمْتِي بِإِظْهَارِ مَلَّتْكُمْ** على سبيل الإكراه ، وهذا جائز غير ممتنع .

وقال طيب الله رمسه : **إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : «فَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ»** ^(٢) فقال : **كَيْفَ يُعَذِّبُهُم بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ لَهُمْ فِيهَا سُرُورًا وَلَذَةً ؟ وَمَا تَأْوِيلُ**

(١) وفيه بعد ذلك زيادة وهي قوله : فكان شعبياً عليه السلام قال : ان ملتنا لا تكون واحدة أبداً إلا أن يشاء الله أن يبلجكم إلى الاجتماع منا على ديننا وموافقنا في ملتنا ، والقاعدة في ذلك واضحة ، لأنه لو أطلق أنا لاتفق أبداً ولا تصير ملتنا واحدة لتوهم متوهم أن ذلك ما لا يمكن على حال من الأحوال فافاد بتعليقه له بالشية هذا الوجه ، ويجرى قوله تعالى : **«إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»** مجرى قوله تعالى : **«وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا»** . ج ٢ ص ٦٥ .

قوله : « ماتوا وهم كفرون » فظاھرہ يقتضي أنّه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزھق أنفسهم في حال كفرهم لأنّ القائل إذا قال : أريد أن يلقاني فلان وهو لابس ؛ أو على صفة كذا وكذا فالظاهر أنّه أراد كونه على هذه الصفة .

قلنا : أمّا التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه :

أحدها ما روي عن ابن عباس وقتادة وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ، و يكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ! ولا تعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفار والمنافقين وأولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعمهم حقوقها ؛ واستشهد على ذلك بقوله تعالى : « اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون »^(١) فالمعنى : فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم . وثانيها أن يكون المعنى : ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم ، وفي ذلك لامحالة إيلاء لهم واستخفاف بهم .^(٢)

وثالثها أن يكون المراد بتعذيبهم بذلك كلّ ما يدخله في الدنيا عليهم من التعموم والمصائب بأموالهم وأولادهم التي هي لهؤلاء الكفار والمنافقين عقاب وجزاء ، وللمؤمنين محنة وجالبة للنفق والوعوض ، ويجوز أيضاً أن يراد به ما يندرج به الكافر - قبل موته وعند

(١) النمل : ٢٨ .

(٢) قال بعد ذلك : وإنما أراد الله تعالى بذلك إعلام نبيه صلى الله عليه وآله والمؤمنين أنه لم يبرق الكفار الأموال والأولاد ولم يبقها في أيديهم كرامة لهم ورضى عنهم ، بل للمصلحة الداعية إلى ذلك ، وأنهم مع هذه الحالة مذنبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه ، فلا يجب أن ينبطوا بها ويعسروا عليها ، إذ كانت هذه عاجلتهم ، والمقاب الإليم آجلتهم ، وهذا جواب أبي على الجبائي وقد طعن عليه بعض من لا تأمل له فقال : كيف يصح هذا التأويل مع أنا نجد كثيراً من الكفار لا تتألم أيدي السليين ، ولا يقدرون على غنيمة أموالهم ، ونجد أهل الكتاب أيضاً خارجين عن هذه الجملة ، لمكان الذمة والمهد ؛ وليس هذا الاعتراض بشيء . لانه لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لازمة لهم ولا عهد من أوجب الله تعالى معارضة ، فاما الذين هم يبعث لا تتألمهم الايدي ، أوهم من القوة على حد لا يتم معه غنيمة أموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب ، لانهم ممن أراد الله أن يسبي وينهم ويجاهد ويغلب ، وان لم يقع ذلك ، وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على أنه غير مراد . انتهى ج ٢ ص ١٥٣ .

احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع أنه حيٌ - من العذاب الدائم الذي قد أعدل له ، و إعلامه أنه صائر إليه .

ورابعها أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفتار من الفرائض و الحقوق في أموالهم لأنّ ذلك يؤخذ منهم على كره ، وهم إذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نيّة ولا عزيمة فتصير نفقتهم غرامةً وعذاباً من حيث لا يستحقّون عليها أجراً ، وفي هذا الوجه نظر .^(١)

(١) قال قدس الله روحه : وهذا وجه غير صحيح ، لان الوجه في تكليف الكافر اخراج العقوق من ماله ، كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ، ومحال أن يكون انما كلف اخراج هذه العقوق على سبيل العذاب والجزاء ، لان ذلك لا يقتضى وجوبه عليه ، والوجه في تكليف الجبيع هذه الامور هو المصلحة واللطف في التكليف ، ولا يجرى ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من أن المصاب و النجوم تكون للمؤمنين محنة و للكافرين عقوبة ، لان تلك الامور مما يجوز أن يكون وجه حسننها للعقوبة والمحنة جيماً ، ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلا وجه واحد وهو المصلحة في الدين ، فافترق الامران ، وليس لهم أن يقولوا : ليس التذيب في إيجاب الفرائض عليهم ، وإنما هو في إخراجهم لاموالهم على سبيل التكره والاستقلال ، وذلك أنه اذا كان الامر على ما ذكره خرج الامر من أن يكون مراداً لله تعالى ، لانه جل وعز ما أراد منهم اخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة و قرّة ، فاذا أخرجوها متكرهين مستثقلين لم يرد ذلك ، فكيف يقول : إنما يريد الله ليعذبهم بها ؛ ويجب أن يكون ما يعذبون به شيئاً يصح أن يريده الله تعالى .

أقول : أورد شيخ الطائفة في التبيان وجوهاً اخر ، أولها ما حكى عن ابن زيد أن المعنى : انما يريد الله ليعذبهم بحفظها والمصاب فيها مع حرمان المنفعة بها .
ثانيها : أن مفارقتها وتركها والخروج عنها بالوت صعب عليهم شديد ، لانهم يفارقون النعم ، لا يدرون الى ماذا يصيرون بعد الموت ، فيكون حينئذ عذاباً عليهم ، بمعنى أن مفارقتها غم وعذاب ؛ ومعنى تزهق أنفسهم أى تهلك و تذهب بالوت ، يقال : زهق بضاعة فلان أى ذهب أجمع .
وأورد وجوهاً اخر متقاربة مع ما ذكره السيد رحمه الله وقال بعد ذلك : وليس في الآية ما يدل على ان الله تعالى أراد الكفر على ما يقوله المجبرة ، لان قوله : «وهم كافرون» في موضع الحال ، كقولك : اريد أن نذمه فهو كافر ، و اريد أن نضربه وهو عاص ، و أنت لا تريد كفره ولا عصيانه ، بل تريد ذمه في حال كفره وعصيانه ، وتقدير الآية : انما يريد الله عذابهم و اذهاق أنفسهم ، أى اهلكها في حال كونهم كافرين . «التبيان ج ١ ص ٨٣٧» .

ثم أعلم أن جميع الوجوه التي حكيناها في هذه الآية إلا جواب التقديم والتأخير منبئة على أن الحياة الدنيا ظرف للعذاب ، وما يحتاج عندنا إلى جميع ما تكلفوه إذا لم نجعل الحياة ظرفاً للعذاب ، بل جعلناها ظرفاً للفعل الواقع بالأموال والأولاد المتعلق بهما ، لأننا قد علمنا أولاً أن قوله : ليعذبهم بها لا بد من الانصراف عن ظاهره لأن الأموال والأولاد أنفسهما لا تكون عذاباً ، فالمراد على سائر وجوه التأويل الفعل المتعلق بها والمضاف إليها ، سواء كان إنفاقها ، أو المصيبة بها والغم عليها ، أو إباحة غنيمتها وإخراجها عن أيدي مالكيها ؛ وكان تقدير الآية : إنما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا مما يتعلق بأموالهم وأولادهم ويتصل بها ، وإذا صح هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا ظرفاً لأفعالهم القبيحة في أموالهم وأولادهم التي تغضب الله وتسخطه كإنفاقهم الأموال في وجوه المعاصي ، وحملهم الأولاد على الكفر ، فتقدير الكلام : إنما يريد الله ليعذبهم بفعلهم في أموالهم وأولادهم الواقع ذلك في الحياة الدنيا .

وأما قوله تعالى : « وتزهق أنفسهم وهم كافرون » فمعناه تبطل وتخرج أي أنهم يموتون على الكفر ، ليس يجب إذا كان مريداً لأن تزهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يريد الحال نفسها على ما ظنوه .^(١) وقد ذكر في ذلك وجه آخر وهو أن لا يكون قوله : وهم كافرون ، حالاً لزهوق أنفسهم بل يكون كأنه كلام مستأنف ، والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم مع ذلك كله كافرون صامرون إلى النار ، وتكون القائمة أنهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة ، ويكون معنى تزهق أنفسهم المشقة الشديدة والكلفة الصعبة .

أقول : قدمضى بعض الأخبار في معنى القدر والقضاء في باب البداء .

(١) قال : لأن الواحد منا قديم غيره . ويريد منه أن يقاتل أهل البنى وهم محاربون ، ولا يقاتلهم وهم منهزمون ، ولا يكون مريداً للحرب أهل البنى للمؤمنين وإن أراد قتلهم على هذه الحالة ، وكذلك قد يقول لغلامه : اريد أن تواظب على الصبر إلى في السجن وأنا محبوس ، وللطبيب : صرالى ولازمنى وأنا مريض وهو لا يريد المرض ولا العجز ، وإن كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين العاليتين .

﴿باب ٤﴾

﴿الاجال﴾

الايات ، آل عمران ٢٠ ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ١٤٥
 «وقال تعالى» : يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز
 المذنبون كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ١٥٤ .

الانعام ٦٠ ، هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم
 تمترون ٣ .

الاعراف ٧ ، و لكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
 يستقدمون ٣٤ .

يونس ١٠ ، لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ٤٩
 الحجر ١٥ ، وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴿ ما تسبق من أمة
 أجلها وما يستأخرون ٤ - ٥ .

النحل ١٦ ، ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم
 إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ٦١ .
 مريم ١٩ ، فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدداً ٨٤ .

طه ٢٠ ، ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى ١٢٩ .
 العنكبوت ٢٩ ، و لولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا
 يشعرون ٥٣ .

فاطر ٣٥ ، وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على
 الله يسير ١١ .

حمعسق ٤٢ ، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم ١٤ .
 المنافقين ٦٣ ، ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ١١ .

نوح ٧١٠، ويؤخركم إلى أجل مسمى إنَّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ٤ .

تفسير : قال الرازي في تفسيره : اختلفوا في تفسير الإذن : الأول : أن يكون الإذن هو الأمر ، أي يأمر ملك الموت بقبض الأرواح ، فلا يموت أحد إلا بهذا الأمر .
الثاني : أن المراد به الأمر التكويني كقوله تعالى : « أن نقول له كن فيكون » ولا يقدر على الحياة والموت أحد إلا الله .

الثالث : أن يكون الإذن هو التخلية والإطلاق ، وترك المنع بالقهر والإجبار وبه فسر قوله تعالى « وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله » أي بتخليته ، فإنه تعالى قادر على المنع من ذلك بالقهر .

الرابع : أن يكون الإذن بمعنى العلم ، ومعناه أن نفساً لا تموت إلا في الوقت الذي علم الله موتها فيه .

الخامس : قال ابن عباس : الإذن : هو قضاء الله وقدره ، فإنه لا يحدث شيء إلا بمشيئة الله وإرادته ، والآية تدل على أن المقتول ميّت بأجله ، وأن تغيير الأجل ممنوع . انتهى .

قوله : لكان لنا من الأمر شيء أي من الظفر الذي وعدنا النبي ﷺ ، أولو كنّا مختارين لما خرجنا باختيارنا .

قوله تعالى : « لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » قال الطبرسي رحمه الله : فيه قولان : أحدهما أن معناه : لولزمتم منازلكم أيها المنافقون والمترابون لخرج إلى البراز المؤمنون الذين فرض عليهم القتال صابرين محتسين ، فيقتلون ويقتلون ولما تخلفوا بتخلفكم .

والثاني : أن معناه : لو كنتم في منازلكم لخرج الذين كتب عليهم القتل أي كتب آجالهم وموتهم وقتلهم في اللوح المحفوظ في ذلك الوقت إلى مصارعهم ، وذلك أن ما علم الله كونه فإنه يكون كما علمه لاحالة ، وليس في ذلك أن المشركين غير قادرين على

ترك القتال من حيث علم الله ذلك منهم وكتبه لأنه كما علم أنهم لا يختارون ذلك علم أنهم قادرون، ولو وجب ذلك لوجب أن لا يكون تعالى قادراً على ما علم أنه لا يفعله، والقول بذلك كفر.

وقال رحمه الله: في قوله تعالى: «ثم قضى أجلاً» أي كتب وقدراً أجلاً «وأجل مسمى عنده» قيل: فيه أقوال: أحدها أنه يعني بالأجلين: أجل الحياة إلى الموت، وأجل الموت إلى البعث. وروى ابن عباس قال: قضى أجلاً من مولده إلى مماته، وأجل مسمى عنده من الممات إلى البعث، لا يعلم أحد ميقاته سواء، فإذا كان الرجل صالحاً واصلاً لرحمه زاد الله له في أجل الحياة من أجل الممات إلى البعث، وإذا كان غير صالح ولا واصل فنقصه الله من أجل الحياة، وزاد في أجل الممات، قال: وذلك قوله: «وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب».

وثانيها أنه الأجل الذي يحيي به أهل الدنيا إلى أن يموتوا، وأجل مسمى عنده يعني الآخرة لأنها أجل ممدود دائم لا آخر له. وثالثها: أن أجلاً يعني به أجل من مضى من الخلق، وأجل مسمى عنده يعني به آجال الباقين.

ورابعها: أن قوله: «قضى أجلاً» عني به النوم يقبض الروح فيه ثم يرجع عند اليقظة، والأجل المسمى هو أجل الموت؛ والأصل في الأجل هو الوقت فأجل الحياة هو الوقت الذي يكون فيه الحياة، وأجل الموت أو القتل هو الوقت الذي يحدث فيه الموت أو القتل، وما يعلم الله تعالى أن المكلف يعيش إليه لولم يقتل لا يسمى أجلاً حقيقة، ويجوز أن يسمى ذلك مجازاً؛ وما جاء في الأخبار من أن صلة الرحم تزيد في العمر والصدقة تزيد في الأجل وأن الله تعالى زاد في أجل قوم يونس وما أشبه ذلك فلا مانع من ذلك. وقال في قوله تعالى: «ولكل أمة أجل»: أي لكل جماعة وأهل عصر وقت لاستيصالهم. وقيل: المراد بالأجل أجل العمر الذي هو ملة الحياة. قوله: «لا يستأخرون» أي لا يتأخرون ساعة من ذلك الوقت ولا يتقدمون ساعة. وقيل: معناه: لا يبطلون التأخير عن ذلك الوقت للأياس عنه ولا يطلبون التقدم؛ ومعنى

جاء أجلهم : قرب أجلهم ، كما يقال : جاء الصيف : إذا قارب وقته .
 قوله تعالى : «لولا كلمة سبقت من ربك» أي في تأخير العذاب عن قومك وأنه لا يبدؤهم وأنت فيهم لقضي بينهم أي لفرغ من عذابهم و استيصالهم ، وقيل : معناه لولا حكم سبق من ربك بتأخيرهم إلى وقت انقضاء آجالهم لقضي بينهم قبل انقضاء آجالهم .

١ - فس : أبي ، عن النضر ، عن الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الأجل المقضي هو المحتوم الذي قضاء الله وحتمه ، والمسمى هو الذي فيه البدء ، يقدم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء ، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير . (ص ١٨١)
 فس : «إلا ولها كتاب معلوم» أي أجل مكتوب . (ص ٣٤٩)

٢ - فس : أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر عن يحيى الحلبي ، عن هارون بن خازجة ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : «ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها قال : إن عند الله كتاباً موقوفةً يقدم منها ما يشاء ويؤخر فإذا كان ليلة القدر أنزل فيها كل شيء يكون إلى مثلها^(١)» فذلك قوله : «ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها» إذا أنزله وكتبه كتاب السماوات وهو الذي لا يؤخره . (ص ٦٨٢)

٣ - شي : عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : «ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده» قال : الأجل الذي غير مسمى موقوف ، يقدم منه ما شاء ، ويؤخر منه ما شاء ، وأما الأجل المسمى فهو الذي ينزل مما يريد أن يكون من ليلة القدر إلى مثلها من قابل ، فذلك قول الله : «إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» .
 ٤ - ما : وعن جرمان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : المسمى ماسمي ملك الموت في تلك الليلة وهو الذي قال الله : «إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» والآخر له فيه المشيئة إن شاء قدمه وإن شاء أخره .

٥ - ما : الغضائري ، عن التلعكبري ، عن محمد بن همام ، عن محمد بن علي بن

(١) في المصدر : أنزل الله فيها كل شيء يكون إلى ليلة مثلها . م

الحسين الهمداني، عن محمد بن خالد البرقي، عن محمد بن سنان، عن المفضل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله تعالى لم يجعل للمؤمن أجلاً في الموت، يقيه ما أحب البقاء فإذا علم من أنه سيأتي بما فيه بوار دينه ^(١) قبضه إليه تعالى مكرهاً.

٦ - قال محمد بن همام: فذكرت هذا الحديث لأحمد بن علي بن حمزة مولى الطالبيين - وكان راوية للحديث - ^(٢) فحدثني عن الحسين بن أسد الطفاوي، ^(٣) عن محمد بن القاسم عن فضيل بن يسار، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممن يعيش بالأعمار.

٧ - دعوات الراوندي: قال الصادق عليه السلام: يعيش الناس بإحسانهم أكثر مما يعيشون بأعمارهم، ويموتون بذنوبهم أكثر مما يموتون بآجالهم.

٨ - النهج: قال عليه السلام: إن مع كل إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خلبا بينه وبينه، وإن الأجل جنة ^(٤) حصينة.

٩ - شي: عن جمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: «قضى أجلاً وأجل مسمى» عنده، قال هما أجلان: أجل موقوف يصنع الله ما يشاء وأجل محتوم.

١٠ - شي: عن حصين، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «قضى أجلاً وأجل مسمى» عنده قال: الأجل الأول هو الذي نبذه إلى الملائكة والرسول والأنبياء، والأجل المسمى عنده هو الذي ستره عن الخلائق.

بيان: ظاهر بعض الأخبار كون الأجل الأول محتوماً والثاني موقوفاً، وبعضها بالعكس، ويمكن الجمع بأن المعنى أنه تعالى قضى أجلاً أخبر به أنبياءه وحججه عليهم السلام، وأخبر بأنه محتوم فلا يتطرق إليه التغير، وعنده أجل مسمى أخبر بخلافه غير محتوم، فهو الذي إذا أخبر بذلك المسمى يحصل منه البداء، فلذا قال تعالى:

(١) أي هلاك دينه. أقول: متن الحديث لا يخلو عن غرابة.

(٢) الراوية: الذي يروى الحديث والتاء فيه للبالغة.

(٣) قال الفيروز آبادي في القاموس: الطفاوة بالضم: حي من قيس عيلان.

(٤) بضم الجيم: السترة، وكل ما وقى من السلاح.

«عنده» أي لم يطلع عليه أحداً بعد، وإنما يطلق عليه المسمّى لأنّه بعد الإخبار يكون مسمّى فما لم يسمّ فهو موقوف، ومنه يكون البداء فيما أخبر لاعلى وجه الحتم، و يحتمل أن يكون المراد بالمسمّى ما سمّي ووصف بأنّه محتوم فالمعنى: قضى أجلاً محتوماً أي أخبر بكونه محتوماً. وأجلاً آخر ووصف بكونه محتوماً عنده ولم يخبر الخلق بكونه محتوماً فيظهر منه أنّه أخبر بشي، لاعلى وجه الحتم فهو غير المسمّى لا الأجل الذي ذكر أولاً، وحاصل الوجهين مع قريتهما أن الأجلين كليهما محتومان، أخبر بأحدهما ولم يخبر بالآخر، ويظهر من الآية أجل آخر غير الأجلين وهو الموقوف، ويمكن أن يكون الأجل الأول عامّاً فيرتكب تكلف في خبر ابن مسكان بأنّه قديكون محتوماً، وظاهر أكثر الأخبار أن الأول موقوف والمسمّى محتوم.

١١ - شى: عن حماد بن موسى، عن أبي عبد الله عليه السلام، إنّه سئل عن قول الله: «يمحو الله ما يشاء» ويثبت وعنده أم الكتاب قال: «إنّ ذلك كتاب يمحو الله فيه ما يشاء ويثبت، فمن ذلك الذي يردّ الدعاء القضاء، وذلك الدعاء مكتوب عليه: «الذي يردّ به القضاء» حتّى إذا صار إلى أم الكتاب لم يغن الدعاء فيه شيئاً.

بيان: لعل المراد بكونه مكتوباً عليه أنّ هذا الحكم ثابت له حتّى يوافق ما في اللوح من القضاء الحتمي، فإذا وافقه فلا ينفع الدعاء، ويحتمل أن يكون المعنى أنّ ذلك الدعاء الذي يردّ به القضاء من الأسباب المقدّرة أيضاً فلا ينافي الدعاء القدر والقضاء.

١٢ - شى: عن الحسين بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلّا ثلاث سنين فيمدّها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة، وإنّ المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيقصرها الله إلى ثلاث سنين أو أدنى. قال الحسين: و كان جعفر عليه السلام يتلو هذه الآية: «يمحو الله ما يشاء» ويثبت وعنده أم الكتاب».

١٣ - نهج: من كلامه عليه السلام - لما خوّف من الغيلة - وإنّ عليّ من الله جنّة

حصينة ، فإذا جاء يومي انفرجت عني وأسلمتني فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم^(١).

بيان : الغيلة : القتل على غفلة ؛ وطاش السهم : انحرف عن الغرض .

١٤ - نهج : قال عيسى عليه السلام : كفى بالأجل حارساً .

تذنيب : أقول : الأخبار الدالة على حقيقة الأجلين وتحقيقهما قد مر في باب البدء من كتاب التوحيد ، وقال المحقق الطوسي رحمه الله في التجريد : أجل الحيوان الوقت الذي علم الله بطلان حياته فيه ، والمقتول يجوز فيه الأمان لولاه ، ويجوز أن يكون الأجل لطفاً للغير لا للمكلف .

وقال العلامة رحمه الله في شرحه : اختلف الناس في المقتول لولم يقتل فقالت المجبرة إنه كان يموت قطعاً وهو قول أبي هذيل العلاف ، وقال بعض البغداديين : إنه كان يعيش قطعاً ، وقال أكثر المحققين : إنه كان يجوز أن يعيش ويجوز أن يموت ، ثم اختلفوا فقال قوم منهم : إن كان المعلوم منه البقاء لولم يقتل له أجلان وقال الجبائيان وأصحابهما وأبو الحسين البصري : إن أجله هو الوقت الذي قتل فيه ، ليس له أجل آخر لولم يقتل فما كان يعيش إليه ليس بأجل له الآن حقيقي بل تقديري ، واحتج الموجبون لموته بأنه لولاه لزم خلاف معلوم الله تعالى وهو محال ، واحتج الموجبون لحياته بأنه لو مات لكان الذابح غنم غيره محسناً ولما وجب القود لأنه لم يفوت حياته .

والجواب عن الأول ما تقدم من أن العلم يؤثر في المعلوم ، وعن الثاني بمنع الملازمة ، إذ لو ماتت الغنم استحق مالها عوضاً زاعداً على الله تعالى فيذبحه فوته الأعواض الزائدة ، والقود من حيث مخالفة الشارع إذ قتله حرام عليه وإن علم موته ، ولهذا لو أخبر الصادق بموت زيد لم يجز لأحد قتله . ثم قال رحمه الله : ولا استبعاد في أن يكون أجل الإنسان لطفاً لغيره من المكلفين ، ولا يمكن أن يكون لطفاً للمكلف نفسه لأن الأجل يطلق على عمره وحياته ، ويطلق على أجل موته أما الأول فليس بلطف لأنه

(١) بفتح الكاف وسكون اللام أى لا يشفى الجرح .

تمكين له من التكليف ، واللطف زائد على التمكين ، وأما الثاني فهو قطع للتكليف فلا يصح أن يكلف بعده فيكون لطفاً له فيما يكلفه من بعد ، واللطف لا يصح أن يكون لطفاً فيما مضى . انتهى .

أقول : لا يخفى ما في قوله رحمه الله : العلم لا يؤثر ، فإنه غير مرتبط بالسؤال ، بل الجواب هو أنه يلزم خلاف العلم على هذا الفرض على أي حال فإن من علم الله أنه سيقتل إذا مات بغير قتل كان خلاف ما علمه تعالى ، وأما علمه بموته على أي حال فليس بمسئم ؛ وأما قوله : واللطف لا يصح أن يكون لطفاً فيما مضى فيمكن منعه بأنه يمكن أن يكون لطفاً من حيث علم المكلف بوقوعه فيردعه عن ارتكاب كثير من المحرمات ، إلا أن يقال : اللطف هو العلم بوقوع أصل الموت فأما خصوص الأجل المعين فلعدم علمه به غالباً لا يكون لطفاً من هذه الجهة أيضاً ، ويمكن تطبيق كلام المصنف على هذا الوجه من غير تكلف .

﴿باب ه﴾

﴿الارزاق والاسعار (١)﴾

الآيات ، البقرة ٢٠٠ ، والله يرزق من يشاء بغير حساب ٢١٢ .

آل عمران ٣٧ ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ٣٧ .

هود ١١ ، وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ١١ .

الرعد ١٣ ، الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ٢٦ .

الاسرى ١٧ ، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان عباده خبيراً

بصيراً ٣٠ .

(١) الارزاق جمع الرزق ، وهو كل ما صح انتفاع الحيوان به بالتفدى أو غيره وليس لاحد منه منه ؛ وأما إطلاق الرزق على الممنوع والمحرم فسيأتي الكلام فيه مفصلاً من المصنف ؛ وأما الاسعار فهو جمع السعر بالكسر وهو الذي يقوم عليه الثمن ، وهو قد يرخس وقد يغلو ، و يأتي الكلام في أنهما مستندان إلى الله مطلقاً أو في بعض الاحيان .

الحج ٢٢، ليرزقهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ٥٨ .
المؤمنين ٢٣، وهو خير الرازقين ٧٢ .

النور ٢٤، والله يرزق من يشاء بغير حساب . ٣٨

العنكبوت ٢، وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو
السميع العليم ٦، وقال تعالى : « الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله
بكل شيء عليم ٦٢ .

الروم ٣٠، أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون ٣٧ .

سبا ٣٤، قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله ٣٤، وقال تعالى : « قل
إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٣٦ » وقال تعالى :
قل : إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه
وهو خير الرازقين ٣٩ .

الزمر ٣٩، أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون ٥٢ .

حمعسق ٤٢، له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه
بكل شيء عليم ١٢، وقال تعالى : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل
بقدر ما يشاء إنه بعباده خير بصير ٢٧ .

الزخرف ٤٣، أ هم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا ٣٢ .

الذاريات ٥١، وفي السماء رزقكم وما توعدون * ف ورب السماء والأرض
إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ٢٢-٢٣ .

تفسير : قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « والله يرزق من يشاء بغير حساب »
قيل : فيه أقوال : أحدها أن معناه : يعطيهم الكثير الواسع الذي لا يدخله الحساب
من كثرته .

وثانيها : أنه لا يرزق الناس في الدنيا على مقابلة أعمالهم وإيمانهم وكفرهم ، فلا يدلُّ بسط الرزق على الكفارة على منزلتهم عند الله ، وإن قلنا : إن المراد به في الآخرة فمعناه أن الله لا يثيب المؤمنين في الآخرة على قدر أعمالهم التي سلفت منهم بل يزيدهم تفضلاً .

ونالها : أنه يعطيه عطاءً لا يأخذه بذلك أحد ، ولا يسأله عنه سائل ، ولا يطلب عليه جزاءً ولا مكافأة .

ورابعها : أنه يعطيه من العدد الشيء الذي لا يضبط بالحساب ولا يأتي عليه العدد لأن ما يقدر عليه غير متناه ولا محصور فهو يعطي الشيء ، لامن عدد أكثر منه فينقص منه كمن يعطي ألف من الألفين والعشرة من المائة .

وخامسها : أن معناه : يعطي أهل الجنة ما لا يتناهى ولا يأتي عليه الحساب . وقال البيضاوي في قوله تعالى : « وفي السماء رزقكم » : أي أسباب رزقكم أو تقديره . وقيل : المراد بالسماء السحاب ، وبالرزق المطر لأنه سبب الأقوات ، « وما توعدون » من الثواب لأن الجنة فوق السماء السابعة ، أو لأن الأعمال ونوابها مكتوبة مقدرة في السماء ، وقيل : إنه مستأنف خبره : « ورب السماء والأرض إنه لحق » وعلى هذا فالضمير « لما » وعلى الأول يحتمل أن يكون له ولما ذكر من أمم الآيات والرزق والوعيد . « مثل ما أنكم تنطقون » أي مثل نطقكم كما أنه لاشك لكم في أنكم تنطقون ينبغي أن لا تشكوا في تحقيق ذلك انتهى .

وقال الوالد العلامة رحمه الله : يحتمل أن يكون التشبيه من حيث اتصال النطق وفيضان المعاني من المبدء بقدر الحاجة من غير علم بموضعه ومحل وروده فيكون التشبيه أكمل .

١ - ب : ابن طريف ، عن ابن علوان ، عن جعفر ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن الرزق لينزل ^(١) من السماء إلى الأرض على عدد قطر المطر إلى كل نفس بما قدر لها ، ولكن لله فضول فاسألوا الله من فضله . » ص ٥٥

٢ - ن : محمد بن القاسم المفسر ، عن أحمد بن الحسن الحسيني ، عن الحسن بن علي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الرضا ، عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام قال : سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن بعض أهل مجلسه فقيل : عليل ، فقصده عائداً وجلس عند رأسه فوجده دفناً ، ^(١) فقال له : أحسن ظنك بالله ، قال : أمّا ظنّي بالله فحسن ، ولكن غمّي لبنا تي ما أمرضني غير غمّي بهنّ ، فقال الصادق عليه السلام : الذي ترجوه لتضعف حسناتك ومحو سيئاتك فارجعه لا صلاح حال بناتك أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لمّا جاوزت سدرّة المنتهى ^(٢) وبلغت أغصانها وقضبانها رأيت بعض نمار قضبانها أنداء معلّقة يقطر من بعضها اللبن ، ومن بعضها العسل ، ومن بعضها الدهن ، ويخرج عن بعضها شبه دقيق السميد ، وعن بعضها الثياب ، ^(٣) وعن بعضها كالنبق ^(٤) فيهبوي ذلك كلّهُ نحو الأرض ، فقلت في نفسي : أين مقرّ هذه الخارجات عن هذه الأنداء ؟ وذلك أنّه لم يكن معي جبرئيل لأنّي كنت جاوزت مرتبته ، واختزل دوني ، فناداني ربّي عزّ وجلّ في سرّي : يا محمد هذه أنبتّها من هذا المكان الأرفع لأغزو منها بنات المؤمنين من أمّتك وبنيتهم فقلّ لآباء البنات : لاتضيّقن صدوركم على فاقتهنّ فإنّي كما خلقتنّ أرزقهنّ . « ص ١٧٩ - ١٨٠ »

بيان : السميد بالذال المعجمة والمهملة الدقيق الأبيض ؛ والاختزال : الانفراد والاقتطاع .

٣ - شي : عن إسماعيل بن كثير رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وآله قال : لمّا نزلت هذه الآية : « واسألوا الله من فضله » . قال : فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله : ما هذا الفضل ؟ أيكم

(١) بفتح الدال وكسر النون : من لازمه المرض .

(٢) هي في السماء السابعة ، قيل : هي شجرة في أقصى الجنة ، إليها ينتهي علم الاولين والآخرين ولا يتعداها . وقيل : شجرة نبق عن يمين العرش ، وفي الحديث : سميت سدرّة المنتهى لان أعمال أهل الارض تصعد بها اللائكة الحفظة إلى محل السدرة والحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون ما يرفع اليهم اللائكة من أعمال العباد في الارض فينتهون بها الى محل السدرة .

(٣) في المصدر : النبات . م

(٤) النبق : حمل شجر السدر .

يسأل رسول الله ﷺ عن ذلك؟ قال: فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: أنا أسأله فسأله عن ذلك الفضل ماهو؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله خلق خلقه وقسم لهم أرزاقهم من حلها وعرض لهم بالحرام فمن انتهك حرماً أنقص له من الحلال بقدر ما انتهك من الحرام وحوسب به.

٤ - نهج: قال عليه السلام: الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن لم تأت به أهلك، فلا تحمل همّ سنتك على همّ يومك، كفاك كل يوم ما فيه فإن تكن السنة من عمرك فإن الله تعالى جدّه سيؤتيك في كل غد جديد ما قسم لك، وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهمّ لما ليس لك ولن يسبقك إلى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطيء عنك ما قد قدّر لك؟

٥ - شى: عن ابن الهذيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله قسم الأرزاق بين عباده وأفضل فضلاً كبيراً لم يقسمه بين أحد قال الله: «واسألوا الله من فضله».

٦ - شى: عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ليس من نفس إلا وقد فرض الله لها رزقها حلالاً يأتيها في عافية، وعرض لها بالحرام من وجه آخر، فإن هي تناولت من الحرام شيئاً قاصّها به من الحلال الذي فرض الله لها وعند الله سواهما فضل كبير.

٧ - شى: عن الحسين بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك إنهم يقولون: إن النوم بعد الفجر مكروه لأن الأرزاق تقسم في ذلك الوقت فقال: الأرزاق موزونة مقسومة، والله فضل يقسمه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وذلك قوله: «واسألوا الله من فضله» ثم قال: وذكر الله بعد طلوع الفجر أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض.

٨ - ٥: العدة عن سهل، عن ابن يزيد، عن محمد بن أسلم، عن عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله وكل بالسعر ملكاً فلن يغلو من قلة، ولا يرخس من كثرة (ج ١ ف ص ٣٧٤، ١).

(١) غلا السعر: ارتفع الثمن وزاد عما جرت به العادة. و رخص: انحط عما جرت به العادة.

٩ - ك : محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن ابن معروف ، عن الحجاج ، عن بعض أصحابه ، عن الثمالى ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : إن الله عز وجل وكل ملكاً بالسعر يدبره بأمره . ج ١ ف ص ٣٧٤ .

١٠ - ك : العدة ، عن سهل ، عن ابن يزيد ، عن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله وكل ملكاً بالأسعار يدبرها . ج ١ ف ص ٣٧٤ .

١١ - نهج : وقد رآه رزاق فكشها وقللها ، وقسمها على الضيق والسعة ، فعدل فيها ليعتلي من أراد بميسورها ومعسورها ، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها ، ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها ، ويفرج أفراجها غصص أتراحها ، وخلق الآجال فأطالها وقصرها ، وقدمها وأخرها ، ووصل بالمولت أسبابها ، وجعله خالجا لأشطانها ، وقاطعاً لمرائر أقرانها .

بيان : العقابيل : بقايا المرض ، واحدها عقبول ، والآتراح : الغموم ، والخلج : الجذب ، والشطن : الحبل ، والمرائر : الحبال المفتولة على أكثر من طاق ، والأقران : الحبال .

١٢ - عدة : روي عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » قال : هو قول الرجل : لولا فلان لهلكت ، ولولا فلان لما أصبت كذا وكذا ، ولولا فلان لضاع عيالي ؛ ألا ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه ؟ قلت : فنقول : لولا أن الله من علي بفلان لهلكت ، قال : نعم لا بأس بهذا ونحوه .

١٣ - ك : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، وعدة من أصحابنا ؛ عن سهل بن زياد عن ابن محبوب ، عن أبي حمزة الثمالى ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع : ألا إن الروح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله ، فإن الله تعالى قسم الأرزاق بين خلقه حلالاً ، ولم يقسمها حراماً فمن اتقى الله فصبر آتاه رزقه من حله ، ومن هتك حجاب ستر الله عز وجل وأخذ من

غير حله قصر به من رزقه الحلال و حوسب عليه . « ج ٢ ف ص ٣٥٠ »

بيان : أقول : سيأتى أكثر الآيات والأخبار المتعلقة بهذا الباب في كتاب المكاسب و النفث : النفخ ، و الروح بالضم : العقل والقلب ، والإجمال في الطلب : ترك المبالغة فيه ، ^(١) أي اتقوا الله في هذا الكدّ الفاحش ، أو المعنى أنكم إذا اتقيتم الله لا تحتاجون إلى هذا الكدّ والتعب لقوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » ^(٢) وهتك الستر : تمزيقه وخرقه .

ثمّ الظاهر من هذا الخبر وغيره من الأخبار أنّ الله تعالى قدّر في الصحف السماوية لكلّ بشر رزقاً حلالاً بقدر ما يكفيه بحيث إذا لم يرتكب الحرام و طلب من الحلال سبب له ذلك و يسره له ، و إذا ارتكب الحرام فبقدر ذلك يمنع ممّا قدّر له . ^(٣)

(١) والاعتدال وعدم الإفراط فيه .

(٢) الطلاق : ٣ .

(٣) لا شك أن ما شاهدناه من الوجودات أهم من الجماد والنبات والحيوان والإنسان لا يكفيه أصل الوجود للبقاء بل تستمد في بقائها بأمور أخرى خارجة من وجودها إما بضمها إلى أنفسها بالاحتياجات والافتقار أو بوجه آخر بالأيواء واللبس والتناسل ونحوها . وهذا المعنى في الإنسان وسائر أقسام الحيوان أوضح ، وهو الرزق الذي عليه يتوقف بقاء أقسام الحيوان من غير فرق في ذلك بينها أصلاً ، وقد قال تعالى : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » الآية ، فالرزق ما لا يستغنى عنه موجود في بقاءه ، وإذا خلق الله هذه الأشياء لبقاء ما فقد خلق لها رزقاً ، فاستناد البقاء إليه تعالى بوجوب استناد الرزق إليه من غير شك قال تعالى : « فو رب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » الآية ، و كون الرزق بهذا المعنى أمراً تكوينياً غير مربوط بعالم التكليف كالشمس في رابعة النهار فإن حدوث والبقاء ولو ازم كل منهما أمور تكوينية بلا ريب .

ثم إن الإنسان لما تعلق التكليف ببعض أفعاله المتعلقة بالارزاق كالأكل والشرب والنكاح واللباس ونحوها ، والرزق مما يضطر إليه تكويناً كان لازم ذلك أن لا يتعلق الحرمة والمنع إلا بما له مندوحة والإمكان تكليفاً بالإطاعة قال تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » الآية ، وقال : « إن الله لا يامر بالفضيحة » الآية ، وكان لازم ذلك أن في موارد المحرمات أرزاقاً إلهية محللة هي المندوحة للعبد وهي الارزاق المنسوبة إليه تعالى بحسب النظر التشريعي دون المحرمات . فتحصل أن الرزق رزقان رزق تكويني وهو كل ما يستمد به موجود في بقاءه كيف كان ، ورزق تشريعي ، وهو الحلال الذي يستمد به الإنسان في الحياة دون الحرام فإنه ليس برزق منه تعالى ؛ هذا هو الذي يتحصل من الكتاب والسنة بعد التدبر فيهما . ط

قال الشيخ البهائي قدس الله روحه في شرح هذا الحديث : الرزق عند الأشاعرة كل ما انتفع به حي ، سواء كان بالتغذي أو بغيره ، مباحاً كان أولاً ، وخصه بعضهم بما تربى به الحيوان من الأغذية والأشربة ، وعند المعتزلة هو كل ماصح انتفاع الحيوان به بالتغذي أو غيره ، وليس لأحد منعه منه فليس الحرام رزقاً عندهم ، وقال الأشاعرة في الرد عليهم : لولم يكن الحرام رزقاً لم يكن المغتذي طول عمره بالحرام مرزوقاً ، وليس كذلك لقوله تعالى : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها »^(١) وفيه نظر فإن الرزق عند المعتزلة أعم من الغذاء وهم لم يشترطوا الانتفاع بالفعل ، فالمغتذي طول عمره بالحرام إنما يرد عليهم لولم ينتفع مدة عمره بشيء انتفاعاً محللاً ، ولو بشرب الماء والتنفس في الهواء ، بل ولا تمكن من الانتفاع بذلك أصلاً ، وظاهر أن هذا مما لا يوجد ، وأيضاً فلمهم أن يقولوا : لومات حيوان قبل أن يتناول شيئاً محللاً ولا محرماً يلزم أن يكون غير مرزوق ، فما هو جوابكم فهو جوابنا ؛ هذا ، ولا يخفى أن الأحاديث المنقولة في هذا الباب متخالفة ، والمعتزلة تمسكوا بهذا الحديث ، وهو صريح في مدعاهم غير قابل للتأويل ، والأشاعرة تمسكوا بما روه عن صفوان بن أمية قال : كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاء عمر بن قرّة فقال : يا رسول الله إن الله كتب علي الشقوة فلا أراني أرزق إلا من دفتي بكفتي ، فاذن في الغناء من غير فاحشة ؛ فقال ﷺ : لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة أي عدو الله لقد رزقك الله طيباً فاخترت ما حرم عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله ، أما إنك لو قلت بعد هذه المقالة ضربتك ضرباً وجيعاً . والمعتزلة يطعنون في سند هذا الحديث تارةً وبأولونه على تقدير سلامته أخرى بأن سياق الكلام يقتضي أن يقال : فاخترت ما حرم الله عليك من حرامه مكان ما أحل الله لك من حلاله ، وإتما قال ﷺ : من رزقه مكان من حرامه ، فأطلق على الحرام اسم الرزق بمشكلة قوله : فلا أراني أرزق ، وقوله ﷺ : لقد رزقك الله ، و تمسك المعتزلة أيضاً بقوله تعالى : « ومما رزقناهم ينفقون »^(٢) قال الشيخ في التبيان

(١) هود : ٦ .

(٢) البقرة : ٣ .

ما حاصله : أن هذه الآية تدل على أن الحرام ليس رزقاً لأنه سبحانه مدحهم بالإففاق من الرزق ، والإففاق من الحرام لا يوجب المدح ، وقد يقال : إن تقديم الظرف يفيد الحصر وهو يقتضي كون المال المنفق على ضريين : ما رزقه الله ، وما لم يرزقه وإن المدح إنما هو على الإففاق مما رزقهم وهو الحلال ، لا مما سواً لهم أنفسهم من الحرام ولو كان كل ما ينفقونه رزقاً من الله سبحانه لم يستقم الحصر فتأمل . انتهى كلامه رفع الله مقامه .

أقول : إن كان المراد بقولهم : رزقهم الله الحرام أنه خلقه ومكّنهم من التصرف فيه فلا نزاع في أن الله رزقهم بهذا المعنى ، وإن كان المعنى أنه المؤثر في أفعالهم وتصرفاتهم في الحرام فهذا إنما يستقيم على أصلهم الذي ثبت بطلانه ، وإن كان الرزق بمعنى التمكين وعدم المنع من التصرف فيه بوجه فظاهر أن الحرام ليس برزق بهذا المعنى على مذهب من المذاهب ، وإن كان المعنى أنه قدّر تصرفهم فيه بأحد المعاني التي مضت في القضاء والقدر ، أو خذلهم ولم يصرفهم جبراً عن ذلك فهذا المعنى يصدق أنه رزقهم الحرام ؛ وأما ظواهر الآيات والأخبار الواردة في ذلك فلا يريب عاقل في أنها منصرفة إلى الحلال ، كما أوامنا إلى معناه سابقاً .

وأما الأسعار فقد ذهبت الأشاعرة إلى أنه ليس المسعر إلا الله تعالى ، بناءً على أصلهم من أن المؤثر في الوجود إلا الله . وأما الإمامية والمعتزلة فقد ذهبوا إلى أن الغلاء والرخص قديكونان بأسباب راجعة إلى الله ، وقد يكونان بأسباب ترجع إلى اختيار العباد ؛ وأما الأخبار الدالة على أنهما من الله فالمعنى أن أكثر أسبابهما راجعة إلى قدرة الله ، أو أن الله تعالى لما لم يصرف العباد عما يختارونه من ذلك مع ما يحدث في نفوسهم من كثرة رغباتهم ، أو غناهم بحسب المصالح فكأنهما وقعا بإرادته تعالى ، كما مرّ القول فيما وقع من الآيات والأخبار الدالة على أن أفعال العباد بإرادة الله تعالى ومشيئته ، وهدايته وإضلاله ، وتوفيقه وخذلانه ؛ ويمكن حمل بعض تلك الأخبار على المنع من التسعير والنهي عنه ؛ بل يلزم الوالي أن لا يجبر الناس على السعر ويتركهم واختيارهم ، فيجري السعر على ما يريد الله تعالى .

قال العلامة رحمه الله في شرحه على التجريد : السعر هو تقدير العوض الذي يباع به الشيء ، وليس هو الثمن ولا المثلن ، وهو ينقسم إلى رخص و غلاء ، فالرخص هو السعر المنحط عما جرت به العادة مع اتحاد الوقت والمكان ، و الغلاء زيادة السعر عما جرت به العادة مع اتحاد الوقت و المكان ، وإنما اعتبرنا الزمان و المكان لأنه لا يقال : إن الثلج قد رخص سعره في الشتاء عند نزوله لأنه ليس أوان سعره ، ويجوز أن يقال : رخص في الصيف إذا نقص سعره عما جرت عادته في ذلك الوقت ، ولا يقال : رخص سعره في الجبال التي يدوم نزوله فيها لأنها ليست مكان بيعه ، ويجوز أن يقال : رخص سعره في البلاد التي اعتيد بيعه فيها ، واعلم أن كل واحد من الرخص والغلاء قد يكون من قبله تعالى بأن يقلل جنس المتاع المعين ، ويكثر رغبة الناس إليه فيحصل الغلاء لمصلحة المكلفين ، وقد يكثر جنس ذلك المتاع ويقلل رغبة الناس إليه تفضلاً منه وإنعاماً ، أو لمصلحة دينية فيحصل الرخص ، وقد يحصلان من قبلنا بأن يحمل السلطان الناس على بيع جميع تلك السلعة بسعر غالٍ ظلماً منه ، أو لاحتكار الناس ، أو لمنع الطريق خوف الظلمة ، أو لغير ذلك من الأسباب المستند إلينا فيحصل الغلاء ، وقد يحمل السلطان الناس على بيع السلعة برخص ظلماً منه ، أو يحملهم على بيع ما في أيديهم من جنس ذلك المتاع فيحصل الرخص .

﴿باب ٦﴾

﴿السعادة والشقاوة والخير والشر وخالفهما و مقدرهما﴾ ❊

الآيات ، هود ١١ « فمنهم شقي وسعيد ❊ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ❊ « إلى قوله تعالى : « وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها . الآية ١٠٥ - ١٠٨ .

المؤمنين ٢٣ « ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ❊ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ١٠٥ - ١٠٦ .

الزمر ٣٩ « وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم

وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ٧١ .
التغابن «٦٤» هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ٣ .

تفسير : قال البيضاوي : «فمنهم شقي» وجبت له النار بمقتضى الوعد «وسعيد»
وجبت له الجنة بموجب الوعد .

وقال الطبرسي رحمه الله : «غلبت علينا شقوتنا» أي شقاوتنا وهي المضرة الآخرة
في العاقبة ، والسعادة : المنفعة الآخرة في العاقبة ، والمعنى : استعلت علينا سيئاتنا التي
أوجبت لنا الشقاوة .

وقال الزمخشري : قالوا : بلى أتونا وتلوا علينا ، ولكن وجبت علينا كلمة الله بسوء
أعمالنا كما قالوا : «غلبت علينا شقوتنا» فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر
والضلال .

١ - لمي : أبي ، عن علي ، عن أبيه ، عن صفوان بن يحيى ، عن الكتاني ، عن
الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : الشقي من شقي في بطن أمه . الخبر .

٢ - ب : محمد بن عيسى ، عن القداح ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليه السلام قال : خرج
رسول الله صلى الله عليه وآله قابضاً على^(١) شيتين في يده ، ففتح يده اليمنى ثم قال :
جبرئيل الرحمن الرحيم ، كتاب من الرحمن الرحيم في أهل الجنة بأعدادهم وأحسابهم
وأنسابهم مجمل^(٢) عليهم ، لا ينقص منهم أحد ، ولا يزداد فيهم أحد . ثم فتح يده
اليسرى فقال : بنينا إبراهيم الخليل كتاب من الرحمن الرحيم في أهل النار بأعدادهم وأحسابهم
وأنسابهم مجمل^(٣) عليهم إلى يوم القيامة لا ينقص منهم أحد ، ولا يزداد فيهم أحد ، وقد
يسلك بالسعداء طريق الأشتياء حتى يقال : هم منهم ، هم هم ، ما أشبههم بهم ! ثم يدرك
أحدهم سعادته قبل موته ولو بفوق ناقة ، وقد يسلك بالأشتياء طريق أهل السعادة
حتى يقال : هم منهم ، هم هم ، ما أشبههم بهم ، ثم يدرك أحدهم شقاءه ولو قبل موته ولو بفوق
ناقة ، فقال النبي ﷺ : العمل بخواتيمه ، العمل بخواتيمه . (٤) «ص ١٣»

(١) في المصدر : قابضاً شيتين بدون على .

(٢) في نسخة : مجمل .

(٤) سياتي الحديث بالفاظ أخرى تحت رقم ١٣ و ١٥٥ .

بيان : قال الجزري : في حديث القدر : كتاب فيه أسماء أهل الجنة وأهل النار أجل على آخرهم ، تقول : أجلت الحساب : إذا جمعت آحاده وكمّلت أفراده ، أي أحصوا فلا يزداد فيهم ولا ينقص . وقال الفيروز آبادي : الفواق كغراب : ما بين الحلبتين من الوقت ، ويفتح ، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع .

٣ - ب : ابن عيسى ، عن البرنظي قال : سألت الرضا عليه السلام أن يدعو الله لامرأة من أهلنا بها حمل : فقال : قال أبو جعفر عليه السلام : الدعاء مالم يمض أربعة أشهر ؛ فقلت له : إنما لها أقل من هذا فدعا لها ، ثم قال : إن النطفة تكون في الرحم ثلاثين يوماً ، وتكون علقة ثلاثين يوماً ، وتكون مضغة ثلاثين يوماً ، وتكون مخلقة وغير مخلقة ثلاثين يوماً ، وإذا تمت الأربعة أشهر بعث الله تبارك وتعالى إليها ملكين خلّاقين يصوّرانه ، ويكتبان رزقه وأجله شقيماً أو سعيداً * ص ١٥٤ - ١٥٥ .

بيان : قال البيضاوي في قوله تعالى : «مخلقة وغير مخلقة» : مسوّاة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسوّاة ؛ أو تامّة وساقطة ؛ أو مصوّرة وغير مصوّرة انتهى .

أقول : لعل المراد بالخبر أن في ثلاثين يوماً بعد المضيعة إمّا أن يبتدأ في تصويره بخلق عظامه ، أو يسقط ، أو إمّا أن يسوّى بحيث لا يكون فيه عيب ، أو يجعل حيث يكون فيه عيب . ثم أعلم أن هذا الخبر يمكن أن يكون تفسيراً لقوله عليه السلام : الشقي من شقي في بطن أمه ؛ أي يكتب شقوته ، وما يؤول إليه أمره عليه في ذلك الوقت .

٤ - ب : بالإسناد قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : جفّ القلم بحقيقة الكتاب من الله بالسعادة لمن آمن واتقى ، والشقاوة من الله تبارك وتعالى لمن كذّب وعصى . * ص ١٥٦ .

٥ - ل : ما جيلويه ، عن عمّه ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن وهب بن وهب ، عن جعفر ابن محمد ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن علي عليه السلام أنه قال : حقيقة السعادة أن يختم الرجل عمله بالسعادة ، وحقيقة الشقاء أن يختم المرء عمله بالشقاء .

٦ - ع : المظفر العلوي ، عن جعفر بن محمد بن مسعود ، عن أبيه ، عن علي بن الحسن ، عن محمد بن عبد الله بن زرارة ، عن علي بن عبد الله ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أمير المؤمنين

صلوات الله عليه قال : تعتلج النطفتان ^(١) في الرحم فأيتهما كانت أكثر جاءت تشبهها ، فإن كانت نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أخواله ، وإن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه . وقال : تحوّل النطفة في الرحم أربعين يوماً فمن أراد أن يدعو الله عزّ وجلّ ففي تلك الأربعين قبل أن تخلق ، ثمّ يبعث الله عزّ وجلّ ملك الأرحام فيأخذها فيصعد بها إلى الله عزّ وجلّ فيقف منه ما شاء الله ^(٢) ، فيقول : يا إلهي أذكر أم أنثى ؟ فيوحى الله عزّ وجلّ ^(٣) من ذلك ما يشاء ويكتب الملك ، ثمّ يقول : إلهي أشقي أم سعيد ؟ فيوحى الله عزّ وجلّ من ذلك ما يشاء ويكتب الملك ، فيقول : اللهم كم رزقه وما أجله ؟ ثمّ يكتبه ويكتب كل شيء يصيبه في الدنيا بين عينيه ، ثمّ يرجع به فيردّه في الرحم ؛ فذلك قول الله عزّ وجلّ : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها » . « ص ٤٣ »

٧ - ن : المفسّر بإسناده إلى أبي محمد عليه السلام قال : قال الرضا عليه السلام : قيل لرسول الله صلّى الله عليه وآله : يا رسول الله هلك فالان ، يعمل من الذنوب كيت وكيت ، ^(٤) فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : بل قد نجا ولا يختم الله تعالى عمله إلا بالحسن ، وسيمحو الله عنه السيئات ، ويبدّل لها له حسنات إنّه كان مرّة يمرّ في طريق عرض له مؤمن قد انكشف عورته وهو لا يشعر فسترها عليه ولم يخبره بها خوفاً أن يخجل ، ثمّ إنّ ذلك المؤمن عرفه في مهواه فقال له : أجزل الله لك الثواب ، ^(٥) وأكرم لك المآب ، ^(٦) ولا ناقشك الحساب ^(٧)

(١) اعتلجت الوحش : تضاربت ، واعتلج القوم : اقتتلوا واصطرعوا . أقول : فيه إيماء منه عليه السلام إلى وجود الحيوانات الصنار العبية في النطفة .

(٢) في المصدر : حيث يشاء الله . م

(٣) يفتح التاء وقد يكرر : يكتن بها عن الحديث والخبر ، وتستعملان بدون الواو أيضاً ولا تستعملان إلا مكررتين .

(٤) في نسخة : فيوحى الله عز وجل إليه .

(٥) أي أكثره وأوسع .

(٦) المآب : المرجع والينقلب .

(٧) ناقشه الحساب وفي الحساب : استقصى في حاسبه .

فاستجاب الله له فيه ، فهذا العبد لا يختم له إلا بخير بدعاء ذلك المؤمن ، فاتصل قول رسول الله ﷺ بهذا الرجل فتاب وأناب وأقبل إلى طاعة الله عز وجل فلم يأت عليه سبعة أيام حتى أُعير على سرح المدينة ^(١) فوجه رسول الله ﷺ في أثرهم ^(٢) جماعة ذلك الرجل أحدهم فاستشهد فيهم .

٨ - يد : الدقاق ، عن الكليني ، عن علي بن محمد ، رفعه ، عن شعيب العرقوفي عن أبي بصير قال : كنت بين يدي أبي عبد الله ﷺ جالسا وقد سأله سائل فقال : جعلت فداك يا بن رسول الله من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتى حكم لهم في علمه بالعذاب على عملهم ؟ فقال أبو عبد الله ﷺ : أيها السائل علم الله عز وجل أن لا يقوم أحد من خلقه بحقه فلما علم بذلك وهب لأهل محبته ^(٣) القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم ، ولم يمنهم إطاقة القبول منه لأن علمه أولى بحقيقة التصديق فوافقوا ماسبق لهم في علمه ، وإن قدروا ^(٤) أن يأتوا خلا لا ينجيهم عن معصيته وهو معنى شاء ما شاء وهو سر . ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ، بيان : هذا الخبر مأخوذ من الكافي ، وفيه تغيرات عجيبة تورث سوء الظن بالصدوق وإنه إنما فعل ذلك ليوافق مذهب أهل العدل ^(٥) ، وفي الكافي هكذا : أيها السائل حكم الله عز وجل لا يقوم أحد من خلقه بحقه فلما حكم بذلك وهب لأهل محبته القوة على معرفته ، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهل له ، وهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم ، ومنعهم إطاقة القبول منه فوافقوا ماسبق لهم في علمه ، ولم يقدروا أن يأتوا حالا تنجيهم من عذابه لأن علمه أولى بحقيقة التصديق وهو معنى شاء ما شاء وهو سر .

قوله ﷺ : لا يقوم أحد أي تكاليفه تعالى شاقة لا يتيسر الإتيان بها إلا بهدأته

(١) أغار عليهم: هجم وأوقع بهم . سرح المدينة : فناها .

(٢) بفتح الهمزة وكسرها : بعدهم .

(٣) الوجود في التوحيد المطبوع هكذا : وهب لأهل محبته القوة على معرفته ، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهل له ، وهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم إله . فالظاهر أنها كانت ساقطة عن نسخته قدس سره .

(٤) في نسخة كما في التوحيد المطبوع : ولم يقدروا .

(٥) هذا البيان ناش عن سقوط سطر من نسخة المؤلف - رحمه الله - والصدوق (ره) أثبت وأضبط .

تعالى ؛ أو كيفية حكم الله وقضائه في غاية الغموض ، لاتصل إليها عقول أكثر الخلق .
قوله عَلَيْكُمْ : ومنهم إطاقة القبول قيل : هو مصدر مضاف إلى الفاعل أي منعوا أنفسهم
إطاقة القبول ، و الظاهر أنه على صيغة الماضي أي منع الله منهم غاية الوسع و الطاقة
بالأنطاف والهدايات التي يستحقها أهل الطاعة بنيئاتهم الحسنة لأنه سلبهم القدرة
على الفعل والله يعلم .

٩ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن أبي الخطاب ، عن ابن أسباط ، عن
البطائني ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَام في قول الله عز وجل : « قالوا ربنا غلبت
علينا شقوتنا » قال : بأعمالهم شقوا . ص ٣٦٦

١٠ - يد : محمد بن أحمد العلوي ، عن ابن قتيبة ، عن الفضل ، عن ابن أبي عمير قال :
سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَام عن معنى قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الشقي من شقي
في بطن أمه و السعيد من سعد في بطن أمه ؛ فقال : الشقي من علم الله ^(١) وهو في بطن
أمه أنه سيعمل أعمال الأتقياء ، و السعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل
أعمال السعداء . قلت له : فما معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ؛ فقال :
إن الله عز وجل خلق الجن والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه ، وذلك قوله عز وجل
« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » فيسر كلاً لما خلق له ، فالويل لمن استحسب العمى
على الهدى . ص ٣٦٦

١١ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن يزيد ، عن صفوان ، عن ابن حازم
عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَام قال : إن الله عز وجل خلق السعادة والشقاوة قبل أن يخلق خلقه
فمن علمه الله ^(٢) سعيداً لم يغيضه أبداً . وإن عمل شراً أبغض عمله ولم يغيضه ، وإن علمه
شقيماً لم يحببه أبداً ، و إن عمل صالحاً أحب عمله و أبغضه لما يصير إليه ، فإذا أحب الله
شيئاً لم يغيضه أبداً ، وإذا أبغض شيئاً لم يحببه أبداً . ص ٣٦٧
سنن : أبي ، عن صفوان مثله . ص ٢٧٩

(١) في المصدر : من علمه الله وكذا في قوله عليه السلام والسعيد من علم الله . م

(٢) في المحاسن فمن خلقه الله . م

بيان : خلق السعادة والشقاوة أي قدّرهما بتقدير التكاليف الموجهة لهما . قوله عليه السلام : فمن علمه الله سعيداً في الكافي : فمن خلقه الله أي قدّره بأن علمه كذلك ، وأثبت حاله في اللوح أو خلقه حالكونه عالماً بأنّه سعيدٌ .

١٢ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار وسعد معاً ، عن أيوب بن نوح ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : «واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه» قال : يحول بينه وبين أن يعلم أنّ الباطل حقّ وقد قيل : إنّ الله تعالى يحول بين المرء وقلبه بالموت ، ^(١) وقال أبو عبد الله عليه السلام : إنّ الله ينقل العبد من الشقاء إلى السعادة ، ولا ينقله من السعادة إلى الشقاء . «ص ٣٦٧-٣٦٨»

١٣ - ير : إبراهيم بن هاشم ، عن الحسين بن سيف ، عن أبيه ، عن أبي القاسم ، عن محمد بن عبد الله قال : سمعت جعفر بن محمد يقول : خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله الناس ثم رفع يده اليمنى قابضاً على كفه فقال : أتدرون ما في كفي؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : فيها أسماء أهل الجنة ، وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة ؛ ثم رفع يده اليسرى فقال : أيّتها الناس أتدرون ما في يدي؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . فقال : أسماء أهل النار ، وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة ؛ ثم قال : حكم الله وعدل ، وحكم الله وعدل ، فريق في الجنة وفريق في السعير . ^(٢)

١٤ - سن : أبي ، عن النضر ، عن الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن ابن حازم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أوجب الله العبد ثمّ يبغضه ؛ أو يبغضه ثمّ يحبّه ؟ فقال : ما تزال تأتيني بشيء ! فقلت : هذا ديني وبه أخاصم الناس ، فإنّ نيتي عنه تركته . ثم قلت له : هل أبغض الله محمدًا صلّى الله عليه وآله على حال من الحالات ؟ فقال : لو أبغضه على حال من الحالات لما ألطف له حتّى أخرجه من حال إلى حال فجعله نبياً ؛ فقلت : ألم تجبني منذ سنين عن الشقاوة والسعادة أنّهما كانا قبل أن يخلق الله الخلق ؟ ! قال : بلى وأنا الساعة أقوله ؛ قلت : فأخبرني عن السعيد هل أبغضه الله على حال من الحالات ؟ فقال : لو أبغضه على حال من

(١) الظاهر أن جملة «وقد قيل ان الله الخ» من كلام الصدوق مدرجة بين الحديثين .

(٢) تقدم الحديث بالفاظ اخرى تحت رقم ٢ ويأتى بعد أيضاً .

الحالات لما ألطف له حتّى يخرجّه من حال إلى حال فيجعله سعيداً؛ قلت: فأخبرني عن الشقيّ هل أحبه الله على حال من الحالات؟ فقال: لو أحبه على حال من الحالات ماتركه شقيّاً ولاستنقذه من الشقاء إلى السعادة؛ قلت: فهل يبغض الله العبد ثمّ يحبّه أو يحبّه ثمّ يبغضه؟ فقال: لا. «ص ٢٧٩-٢٨٠»

١٥ - سن: النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن معلّى أبي عثمان، عن عليّ بن حفظة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اختصم رجلان بالمدينة: قدريّ ورجل من أهل مكّة فجعلوا أباعد الله بينهما فأتياه فذكرا كلامهما فقال: إن شئتما أخبرتكما بقول رسول الله عليه السلام؟ فقالا: قد شئنا، فقال: قام رسول الله عليه السلام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: كتاب كتبه الله يمينه - وكلنا يديه يمين - فيه أسماء أهل الجنة بأسمائهم و أسماء آبائهم وعشائرتهم ويجمع عليهم ^(١)، لا يزيد فيهم رجلاً ولا ينقص منهم رجلاً ^(٢)، وقد يسلك بالسعيد في طريق الأَشقياء حتّى يقول الناس: كان ^(٣) منهم، ما أشبهه بهم! بل هو منهم، ثمّ تداركه السعادة؛ وقد يسلك بالشقيّ طريق السعداء حتّى يقول الناس: ما أشبهه بهم! بل هو منهم، ثمّ يتداركه الشقاء، من كتبه الله سعيداً ولولم يبق من الدنيا ^(٤) إلا فواق ناقة ختم الله له بالسعادة. «ص ٢٨٠»

يد: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن النضر، عن الحلبيّ، عن معلّى أبي عثمان، عن ابن حفظة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يسلك بالسعيد طريق الأَشقياء إلى آخر الخبر. «ص ٣٦٦ - ٣٦٧»

١٦ - سن ابن فضال، عن مشنّى الحنّاط، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال: إن الله خلق قوماً يحبّنا، وخلق قوماً لبغضنا، فلو أن الذين خلقهم

(١) في المصدر: مجمل عليهم، بدون الواو.

(٢) في المصدر: ولا ينقص منهم أحداً أبداً. وكتاب كتبه الله فيه أسماء أهل النار بأسمائهم وأسماء

آبائهم وعشائرتهم مجمل عليهم لا يزيد فيهم رجلاً ولا ينقص منهم رجلاً. م

(٣) في المصدر: كأنه منهم. م

(٤) في المصدر: من الدنيا شيء. م

لحببنا خرجوا من هذا الأمر إلى غيره لأعادهم إليه وإن رغمت آنا فهم ، وخلق قوماً لبغضنا فلا يحبوننا أبداً . « ص ٢٨٠ » .

١٧ - سن : الوشاء ، عن مثنى ، عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن الله خلق خلقه ، فخلق خلقاً أحببنا لو أن أحداً خرج من هذا الرأي لردّه الله إليه ، وإن رغم أنفه ، وخلق قوماً لبغضنا فلا يحبوننا أبداً . ^(١) « ص ٢٨٠ »

١٨ - سن : ابن محبوب ، وعلي بن الحكم ، عن معاوية بن وهب ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن مما أوحى الله إلى موسى وأنزل في التوراة : إني أنا الله لا إله إلا أنا ، خلقت الخلق و خلقت الخير وأجريت على يدي من أحب ، فطوبى لمن أجريته على يديه ، وأنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخلق و خلقت الشر وأجريت على يدي من أريد فويل لمن أجريته على يديه . « ص ٢٨٣ »

١٩ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حكيم ، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن في بعض ما أنزل الله في كتبه : إني أنا الله لا إله إلا أنا ، خلقت الخير و خلقت الشر فطوبى لمن أجريت على يديه الخير ، وويل لمن أجريت على يديه الشر ، وويل لمن قال : كيف ذا ؟ وكيف ذا ؟ « ص ٢٨٣ »

٢٠ - سن : محمد بن سنان ، عن حسين بن أبي عبيد ، وعمر والفرق الخياط ، ^(٢) و عبد الله بن مسكان كلهم ، عن أبي عبيدة الحذاء ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله يقول : أنا الله لا إله إلا أنا ، خالق الخير والشر ، و هما خلقان من خلقي ، فطوبى لمن قدرّت له الخير : و ويل لمن قدرّت له الشر ، و ويل لمن قال : كيف ذا ؟ . « ص ٢٨٣ »

(١) اتحاده مع ما قبله ظاهر . وليس في المصدر : إليه .

(٢) أوردّه الشيخ في كتابه الفهرست و استظهر الميرزا كونه عمرو بن خالد الحنط الإفريق

الترجم في رجال النجاشي بقوله : عمرو بن خالد الحنط ، لقبه الإفريق ، مولى ، ثقة ، عين ، روى عن أبي عبد الله عليه السلام ، له كتاب إله وأما الحسين بن أبي عبيد فلم نظفر بترجمته .

٢١ - سن : الحسن بن علي^(١)، عن داود بن سليمان الجمّال^(٢) قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام وذكر عنده القدر وكلام الاستطاعة - فقال : هذا كلام خبيث ، أنا على دين آبائي ، لا أرجع عنه ، القدر حلوه ومرّه من الله ، والخير والشرّ كلّهُ من الله . ج ١ ص ٢٨٣

٢٢ - سن : أبو شعيب المحاملي^(٣)، عن أبي سليمان الحمّار^(٤) عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن شيء من الاستطاعة فقال : يا أبا محمد الخير والشرّ حلوه ومرّه وصغيره وكثيره من الله . ج ١ ص ٢٨٤

بيان : المراد بخلق الخير والشرّ إمّا تقديرهما كما مرّ ، أو المراد خلق الآلات والأسباب التي بها يتيسّر فعل الخير وفعل الشرّ كما أنّه تعالى خلق الخمر ، وخلق في الناس القدرة على شربها ، أو كناية عن أنّهما إنّما يحصلان بتوقيفه وخذلانه فكأنّه خلقهما ؛ أو المراد بالخير والشرّ النعم والبلايا ؛ أو المراد بخلقهما خلق من يعلم أنّه يكون باختياره مختاراً للخير ، ومختاراً للشرّ ، والله يعلم .

٢٣ - سن : البرنظي^(٥)، عن حماد بن عثمان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من زعم أن الله يأمر بالفحشاء فقد كذب على الله ، ومن زعم أن الخير والشرّ إليه فقد كذب على الله .^(٥) ج ١ ص ٢٨٤
شي : عن أبي بصير مثله .

(١) في المصدر : الحسين بن علي . م

(٢) في المحاسن المطبوع أيضا (الجمال) وكذا فيما يأتي بعده ، والصحيح فيما (الجمار) ونقل عن خط الشهيد ضبطه بالحاء المهملة ، والميم المشددة ، و الرأه أخيرا ، قال النجاشي في ١١٥ من رجاله : داود بن سليمان ، أبو سليمان الجمّار ، كوفي ثقة ، روى عن أبي عبد الله عليه السلام .

(٣) كنية صالح بن خالد المحاملي .

(٤) كنية داود بن سليمان المتقدم .

(٥) الخير موجود مخلوق من غيرك و أما الشر فليس بوجود ولا مخلوق بالاصالة وإنما يتحقق بالعرض وببقايسة شيء إلى شيء نحواً من القبايسة ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « والله »

﴿باب ٧﴾

﴿الهداية والاضلال والتوفيق والخذلان﴾

الآيات ، الفاتحة «١» إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهدنا الصراط المستقيم ٦.

البقرة «٢» إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ تَعَالَى : يَضَلُّ بِهِ كَثِيرٌ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرٌ وَمَا يَضَلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ تَعَالَى : فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لما اختلفوا فيه من الحقِّ بإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٧﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِكُمْ الْبُأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَ زَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٣-٢١٤﴾ وَقَالَ تَعَالَى : اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿٢٥٧﴾ وَقَالَ : وَاللَّهُ لَاهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ وَقَالَ : وَاللَّهُ لَاهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾.

آل عمران «٣» قُلْ إِنَّ الْهُدَى هَدَى اللَّهُ ﴿٧٣﴾ وَقَالَ تَعَالَى : كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٨٦ .

النساء «٤» : وَلَهْدَيْنَاهُم صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ٦٨ .

المائدة «٥» : وَ مَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ ﴿٤١﴾ وَقَالَ تَعَالَى : فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمْ أَنَّكُمْ يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ

• خالق كل شيء • الآية وقوله : «الذي أحسن كل شيء خلقه» الآية حيث عد كل شيء خلقاً لنفسه ثم عده حسناً غير سيء ، وقال تعالى : ما أصابك من سيئة فمن نفسك الآية فعد بعض الأشياء كالبلايا و الأمراض سيئات و ذكرها بالسوء ، مع أنها من حيث وجودها وخلقها حسنة فليست مساؤها إلا من جملة المرض والمقايضة .

فلاشياء أعم من الخيرات والشور من حيث وجودها وخلقها مستندة إليه تعالى كما ذكر في خبر المحاسن رقم ٢١ وكذلك مع المقايضة إذا كان الاستناد أعم مما بالذات وبالعرض والشور من حيث هي شرو لا تستند إليه تعالى بالإصالة كما ذكر في هذا الخبر . ط

بعض ذنوبهم ٤٩ « وقال تعالى : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسعٌ عليمٌ ٥٤
 « وقال تعالى : إن الله لا يهدي القوم الكافرين ٦٧ « وقال تعالى : والله لا يهدي القوم
 الفاسقين ١٠٨ .

الانعام ٦٠ « ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي آذانهم
 وقراً ٢٥ « وقال تعالى : ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكوننَّ من الجاهلين ٣٥
 « وقال تعالى : وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ١٢٣ « وقال
 تعالى : من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ٣٩ « وقال تعالى : و
 كذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ٥٣ « وقال تعالى : و
 نقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون * ولو
 أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا
 إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون * وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإانس
 والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما
 يفترون * ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتربوا ماهم
 مقترفون ١١٠-١١٣ « وقال تعالى : فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن
 يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس
 على الذين لا يؤمنون ١٢٥ « وقال تعالى : إن الله لا يهدي القوم الظالمين ١٤٤ « وقال تعالى :
 فلوشاء لهديكُم أجمعين ١٤٩ .

الاعراف ٧ « إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ٢٧ « وقال تعالى : من
 يهدي الله فهو المهتد ومن يضل فإوئلك هم الخاسرون * ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً
 من الجن والإانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون
 بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ١٧٨-١٧٩ « وقال تعالى : فريقاً هدى
 وفريقاً حق عليهم الضلالة ٣٠ « وقال تعالى : سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون
 في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه
 سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها

غافلين ١٤٦ « وقال تعالى » : من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ١٨٦ .
 الانفال ٧ « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ١٧
 « وقال تعالى » : واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ٢٤ .^(١)

التوبة ٩ « والله لا يهدي القوم الظالمين ١٩ « وقال تعالى » : والله لا يهدي القوم
 الفاسقين ٢٤ « وقال تعالى » وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ٨٧ « وقال تعالى » : صرف الله
 قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ١٢٧ .

يونس ١٠ « والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ٢٥ « وقال
 تعالى » : كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ٣٣ « وقال تعالى » :
 ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون * ومنهم من ينظر إليك
 أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون * إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم
 يظلمون ٤٢-٤٣ « وقال تعالى » : إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم
 كل آية حتى يروا العذاب الأليم ٩٦-٩٧ .

هود ١١ « وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ٨٨ « وقال تعالى » : ولو
 شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم
 وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ١١٨-١١٩ « وقال تعالى » :
 ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه
 ترجعون ٣٤ .^(٢)

(١) قال الرضى رحمه الله : هذه استعارة على بعض التأويلات المذكورة في هذه الآية ، والمعنى :
 أن الله أقرب إلى العبد من قلبه ، فكأنه حائل بينه وبينه من هذا الوجه ، أو يكون المعنى أنه قادر
 على تبديل قلب المرء من حال إلى حال ، إذ كان سبحانه موصوفاً بأنه مقلب القلوب ، والمعنى أنه ينقلها
 من حال الأمن إلى حال الخوف ، ومن حال الخوف إلى حال الأمن ، ومن حال السوء إلى حال السرور ،
 ومن حال المحبوب إلى حال المكروه .

(٢) الاغواء : هو الدعا إلى التى والضلال ، و ذلك غير جائز على الله سبحانه لقبه ، وورود
 أمره بضده ، فهو من قبيل الاستعارة ، و المراد هنا تخييبه سبحانه لهم من رحمته لكفرهم به ، و
 ذهابهم عن أمره ، وخذلانهم عن سبيل الرشاد ، ويجوز أن يكون بمعنى الهلاك ، كما يجوز أن يكون
 بمعنى الحكم بالفاوة عليهم .

الرعد ١٣: «قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ» ٢٧ «وَقَالَ تَعَالَى: أَفَلَمْ يَيَأْسُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً» ٣١ «وَقَالَ تَعَالَى: وَمَنْ يَضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» ٣٣.

ابراهيم ١٤: «فِيضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» ٤ «وَقَالَ تَعَالَى: يَثْبِتَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيَضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» ٢٧.

الفحل ١٦: «لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» ٩٣ «وَقَالَ تَعَالَى: وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» * «وَلِئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَأُوتِيَكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» ١٠٧-١٠٨. الاسرى ١٧: «وَمَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَمَا لَهُ مَهْتَدٍ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تُجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ» ٩٧ «وَقَالَ تَعَالَى: وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا هَا تَدْمِيرًا» ١٦.

الكهف ١٨: «مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَمَا لَهُ مَهْتَدٍ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تُجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا» ١٧. مريم ١٩: «قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا» ٧٥ «وَقَالَ تَعَالَى: وَيزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى» ٧٦ «وَقَالَ تَعَالَى: أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوَزَّعُهُمْ أَوْزًا» ٨٣.

النور ٢٤: «وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» ٢١ «وَقَالَ تَعَالَى: وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ» ٤٠ «وَقَالَ تَعَالَى: وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» ٤٦.

الفرقان ٢٥: «وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا» ١٨. الشعراء ٢٦: «كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» ٢٠٠ - ٢٠١.

النمل ٢٧: «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتُوا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَهُمْ» ٤. القصص ٢٨: «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» ٤١ «وَقَالَ تَعَالَى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي

من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ٥٦ .

الروم ٣٠ : فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين ٢٩ « وقال سبحانه » :
كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ٥٩ .

التنزيل ٣٢ : ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها ولكن حق القول مني لا ملأنا
جهنم من الجنة والناس أجمعين ١٣ .

سبا : ٣٤ « قل : إن ضللت فإني أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي
ربي إنه سميع قريب ٥٠ .

فاطر ٣٥ : أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء
ويهدي من يشاء ٨ « وقال سبحانه » إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في
القبور ٢٢ .

يس ٣٧ : لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * إنا جعلنا في أعناقهم
أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً
فأغشيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ٧ - ١٠ .

الزمر ٣٩ : إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ٣ « وقال تعالى » : ذلك هدى الله
يهدي به من يشاء و من يضل الله فماله من هاد ٢٣ ومن يهد الله فماله من مضل ٣٧
« وقال تعالى » : أوتقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين ٥٧ .

المؤمن ٤٠ : ومن يضل الله فماله من هاد ٣٣ « وقال تعالى » : كذلك يضل الله
من هو مسرف مرتاب ٣٤ « وقال تعالى » : كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ٣٥
« وقال تعالى » : كذلك يضل الله الكافرين ٧٤ .

السجدة ٤١ : وقضينا لهم قرناً فزينا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم
القول في أمم قد دخلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ٢٥ .

حمسق ٤٢ : الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ١٣ « وقال تعالى » :
ومن يضل الله فماله من ولي من بعده ٤٤ « وقال تعالى » : ومن يضل الله فما له من
سبيل ٤٦ .

الزخرف «٤٣» ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ٣٢
«وقال تعالى» : ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ٣٦ . «وقال
تعالى» : أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ٤٠ .
الجاثية «٤٥» أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ٢٣ .
محمد «٤٧» أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ١٤ «وقال تعالى» :
والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقويمهم ١٧ «وقال تعالى» : أولئك الذين لعنهم الله
فأصمهم وأعمى أبصارهم ٢٣ .

الصف «٦١» والله لا يهدي القوم الظالمين ٧ .

المنافقين «٦٣» فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ٣ .

الدهر «٧٦» إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كافوراً ٣ .

تفسير : قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم » قال البيضاوي : الختم : الكتم ،
سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له و البلوغ آخره ، نظراً
إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه . والغشاوة فعالة من غشاه : إذا غطاه ، بنيت لما
يشتمل على الشيء ، كالغصاة والعمامة ، ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة ، وإنما المراد
بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي ، واستقبال الإيمان
والطاعات بسبب غيهم و انهماكهم في التقليد ، وإعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل
قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق ، وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوتقة منها
بالختم ، وأبصارهم لا تجتلي لها الآيات المنصوبة في الآفاق والأفان ، كما تجتليها أعين
المستبصرين ، فتصير كأنها غطيت عليها وحيل بينها وبين الابصار ، وسمّاه على الاستعارة
ختماً و تغشية ؛ أو مثّل قلوبهم ومشاعرهم المؤرقة بأشياء ضرب حجاب بينها وبين
الاستنفاع بها ختماً و تغطية . وقد عبر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى :
« أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم »^(١) وبالإغفال في قوله تعالى :

«ولا تطع من أغفلنا قلبه»^(١) وبالإقساء في قوله تعالى «وجعلنا قلوبهم قاسية»^(٢) وهي من حيث إن الممكنات بأسرها مستندة إلى الله واقعة بقدرته استندت إليه ، ومن حيث إنهن مسببة مما اقتضوه بدليل قوله : «بل طبع الله عليها بكفرهم»^(٣) وقوله تعالى : «ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم»^(٤) وردت الآية ناعية عليهم^(٥) شناعة صفتهم وخامة عاقبتهم ، واضطرت المعتزلة فيه فذكروا وجوهاً من التأويل :

الأول : أن القوم لما أعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبهه بالوصف الخلقي المجبول عليه .

الثاني : أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن أو قلوب مقدر ختم الله عليها ؛ ونظيره : سال به الوادي : إذا هلك ، وطارت به العنقاء : إذا طالت غيبته .

الثالث : أن ذلك في الحقيقة فعل الشيطان ، أو الكافر لكن لما كان صدوره عنه بإقداره تعالى إياه أسنده إليه إسناد الفعل إلى السبب .

الرابع : أن أعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق إلى تحصيل إيمانهم سوى الإلجاء والقسر ثم لم يقسّرهم إبقاءً على غرض التكليف عبرت عن تركه بالختم ، فإنه سدّ لإيمانهم ، وفيه إشعار على تراهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي .

الخامس : أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل : «قلوبنا في أكنة مما تدعوننا إليه وفي آذاننا وقرو من بيننا وبينك حجاب»^(٦) تهكماً واستهزاء بهم ، كقوله تعالى : «لم يكن الذين كفروا»^(٧) الآية .

(١) الكهف : ٢٨ . (٢) البائدة : ١٣ . (٣) النساء : ١٥٥ . (٤) المناقون : ٣ .

(٥) نرى عليه شهوراته : عابه بها . ونرى عليه ذنوبه : ظهرها وشهرها .

(٦) حم السجدة : ٥ أقول : أكنة جمع الكن ، وهو وقاء كل شيء ، وستره ، قال الشيخ الطوسي في التبيان : وإنما قالوا : ذلك ليؤيسوا النبي صلى الله عليه وآله من قبولهم دينه ، فهو على التمثيل فكأنهم شبهوا قلوبهم بما يكون في غطاء فلا يصل إليه شيء ، مما وراه ، وفيه تحذير من مثل حالهم في كل من دعى إلى أمراً يمتنع أن يكون هو الحق ، فلا يجوز أن يدفعه ببطل هذا الدفع ، «وفي آذاننا وقر» أي نقل عن استماع هذا القرآن «ومن بيننا وبينك حجاب» قيل : الحجاب : الغلاف الذي يقتضى أن نكون بمعزل عنك ، قال الزجاج : معناه : حاجز في النحلة والدين ، أي لا نوافقك في مذهب . (٧) البينة : ١ .

السادس : أن ذلك في الآخرة ، وإنما أخبر عنه بالماضي لتحقيقه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى : « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً » (١) .
السابع : أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمه تعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا و كلامهم فيما يضاف إلى الله تعالى من طبع وإضلال ونحوهما . انتهى .

أقول : بعد قيام البرهان على امتناع أن يكلف الحكيم أحداً ثم يمنعه عن الإتيان بما كلفه به ثم يعضد به عليه وشهادة العقل بيقح ذلك وأنه تعالى منزّه عنه لا بدّ من الحمل على أحد الوجهين التي ذكرها .

وزاد الشيخ الطبرسي رحمه الله على ما ذكر وجهين آخرين : أحدهما ما سيأتي نقلاً عن تفسير العسكري عليه السلام وقد مرّت الإشارة إليه أيضاً وهو أن المراد بالختم العلامة وإذا انتهى الكافر من كفره إلى حالة يعلم الله تعالى أنه لا يؤمن فإنه يعلم على قلبه علامة ؛ وقيل : هي نكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها أنه لا يؤمن بعدها فيذمّونه ويدعون عليه كما أنه تعالى يكتب في قلب المؤمن الإيمان ويعلم عليه علامة تعلم الملائكة بها أنه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له ، فقوله تعالى : « بل طبع الله عليها بكفرهم » يحتمل أمرين : أحدهما أنه طبع الله عليها جزاءً للكفر وعقوبة عليه ، والآخر أنه طبع عليها بعلامة كفرهم كما يقال : طبع عليه بالطين ، وختم عليه بالشمع .

و ثانيهما أن المراد بالختم على القلوب أن الله شهد عليها وحكم بأنّها لا تقبل الحق كما يقال : أراك أنك تختم على كل ما يقوله فلان أي تشهد به وتصدّقه ، وقد ختمت عليك بأنك لا تنفّخ أي شهدت ، و ذلك استعارة . قوله تعالى : « يضلّ به كثيراً » قال الطبرسي رحمه الله : فيه وجهان : أحدهما : حكى عن الفراء أنه قال حكاية عمن قال : « ما إذا أراد الله بهذا مثلاً » أي يضلّ به قوم ويهدي به قوم ، ثم قال الله تعالى : « وما يضلّ به إلا الفاسقين » فيبين تعالى أنه لا يضلّ إلا فاسقاً ضالّاً ، وهذا وجه حسن .

والآخر أنه كلامه تعالى ابتداءً وكلاهما محتمل ، وإذا كان محمولاً على هذا فمعنى قوله :
 يضلّ به كثيراً أن الكفار يكذبون به وينكرونه ، ويقولون : ليس هو من عند الله
 فيضلّون بسببه ، وإذا حصل الضلال بسببه أضيف إليه ، وقوله : « ويهدي به كثيراً » يعني
 الذين آمنوا به وصدقوه ، وقالوا : هذا في موضعه ، فلما حصلت الهداية بسببه أضيف
 إليه ، فمعنى الإضلال على هذا تشديد الامتحان الذي يكون عنده الضلال فالمعنى أن
 الله يمتحن بهذه الأمثال عباده فيضلّ بها قوم كثير ، ويهدي بها قوم كثير ، ومثله قوله :
 « ربّ إنهن أضللن كثيراً من الناس » ^(١) أي ضلّوا عندها ، وهذا مثل قولهم : أفسدت فلانة
 فلاناً وأذهبت عقله ، وهي ربّما لم تعرفه ولكن لما ذهب عقله وفسد من أجلها أضيف الفساد
 إليها ، وقد يكون الإضلال بمعنى التخليّة على وجه العقوبة وترك المنع بالفهر ومنع
 الألفاظ التي تفعل بالمؤمنين جزاءً على إيمانهم ، وهذا كما يقال لمن لا يصلح سيفه :
 أفسدت سيفك ؛ أريد به أنك لم تحدث فيه الإصلاح في كلّ وقت بالصقل والإحداق .
 وقد يكون الإضلال بمعنى التسمية بالضلال والحكم به كما يقال : أضلّه : إذا نسبه إلى
 الضلال ، وأكفره : إذا نسبه إلى الكفر ، قال الكميت : وطائفة قد أكفروني بحبكم .
 وقد يكون الإضلال بمعنى الإهلاك والعذاب والتدمير ، ومنه قوله تعالى : « إنّ المجرمين
 في ضلال وسعر » ^(٢) ومنه قوله تعالى : « إذا ضللتنا في الأرض » ^(٣) أي هلكنا ، وقوله :
 « والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضلّ أعمالهم » ^(٤) أي لم يطل فعلى هذا يكون المعنى :
 أن الله تعالى يهلك ويعذب بالكفر به كثيراً بأن يضلّهم عن الثواب وطريق الجنة بسببه
 فيهلكوا ويهدي إلى الثواب وطريق الجنة بالإيمان به كثيراً ؛ عن أبي علي الجبائي قال :
 ويدلّ على ذلك قوله : « وما يضلّ به إلّا الفاسقين » لأنّه لا يخلو من أن يكون أراد
 العقوبة على التكذيب كما قلناه ، أو يكون أراد به التحجير والتشكيك ، فإن أراد الحيرة
 فقد ذكر أنّه لا يفعل إلّا بالفاسق المتحير الشاك فيجب أن لا تكون الحيرة المتقدّمة
 التي بها صاروا فساقاً من فعله إلّا إذا وجدت حيرة قلبها أيضاً ، وهذا يوجب وجود

(٢) القمر : ٤٧ .

(٤) محمد : ٤ .

(١) إبراهيم : ٣٦ .

(٣) ألم السجدة : ١٠ .

مالانهاية له من حيرة قبل حيرة لا إلى أول ، أو نبوت إضلال لا إضلال قبله ، وإذا كان ذلك من فعله فقد أضلّ من لم يكن فاسقاً وهو خلاف قوله : « وما بضلّ به إلا الفاسقين » وعلى هذا الوجه فيجوز أن يكون حكم الله عليهم بالكفر و براءته منهم و لعنته عليهم إهلاكاً لهم ، و يكون إهلاكه إضلالاً ، و كل ما في القرآن من الإضلال المنسوب إلى الله تعالى فهو بمعنى ما ذكرناه من الوجوه ولا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه الإضلال الذي أضافه إلى الشيطان و إلى فرعون و السامري بقوله : « ولقد أضلّ منكم جبلاً كثيراً »^(١) وقوله : « وأضلّ فرعون قومه »^(٢) وقوله : « وأضلّهم السامري »^(٣) وهو أن يكون بمعنى التلخيص والتغليط والتشكيك والإيقاع في الفساد والضلال و غير ذلك مما يؤدي إلى التظلم والتجوير إلى ما يذهب إليه المجبرة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

و إذ قد ذكرنا أقسام الإضلال فلنذكر أقسام الهداية التي هي ضدّه . اعلم أن الهداية في القرآن تقع على وجوه :

أحدها أن تكون بمعنى الدلالة والإرشاد يقال : هداه الطريق للطريق و إلى الطريق إذا دلّه عليه ، وهذا الوجه عام لجميع المكلفين ، فإن الله تعالى هدى كلّ مكلف إلى الحق بأن دلّه عليه وأرشده إليه لأنّه كلّفه الوصول إليه فلولم يدلّه عليه لكان قد كلّفه ما لا يطيق ؛ و يدلّ عليه قوله تعالى : « ولقد جاءهم من ربّهم الهدى »^(٤) وقوله : « إنّنا هديناه السبيل »^(٥) وقوله : « أنزل فيه القرآن هدى »^(٦) وقوله : « وأما نمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى »^(٧) وقوله : « و إنّك لتهدى إلى صراط مستقيم »^(٨) وقوله : « وهدينا النجدين »^(٩) وما أشبه ذلك من الآيات .

وثانيها أن يكون بمعنى زيادة اللطاف التي بهايثبت على الهدى ؛ و منه قوله تعالى : « والذين اهتدوا زادهم هدى »^(١٠) .

(٢) طه : ٧٩ .

(٤) النجم : ٢٣ .

(٦) البقرة : ١٨٥ .

(٨) الشورى : ٥٢ .

(١٠) محمد : ١٧ .

(١) يس : ٦٢ .

(٣) طه : ٨٥ .

(٥) الدهر : ٣ .

(٧) حم السجدة : ١٧ .

(٩) البلد : ١٠ .

وثالثها أن تكون بمعنى الإثابة : ومنه قوله تعالى : « يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنّات النعيم » ^(١) وقوله تعالى : « والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضلّ أعمالهم سيديهم ويصلح بالهم » ^(٢) والهداية التي تكون بعد قتلهم هي إنابتهم لاحالة .
 ورابعها : الحكم بالهداية كقوله تعالى : « ومن يهدي الله فهو المهتد » ^(٣) وهذه الوجوه الثلاثة خاصّة بالمؤمنين دون غيرهم لأنّه تعالى إنّما يثيب من يستحقّ الإثابة وهم المؤمنون ، ويزيدهم أطافاً بإيمانهم وطاعتهم ، ويحكم لهم بالهداية لذلك أيضاً .
 وخامسها ان تكون الهداية بمعنى جعل الإنسان مهتدياً ، بأن يخلق الهداية فيه كما يجعل الشيء متحرّكاً بخلق الحركة فيه ، والله تعالى يفعل العلوم الضرورية في القلوب فذلك هداية منه تعالى ، وهذا الوجه أيضاً عام لجميع العقلاء كالوجه الأوّل ، فأما الهداية التي كلّف الله تعالى العباد فعلها كالإيمان به وبأنبيائه وغير ذلك فإنّها من فعل العباد ، ولذلك يستحقّون عليها المدح والثواب ، وإن كان الله سبحانه قد أنعم عليهم بدلالتهن على ذلك وإرشادهم إليه ودعاهم إلى فعله وتكليفهم إياه وأمرهم به ، فهو من هذا الوجه نعمة منه سبحانه عليهم ، ومنّة منه واصله إليهم ، وفضل منه وإحسان لديهم ، فهو مشكور على ذلك محمود ، إذ فعله بتمكينه وأطافه وضروب تسهيلات و معونات .

وقال رحمه الله في قوله تعالى : « والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » ^(٤) :
 إن المراد به البيان والدلالة ، والصراط المستقيم هو الإسلام ؛ أو المراد به : يهديهم باللطف فيكون خاصّاً بمن علم من حاله أنّه يصلح به ؛ أو المراد به : يهديهم إلى طريق الجنة .
 وقال في قوله تعالى : « متى نصر الله » ^(٥) قيل : هذا استعجال للموعود كما يفعله الممتحن ، وإنّما قاله الرسول استبطاءاً للنصر على جهة التمني . وقيل : إنّ معناه الدعاء لله بالنصر . وقيل : إنّ ذكر كلام الرسول والمؤمنين جملةً وتفصيلاً : قال المؤمنون متى نصر الله ؟ وقال الرسول : إلا إنّ نصر الله قريب .

(٢) محمد : ٥٥٤ .

(٤) النور : ٤٦ .

(١) يونس : ٩ .

(٣) اسرى : ٩٧ .

(٥) البقرة : ٢١٤ .

وقال في قوله تعالى : «يخرجهم من الظلمات إلى النور»^(١) : أي من ظلمات الضلال والكفر إلى نور الهدى والإيمان بأن هداهم إليه و نصب الأدلة لهم عليه و رغبهم فيه وفعل بهم من الألفاظ ما يقوِّي دواعيهم إلى فعله .

وقال في قوله تعالى «والله لا يهدي القوم الظالمين»^(٢) أي بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد . وقيل : لا يهديهم إلى المحاجة كما يهدي أنبياءه . وقيل : لا يهديهم بألفاظه وتأنيده إذا علم أنه لالطف لهم . وقيل : لا يهديهم إلى الجنة .

وقال في قوله تعالى : «كيف يهدي الله قوماً»^(٣) معناه : كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالإثابة لهم والثناء عليهم ؛ أو أنه على طريق التبعيد كما يقال : كيف يهديك إلى الطريق وقد تركته ؛ أي لاطريق يهديهم به إلى الإيمان ؛ من الوجه الذي هداهم به وقد تركوه ، أو كيف يهديهم الله إلى طريق الجنة والحال هذه .

أقول : الأظهر أن المعنى أنهم حرّموا أنفسهم بما اختاروه الألفاظ الخاصة من ربهم تعالى .

وقال في قوله تعالى : «ومن يرد الله فتنته»^(٤) : قيل : فيه أقوال : أحدها أن المراد بالفتنة العذاب أي من يرد الله عذابه كقوله تعالى : «على النار يفتنون»^(٥) أي يعذبون وقوله : «ذوقوا فتنتكم»^(٦) أي عذابكم .

وثانيها أن معناه من يرد الله إهلاكه .

وثالثها أن المراد به من يرد الله خزيه وفضيحته بإظهار ما ينطوي عليه .

(٢) البقرة : ٢٥٨ .

(١) البقرة : ٢٥٧ .

(٣) آل عمران : ٨٦ .

(٤) السائدة : ٤١ قال الشيخ في التبيان : - بعد نقل الاقوال الثلاثة الاولى - وأصل الفتنة : التخلص من قولهم : فتنت الذهب في النار أي خلصته من الدش ، والفتنة : الاختبار ، ويسى بذلك لما فيها من تخليص العال لمن أراد الإضلال ، وإنما أراد الحكم بالبراءة بإيراد العجج فيه تمييز وتخليص لعالهم من حال غيرهم من المؤمنين ، ومن فسر على العذاب فلانهم يحرقون كـ : يحرق خبث الذهب فهم خبث كلهم ، ومن فسر على الفضضة فلما فيها من الدلالة عليهم التي يتميزون بها من غيرهم .

(٦) الذاريات : ١٤ .

(٥) الذاريات : ١٣ .

ورابعها أن المراد من يرد الله اختباره بما يبتليه من القيام بحدوده فيدع ذلك ويحرّفه .
والأصحّ الأول . « فلن تملك له من الله شيئاً » أي فلن تستطيع أن تدفع لأجله
من أمر الله الذي هو العذاب أو الفضيحة أو الهلاك شيئاً . « أولئك الذين لم يرد الله أن
يطهر قلوبهم » معناه : « أولئك اليهود لم يرد الله أن يطهر من عقوبات الكفر التي هي
الختم والطبع والضيق قلوبهم ، كما طهر قلوب المؤمنين منها ، بأن كتب في قلوبهم
الإيمان ، وشرح صدورهم للإسلام . وقيل : معناه : لم يرد أن يطهرها من الكفر بالحكم
عليها بأنّها بريئة منه ، ممدوحة بالإيمان .

قال القاضي : وهذا لا يدلّ على أنّه سبحانه لم يرد منهم الإيمان لأنّ ذلك
لا يعقل من تطهير القلب إلّا على جهة التوسّع ، ولأنّ قوله : « لم يرد الله أن يطهر
قلوبهم » يقتضي نفى كونه مريداً ، وليس فيه بيان الوجه الذي لم يرد ذلك عليه ، و
المراد بذلك أنّه لم يرد تطهير قلوبهم ممّا يلحقها من الغوم بالذمّ والاستخفاف والعقاب
ولذا قال عقبيه : « لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم » ولو كان أراد ما قاله
المجبّرة لم يجعل ذلك ذمّاً لهم ولا عقبه بالذمّ ، ولا جعله في حكم الجزاء على ما لأجله
عاقبهم وأراد ذلك فيهم .

أقول : روى النعماني في تفسيره فيما رواه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنّهم
سألوه عن المتشابه في تفسير الفتنة فقال : منه فتنة الاختبار وهو قوله تعالى : « ألم أحسب
الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون » ^(١) وقوله لموسى : « وفتناك فتونا » . ^(٢)
ومنه فتنة الكفر وهو قوله تعالى : « لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور
حتّى جاء الحقّ وظهر أمر الله » ^(٣) وقوله سبحانه في الذين استأذنوا رسول الله ﷺ في
غزوة تبوك أن يتخلفوا عنه من المنافقين فقال الله تعالى فيهم : « ومنهم من يقول ائذن لي ولا
تفتني ألا في الفتنة سقطو » ^(٤) يعني ائذن لي ولا تكفرني ، فقال عز وجل : « ألا في الفتنة
سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين » . ^(٥)

(٢) طه : ٤٠ .

(٥٤) التوبة : ٤٩ .

(١) العنكبوت : ١ و ٢ .

(٣) التوبة : ٤٨ .

ومنه فتنة العذاب وهو قوله تعالى : «يومهم على النار يفتنون» ^(١) أي يعذبون «ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون» ^(٢) أي ذوقوا عذابكم .

ومنه قوله تعالى : «إِنَّ الَّذِينَ فتنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا» ^(٣) أي عذبوا المؤمنين .

ومنه فتنة المحبة للمال والولد كقوله تعالى : «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» ^(٤) ومنه فتنة المرض وهو قوله سبحانه : «أُولَئِكَ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ» ^(٥) أي يمرضون ويقتلون . انتهى .

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : «فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ» قيل : في معناه أقوال : أحدها معناه : فاعلم يا محمد أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بِبَعْضِ أَجْرَامِهِمْ ، وذكر البعض والمراد به الكل ، كما يذكر العموم ويراد به الخصوص . والثاني أَنَّهُ ذَكَرَ الْبَعْضَ تَغْلِيظًا لِلْعِقَابِ ، والمراد أَنَّهُ يَكْفِي أَنْ يُؤْخَذُوا بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ فِي إِهْلَاكِهِمْ وَالتَّدْمِيرَ عَلَيْهِمْ .

و الثالث أَنَّهُ أَرَادَ تَعْجِيلَ بَعْضِ الْعِقَابِ مِمَّا كَانَ مِنَ التَّمَرُّدِ فِي الْأَجْرَامِ لِأَنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا مَخْتَصٌّ بِبَعْضِ الذُّنُوبِ دُونَ بَعْضٍ ، وَعَذَابُ الْآخِرَةِ يَمُوتُ . قوله تعالى : «وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً» قال الزمخشري : الْأَكِنَّةُ عَلَى الْقُلُوبِ وَالْوَقْرُ فِي الْأَذَانِ مِثْلُ فِي نُبُو قُلُوبِهِمْ وَمَسَامِعِهِمْ عَنْ قَبُولِهِ وَاعْتِقَادِ صِحَّتِهِ ، وَوَجْهَ إِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى ذَاتِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ : «وَجَعَلْنَا» لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ ثَابِتٌ فِيهِمْ لَا يَزُولُ عَنْهُمْ كَأَنَّهُمْ مَجْبُولُونَ عَلَيْهِ ، أَوْ هِيَ حِكَايَةُ مَا كَانُوا يَنْطَقُونَ بِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ : وَ فِي آذَانِنَا وَقُرُونِنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ وَقَالَ الطَّبْرَسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : قَالَ الْقَاضِي أَبُو عَاصِمٍ الْعَامِرِيُّ : أَصَحُّ الْأَقْوَالِ فِيهِ مَا رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَصَلِّي بِاللَّيْلِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي الصَّلَاةِ جَهْرًا رَجَاءُ أَنْ يَسْمَعَ إِلَى قِرَاءَتِهِ إِنْسَانٌ فَيَتَدَبَّرَ مَعَانِيَهُ وَيُؤْمِنَ بِهِ فَكَانَ الْمَشْرُكُونَ إِذَا سَمِعُوهُ آذَوْهُ وَمَنَعُوهُ عَنِ الْجَهْرِ بِالْقِرَاءَةِ ، وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى يَلْقَى عَلَيْهِمُ النَّوْمَ ، أَوْ يَجْعَلُ

(١) الذاريات : ١٤

(٢) التناجين : ١٥

(٣) الذاريات : ١٣

(٤) البروج : ١٠

(٥) التوبة : ١٢٦

في قلوبهم أكنةً ليقطعهم عن مرادهم ، وذلك بعد ما بلغهم ما تقوم به الحجة وتنقطع به المعذرة ، وبعد ما علم الله تعالى أنهم لا ينتفعون بسماعه ولا يؤمنون به ، فشبه إلقاء النوم عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم ، وبوقر آذانهم لأن ذلك كان يمنعهم من التدبر كالوقر والغطاء ، وهذا معنى قوله تعالى : « وإذ قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً » ويحتمل ذلك وجهاً آخر وهو أنه تعالى يعاقب هؤلاء الكفار الذين علم أنهم لا يؤمنون بعقوبات يجعلها في قلوبهم تكون موانع من أن يفقهوا ما يستمعونه ؛ ويحتمل أيضاً أن يكون سمى الكفر الذي في قلوبهم كناً تشبيهاً ومجازاً وإعراضهم عن القرآن وقرأت توسعاً لأن مع الكفر والإعراض لا يحصل الإيمان والفهم ، كما لا يحصلان مع الكنّ والوقر ، فنسب ذلك إلى نفسه لأنه الذي شبه أحدهما بالآخر كما يقول أحدنا لغيره إذا أثنى على إنسان وذكر مناقبه : جعلته فاضلاً ، وبالضد إذا ذكر مقابحه وفسقه يقول : جعلته فاسقاً ، ^(١) وقال الزمخشري في قوله تعالى : ولو شاء الله لجمعهم على الهدى « أي بأن يأتيهم بآية ملجئة ، ولكنّه لا يفعل لخروجه عن الحكمة .

وقوله تعالى : « ليمكروا فيها » قال الطبرسي رحمه : اللام : لام العاقبة ، وقال الزمخشري : معناه خليفتهم ليمكروا وما كففتهم عن المكر ؛ وكذا قال : اللام لام العاقبة في قوله تعالى : « ليقولوا » أي عاملناهم معاملة المختبر ليشكروا أو يصبروا فأل أمرهم إلى هذه العاقبة .

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « وتقلب أفئدتهم وأبصارهم » وجهين :

(١) أوردنا قبلاً معنى الآية عن التبيان . ولندكر هنا ما عن الرضى رحمه الله في كتابه مجازات القرآن قال : وهذه استعادة وليس هناك على الحقيقة شيء مما أشاروا إليه ، وإنما أخرجوا هذا الكلام مخرج الدلالة على استنقالتهم ما يسمعون من قوارع القرآن وبواقع البيان فكأنهم من قوة الزهادة فيه وشدة الكراهية له قد وقرت أسماهم عن فهمه ، وأكنت قلوبهم دون علمه ، وذلك معروف في عادة الناس أن يقول القائل منهم لمن يشأ كلامه ويستقل خطابه : ما أسمع قولك ولا أعي لفظك وإن كان صحيح حاسة السمع ، إلا أنه حمل الكلام على الاستنقال والفت ، وعلى هذا قول الشاعر :
وكلام سبي ، قد وقرت • اذني عنه وما بي من صمم .

أحدهما أنه يقلبهما في جهنم على لب النار وحرّاً الجمر كما لم يؤمنوا به أول مرة في الدنيا ؛ والآخر أن المعنى : يقلب أفئدتهم وأبصارهم بالحيرة التي تغمر وتزعج النفس . وقال الزمخشري : « وتقلب أفئدتهم ونذرهم » عطف على لا يؤمنون داخل في حكمهما يشعر كم أنهم لا يؤمنون ، وما يشعر كم أننا نقلب أفئدتهم وأبصارهم ، أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق ، كما كانوا عند نزول آياتنا أولاً ، لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعاً على قلوبهم وما يشعر كم أننا نذرهم في طغيانهم أي نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه .^(١)

وقال في قوله تعالى : « إنا أن يشاء الله » أي مشيئة إكراه واضطرار . وقال الطبرسي رحمه الله في قوله : « كذلك جعلنا » وجوه : أحدها أن المراد كما أمرناك بعداوة قومك من المشركين فقد أمرنا من قبلك بمعاداة أعدائهم من الجن والإنس ، ومتى أمر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم أعداء له . وثانيها : أن معناه حكمنا بأنهم أعداء وأخبرنا بذلك ليعاملوهم معاملة الأعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرهم ، وهذا كما يقال : جعل القاضي فلاناً عدلاً وفلاناً فاسقاً إذا حكم بعدالة هذا وفسق ذاك .

وثالثها : أن المراد خلينا بينهم وبين اختيارهم العداوة ، لم نمنعهم على ذلك كرهاً ولا جبراً ، لأن ذلك يزيل التكليف .

ورابعها : أنه سبحانه إنما أضاف ذلك إلى نفسه ، لأنه سبحانه لما أرسل إليهم الرسل ، وأمرهم إلى دعائهم إلى الإسلام والإيمان وخلع ما كانوا يعبدونه من الأصنام والأوثان نصبوا عند ذلك العداوة لأنبيائه ، ومثله قول نوح عليه السلام : « فلم يزدكم دعائي إلا فراراً » وقال : « والعامل في قوله : « ولتصغي » قوله : « يوحى » ولا يجوز أن يكون العامل

(١) وهذه استعارة ، لأن قلب القلوب والأبصار على الحقيقة باذاتها عن مواضعها وإقلاها عن مناصبها لا يصح ، والبنية صحيحة والجملة حية متصرفة ، وإنما المراد - والله أعلم - أنا نرهبها بالحيرة والخافة جزاء أعلى الكفر والضلالة فتكون الأفتدة مستترجة لتعاطف أسباب المخاوف وتكون الأبصار منزعة لتوقع طلوع المكاء . وقد قيل : إن المراد بذلك قلبيهما على مرامض الجمر في نار جهنم وذلك يخرج الكلام عن حيز الاستعارة إلى حيز الحقيقة : قاله الرضى رضى الله عنه .

فيه «جعلنا» لأن الله سبحانه لا يجوز أن يريد إصغاء القلوب إلى الكفر وروحي الشياطين،
إلا أن نجعلها لام العاقبة . وقال البلخي : اللام في «ولتصغي» لام العاقبة ، وما بعده لام الأمر
الذي يراد به التهديد .

وقال رحمه الله في قوله تعالى : «فمن يرد الله أن يهديه» فيه وجوه :

أحدها : أن معناه من يرد الله أن يهديه إلى الثواب وطريق الجنة يشرح صدره
في الدنيا للإسلام بأن يثبت عزمه عليه ويقوّي دواعيه على التمسك به ، وإنّما يفعل
ذلك لطفاً له ومنّاً عليه ، و ثواباً على اعتدائه بهدى الله وقبوله إياه ؛ و من يرد أن
يضلّه عن ثوابه وكرامته يجعل صدره في كفره ضيقاً حرجاً عقوبة له على تركه الإيمان
من غير أن يكون سبحانه مانعاً له عن الإيمان ، بل ربّما يكون ذلك داعياً إليه ، فإنّ
من ضاق صدره بالشيء كان ذلك داعياً إلى تركه .

وثانيها : أن معناه فمن يرد الله أن يثبت على الهدى يشرح صدره من الوجه الذي
ذكرناه ، جزاء له على إيمانه واهتدائه ، وقد يطلق الهدى ويراد به الاستدامة ؛ ومن يرد
أن يضلّه أي يخذله ويخلّي بينه وبين ما يريد ، لاختياره الكفر وتركه الإيمان يجعل
صدره ضيقاً حرجاً بأن يمنعه الألفاظ التي هو ينشرح لها صدره ، لخروجه من قبولها
بإقامته على كفره .

وثالثها : أن معناه من يرد الله أن يهديه زيادة الهدى التي وعدّها المؤمن يشرح
صدره لتلك الزيادة لأنّ من حقّها أن يزيد المؤمن بصيرة ، ومن يرد أن يضلّه عن تلك
الزيادة بمعنى يذهب عنها من حيث أخرج هو نفسه من أن تصحّ عليه يجعل صدره
ضيقاً حرجاً لمكان فقد تلك الزيادة ، لأنّها إذا اقتضت في المؤمن ما قلناه أوجب في الكافر
ما يضادّه . والرجس : العذاب .

وقال في قوله تعالى : «إنّا جعلنا الشياطين» أي حكمنا بذلك لأنّهم يتناصرون
على الباطل كما قال : «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناناً» .

وقال في قوله : «ولقد ذرأنا لجهنّم» يعني خلقناهم على أنّ عاقبتهم المصير إلى

جهنم بكفرهم وإنكارهم وسوء اختيارهم ، ويدل عليه قوله سبحانه : «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» .

وقال الزمخشري : جعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار ، ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الأذان وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدة شكائهم فيه وأنهم لا يتأتمن منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار ، دلالة على توغّلهم في الموجبات ، وتمكّنهم فيما يؤهلهم لدخول النار .

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « فريقاً هدى » أي جماعة حكم لهم بالاهتداء بقبولهم للهدى ، أولطف لهم بما اهتدوا عنده ، أو هداهم إلى طريق الثواب « و فريقاً حق » أي وجب عليهم الضلالة ، إذ لم يقبلوا الهدى ، أو حق عليهم الخذلان لأنّه لم يكن لهم لطف تنشرح لهم صدورهم ، أو حق عليهم العذاب أو الهلاك بكفرهم .

وقال الزمخشري في قوله تعالى : «ولكن الله قتلهم» : أي إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لأنّه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم ، وشاء النصر والظفر ، وقوى قلوبكم ، وأذهب عنها الفزع والجزع ، وما رميت أنت يا محمد إذ رميت ولكن الله رمى ، يعني أن الرمية التي رميتها لم ترها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغ أثر رمي البشر ، ولكنها كانت رمية الله حيث أنشئت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله ﷺ ، لأن صورتها وجدت منه ، ونفاها عنه لأن أثرها الذي لانطقه البشر فعل الله فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة ، وكأنّها لم توجد من الرسول أصلاً .

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : «ثم أنصرفوا» أي انصرفوا عن المجلس ، وقيل انصرفوا عن الإيمان به «صرف الله قلوبهم» عن الفوائد التي يستفيدها المؤمنون والسرور بها ، وحرّموا الاستبشار بتلك الحال . وقيل : معناه صرف الله قلوبهم عن رحمته ونوابه عقوبة لهم على انصرافهم عن الإيمان بالقرآن ، وعن مجلس رسول الله ﷺ . وقيل : إنّه على وجه الدعاء عليهم أي خذلهم الله باستحقاقهم ذلك ، ودعاء الله على عباده وعيد لهم وإخبار بلحاق العذاب بهم .

قوله تعالى : « كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ » قال الزمخشري : « إنهم لا يؤمنون » بدل من الكلمة أي حق عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله منهم ذلك ، أوحى عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان وأن إيمانهم غير كامل ، أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب . « وأنهم لا يؤمنون » تعليل بمعنى لا أنهم لا يؤمنون .

وقال في قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ » أي ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره فتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدّر ومراد ؛ تعالى الله عن ذلك .

وقال السيد المرتضى رضي الله عنه : إن سأل سائل فقال : ما عندكم في تأويل قوله تعالى : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم » يقال له : أمّا قوله تعالى : « ولو شاء ربك » فإِنَّمَا عَنِ بِهِ الْمَشِيَّةُ الَّتِي نِيضٌ إِلَيْهَا الْإِجَاءُ ، وَلَمْ يَعْ مَشِيَّةً عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِيَارِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ تَعَالَى أَنْ يُخَبِّرَنَا عَنْ قُدْرَتِهِ وَأَنَّهُ مُمْسِكٌ لَا يَغَالِبُ وَلَا يَعْصِي مَقْهُوراً ، مِنْ حَيْثُ كَانَ قَادِرًا عَلَى الْإِجَاءِ وَالْإِكْرَاهِ عَلَى مَا أَرَادَهُ مِنَ الْعِبَادِ ، فَأَمَّا لَفْظُهُ ذَلِكَ فِي الْآيَةِ فَحَمَلُهَا عَلَى الرَّحْمَةِ أَوْلَى مِنْ حَمَلِهَا عَلَى الْإِخْتِلَافِ لِذَلِيلِ الْعَقْلِ وَشَهَادَةِ اللَّفْظِ ، فَأَمَّا دَلِيلُ الْعَقْلِ فَمِنْ حَيْثُ عَلِمْنَا أَنَّهُ تَعَالَى كَرَهُ الْإِخْتِلَافَ وَالذَّهَابَ عَنِ الدِّينِ وَنَهَى عَنْهُ وَتَوَعَّدَ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَائِئاً لَهُ وَمَجْرِباً يَخْلُقُ الْعِبَادَ إِلَيْهِ ؟ وَأَمَّا شَهَادَةُ اللَّفْظِ فَلِأَنَّ الرَّحْمَةَ أَقْرَبُ إِلَى هَذِهِ الْكِنَايَةِ مِنَ الْإِخْتِلَافِ ، وَحَمَلُ اللَّفْظِ عَلَى أَقْرَبِ الْمَذْكُورِينَ أَوْلَى فِي لِسَانِ الْعَرَبِ ، فَأَمَّا مَا طَعَنَ بِهِ السَّائِلُ مِنْ تَذْكِيرِ الْكِنَايَةِ بِفَاطِلٍ لِأَنَّ تَأْنِيثَ الرَّحْمَةِ غَيْرَ حَقِيقِيٍّ ، وَإِذَا كُنِيَ عَنْهَا بِلَفْظِ التَّذْكِيرِ كَانَتِ الْكِنَايَةُ عَلَى الْمَعْنَى لِأَنَّ مَعْنَاهَا هُوَ الْفَضْلُ وَالْإِنْعَامُ كَمَا قَالُوا : سَرَّ نِي كَلِمَتِكَ ، يَرِيدُونَ سَرَّ نِي كَلَامِكَ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي » وَلَمْ يَقُلْ : « هَذِهِ » وَإِنَّمَا أَرَادَ هَذَا فَضْلَ مِنْ رَبِّي ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ « إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » وَلَمْ يَقُلْ : قَرِيبَةٌ .

أقول : ثمّ استشهد رحمه الله لذلك بكثير من الأشعار تر كناها حذراً من الإطناب ثم قال : وقال زياد الأعجم :

إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالْمَرْوَةَ ضَمَّنَا قَبْرًا بَمَرٍ وَ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ

ويروى : أن السّماحة والشّجاعة ؛ فقال : «ضمّنا» ولم يقل : «ضمّنتا» قال الفرّاء : لأنّه ذهب إلى أن السّماحة والشّجاعة مصدران ، والعرب تقول : قصارة الثوب يعجبني لأن تأنيّت المصادر يرجع إلى الفعل وهو مذكّر ، على أن قوله تعالى : «إلا من رحم ربك» كما يدلّ على الرحمة يدلّ أيضاً على أن يرحم فإذ جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن أن يرحم كان التذكير في موضعه لأنّ الفعل مذكّر ، ويجوز أيضاً أن يكون قوله تعالى : «ولذلك خلقهم» كناية عن اجتماعهم على الإيمان وكونهم فيه أمة واحدة لا عمالة أنّه لهذا خلقهم وبطابق هذه الآية قوله تعالى : «وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون» وقد قال قوم في قوله تعالى : «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة» معناه أنّه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنّة فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم أمة واحدة ، وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى : «ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها» في أنّه أراد هداها إلى طريق الجنّة ، فعلى هذا التّأويل يمكن أن ترجع لفظة ذلك إلى إدخالهم أجمعين إلى الجنّة لأنّه تعالى إنّما خلقهم للمصير إليها الوصول إلى نعيمها . فأما قوله : «ولا يزالون مختلفين» فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحقّ فيه بالهوى والشبهات . و ذكر أبو مسلم محمد بن بحر في قوله تعالى : «ولا يزالون مختلفين» وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه أن خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر لأنّه سواء قولك : خلف بعضهم بعضاً وقولك : اختلفوا ، كما سواء قولك : قتل بعضهم بعضاً ، واقتتلوا . ومنه قولهم : لأفعل كذا ما اختلف العصران والجديدان أي جاء كلّ واحد منهما بعد الآخر ؛ فأما الرحمة فليست رقة القلب ، لكنّها فعل النعم والإحسان ؛ يدلّ على ذلك أن من أحسن إلى غيره وأنعم عليه يوصف بأنّه رحيم وإن لم تعلم منه رقة قلبه عليه .

فإن قيل : إذا كانت الرحمة هي النعمة وعندكم أن نعم الله تعالى شاملة للخلق أجمعين فأی معنى للاستثناء «من رحم» من جملة «المختلفين» إن كانت الرحمة هي النعمة ؛ وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة ؟

قلنا : لاشبهة في أن نعم الله سبحانه شاملة للخلق أجمعين غير أن في نعمه أيضاً ما

يختص بها بعض العباد ، إنما لاستحقاق أولسبب يقتضي الاختصاص ، فإذا حملنا قوله : إلا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لأن النعمة به لا تكون إلا مستحقة فمن استحق الثواب بأعماله وصل إلى هذه النعمة ، ومن لم يستحقه لم يصل إليها ، وإن حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للإيمان و اللطف الذي وقع بعده فعل الإيمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصة لأنه تعالى إنما لم ينعم على سائر المكلفين بها من حيث لم يكن في معلومه أن لهم توفيقاً ، وأن في الأفعال ما يختارون عنده الإيمان فاختصاص هذه النعمة ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم آخر لهم كما أن شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه . انتهى كلامه رفع الله مقامه .

وقال الزمخشري : ذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام الأول و تضمنه ، يعني و لذلك التمكين و الاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره ، وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة : « لا ملأنا جنة من الجنة والناس أجمعين » لعلمه بكثرة من يختار الباطل .^(١)

وقال في قوله تعالى : أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله يعني مشيئة الإلجاء والقسر لهدى الناس جميعاً ومعنى « أفلم ييأس » : أفلم يعلم ؛ قيل : هي لغة قوم من النخع ، وقيل : إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليأس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف ، والنسيان في معنى التبرك لتضمن ذلك ، و يدل عليه أن علياً وابن عباس و جماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا أفلم يتيين وهو تفسير أفلم ييأس ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء بآمنوا أي أولم يقطع عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولهداهم .

وقال السيد المرتضى رضي الله عنه في كتاب الغرر والدرر : قال الله جل من قلم : « وإذا أردنا أن نهلك قرية » الآية ، في هذه الآية وجوه من التأويل كل منها يبطل الشبهة

(١) قال السيد الرضى في تلخيص البيان في قوله تعالى : « وتمت كلمة ربك » : هذه استعادة والبراد ههنا بنام كلمة الله سبحانه صدق وعيده الذي تقدم الخبر به و تمامه وقوع مغبره مطابقاً لمغبره .

الداخلية على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه و صرفوه عن بابه :
أولها أن الإهلاك قد يكون حسناً وقد يكون قبيحاً فإذا كان مستحقاً أو على سبيل
الامتحان كان حسناً ، وإنما يكون قبيحاً إذا كان ظلماً فتعلّق الإرادة لا يقتضي تعلّقها
به على الوجه القبيح ، ولا ظاهر الآية يقتضي ذلك ، وإذا علمنا بالأدلة العقلية تنزّه
القديم تعالى عن القبائح علمنا أن الإرادة لم يتعلّق إلا بالإهلاك الحسن . وقوله تعالى :
«أمرنا مترفيها» المأمور به محذوف ، وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق ، وإن
وقع بعده الفسق ، ويجري هذا مجرى قول القائل : أمرته فصصى ودعوته فأبى ؛ والمراد
إنني أمرته بالطاعة ودعوته إلى الإجابة والقبول . ويمكن أن يقال على هذا الوجه :
ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه ، وإنما موضعها أن يقال : أي معنى لتقدّم الإرادة
فإن كانت متعلّقة بإهلاك مستحقّ بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى :
«إذا أردنا أمرنا» لأنّ أمره بما يأمر به لا يحسن إرادته للعقاب المستحقّ بما تقدّم من
الأفعال ، وإن كانت الإرادة متعلّقة بالإهلاك المستحقّ بمخالفة الأمر المذكور في الآية
فهذا هو الذي تأبونه ، لأنّه يقتضي أنّه تعالى يريد لإهلاك من لم يستحقّ العقاب .
والجواب عن ذلك أنّه تعالى لم يعلّق الإرادة إلا بالإهلاك المستحقّ بما تقدّم
من الذنوب ، والذي حسنّ قوله تعالى : «وإذا أردنا أمرنا» هو أنّ في تكرّر الأمر
بالطاعة والإيمان إغذاراً إلى العصاة وإنذاراً لهم ، وإيجاباً وإثباتاً للحجّة عليهم حتى
يكونوا متى خالفوا وأقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرّر الوعيد والوعظ والإنذار
متمنّين بحقّ عليه القول وتجب عليه الحجّة ، ويشهد بصحّة هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه
الآية : «وما كنّا معدّين حتى نبعث رسولاً» .

والثاني أن يكون قوله تعالى : «أمرنا مترفيها» من صفة القرية وصلتها ، ولا يكون
جواباً لقوله : «وإذا أردنا» ويكون تقدير الكلام : وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها
أنّا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، ويكون إذا على هذا الجواب لم يأت له جواب ظاهر في
الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ، ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة :

«حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها» إلى قوله : « فنعم أجر العاملين » ولم يأت لاجواب في طول الكلام للاستغناء عنه .

والثالث أن يكون ذكر الإرادة في الآية مجازاً واتساعاً و تنبيهاً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم وأنهم متى أمروا فسقوا و خالفوا ، و يجري ذكر الإرادة هنا مجرى قولهم : إذا أراد التاجر أن يفقر أته النوائب من كل جهة وجاءه الخسران من كل طريق ، و قولهم : إذا أراد العليل أن يموت خلط في مأكله و تسرع إلى كل ما تنوق إليه نفسه ، و معلوم أن التاجر لم يرد في الحقيقة شيئاً ، ولا العليل أيضاً ، لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال ذلك الهلاك حسن هذا الكلام ، واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه مجازاً ، وكلام العرب وحي وإشارات و استعادة و مجازات ، ولهذه الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة ، فإن الكلام متى خلا من الاستعادة و جرى كله على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة بريئاً من البلاغة ، وكلام الله تعالى أفصح الكلام .

الرابع أن تحمل الآية على التقديم والتأخير فيكون تلخيصها : وإذا أمرنا متري قرية بالطاعة ففصوا واستحقوا العقاب أردنا إهلاكهم ، و التقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير ؛ ومما يمكن أن يكون شاهداً بصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم» ^(١) والطهارة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة ، وقوله تعالى : « وإذا كنت فيهم فأقم لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك» ^(٢) وقيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة ، لأن إقامتها هو الإتيان بجميعها على الكمال ، فأما قراءة من قرأ بالتشديد فقال : أمرونا وقراءة من قرأ بالمد والتخفيف فقال : آمرونا فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها إلا الوجه الأول ، فإن معناه لا يليق إلا بأن يكون ما تضمنته الآية هو الأمر الذي يستدعي به الفعل انتهى .

وقال الطبرسي رحمه الله : قرأ يعقوب : آمرونا بالمد وهو قراءة علي بن أبي طالب

والحسين عليهما السلام وجماعة ، وقرأ أمرنا بالتشديد ابن عباس والنهدي وأبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام بخلاف ، وقرأ أمرنا بكسر الميم بوزن عمرنا الحسن ويحيى بن يعمر وأرجع الجميع الى معنى كثرنا كقوله عليه السلام : خير المال سكة مأبورة ومهرة مأبورة ، أي كثيرة النتائج .

وقال الزمخشري : وإذا أردنا أي وإذا دنى وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إهلاكهم إلا قليلاً أمرناهم ففسقوا أي أمرناهم بالفسق ففعلوا والأمر مجاز لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم : افسقوا ، وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازاً ، ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صيباً فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك ، لتسبب إهلاك النعمة فيه ، وإنما خوّلهم إيتاها ليشكروا ويعملوا فيها بالخير ويتمكنوا من الإحسان والبر كما خلفهم أصحاباً أقوياء وأقذروهم على الخير والشر وطلب منهم إيتار الطاعة على المعصية فأثروا الفسوق ، فلمّا فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم . وقد فسّر بعضهم أمرنا بكثرنا ؛ وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل كثرته فثبر .

و قال : في قوله تعالى : «فليمددله الرحمن مدّاً» يعني أهله وأملى له في العمر ، فأخرج على لفظ الأمر إيداناً بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالأمور به الممثل ، لتقطع معاذير الضال ، ويقال له يوم القيامة : «أولم نعمّركم ما يتذكّره من تذكّر»^(١) أو كقوله : «إنما نملّي لهم ليزدادوا إثماً»^(٢) أو «من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّاً» في معنى الدعاء بأن يمهل الله وينقّس في مدّة حياته .

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : «ألم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين» أي خلّينا بينهم وبين الشياطين إذا وسوسوا إليهم ودعّوهم إلى الضلال حتّى أغوهم ولم يخل بينهم بالإلجاء ولا بالمنع ، وعبر عن ذلك بالإرسال على سبيل المجاز والتوسّع ،

(١) فاطر : ٣٢ .

(٢) آل عمران : ١٧٨ .

(٣) قال الشيخ في التبيان : أي يدهم ويعلم عنهم فلا يماجلهم بالعقوبة كما قال : «و يدهم في طغيانهم يسمهون» ويجوز أن يكون أراد فليمدد له الرحمن مدّاً في عذابهم في النار ، كما قال : «وند له من العذاب مدّاً» .

كما يقال لمن خلّى بين الكلب وغيره : أرسل كلبه عليه «تؤذهم أذاً» أي تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية ، وقيل : تغريهم إغراءً بالشئ .

وفي قوله تعالى : «ولولا فضل الله عليكم ورحمته» بأن لطف لكم وأمركم بما تصيرون به أذكيا ما صار منكم أحدز كياً ، أو ما طهر أخدمن وسوسة الشيطان وما صلح ، ولكن الله يزكّي أي يطهر . ر بلطفه من يشاء ، وهو من له لطيف ، يفعل له سبحانه به ليزكو عنده . وفي قوله تعالى : «ومن لم يجعل الله له نوراً أي» نجاةً وفرجاً ، أو نوراً في القيامة . وفي قوله سبحانه : «ولكن متعتهم وآباءهم» أي طوّلت أعمارهم وأعمار آبائهم ، وأمددتهم بالأموال والأولاد بعد موت الرسل حتى نسوا الذكر المنزل على الأنبياء وتركوه وكانوا قوماً هلكى فاسدين . وفي قوله : كذلك سلكتهم أي القرآن . وفي قوله تعالى : زيننا لهم أعمالهم أي أعمالهم التي أمرناهم بها ، وقيل : بأن خلقنا فيهم شهوة القبيح ليحسبوا المشتهى .

قوله تعالى : «وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار» قال البيضاوي : قيل : بالتسمية كقولهم : «وجعلوا الملا» أي جعلناهم أئمة الذين هم عباد الرحمن إناناً» أو بمنع الألف الصارفة عنه .^(١) وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : «إنيك لا تهدي من أحببت» أي هدايته ، أو من أحببته لقربته ، والمراد بالهداية هنا اللطف الذي يختار عنده الإيمان ، فإنه لا يقدر عليه إلا الله تعالى . لأنه إما أن يكون من فعله خاصة أو بإعلامه ، ولا يعلم ما يصلح المرء في دينه إلا الله تعالى ، فإن الهداية التي هي الدعوة والبيان قد أضافه سبحانه إليه في قوله : «وإنيك لا تهدي إلى صراط مستقيم»^(٢) وقيل : إن المراد بالهداية في الآية الإجمار على الاهتداء أي أنت لا تقدر على ذلك . وقيل : معناه ليس عليك اهتداؤهم وقبولهم الحق .

(١) قال الشيخ : قيل : في معناه قولان : أحدهما إنا عرفنا الناس أنهم كانوا كذلك كما يقال جعله رجل شر بتمريفنا حاله ، والثاني إنا حكمنا عليهم بذلك ، كما قال : «ما جعل الله من بعية ولا سابة» والجمل على أربعة أقسام : أحدها بمعنى الأحداث ، كقوله : «وجعلنا الليل والنهار آيتين» الثاني بمعنى قلبه من حال إلى حال ، كجمل النطفة علقه . الثالث بمعنى الحكم أنه على صفة . الرابع بمعنى اعتقد أنه على حال ، كقولهم : جعل فلان فلاناً راكباً إذا اعتقد فيه ذلك اه .

(٢) الشورى : ٥٢ .

وقال في قوله تعالى : « ولوشئنا لآتيناك نفس هديها » أي بأن نفعل أمراً من الأمور يلجئهم إلى الإقرار بالتوحيد ، ولكن ذلك يبطل الفرض بالتكليف . قال الجبائي ويجوز أن يكون المراد به ولوشئنا لأجنبناهم إلى ما سألوا من الرد إلى دار التكليف ليعملوا بالطاعات ، ولكن حق القول مني أن أجازيهم بالعقاب ولا أردّهم . وقيل : معناه : ولوشئنا لهديناهم إلى الجنة ولكن حق القول مني أي الخير والوعيد لا ملأنا جهنم من الجنة والناس أجمعين أي من كلا الصنفين بكفرهم .

وقال في قوله تعالى : « إن الله يسمع من يشاء » أي ينفع بالإسماع من يشاء أي يلطف له ويوفقه « وما أنت بمسمع من في القبور » أي أنك لا تقدر على أن تنفع الكفار بإسماعك إياهم ، إذ لم يقبلوا كما لا يسمع من في القبور من الأموات .

وقال في قوله تعالى : « لقد حق القول على أكثرهم » أي وجب الوعيد واستحقاق العقاب عليهم فهم لا يؤمنون ويموتون على كفرهم وقد سبق ذلك في علم الله . وقيل : تقديره : لقد سبق القول على أكثرهم أنهم لا يؤمنون ، وذلك أنه سبحانه أخبر ملائكته أنهم لا يؤمنون ، فحقّ قوله عليهم : « إننا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان » يعني أيديهم كتنى عنها وإن لم يذكرها لأن الأغناق والأغلال يدلان عليهما ، واختلف في معنى الآية على وجوه : أحدها أنه سبحانه إنما ذكره ضرباً للمثل ، وتقديره : مثل هؤلاء المشركين في إعراضهم عما تدعوهم إليه كمثل رجل غلّت يداه إلى عنقه لا يمكنه أن يبسطهما إلى خير ، ورجل طامع برأسه لا يبصر موطنه قديمه .

وثانيها : أن المعنى كان هذا القرآن أغلالاً في أعناقهم يمنعهم عن الخضوع لاستماعه وتدبره لثقله عليهم ، وذلك أنهم لما استكبروا عنه وأنفوا من اتباعه وكان المستكبر رافعاً رأسه ، لاوياً عنقه ، شاحخاً بأنفه ، لا ينظر إلى الأرض صاروا كأنما غلّت أيديهم إلى أعناقهم ؛ وإنما أضاف ذلك إلى نفسه لأن عند تلاوة القرآن عليهم ودعوته إياهم صاروا بهذه الصفة .

وثالثها : أن المعنى بذلك أناس من قريش هموا بقتل النبي ﷺ فغلّت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا أن يبسطوا إليه أبداً .

ورابعها : أن المراد به وصف حالهم يوم القيامة فهو مثل قوله : « إذ الأغلال في أعناقهم فهم مغمحون » أراد أن أيديهم لما غلّت إلى أعناقهم و رفعت الأغلال أذقانهم و رؤوسهم صعدا فهم مرفوع الرأس برفع الأغلال إيمانها ، والمقمح : الغاضّ بصره بعد رفع رأسه . « وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون »^(١) هذا على أحد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه صفته في إعراضهم عن الإيمان وقبول الحق ، وذلك عبارة عن خذلان الله إيمانهم لما كفروا ، فكأنه قال : و تركناهم مخذولين فصار ذلك

(١) قال الرضى رحمه الله : وهاتان استمرتان ، ومن أوضح الأدلة على ذلك أن الكلام كله في أوصاف القوم المذمومين ، وهم في أحوال الدنيا دون الآخرة ، ألا ترى قوله تعالى بعد ذلك : « سواء عليهم ، أأنذرتهم أم لم تنذرهم فهم لا يؤمنون » وإذا كان الكلام محمولا على أحوال الدنيا دون الآخرة وقد علمنا أن هؤلاء القوم الذين ذهب الكلام إليهم كان الناس يشاهدونهم غير مقمحين بالأغلال ولا مضروبا عليهم بالإسداد علمنا أن الكلام خرج مخرج قوله سبحانه : « ختم الله على قلوبهم » الخ فكان ذلك وصف لما كان عليه الكفار عند سماع القرآن من تنكيس الأذقان ولى الاعتاق ذهاباً عن الرشد ، واستكباراً عن الانقياد للحق ، وضيق صدورهم بما يرد عليهم من صواع البيان وقوارع القرآن ؛ وقد اختلف في معنى الاقتح فقال قوم : هو غش الأبصار واستشهدوا بقول بشر بن أبي حازم في ذكر السقيفة : ونحن على جوانبها قعود • نفى الطرف كالابل القحاح . وقال قوم : المقح الرافع رأسه صعداً فكان هؤلاء المذمومين شبهوا على الدلالة في وصف تكرارهم للإيمان ، وتضايق صدورهم لسماع القرآن بقوم عوقبوا فجذبت أعناقهم بالأغلال إلى صدورهم مضومة إليها أيانهم ثم رفعت ليكون ذلك أشد لا يلامهم وأبلغ في عذابهم . وقيل : إن المقح : الغاضّ بصره بعد رفع رأسه ، فكانه جامع بين الصفتين جميعاً . وقيل : إن قوله تعالى : « فهى إلى الأذقان » يعنى به إيمانهم المجموعة بالأغلال إلى أعناقهم ، فاكفى بذكر الاعتاق من الإيمان ، لأن الأغلال تجمع بين الإيمان والاعتاق ، وكذلك معنى السد المجمعول بين أيديهم ومن خلفهم انما هو تشبيه بمن قصر خطوه ، واخذت عليه طرقة ، ولما كان ما يصيبهم من هذه المشاق المذكورة والأحوال المذمومة انما هو عقيب تلاوة القرآن عليهم ، ونفت قوارعه فى أسماعهم حسن أن يضيف سبحانه الى نفسه فيقول : اناجعلناهم على تلك الصفات . وقد قرئ سداً بالفتح وسداً بالضم ، وقيل : إن السد بالفتح ما يصنع الناس ، وبالضم : ما يصنعه الله تعالى . وقال بعضهم : المراد بذكر السد ههنا الاخبار عن خذلان الله إيمانهم وتركه نصرهم ومموتهم ، كما تقول العرب في صفة الضال المتحير : فلان لا ينفذ في طريق يسلكه ، ولا يعلم أمامه أم واداه خير له . وأما قوله سبحانه : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » فهو أيضاً في معنى التغمي والطبع ، وواقع على الوجه الذى يقمان عليه ، وقد تقدم إيماننا إليه .

من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا ، وإذا قلنا : إنه وصف حالهم في الآخرة فالكلام على حقيقته ، ويكون عبارة عن ضيق المكان في النار بحيث لا يجدون متقدِّماً ولا متأخراً إذ سدَّ عليهم جوانبهم ، وإذا حملناه على صفة القوم الذين همَّوا بقتل النبي ﷺ فالمراد جعلنا بين أيدي أولئك الكفار منعاً ومن خلفهم منعاً حتى لم يبصروا النبي ﷺ ، وقوله : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » أي أغشيناهم أبصارهم فهم لا يبصرون النبي ﷺ . وقيل : أي فأغشيناهم فهم لا يبصرون الهدى . وقيل : فأغشيناهم بالعذاب فهم لا يبصرون في النار ، وقيل : معناه أنهم لما انصرفوا عن الإيمان والقرآن لم يبق لهم ذلك حتى لا يكادوا يتخلَّصون منه بوجه كالمغلول والمسدود عليه طريقه .

وقال في قوله تعالى : « ومن يضل الله » أي عن طريق الجنة « فماله من هاد » أي لا يقدر على هدايته أحد ، وقيل من ضلَّ عن الله ورحمته فلا هادي له ، يقال : أضلت بعيري إذا ضلَّ . وقيل : معناه : من يضلُّه عن زيادة الهدى والألطف لأن الكافر لا لطف له . وقال في قوله تعالى : « أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين » أي كراهة أن تقول : لو أراد الله هدايتي لكنت ممن يتقي معاصيه . وقيل : إنهم لما لم ينظروا في الأدلة واشتغلوا بالديانات وهمَّوا أن الله لم يهديهم فردَّ الله عليهم بقوله : « بلى قد جئتكم آياتي » الآية . وقال الزمخشري : « وقيل ضلَّناهم » وقد رناهم ، يعني لمشركي مكة « قرناء » أخداناً^(١) من الشياطين من جمع قرين كقوله : « ومن يعيش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً فهو له قرين »^(٢) .

فإن قلت : كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم ؟ قلت : معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر ، فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين ، والدليل عليه ومن يعيش تقيض . « ما بين أيديهم وما خلفهم » ما تقدَّم من أعمالهم وما هم عازمون عليها ، أو ما بين أيديهم

(١) جمع الغدن بكسر الغاء وسكون الدال : العيب والصاحب .

(٢) الزخرف : ٣٦ .

من أمر الدنيا واتباع الشهوات ، وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا يبعث ولا حساب ، « وحقّ عليهم القول » يعني كلمة العذاب « في أمم » في جملة أمم « إنهم كانوا خاسرين » تعليل لاستحقاقهم العذاب .

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله : « ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » : معناه أن الوجه في اختلاف الرزق بين العباد في الضيق والسعة زيادة على ما فيه من المصلحة أن في ذلك تسخيراً من بعض العباد لبعض بأحوالهم إليه يستخدم بعضهم بعضاً فينتفع أحدهم بعمل الآخر له فينتظم بذلك قوام أمر العالم . وقيل : معناه ليملك بعضهم بعضاً بما لهم فيتخذونهم عبيداً ومما يليك .

وقال في قوله تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن » أي يعرض عنه « نقيض له شيطاناً » أي نخلي بينه وبين الشيطان الذي يغويه فيصير قرينه عوضاً عن ذكر الله . وقيل : معناه تقرر به شيطاناً في الآخرة يلزمه فيذهب به إلى النار ، كما أن المؤمن يقرر به ملك فلا يفارقه حتى يصير به إلى الجنة .

وقال السيد المرتضى رضي الله عنه فيما مرّ في سورة الأعراف من قوله تعالى : « سأصرف عن آياتي » الآية : فيه وجوه : أوّلها أن يكون تعالى عن ذلك صرفهم عن نواب الله النظر في الآيات ، وعن العز والكرامة اللذين يستحقّهما من أدّى الواجب عليه في آيات الله تعالى وأدائته وتمسك بها ، والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء ﷺ خاصة ، وهذا التأويل يطابقه الظاهر لأنّه تعالى قال : « ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » فيبين أن صرفهم عن الآيات يستحقّ بتكذيبهم ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه .

وثانيها أن يصرفهم عن زيادة المعجزات التي يظهرها على الأنبياء بعد قيام الحجة بما تقدّم من آياتهم ومعجزاتهم ، لأنّه تعالى إنما يظهر هذا الضرب من المعجزات إذا علم أنّه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدّم من الآيات فإذا علم خلاف ذلك لم يظهرها وصرف الذين علم من حالهم أنّهم لا يؤمنون بها عنها ؛ و يكون الصرف على أحد وجهين : إمّا بأن لا يظهرها جملة ، أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم .

و ثالثها : أن يكون معنى سأصرف عن آياتي أي لا أؤتيها من هذه صفته ، وإذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم ، وكلا اللفظين يفيد معنى واحداً .
 ورابعها : أن يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها الله في قلوب المؤمنين ، ليدلّ بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر فيفعلوا بكل واحد منها ما يستحقّه من التعظيم أو الاستخفاف كما تأوّل أهل الحق الطبع والختم اللذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميّزة بين الكافر والمؤمن ، ويكون معنى سأصرفهم عنها أي أعدل بهم عنها وأخصّ بها المؤمنين المصدّقين بآياتي وأنبيائي .
 وخامسها : أن يريد تعالى : أني سأصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها ، لأنّ من الواجب على الله أن يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لأنّه ينقض الغرض في البعثة .

وسادسها : أن يكون الصرف هنا الحكم والتسمية والشهادة ، و معلوم أنّ من شهد على غيره بالانصراف عن شيء جاز أن يقال له : صرفه عنه ، كما يقال : أكفره و كذّبه و فسّقه .

وسابعها : أنّه تعالى لمّا علم أنّ الذين يتكبّرون في الأرض بغير الحق سينصرفون عن النظر في آياته والإيمان بها إذا أظهرها على أيدي رسله جاز أن يقول : سأصرف عن آياتي فبريد سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه ، ويجري ذلك مجرى قولهم : سأبخل فلاناً أي أسأله ما يبخل ببذله ، والآيات إمّا المعجزات أو جمع الأدلّة .

وثامنها : أن يكون الصرف هنا المنع من إبطال الآيات والحجج والقُدح فيها بما يخرجها عن أن تكون أدلّة وحججاً ، فيكون تقدير الكلام : إنّي بما أؤيّد به من حججتي وأحكمه من آياتي وبديّاتي سأصرف المبطلين والمكذّبين عن القُدح في الآيات والدلالات .

وتاسعها : أنّ الله عزّ وجلّ لمّا وعد موسى عليه السلام وأمرته لهلاك عدوّهم قال : سأصرف عن آياتي الذين يتكبّرون في الأرض بغير الحقّ فأراد عزّ وجلّ أنّه يهلكهم ويصطلمهم ويحتاجهم على طريق العقوبة لهم ، بما قد كان منهم من التكذيب بآيات الله

تعالى والرد لمحبجته ، وهو تعالى إذا أهلك هؤلاء الجبارين فقد صرفهم عن آياته من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها .

وفي قوله تعالى : « يتكبرون في الأرض بغير الحق » وجهان : أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق .

والثاني أن في التكبر ما يكون ممدوحاً لأن من تكبر وتنزه عن الفواحش و تباعد عن فعلها وتجنب أهلها يكون مستحقاً للمدح ، وإنما التكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبغي والاستطالة على ذوي الضعف ، والفخر عليهم والمباهات لهم . ثم المراد بالغفلة في الآية التشبيه للاحقيقة ، ووجه التشبيه أنهم لما أعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى والانتفاع بها اشتبهت حالهم حال من كان ساهياً ، غافلاً عنها كما قال تعالى : « صم بكم عمي » على هذا المعنى . انتهى ملخص كلامه رحمه الله وقد بسط الكلام فيها بما لا مزيد عليه .

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى : « يخرجهم من الظلمات إلى النور » : أما النور والظلمة المذكوران في الآية فجائز أن يكون المراد بهما الإيمان والكفر ، وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنة والنار ، والثواب والعقاب ، وقد تصح الكناية عن الثواب والنعيم في الجنة بأنه نور ، وعن العقاب في النار بأنه ظلمة ، وإذا كان المراد بهما الجنة والنار ساغ إضافة إخراجهم من الظلمات إلى النور إليه تعالى لأنه لا شبهة في أنه جل وعز هو المدخل للمؤمن من الجنة ، والعاقل به عن طريق النار ، والظاهر بما ذكرناه أشبه لأنه يقتضي أن المؤمن الذي ثبت كونه مؤمناً يخرج من الظلمة إلى النور ، فلو حمل على الإيمان والكفر لتناقض المعنى ، ولصار تقدير الكلام : أنه يخرج المؤمن الذي تقدم كونه مؤمناً من الكفر إلى الإيمان ، وذلك لا يصح ؛ على أنالو حملنا الكلام على الإيمان والكفر لصح ولم يكن مقتضياً لما توهموه ، ويكون وجه إضافة الإخراج إليه - وإن لم يكن الإيمان من فعله - من حيث دل وبين وأرشد ولطف وسهّل ، وقد علمنا أنه لولا هذه الأمور لم يخرج المكلف من الكفر إلى الإيمان ، فتصح إضافة الإخراج إليه لكون ما عدناه من جهته ، وعلى هذا يصح من أحدنا إذا أشار على غيره

بدخول بلد من البلدان ورغبه في ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح ، أو بمجانبة فعل من الأفعال أن يقول : أنا دخلت فلاناً البلد الفلاني ، وأنا أخرجته من كذا وكذا ، ألا ترى أنه تعالى قد أضاف إخراجهم من النور إلى الظلمات إلى الطواغيت ، وإن لم يدل ذلك على أن الطاغوت هو الفاعل للكفر للكفار ، بل وجه الإضافة ما تقدم لأن الشياطين يغوون ويدعون إلى الكفر ، ويزينون فعله ، فكيف اقتضت الإضافة الأولى أن الإيمان من فعل الله في المؤمن ، ولم تقتض الإضافة الثانية أن الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين وغفلتهم ؟ وبعد فلو كان الأمر على ما ظنوه لما صار الله ولياً للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والإيمان من فعله لا من فعلهم ، ولما كان خاذلاً للكفار ومضيفاً لولايتهم إلى الطاغوت والكفر من فعله بهم ؛ ولم فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولّي لفعل الأمرين فيهما ؛ ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنه إلا معاند مغالط لنفسه .

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى : « ربنا لا تزغ قلوبنا » فيه وجوه : أو لها أن يكون المراد بالآية : ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشق علينا فيه ، فيفضي بنا إلى ضيق قلوبنا بعد الهداية ، وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زبغ قلوبهم عند تشديده تعالى المحنة عليهم إليه ، كما قال تعالى في السورة : « إنها زادتهم رجساً إلى رجسهم » .^(١) فإن قيل كيف يشدد المحنة عليهم ؟ قلنا : بأن يقوى شهواتهم لما في عقولهم^(٢) ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقاً ، و الثواب المستحق عليهم عظيماً متضاعفاً ، وإنما يحسن أن يجعله شاقاً تعريضاً لهذه المنزلة .
ونانها أن يكون ذلك دعاءً بالثبوت على الهداية ، وإمدادهم بالألطف التي معها يستمرون على الإيمان .

فإن قيل : وكيف يكون مزبغاً لقلوبهم بأن لا يفعل اللطف ؟ قلنا : من حيث كان المعلوم أنه متى قطع إمدادهم بالأنطاف وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الإيمان ، ويجري

(١) التوبة : ١٢٥ .

(٢) في الامالي المطبوع هكذا : بأن يقوى شهواتهم لما قبجه في عقولهم .

هذا مجرى قولهم : اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا
فيتسلط علينا ، فكأنهم قالوا : لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا أطايفك فنزيغ ونضل .
ونالها ما ذكره الجبائي وهو أن المعنى لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ، و
معنى هذا السؤال أنهم سألوا الله أن يلفظ لهم في فعل الإيمان حتى يقيموا عليه ولا
يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الإيمان أن تزيع قلوبهم عن الثواب وأن
يفعل بهم بدلاً منه العقاب .

ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيع القلوب عن اليقين والإيمان
ولا يقتضي ذلك أنه تعالى سئل ما كان لا يحب أن يفعله ، وما لولا المسألة لجاز فعله
لأنه غير ممتنع أن ندعوه على سبيل الانقطاع إليه والافتقار إلى ما عنده ، بأن يفعل
ما نعلم أنه لا بد من أن يفعله ، وبأن لا يفعل ما نعلم أنه واجب أن لا يفعله إذا تعلق
بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكياً عن إبراهيم : « ولا تخزني يوم يبعثون » (١)
وكما قال تعالى في تعليمنا ما ندعو به : « قل رب أحكم بالحق و ربنا الرحمن » (٢)
وكقوله تعالى : « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » (٣)

وقال رضي الله عنه في قول نوح عليه السلام : « لا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم
إن كان الله يريد أن يغويكم » : ليس في هذه الآية ما يقتضي خلاف مذهبنا لأنه تعالى
لم يقل : إنه فعل الغواية أو أرادها ، وإنما أخبر أن نصح النبي ﷺ لا ينفع إن كان الله
يريد غوايتهم ، ووقوع الإرادة لذلك ، أو جواز وقوعها لادلالة عليهم في الظاهر ، على أن
الغواية هنا الخيبة و حرمان الثواب ، ويشهد بصحة ما ذكرناه في هذه اللفظة قول
الشاعر :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ☆ و من يغو لا يعدم على الغي لائماً
فكأنه قال : إن كان الله يريد أن يخيبكم ويعاقبكم بسوء عملكم وكفركم و
يحرّمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحي مادمتهم مقيمين على ما أنتم عليه ، إلا أن تغلّوا وتتوبوا

وقد سمى الله تعالى العقاب غيباً فقال : « فسوف يلقون غيباً »^(١) وما قبل هذه الآية يشهد لما ذكرناه ، و أن القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا : « يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي » الآية ، فأخبر أن نصحه لا ينفع من يريد الله أن ينزل به العذاب ، ولا يغني عنه شيئاً .

وقال جعفر بن حرب : إن الآية تتعلق بأنه كان في قوم نوح طائفة تقول بالجبر فنبتهم الله تعالى بهذا القول على فساد مذاهبهم ، وقال لهم على طريق الإنكار عليهم و التعجب من قولهم : إن كان القول كما تقولون من أن الله يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحاً فأنتم على قولكم لا تنتفعون به و هذا جيد . وروي عن الحسن في هذه الآية وجه صالح وهو أنه قال : المعنى فيها : إن كان الله يريد أن يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم و إن قبلتموه و آمنتهم به ، لأن من حكم الله تعالى أن لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب ، و كل هذا واضح في زوال الشبهة في الآية .

أقول : إنما بسطنا الكلام فيما نقلناه عن الأفاضل الأعلام في تفسير تلك الآيات من كلام الملك العلام لتحيط خبراً بما ذكره أهل العدل فيها لدفع شبه المخالفين ، و سنتلو عليك ما ورد في تأويلها نقلاً عن أئمة الدين صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين ما تتخلص به من شبه المبطلين .

١ - **ك :** عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن أبي نصر ، عن حماد بن عثمان عن أبي عبيدة الحذاء قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس ، فقال : - وتلاه هذه الآية ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك و لذلك خلقهم - يا أبا عبيدة الناس مختلفون في إصابة القول و كلهم هالك ، قال : قلت : قوله : « إلا من رحم ربك » قال : هم شيعتنا ولرحمة خلقهم^(٢) وهو قوله : « ولذلك خلقهم » يقول : لطاعة الإمام . « ج ١ ص ٤٢٩ »

عد : اعتقادنا في الفطرة والهداية أن الله عز وجل فطر جميع الخلق على التوحيد وذلك قوله عز وجل : فطرة الله التي فطر الناس عليها .

٢ - وقال : الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل : « وما كان الله ليضللّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون » قال : حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه .

٣ - وقال في قوله عز وجل : « فألهمها فجورها وتقوها » قال : بين لها ما تأتي وما تترك .^(١)

٤ - وقال^(٢) في قوله عز وجل : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » قال : عرفناه إما آخذاً وإما تاركاً .

٥ - وفي قوله عز وجل : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » قال : فهم يعرفون .

٦ - وسئل^(٣) عن قول الله عز وجل : « وهديناه النجدين » قال : نجد الخير ونجد الشر .

٧ - وقال عليه السلام : ما حجب الله علمه عن العباد فهو موضوع عنهم .

٨ - وقال عليه السلام : إن الله احتج على الناس بما آتاهم وعرفهم . « ص ٧٢ »

٩ - ما : الحسين بن إبراهيم القزويني ، عن محمد بن وهبان ،^(٤) عن أحمد بن إبراهيم

عن الحسن بن علي الزعفراني ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « وهديناه النجدين » قال : نجد الخير والشر .^(٥) « ص ٥٩ »

(١) في المصدر : وما تترك من المعاصي . م

(٢) في المصدر : وقال تعالى : « إنا هديناه » الآية . م

(٣) في المصدر : وسئل عن الصادق عليه السلام . م

(٤) (فتح الواو وسكون الهاء ، ترجمه النجاشي في ص ٢٨٢ من رجاله وقال : إله ثقة من أصحابنا ، واضح الرواية ، قليل التخليط ، له كتب إله .

(٥) النجد : المكان الغليظ الرفيع ، وقوله : « هديناه النجدين » مثل لطريقي الحق والباطل في الاعتقاد ، والصدق والكذب في المقال ، والجميل والقبيل في الفعل ، قاله الراغب في المفردات .

١٠ - نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام : عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم و حلّ المقود . (١)

١١ - فسی : فی روایة أبی الجارود ، عن أبی جعفر عليه السلام فی قوله تعالى : « قل أرأيتم إن أخذ الله سمعکم وأبصارکم وختم على قلوبکم » يقول : أخذ الله منکم الهدی من إله غیر الله یأتیکم به . « ص ١٨٨-١٨٩ »

١٢ - فسی : فی روایة أبی الجارود ، عن أبی جعفر عليه السلام فی قوله : « و تقلب أفئدتهم وأبصارهم » يقول : و ننکس قلوبهم فیکون أسفل قلوبهم أعلاها و نعمی (٢) أبصارهم فلا یبصرون الهدی . « ص ٢٠١ »

١٣ - فسی : فی روایة أبی الجارود ، عن أبی جعفر عليه السلام فی قوله : « لهم قلوب لا یفقهون بها » يقول (٣) : طبع الله علیها فلا تعقل « ولهم أعین » علیها غطاء عن الهدی « لا یبصرون بها ولهم آذان لا یسمعون بها » جعل فی آذانهم قرأ فلم یسمعوا الهدی . « ص ٢٣١ »

١٤ - فسی : أحمد بن محمد ، عن جعفر بن عبدالله ، عن کثیر بن عیّاش ، عن أبی الجارود ، عن أبی جعفر عليه السلام فی قوله : « والذین کذبوا بآیاتنا صم و بکم » يقول : صم عن الهدی ، و بکم لا یتکلمون بخیر ، « فی الظلمات » یعنی ظلمات الکفر « من یشأ الله یضلله و من یشأ یجعل له صراط مستقیم » وهو ردّ علی قد رية هذه الأمة ، یحشرهم الله یوم القيامة مع الصائین والنصارى والمجوس فیقولون : « والله ربنا ما کنّا مشرکین » یقول الله : « انظر کیف کذبوا علی أنفسهم و ضلّ عنهم ما کانوا یفترون » قال : فقال رسول الله صلی الله علیه و آله : « ألا إن لكل أمة مجوساً ، و مجوس هذه الأمة الذین یقولون : لا قدر ، و یزعمون أن المشیة والقدرة إلیهم ولهم . « ص ١٨٦ »

(١) العزائم جمع العزیمه : الإرادة المؤکدة . وفسخها نقضها . والعقود جمع العقد بمعنى النية تنقذ علی فعل أمر ، و بهذا النقض والحل یعرف أن هناك قدرة سامیه فاهرة فوق إرادة البشر ومشیته تحول بین الإنسان وإرادته ، وهی قدرة الله تعالى ، ولولاها لکان الإنسان أمضى ماعزم ، وفعل ما عقد .

(٢) فی المصدر : ویمى أبصارهم . م

(٣) فی المصدر : اى طبع الله . م

١٥- فمس : محمد بن عبدالله ، عن موسى بن عمران ، عن النوفلي ، عن السكوني قال ، جاء رجل إلى أبي عبدالله جعفر بن محمد صلوات الله عليه و أنا عنده ، فقال : يا بن رسول الله «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» وقوله : «أمر ربّي أن لا تعبدوا إلا إياه» فقال : نعم ليس الله في عباده أمر إلا العدل والإحسان ، فالدعاء من الله عام ، والهدى خاص ، مثل قوله : «يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» ولم يقل : ويهدي جميع من دعاه^(١) إلى صراط مستقيم . «ص ٦٤-٣»

١٦- لى : أبي ، عن علي بن محمد بن قتيبة ، عن محمد بن سليمان ، عن نوح بن شعيب ، عن ابن بزيع ، عن صالح بن عقبة ، عن علقمة بن محمد الحضرمي ، عن الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله جلّ جلاله : عبادي كلكم ضالّ إلا من هديته ، وكلكم فقير إلا من أغنيته ، وكلكم مذنب إلا من عصمته . «ص ٦١»

١٧- ب : ابن سعد ،^(٢) عن الأزدی ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى إذا أراد بعدد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر إدخالاً . «ص ١٧»

١٨- ب : اليقطيني ، عن نباتة بن محمد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : إن الله تبارك و تعالى إذا أراد بعدد خيراً وكل به ملكاً فأخذ بعضده فأدخله^(٣) في هذا الأمر . ص ٢١-٢٢

١٩- ب : هارون ، عن ابن صدقة ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال : كونوا دعاة الناس بأعمالكم ، ولا تكونوا دعاة بالسنتكم ؛ فإن الأمر ليس حيث يذهب إليه الناس إنه من اخذ ميثاقه أنه منّا فليس بخارج منّا ولو ضربنا خيشومه بالسيف ، ومن لم يكن منّا ثمّ حبونا^(٤) له الدنيا لم يحبنا . «ص ٣٧-٣٨»

(١) في المصدر : جميع من دعا . م

(٢) لم نجد الحديث في المصدر بهذا السند ، وفيه : عنه ، عن بكر بن محمد ، عن أبي عبدالله عليه السلام . م

(٣) في نسخة من المصدر : فدخله . م

(٤) الحصة : العطية .

بيان : قوله ﷺ : ليس حيث يذهب إليه الناس أي أنهم يقدرون علي هداية الناس بالاحتجاج عليهم ، ولعل المقصود في تلك الأخبار زجر الشيعة عن المعارضات والمجادلات مع المخالفين بحيث يتضررون بها فإنهم كانوا يبالغون في ذلك تطنأتهم أنهم يقدرون بذلك على هداية الخلق ، وليس الغرض منع الناس عن هداية الخلق في مقام يظنون النفع ولم يكن مظنة ضرر فإن ذلك من أعظم الواجبات .

٢٠ - ب : أحمد ، عن البيهقي قال : قلت له : قول الله تبارك وتعالى « إن علينا للهدى » قال : الله ^(١) يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ؛ فقلت له : أصلحك الله إن قوماً من أصحابنا يزعمون أن المعرفة مكتسبة ، وأنهم إذا نظروا منه ^(٢) وجه النظر أدرکوا ، فأنكر ﷺ ذلك وقال : فما لهؤلاء القوم لا يكتسبون الخير لا أنفسهم ؛ ليس أحد من الناس إلا وهو يحب أن يكون خيراً ممن هو خير منه ، هؤلاء بني هاشم موضعهم موضعهم ، وقرابتهم قرابتهم ، وهم أحق بهذا الأمر منكم ، أفترى ^(٣) أنهم لا ينظرون لأنفسهم وقد عرفتم ولم يعرفوا ؟ قال أبو جعفر ﷺ : لو استطاع الناس لأحببونا . « ص ١٥٦ - ١٥٧ »

٢١ - يد ، مع : الوراق والسناني ، ^(٤) عن ابن زكريا القطان ، عن ابن حبيب عن ابن بهلول ، عن أبيه ، عن جعفر بن سليمان البصري ، عن الهاشمي قال : سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله عز وجل : « من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً » فقال : إن الله تبارك وتعالى يضل الظالمين يوم القيامة عن دار كرامته ويهدي أهل الإيمان والعمل الصالح إلى جنّته كما قال عز وجل : « ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » وقال الله عز وجل : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنّات النعيم » قال : فقلت : فقلوه : « وما توفيقي إلا بالله » وقوله عز وجل : « إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي

(١) في المصدر : فقلت له قول الله تبارك وتعالى : « إن علينا للهدى » قال : إن الله م

(٢) في المصدر : إذا نظروا من وجه النظر . م

(٣) في المصدر : أفترى . م

(٤) في التوحيد والمعاني : الوراق والسناني والدقاق قالوا : حدثنا القطان . م

ينصر كم من بعده ، فقال : إذا فعل العبد ما أمره الله عز وجل به من الطاعة كان فعله وفقاً لأمر الله عز وجل وسمي العبد به موقفاً ، وإذا أراد العبد أن يدخل في شيء من معاصي الله فحال الله تبارك وتعالى بينه وبين تلك المعصية فتركها كان تركه لها بتوفيق الله تعالى ، ومتى خلّى بينه وبين المعصية فلم يحل بينه وبينها حتى يرتكبها فقد خذله ولم ينصره ولم يوقفه . (ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ص ١١)

٢٢ - يد ، مع ، ن : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن حمدان بن سليمان قال : سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام ^(١) عن قول الله عز وجل : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » قال : من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا إلى جنته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم لله والثقة به والسكون إلى ما وعده من نوابه حتى يطمئن إليه ، ومن يرد أن يضله عن جنته ودار كرامته في الآخرة لكفره به وعصيان له في الدنيا يجعل صدره ضيقاً حرجاً حتى يشك في كفره ويضطرب من اعتقاده قلبه حتى يصير كأنما يصعد في السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون . (ص ٢٢٤ ص ٤٧ - ٤٨ ص ٧٥)

ج : مرسل عنه عليه السلام مثله . (ص ٢٢٤)

٢٣ - مع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسن بن فضال ، عن ثعلبة ، عن زرارة ، عن عبد الخالق بن عبد ربّه ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » فقال : قد يكون ضيقاً وله منفذ يسمع منه ويبصر ، والحرج هو الملتأّم الذي لا منفذ له يسمع به ولا يبصر منه . (ص ٤٧)

٢٤ - م ، ج : بالإسناد إلى أبي محمد عليه السلام قال في قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » : أي وسمها بسمّة ^(٢) يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنهم لا يؤمنون ، وعلى سمعهم كذلك بسمات وعلى أبصارهم غشاوة ، وذلك أنهم لما أعرضوا عن النظر فيما كلفوه وقصروا فيما

(١) في التوحيد والمعاني : سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بنيسابور . م

(٢) الية كدمة : العلامة وأثر الكي ، والجمع سمات ، أي جعل له علامة يعرف بها من يشاء .

أُرِيدَ مِنْهُمْ وَجْهًا لَمْ يَزَلْ يَمُوتُ بِهِ فَصَارُوا كَمَنْ عَلَى عَيْنِهِ غُطَاءٌ لَا يَبْصُرُ مَا أَمَامَهُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَعَالَى عَنِ الْعَبَثِ وَالْفَسَادِ ، وَعَنْ مَطَالِبَةِ الْعِبَادِ بِمَا مَنَعَهُمْ بِالْقَهْرِ مِنْهُ ، فَلَا يَأْمُرُهُمْ بِمُغَالَبَتِهِ وَلَا بِالْمَصِيرِ إِلَى مَا قَدْ صَدَّ عَنْهُمُ عَنْهُ بِالْقَسْرِ عَنْهُ ، ^(١) ثُمَّ قَالَ : « وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » يَعْنِي فِي الْآخِرَةِ الْعَذَابَ الْمَعْدَّ لِلْكَافِرِينَ ، وَفِي الدُّنْيَا أَيْضًا لِمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَصْلِحَهُ بِمَا يَنْزِلُ بِهِ مِنْ عَذَابٍ لَا يَنْتَظِرُ لِيَنْبَغِيهِ لَطَاعَتَهُ ، وَمِنْ عَذَابِ الْأَصْطِلَامِ ^(٢) لِيَصِيرَهُ إِلَى عَدْلِهِ وَحُكْمَتِهِ .

قال الطبرسي رحمه الله : وروى أبو محمد العسكري عليه السلام مثل ما قال هو في تأويل هذه الآية من المراد بالختم على قلوب الكفار عن الصادق عليه السلام بزيادة شرح لم يذكره مخافة التطويل لهذا الكتاب . ص ٢٥٣

٢٥ - ن : تميم القرشي ، عن أبيه ، عن الأنصاري ، عن الهروي قال : قال الرضا عليه السلام في قوله عز وجل : « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله » : ليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها ، ولكن على معنى أنها ما كانت لتؤمن إلا بإذن الله وإذنه أمره لها بالإيمان ما كانت مكلفة متعبدة ، وإلجاءه إليها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبد عنها .

٢٦ - ن : السناني ، عن محمد الأسدي ، عن سهل ، عن عبد العظيم الحسني ، عن إبراهيم بن أبي عمود قال : سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » قال : الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم كما قال تعالى : « بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً » . ص ٧٠

٢٧ - فس : قوله : « وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله » يعني الحسنات والسيئات ، ثم قال في آخر الآية : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » وقد اشتبه هذا على عدة من العلماء فقالوا : يقول الله : « وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله » وإن

(١) في المصدر : إلى ما قد صد عنهم بالقسر عنه . م

(٢) في المصدر : أو من عذاب الاصطلاح . م

تصبيهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله الحسنة والسيئة . ثم قال في آخر الآية : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » فكيف هذا وما معنى القولين ؟ .

فالجواب في ذلك من معنى القولين جميعاً عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا : الحسنات في كتاب الله على وجهين ، والسيئات على وجهين ، فمن الحسنات التي ذكرها الله الصحة والسلامة والأمن والسعة في الرزق وقد سماها الله حسنات « وإن تصبهم سيئة » يعني بالسيئة ههنا المرض والخوف والجوع والشدة « يطّيئروا بموسى ومن معه » أى يتشاءموا به ، والوجه الثاني من الحسنات يعني به أفعال العباد وهو قوله : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ومثله كثير . وكذا السيئات على وجهين فمن السيئات الخوف والجوع والشدة وهو ما ذكرناه في قوله : « وإن تصبهم سيئة يطّيئروا بموسى ومن معه » وعقوبات الذنوب قد سماها الله السيئات كقوله تعالى : « جزاء سيئة سيئة مثلها » .

والوجه الثاني من السيئات يعني بها أفعال العباد الذين يعاقبون عليها وهو قوله : « ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار » وقوله : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » يعني ما عملت من ذنوب فعوقبت عليها في الدنيا والآخرة فمن نفسك بأعمالك لأن السارق يقطع ، والزاني يجلد ويرجم ، والقاتل يقتل فقد سمي الله العلل والخوف والشدة وعقوبات الذنوب كلها سيئات ، فقال : « ما أصابك من سيئة فمن نفسك » بأعمالك ، قوله : « قل كل من عند الله » يعني الصحة والعافية والسعة والسيئات التي هي عقوبات الذنوب من عند الله . (ص ١٣٢ - ١٣٣)

بيان : لا يخفى أن الظاهر في الآية الأولى من الحسنة النعمة كالخصب والظفر والأمن والفرح ، ومن السيئة القحط والهزيمة والجوع والخوف ، ويحتمل بعيداً ما ذكره علي بن إبراهيم من عقوبات الذنوب ؛ وفي الآية الثانية يحتمل أن يكون المراد بالحسنة الطاعة فإنها بتوفيقه تعالى والنعمة فإنها بأنواعها من فضله تعالى ، وبالسيئة الذنوب فإنها باختيارنا ؛ أو عقوباتها فإنها بسبب أفعالنا ، ولا ينافي ذلك كونها من الله ، إذ تقديرها وإلزامها وإيجابها من الله وفعل ما يوجبها منا ، ولعل كلام علي بن إبراهيم ناظر

إلى هذا ، أو البلياء والمصائب فإنها بسبب ذنوبنا التي نستحقها بها ، ولا ينافي أيضاً كونها من عند الله إذ أعمالنا أسباب لا تزال الله تعالى إتيانها ، فالفاعل هو الله ونحن الأسباب ، ومنها البواعث ، ويمكن حل الآية أيضاً على الطاعات والمعاصي إذ المعاصي صادرة منها بسلب توفيقه تعالى عنها ، فيجوز نسبتها إليه تعالى أيضاً مجازاً وإن كنّا نحن بقائح أعمالنا باعدين لسلب التوفيق أيضاً ، ولعلّه إنما خص بعض الصور بالذكر لظهور البواقي .

٢٨ - يد : ابن الوليد ، عن ابن أبان ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابن أبي عمير ، عن عبد الله الفراء ، عن محمد بن مسلم ، ومحمد بن مروان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما علم رسول الله صلى الله عليه وآله أن جبرئيل عليه السلام من قبل الله عز وجل إلا بالتوفيق . «ص ٢٤٦ - ٢٤٧»

٢٩ - يد ، القطان ، عن السكري ، عن الجوهري ، عن ابن عمارة ، عن أبيه ، عن جابر الجعفي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن معنى لاحول ولا قوة إلا بالله فقال : معناه لاحول لنا عن معصية الله إلا بعون الله ، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بتوفيق الله عز وجل . «ص ٢٤٧»

٣٠ - سنن : محمد بن إسماعيل ، عن أبي إسماعيل السراج ، عن ابن مسكان ، عن ثابت أبي سعيد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا ثابت هالكم وللناس ؟ كفوا عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى أمركم ، فوالله لو أن أهل السماوات وأهل الأرض اجتمعوا على أن يهدوا عبداً يريد الله ضلّالته ما استطاعوا أن يهدوه ، ^(١) ولو أن أهل السماوات وأهل الأرض اجتمعوا على أن يضلّوا عبداً يريد الله هداه ما استطاعوا أن يضلّوه ، كفوا عن الناس ولا يقل أحدكم : أخي وابن عمي وجاري ، فإن الله إذا أراد بعبد خيراً طيّب روحه فلا يسمع معروفاً إلا عرفه ، ولا منكراً إلا أنكره ، ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره . «ص ٢٠٠»

سنن : أبي ، عن عبد الله بن يحيى ، عن عبد الله بن مسكان ، عن ثابت مثله . «ص ٢٠٠»

٣١ - سنن : عبد الله بن يحيى ، عن هشام بن سالم ، عن سليمان بن خالد قال :

لي أبو عبد الله عليه السلام يا سليمان إن لك قلباً ومسامع ، وإن الله إذا أراد أن يهدي عبداً

(١) في نسخة : على أن يهدوه .

فتح مسامع قلبه ، وإذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه فلا يصلح أبداً ؛ وهو قول الله عز وجل : « أم على قلوب أفعالها » . « ص ٢٠٠ »

٣٢ - سن : القاسم بن محمد وفضالة ، عن كليب بن معاوية الأسدي قال : قال أبو عبدالله عليه السلام ما أنتم والناس ؟ إن الله إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة بيضاء فإذا هو بجول لذلك ويطلبه . « ص ٢٠٠ »

٣٣ - سن : فضالة ، عن القاسم بن يزيد ^(١) عن سليمان بن خالد قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إذا أراد الله بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة بيضاء فجاء القلب يطلب الحق ، ثم هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكره ^(٢) « ص ٢٠١ » .

٣٤ - سن : أبي ، عن فضالة ، عن أبي بصير ، عن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن القلب ينقلب من لدن موضعه إلى حنجرته هالم يصب الحق ، فإذا أصاب الحق قر . ثم ضم أصابعه وقرأ هذه الآية : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » . « ص ٢٠٢ »
شي : عن خيثمة مثله . ^(٣)

٣٥ - سن : حماد بن عيسى ، عن ربعي ، عن الفضيل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لاتدعوا إلى هذا الأمر فإن الله إذا أراد بعبد خيراً أخذ بعنته فأدخله في هذا الأمر . « ص ٢٠٢ » .

سن : يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أبي جعفر عليه السلام مثله . « ص ٢٠٢ » .

٣٦ - سن : النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن عمران قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إن الله إذا أراد بعبد خيراً أخذ بعنته فأدخله في هذا الأمر . « ص ٢٠٢ »

(١) الوجود في نسخ الكتاب والمحسن المطبوع : القاسم بن يزيد : والظاهر أنه مصنف القاسم بن يزيد .

(٢) الوكر : عش الطائر وموضه .

(٣) بضم الغاء المعجمة وسكون الياء ، المثناة وفتح التاء ، المثثلة ، والميم والهاء .

سن : علي بن إسماعيل الميثمي ، عن ربعي ، عن حذيفة بن منصور عن أبي عبد الله عليه السلام مثله «ص ٢٠٢».

سن : صفوان ، عن العلاء ، عن محمد ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله . «ص ٢٠٢».

٣٧ - سن : صفوان ، عن محمد بن مروان ، عن فضيل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام ندعو الناس إلى هذا الأمر؟ فقال : لا يا فضيل ؛ إن الله إذا أراد بعبد خيراً وكل ملكاً^(١) فأخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر طائعاً أو كراهاً . «ص ٢٠٢» .

٣٨ - سن : ابن أبي عمير ، عن أبي أيوب ، عن معاذ بن كثير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إني لا أسئلك إلا عما يعنيني ،^(٢) إن لي أولاداً قد أدركوا فأدعوهم إلى شيء من هذا الأمر؟ فقال : لا ، إن الإنسان إذا خلق علويّاً أو جعفريّاً يأخذ الله بناصيته حتى يدخله في هذا الأمر . «ص ٢٠٢» .

٣٩ - سن : صفوان ، عن حذيفة بن منصور ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان أبي عليه السلام يقول : إذا أراد الله بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر ، قال : و أوماً بيده إلى رأسه . «ص ٢٠٣» .

٤٠ - سن : حماد بن عيسى ، عن نباتة بن محمد البصري قال : أدخلني ميسر بن عبد العزيز على أبي عبد الله عليه السلام وفي البيت نحو من أربعين رجلاً فجعل ميسر يقول : جعلت فداك هذا فلان بن فلان من أهل بيت كذا وكذا حتى انتهى إلي فقال : إن هذا ليس في أهل بيته أحد يعرف هذا الأمر غيره ؛ فقال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله إذا أراد بعبد خيراً وكل به ملكاً فأخذ بعضده فأدخله في هذا الأمر . «ص ٢٠٣» .

٤١ - سن : علي بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك و تعالى : «واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه» قال : يحول بينه وبين أن يعلم أن الباطل حق . «ص ٢٣٧» .

بيان : أي يهديه إلى الحق .

(١) في المصدر : امر ملكا . م

(٢) أي إلا عما يعني .

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه في الغرر والدرر : فيه وجوه .

أوّلها أن يريد بذلك أنّه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا حثّ منه عزّ وجلّ على الطاعات و المبادرة لها قبل الفوت .

وثانيها أنّه يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تمييزه وإن كان حيّاً ، وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه : إنّّه بغير قلب ، قال تعالى : «إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب» .^(١)

وثالثها أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قرب من عبادته وعلمه بما يبطنون ويخفون وأنّ الضمائر المكنونة له ظاهرة ، والخفايا المستورة لعلمه بادية ، و يجري ذلك مجرى قوله تعالى : «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد»^(٢) ونحن نعلم أنّّه تعالى لم يرد قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه ، وإذا كان جلّ وعزّ هو أعلم بما في قلوبنا منّا وكان ما نعلمه أيضاً يجوز أن ننساه ونسهو عنه و نضلّ عن علمه ، وكلّ ذلك لا يجوز عليه جاز أن يقول أنّه يحول بيننا وبين قلوبنا لأنّه معلوم في الشاهد أن كلّ شيء يحول بين شيئين فهو أقرب إليهما ،^(٣) والعرب تضع كثيراً لفظة القرب على غير معنى المسافة ، فيقول : فلان أقرب إلى قلبي من فلان .

ورابعها ما أجاب به بعضهم من أنّ المؤمنين كانوا يفكّرون في كثرة عدوّهم وقلة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف فأعلمهم تعالى أنّه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدّل له بالخوف الأمن ، و يبدّل عدوّهم بطنّهم أنّهم قادرون عليهم الجبن والخور .^(٤)

ويمكن في الآية وجه خامس وهو أن يكون المراد أنّه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه إليه قلبه من القبائح بالأمر والنهي والوعد والوعيد انتهى .

أقول : يمكن أن تكون الحيلولة بالهدايات و الألفاظ الخاصة زائداً على

(١) ق : ٣٧ . (٢) ق : ١٦ .

(٣) في المصدر بعد ذلك : ولما أراد الله تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف و نألف ؛ وإن كان القرب الذي عناء جلت عظمته لم يرد به السافة اهـ .

(٤) الغور بالغاء ، والواو المفتوحين : الضعف .

الأمر والنهي ، ويحتمل أن يكون مخصوصاً بالمقرئين الذين يملك الله قلوبهم ويستولى عليها بلطفه ويتصرف فيها بأمره فلا يشاؤون شيئاً إلا أن يشاء الله ، ولا يريدون إلا ما أَرَادَ الله ، فهو تعالى في كل آن يفيض على أرواحهم ، ويتصرف في أبدانهم ، فهم ينظرون بنور الله ، ويطشون بقوة الله ، كما قال تعالى فيهم : فبني يسمع وبني يبصر ، وبني ينطق ، وبني يمشي ، وبني يبطش . وقال جل وعز : كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه . وسيأتي مزيد تحقيق لذلك في كتاب المكلام ، وقدمر الكلام في الآية في باب العلم .^(١)

٤٢ - شى : عن ابن أبي يعفور قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : لبسوا عليهم لبس الله عليهم فإن الله يقول : «وللبسناء عليهم ما يلبسون» .

٤٣ - شى : عن علي بن عقبة ، عن أبيه قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : اجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوا للناس ، فإنه ما كان لله فهو لله ، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله ولا تخاصموا الناس بدينكم فإن الخصومة ممرضة للقلب ، إن الله قال لنبيه : يا محمد إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ، وقال : أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . ذروا الناس فإن الناس أخذوا من الناس وإنكم أخذتم من رسول الله وعلمي ولا سواء ، إنني سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول : إن الله إذا كتب إلى عبد أن يدخل في هذا الأمر كان أسرع إليه من الطير إلى وكرة .

٤٤ - شى : البرزطي ، عن الرضا عليه السلام قال : قال الله في قوم نوح : «ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم» قال : الأمر إلى الله يهدي ويضل .

٤٥ - شى : عن إسحاق بن عمار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن رسول

(١) لا يخفى أن جميع ما ذكر من هذه الوجوه إنما هو للفرار من نسبة فعل القبيح إليه تعالى فإن الحيلولة والمكر والأمر بالمعصية وبالجملة كل ما هو إضلال بوجه قبيح من الحكيم فلا ينسب إليه تعالى ؛ إلا أن ظاهر الكتاب أن جميع ذلك منه تعالى فيما نسب إليه من قبيل المجازاة على المعاصي قال تعالى : «وما يضل به إلا الفاسقين» وقال : «فلما ذاغوا أذاع الله قلوبهم» ولا يقبح الإضلال وكل ما يرجع إليه إذا كان بعنوان المجازاة كما لا يخفى . ط

الله ﷻ كان يدعو أصحابه فمن أراد الله به خيراً سمع وعرف ما يدعوه إليه ، ومن أراد به شراً طبع على قلبه فلا يسمع ولا يعقل وهو قوله : «أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» .

٤٦ - شى : عن حران ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : «إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا» - مشددة منصوبة - تفسيرها : كثرنا ؛ وقال : لاقرأتها مخففة .

بيان : قال الفيروز آبادي : أمر كفرح أمراً وأمرأة ، كثر وتم فهو أمر ، والأمر اشتد ، والرجل كثرت ما شيته ، وأمره الله وأمره كنصره لغية كثر ما شيته ونسله .

٤٧ - شى : عن حران ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : «إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا» قال : تفسيرها : أمرنا أكابرها .

٤٨ - تفسير النعماني : بالإسناد الآتي في كتاب القرآن عن أمير المؤمنين عليه السلام

قال : الضلاله على وجوه : فمنه محمود ، ومنه مذموم ، ومنه مالم ليس بمحمود ولا مذموم ومنه ضلال النسيان ، فأما الضلال المحمود وهو المنسوب إلى الله تعالى كقوله : «يضلّ الله من يشاء» هو ضلالهم عن طريق الجنة بفعلهم ، والمذموم هو قوله تعالى : «وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ» وأضلّ فرعون قومه وما هدى ، ومثل ذلك كثير ؛ وأما الضلال المنسوب إلى الأصنام فقوله في قصة إبراهيم «و اجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ربّ إنهن أضللن كثيراً من الناس» الآية ، والأصنام لا يضلن أحداً على الحقيقة ، إنما ضلّ الناس بها وكفروا حين عبدوها من دون الله عزّ وجلّ ، وأما الضلال الذي هو النسيان فهو قوله تعالى : «أَنْ تَضَلَّ إْحْدِيهِمَا فَتُذَكِّرْ إِحْدِيهِمَا الْأُخْرَى» وقد ذكر الله تعالى الضلال في مواضع من كتابه ، فمنهم ما نسبته إلى نبيه على ظاهر اللفظ كقوله سبحانه : «ووجدك ضالاً فهدى» معناه وجدناك في قوم لا يعرفون نبوتك فهديناهم بك ؛ وأما الضلال المنسوب إلى الله تعالى الذي هو ضد الهدى والهدى هو البيان ، وهو معنى قوله سبحانه : «أولم يهدلهم» معناه : أولم يبين لهم ، مثل قوله سبحانه : «فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى» أي بيننا لهم ، وهو قوله تعالى : وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إهديهم حتى يبين لهم ما يتقون .

وأما معنى الهدى فقوله عزّ وجلّ : «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد» ومعنى

الهادي الميِّين لما جاء به المنذر من عند الله ، وقد احتج قوم من المنافقين على الله تعالى «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها» و ذلك أن الله تعالى لما أنزل على نبيه «ولكل قوم هاد» قال طائفة من المنافقين «ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً» فأجابهم الله تعالى بقوله : «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها» إلى قوله : «يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين» فهذا معنى الضلال المنسوب إليه تعالى لأنه أقام لهم الإمام الهادي لما جاء به المنذر فخالفوه و صرفوا عنه ، بعد أن أقرؤا بفرض طاعته ، ولما بين لهم ما يأخذون وما يذرون فخالفوه ضلوا . هذا مع علمهم بما قاله النبي ﷺ ، وهو قوله : لا تصلوا علي صلاةً مبتورة^(١) إذا صليتم علي بل صلوا على أهل بيتي ولا تقطعوه مني فإن كل سب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي . ولما خالفوا الله تعالى ضلوا فأضلوا فخذ الله تعالى الأمة من أتباعهم فقال سبحانه : «ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل» والسبيل ههنا الوصي ، وقال سبحانه : «ولا تتبعوا السبيل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم به» الآية فخالفوا ما وصيهم الله تعالى به وأتبعوا أهواءهم فحرفوا دين الله جلّت عظمتة وشرائعه ، وبدّلوا فرائضه وأحكامه وجميع ما أمروا به ، كما عدلوا عمّن أمروا بطاعته ، وأخذ عليهم العهد بموالاته ، واضطّرهم ذلك إلى استعمال الرأي والقياس فزادهم ذلك حيرةً والتباساً . ومنه قوله سبحانه : «ويقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء» فكان تركهم اتباع الدليل الذي أقام لهم ضلالة لهم فصار ذلك كأنه منسوب إليه تعالى لما خالفوا أمره في اتباع الإمام ، ثم افرقوا واختلفوا ولعن بعضهم بعضاً واستحل بعضهم دماء بعض ، فما ذا بعد الحق إلا الضلال فأنسى توفكون . «ص ١٧- ٢٠»

٤٩ - نهج : قال ﷺ - وقد سئل عن معنى قولهم : لاحول ولا قوة إلا بالله - :

إِنَّا لَنَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً وَلَنَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكَنَا ، فَمَتَى مَلَكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَفْنَا ،
وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَلَيْنَا .^(١)

٥٠ - كُنْزُ الْكَرَامَةِ : قَالَ : قَالَ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : مَا كُلُّ مَنْ نَوَى شَيْئاً قَدَّرَ عَلَيْهِ
وَلَا كُلُّ مَنْ قَدَّرَ عَلَى شَيْءٍ ، وَفَقَّ لَهُ ، وَلَا كُلُّ مَنْ وَفَّقَ لَشَيْءٍ أَصَابَ لَهُ ، فَإِذَا اجْتَمَعَتِ النِّيَّةُ
وَالْفِدْرَةُ وَالتَّوْفِيقُ وَالْإِصَابَةُ فَهَئَاكَ تَمَّتِ السَّعَادَةُ .

﴿باب ٨﴾

﴿التمحيص والاستدراج والابتلاء والاختبار﴾

الآيات ، آل عمران ٣٠ ، وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ
إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿ ما كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ
حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۚ ﴾ ١٧٨ - ١٧٩ ، وَقَالَ تَعَالَى : وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿
أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ١٣٨ - ١٤٢
﴿ وَقَالَ تَعَالَى : وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ١٥٤ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى :
لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ١٨٦ .

المائدة ٥٠ ، وَحَسَبُوا أَن لَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ٧١ .

الأنعام ٦٠ ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَاقًا فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيهَا آتِيَكُمْ ١٦٥ .

(١) حاصله أن اختيارنا وقوة تماطينا الأفعال والأموال إنما هو منه سبحانه ، وليس لنا في حد
ذاتنا وهويتنا أمر واختيار دونه ، فنحن المالكون لها بالعرض وهو المالك بالذات والحقيقة ، فيما
أعطانا من القوة على الأفعال والأعمال - وهي منه واختيارها بيده وقبضته عليها أشد من قبضتنا
عليها - كلفنا وأوجب علينا أشياء ، وحرم أموراً ، ومتى أخذ هذه القوة والمقدرة عنا وضع تكليفه
أيضاً عنا ، فالغرض أن لا نمالنا إسناداً إليه تعالى بما أقدرنا عليها وأمكنه (وعنا عنها وأخذ القوة
منا ، كما أن لها أيضاً إسناداً إلينا ، بما أوجدناها واختارنا فعلها على تركها ، فليس أجبرنا على
أعمالنا بحيث لم تصح إسنادها إلينا ، ولا فوض أمرها إلينا بحيث لم تكن له مشيئة وأمر فيها .

الاعراف ٧٠، والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأُملي لهم إن كيدي متين ١٨٢-١٨٣ .

الانفال ٨٠، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ٢٥ «وقال تعالى : واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ٢٨ .

التوبة ٩٠، أم حسبتم أن تتركوا ولمَّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجةً والله خيرٌ بما تعملون ١٦ «وقال الله تعالى : أولايرون أنهم يفتنون في كل عام مرةً أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ١٢٦ . هود ١١٠، ليلوكم أيتكم أحسن عملاً ٧ .

الكهف ١٨، إنما جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبلوهـم أيتهم أحسن عملاً ٧ . طه ٢٠، وفتنناك فتونا ٤٠ «وقال تعالى : قال فإنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري ٨٥ «إلى قوله : يا قوم إنما فتنتم به ٩٠ «وقال تعالى : لنفتنهم فيه ١٣١ . الأنباء ٢١، ونبلوكم بالشرِّ والخير فتنةً وإلينا ترجعون ٣٥ «وقال : وإني أدري لعلة فتنة لكم وممتعٌ إلى حين ١١١ .

الحج ٢٢، ليجعل ما يلقي الشيطان فتنةً للذين في قلوبهم مرضٌ ٥٣ . الفرقان ٢٥، وجعلنا بعضكم لبعض فتنةً أتصبرون وكان ربك بصيراً ٢٠ . النمل ٢٧، بل أنتم قوم تفتنون ٤٧ .

العنكبوت ٢٩، ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ٢-٣ . الاحزاب ٣٣، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ١١ .

الصافات ٣٧، إن هذا هو البلاء المبين ١٠٦ . ص ٣٨، ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب ٣٤ . الزمر ٣٩، فإذا مس الإنسان ضرٌّ دعانا ثم إذا حوَّلناه نعمَةً منَّا قال إنما أُوتيته على علم بل هي فتنةٌ ولكن أكثرهم لا يعلمون ٤٠ .

المؤمن ٤٠، فلا يفررك قلوبهم في البلاد ٤ .

الدخان «٤٤» ولقد فتنّا قبلهم قوم فرعون ١٧ «وقال تعالى: و آتيناهم من الآيات ما فيه بلاءٌ مبينٌ ٣٣ .

محمد «٤٧» ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ٤ «وقال تعالى: ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصّابرين ونبلو أخباركم ٣١ . القمر «٥٤» إنا مرسلوا النّاقة فتنةً لهم ٢٧ .

الممتحنة «٦٠» ربّنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا ٥ .

الملك «٦٧» الَّذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أتيكم أحسن عملاً ٣ .

القلم «٦٨» إِنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنّة إِذ أقسموا ليصر منها مصبّين ١٧

«وقال تعالى: فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأُملي لهم إِنَّ كيدي متينٌ ٤٤ - ٤٥ .

الجن «٧٢» لنفتنهم فيه ١٧ .

المدثر «٧٤» وما جعلنا عدّتهم إِلَّا فتنةً للذين كفروا ٣١ .

الطارق «٦٨» إِنّهم يَكيدون كيداً * وأكيدُ كيداً ١٥ - ١٦ .

تفسير : قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « وليعلم الله الَّذِينَ آمَنُوا » أي

يعلمهم متميّزين بالإيمان ، وإذا كان الله تعالى يعلمهم قبل إظهارهم الإيمان كما يعلمهم بعده فإنّما يعلم قبل الإظهار أنّهم سيتميّزون فإنّما أظهره علمهم متميّزين ، ويكون التغيّر حاصلًا في المعلوم لا في العالم ، كما أنّ أحدنا يعلم الغد قبل مجيئه على معنى أنّه سيجي ، فإنّما جاء علمه جائئاً وعلمه يوماً لاغداً وإذا انقضى فإنّما يعلمه أمس لا يوماً ولاغداً ، ويكون التغيّر واقعاً في المعلوم لا في العالم . وقيل : معناه : وليعلم أولياء الله ، وإنّما أضاف إلى نفسه تفخيماً . وقيل : معناه : وليظهر المعلوم من صبر من يصبر ، وجزع من يجزع ، وإيمان من يؤمن . وقيل : ليظهر المعلوم من النفاق والإخلاص ، ومعناه : ليعلم الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذكر أحدهما عن الآخر . «ويستخذمنكم شهداء» أي ليكرم بالشهادة من قتل يوم أحد ، أو يستخذمنكم شهدواً على الناس بما يكون منهم من العصيان ؛ وأصل التمهّيص التخليص ، والمحق : إفناء الشيء ، حالاً بعد حال أي ليبلي الله الَّذِينَ آمَنُوا وليخلصهم

من الذنوب أو ينحسبهم من الذنوب بالابتلاء ، ويهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء . وقال :
 « وليبتلي الله ما في صدوركم » أي ليختبر ما فيها ، لكم لأنه قد علمه غيباً فيعلمه شهادة
 لأن المجازات إنما تقع على ما يعلمه مشاهدة قيل : معناه ليعاملكم معاملة المختبرين
 « وليمحص ما في قلوبكم » أي ليكشفه و به ، أو يخلصه من الوسوس ، وقال :
 « لتبلون » أي لتوقع عليكم المحن وتلحقكم ا نائد في أموالكم بذهابها و نقصانها ،
 وفي أنفسكم أيها المؤمنون بالقتل و المصائب
 وقال البيضاوي « أم حسبتم » خطاب لا
 « أن تتركوا » ولم يتبين الخلف منكم وهم
 إرادة نفي المعلوم للمبالغة فإنه كالبرهان ء
 لوقوعه « وليجة » : بطانة يوالونهم ويفشون إلا
 وقال : في قوله تعالى : « يفتنون » أي ي
 رسول الله ﷺ فيعانون ما يظهر عليه من الآ يا
 وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى :
 في قوله تعالى : « فإننا قدفتنا قومك » أي امتح
 فيهم من أمر العجل ، فالزمناهم عند ذلك النظر
 إلى السامري والفتنة إلى نفسه .

وفي قوله تعالى : « ونبلوكم بالشر وال » أي نعاملكم معاملة المختبر بالفقر و
 الغنى ، وبالضراء والسرء ، وبالشدّة والرخا
 وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أن أميراً من بني فعادة إخوانه فقال
 كيف نجدك يا أمير المؤمنين ؟ قال : بشر ، قال : ما هذا كلام مثلك ! فقال : إن الله يقول
 « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » فالخير : الصحة الغنى ، والشر : المرض والفقر فتنة »
 أي ابتلاء واختباراً وشدّة تعبد .

وقال : في قوله تعالى : « إن أدري لعله » أي ما اذنتكم به اختبار لكم و شدة
 تكليف ليظهر صنيعكم وقيل : هذه الدنيا فتنة لكم ؛ وقيل : تأخير العذاب محنة و

اختبار لكم لترجعوا عما أنتم عليه « ومتاع إلى حين » أي تمتعون به إلى وقت انقضاء آجالكم .

وقال : في قوله تعالى : « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة » أي امتحاناً وابتلاءً ، وهو افتتان الفقير بالغني ، يقول : لو شاء الله لجعلني مثله غنياً ، والأعمى بالبصير ، والسقيم بالصحيح .

وقال : في قوله تعالى : « وهم لا يفتنون » أي أظن الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا : إننا مؤمنون فقط ، ويقتصر منهم على هذا القدر ، ولا يمتحون بما يتبين به حقيقة إيمانهم ؟ هذا لا يكون .

وقيل : معنى يفتنون يبتلون في أنفسهم وأموالهم وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام ويكون المعنى : ولا يشدد عليهم التكليف والتعب ولا يؤمرون ولا ينهون .

وقيل : معناه ولا يصابون بشدائد الدنيا ومصائبها أي أنها لا تندفع بقولهم : آمنا . وقال الحسن : معناه أحسبوا أن يتركوا أن يقولوا : لا إله إلا الله ولا يفتنوا أصدقوا أم كذبوا ؟ يعني أن مجرد الإقرار لا يكفي . والأولى حمله على الجميع ، إذ لا تنافي فإن المؤمن يكلف بعد الإيمان بالشرائع ، ويمتحن في النفس والمال ، ويمنى بالشدائد والمهموم والمكلاه ، فينبغي أن يوطن نفسه على هذه الفتنة ليكون الأمر أيسر عليه إذا نزل به .

وقال في قوله تعالى : « على علم » أي إنما أوتيته بعلمي وجلدي وحيلتي . أو على خير علمه الله عندي ، أو على علم يرضاه عني ، فلذلك آتاني ما آتاني من النعم ؛ ثم قال : ليس الأمر على ما يقولون ، بل هي فتنة أي بليّة واختبار يبتليه الله بها ، فيظهر كيف شكره أو صبره في مقابلتها فيجازه بحسبها .

وقيل : معناه : هذه النعمة فتنة ، أي عذاب لهم إذا أضافوها إلى أنفسهم ، وقيل : معناه : هذه المقالة التي قالوها فتنة لهم لأنهم يعاقبون عليها . وقال : في قوله تعالى : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » أي إلى الهلكة حتى يقعوا فيه بفتنة . وقيل : يجوز أن يريد عذاب الآخرة أي نقر بهم إليه درجة درجة حتى يقعوا فيه .

وقيل : هو من المندرجة وهي الطريق ، و درج : إذا مشى سريعاً ، أي سنأخذهم من حيث لا يعلمون أي طريق سلكوا ، فإن الطريق كلها إلى مرجع الجميع إليّ ، ولا يغلبني غالب ولا يسبقني سابق ولا يفوتني هارب .

وقيل : إنه من الدرج ، أي سنطويهم في الهلاك ونرفعهم عن وجه الأرض ، يقال طويت فلاناً وطويت أمرفلان : إذا تركته وهجرته . وقيل : معناه : كلما جدّ دوا خطيئة جدّ دنا لهم نعمة .

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : إذا أحدث العبد ذنباً جدّ له نعمة فيدع الاستغفار فهو الاستدراج . ولا يصحّ قول من قال : إن معناه يستدرجهم إلى الكفر والضلال ، لأن الآية وردت في الكفار وتضمنت أنه يستدرجهم في المستقبل ، فإن السنين يختصّ المستقبل ، ولا أنه جعل الاستدراج جزاءً أعلى كفرهم وعقوبة فلا بد أن يريد معنى آخر غير الكفر .^(١)

وقوله : «وأهلي لهم» معناه وأهلهم ولا أعاجلهم بالعقوبة ، فإنّهم لا يفوتوني ولا يفوتني عذابهم . إن كيدي متين أي عذابي قويّ منيع لا يدفعه دافع ، وسماء كيداً لنزوله بهم من حيث لا يشعرون . وقيل : أراد أن جزاء كيدهم متين ، وقال : «إنهم يكيدون كيداً» أي يحتالون في الإيقاع بك وبمن معك ، ويريدون إطفاء نورك «وأكيد كيداً» أي أريد أمراً آخر على ضد ما يريدون ، وأدبر ما ينقض تدابيرهم ، فسمّاه كيداً من حيث يخفى عليهم .^(٢)

(١) فيه ان الكفر كلابان ذو مراتب قال تعالى : «ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً» الآية فالعنى :

ان الله يجرهم من كفر إلى كفره أشد منه ، وما ذكره في الرواية لا ينافيه . ط

(٢) النهج : قال عليه السلام : لا يقول أحدكم : اللهم أعوذ بك من الفتنة ، لانه ليس أحد إلا

وهو مشتمل على فتنة ، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن ، فان الله سبحانه يقول : «واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة» ومعنى ذلك أنه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبين الساخط لرزقه ، والراضى بقسمه ، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم ، ولكن لنظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب ، لان بعضهم يحب الذكور ويكره الإناث ، وبعضهم يحب تشيير المال ويكره انثلام الحال . قال الرضي : وهذا من غريب ما سمع منه في التفسير .

١ - شى : عن الوشاء باسناد له يرسله إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : والله لتمدحن الله وتميذن ، والله لتغربلن حتى لا يبقى منكم إلا الأندر ؛ قلت : وما الأندر قال : البيدر ، وهو أن يدخل الرجل قبة ^(١) الطعام يطبخ عليه ثم يخرجها ، وقد تأكل بعضه فلا يزال ينقيها ، ثم يكن عليه يخرجها حتى يفعل ذلك ثلاث مرات حتى يبقى ما لا يضره شيء .

بيان : قال الفيروز آبادي : الأندر : البيدر ، أو كدس القمح .

٢ - شى : عن زرارة ، وحران ، ومحمد بن مسلم ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام عن قوله : « ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين » قال : لاتسلطهم علينا ففتنهم بنا .

٣ - كش : خلف بن حماد ، عن سهل بن زياد ، عن علي بن أسباط ، عن الحسين ابن الحسن قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : إني تركت ابن قياما ^(٢) من أعدى خلق الله لك ؛ قال : ذلك شر له ؛ قلت : ما أعجب ما أسمع منك جعلت فداك ؛ قال : أعجب من ذلك إبليس ، كان في جوار الله عز وجل في القرب منه فأمره فأبى وتعزز وكان من الكافرين ، فأملئ الله له ، والله ما عذب الله بشيء أشد من الإملاء ، والله يا حسين ما عذبهم الله بشيء أشد من الإملاء . ^(٣)

٤ - يد : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن الأشعري ، عن محمد بن السندي ، عن علي ابن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما من قبض ولا بسط إلا والله فيه المن أو الابتلاء . ^(٤) « ص ٣٦٤ - ٣٦٥ »

٥ - يد : أبي ، عن علي بن إبراهيم ، عن اليقطيني ، عن يونس ، عن الطيار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما من قبض ولا بسط إلا والله فيه مشية وقضاء وابتلاء . « ص ٣٦٥ »

سن : أبي عن يونس مثله . « ص ٢٧٩ »

(١) فى نسخة : بيته .

(٢) هو الحسين بن قياما الواقفى ، كان يجحد أبا الحسن الرضا عليه السلام .

(٣) الإملاء : الإهمال وعدم التجميل فى العقوبة .

(٤) فى نسخة : والابتلاء .

بيان : لعل القبض والبسط في الأرزاق بالتوسيع والتقتير ، وفي النفوس بالسرور والحزن ، وفي الأبدان بالصحة والالأم ، وفي الأعمال بتوفيق الإقبال إليه وعدمه ، وفي الأخلاق بالتحلية وعدمها ، وفي الدعاء بالإجابة له وعدمها ، وفي الأحكام بالرخصة في بعضها والنهي عن بعضها .

٦ - يد : أبي ، عن سعد ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن فضالة ، عن الطيار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال له : ليس شيء فيه قبض أو بسط مما أمر الله به أو نهى عنه إلا وفيه من الله ابتلاء وقضاء . «ص ٣٦٥»

٧ - سن : ابن فضال ، عن عبد الأعلى بن أعين ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ليس للعبد قبض ولا بسط مما أمر الله به أو نهى الله عنه إلا ومن الله فيه ابتلاء . «ص ٢٧٩»

٨ - سن : محمد بن سنان ، عن ابن مسكان ، وإسحاق بن عمار معاً ، عن عبيد الله بن الوليد الوصافي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن فيما ناجى الله به موسى عليه السلام أن قال : يا رب هذا السامري صنع العجل الخوار من صنعه ! فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : أن تلك فتنتي فلا تفصح عنها . «ص ٢٨٤»

بيان : أي لا تظهر نها لأحد فإن عقولهم قاصرة عن فهمها .

٩ - ك : عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن عبدالله بن جندب ، ^(١) عن سفيان بن السمط قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إن الله إذا أراد بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة ويذكره الاستغفار ، وإذا أراد بعبد شراً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى بها ، وهو قول الله عز وجل : «سنستدرجهم من حيث لا يعلمون» بالنعم عند المعاصي . «ج ٢ ص ٤٥٢»

١٠ - ك : عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، وعلي بن إبراهيم ، عن أبيه

(١) بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال بعدها باء موحدة ، هو عبدالله بن جندب البجلي الكوفي ، عربي ثقة ، كان وكيلاً لأبي إبراهيم وأبي الحسن الرضا عليهما السلام ، وكان عابداً ، رفيع المنزلة لديهما ؛ وقال فيه أبو الحسن الرضا عليه السلام : إن عبدالله بن جندب لمن المغتبتين .

جميعاً عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن بعض أصحابه قال : سئل أبو عبدالله عليه السلام عن الاستدراج ، قال : هو العبد يذنب الذنب فيملي له ويجدد له عنده النعم فيليه عن الاستغفار من الذنوب فهو مستدرج من حيث لا يعلم . « ج ٢ ص ٤٥٢ »

١١ - ك : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن عمار بن مروان عن سماعة قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » قال : هو العبد يذنب الذنب فيجدد له النعمة معه تليه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب . « ج ٢ ص ٤٥٢ »

١٢ - ك : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن يعقوب السراج ، وعلي بن رئاب ، عن أبي عبدالله عليه السلام إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه لما بويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر وخط بخطبة ذكرها يقول فيها : ألا إن بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله ، والذي بعثه بالحق لتبليبن ببلبة ، ولتغربلن غربة حتى يعود أسفلكم أعلاكم ، وأعلاكم أسفلكم ، وليسبقن سباقون كانوا قصرُوا ، وليقصرن سباقون كانوا سبقوا ، والله ما كتمت وسمة ، ولا كذبت كذبة ، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم . « ج ١ ص ٣٦٩ »

بيان : لتبليبن أي لتخلطن من تبليت الألسن أي اختلطت ، أو من البلابل وهي الهموم والأحزان ووسوسة الصدر . ولتغربلن يجوز أن يكون من الغريال الذي يغربل به الدقيق ، و يجوز أن يكون من غربلت اللحم أي قطعته فعلى الأول يحتمل معنيين : أحدهما الاختلاط كما أن في غربة الدقيق يختلط بعضه ببعض ؛ والثاني أن يريد بذلك أن يستخلص الصالح منكم من الفاسد و يتميز ، كما يمتاز الدقيق عند الغربة من النخالة .

قوله عليه السلام : حتى يعود أسفلكم أعلاكم أي يصير عزيزكم ذليلاً وذليلكم عزيزاً أو صالحكم فاجراً وفاجرهم صالحاً ، ومؤمنكم كافراً وكافرهم مؤمناً . وفي النهج : لتساطن سوط القدر حتى يعود . وهو أظهر ، يقال : ساط القدر : إذا قلب ما فيها من طعام بالمسوط وأداره ؛ والمسوط : خشبة يحرك بها ما فيها ليخلط .

قوله عليه السلام: «وليسبقن سباقون يعني عليه السلام به قوماً قصّروا في أوّل الأمر في نصرته ثمّ نصرده في ذلك الوقت ، و بالفقرة الثانية قوماً سعوا إلى بيعته و بادروا إلى نصرته في أوّل الأمر ثمّ خذّاه و نكثوا بيعته كطلحة والزبير .

قوله عليه السلام: «ما كتمت وسمّة ، و في بعض النسخ بالشين المعجمة وهو الأظهر ، قال الجزري: في حديث عليّ: «الله ما كتمت وسمّة ، أي كلمة وفي بعض النسخ بالسین المهملة فهو بمعنى العلامة أي ما سترت علامة تدلّ على سبيل الحقّ ولكن عميت عنها ، ولا يخفى لطف انضمام الكتم بالوسمة ، إذ الكتم بالتحريك نبت يخلط بالوسمة يختضب به .

١٣ - ١٤ : محمد بن يحيى ، و الحسن بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن القاسم بن إسماعيل الأنباري ، عن الحسين بن عليّ^(١) ، عن أبي المغيرة^(٢) ، عن ابن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ويل لطفاة العرب من أمر قد اقترّب ! قلت : جعلت فداك كم مع القائم من العرب ؟ قال : نفر يسير ! قلت : والله إنّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير قال لا بدّ للناس من أن يمحّصوا ويميّزوا ويغربلوا ويستخرج في الغربال خلق كثير .
ج ١ ص ٣٦٩ - ٣٧٠

١٤ - ١٥ : عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن معمر بن خلاد قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : «الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون» ثمّ قال لي : ما الفتنة ؟ قلت : جعلت فداك السّذي عدنا الفتنة في الدين ، فقال : يفتنون كما يفتن الذهب ، ثمّ قال : يخلّصون كما يخلّص الذهب . «ج ١ ص ٣٧٠»

١٥ - ١٦ : محمد بن الحسن وعليّ بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن سنان ، عن محمد بن منصور الصيقل ، عن أبيه قال : كنت أنا والحارث بن المغيرة وجماعة من أصحابنا جلوساً وأبو عبد الله عليه السلام يسمع كلامنا فقال لنا في أيّ شيء أنتم ؟ ! هيهات ! هيهات ! لا والله

(١) في نسخة : الحسن بن علي .

(٢) بكسر الهميم ، وسكون العين ، وفتح الزاي بعدها الالف ، وهو المحكي عن إيضاح الاشتباه ، وممدوداً كعائن الداماد ، أو بضم الهميم وسكون الفين المعجمة ، وفتح الراء المهملة والمدّ ما عن الخليل وعن الوحيد في تعليقاته .

لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتى يهربوا ! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتى تمحصوا ! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتى تميزوا ! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم إلا بعد أياس لا والله ما يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد . (ج ١ ص ٣٧٠ - ٣٧١)

١٦ - نهج : أيتها الناس إن الله تعالى قد أعاذكم من أن يجور عليكم ولم يعذكم من أن يبتليكم ، وقد قال جلّ من قال : « إن في ذلك لآيات وإن كنّا لمبتلين » .

١٧ - نهج : قال ﷺ : كم من مستدرج بالإحسان إليه ، ومغرور بالستر عليه ، ومفتون بحسن القول فيه ، وم ابتلى الله سبحانه أحداً بمثل الإملاء .

١٨ - وقال ﷺ : أيتها الناس برّكم الله من النعمة وجلين ، كما يراكم من النعمة رقين ، إنّه من وسّع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد آمن مخوفاً ، ومن ضيق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختياراً فقد ضيّع مأمولاً .

أقول : سيأتي الآيات والأخبار في الإملاء والإمهال والاستدراج في كتمان الإيمان والكفر .

﴿باب ٩﴾

﴿ان المعرفة منه تعالى﴾

الآيات ، لقمان ٣١ ، ولئن سئلتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ٢٥ .

الزخرف ٤٣ ، ولئن سألتهن من خلق السموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم ٩ .

الحجرات ٤٩ ، يمتنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هديكم للإيمان إن كنتم صادقين ١٧ .

الليل ٩٢ ، إن علينا للهدى ١٢ .

تفسير : قوله تعالى : « ليقولنَّ الله » إمّا لكونهم مجبولين مفطورين على الإذعان بذلك إذا رجعوا إلى أنفسهم ولم يتبعوا أسلافهم ، أو الخطاب مع كفّار قريش فإنهم كانوا معترفين بأنّ الخالق هو الله ، و ليس له شريك في الخلق لكنهم كانوا يجعلون الأصنام شريكاً له في العبادة .

قوله تعالى : « أن هديكم للإيمان » أي أراكم السبيل إليه بإرسال الرسل و إنزال الكتب ، أو وفقكم لقبول ما أتت به الرسل والإذعان بها ، أو ألهمكم المعرفة كما هو ظاهر الأخبار .

١ - ب : معاوية بن حكيم ، عن البرنظي قال : قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) للناس في المعرفة صنع ؟ قال : لا ، قلت : لهم عليها ثواب ؟ قال : يتطوّل عليهم بالثواب كما يتطوّل عليهم بالمعرفة . « ص ١٥١ »
ضا : عن العالم (عليه السلام) مثله .

٢ - ل : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن أحمد ، عن موسى بن جعفر البغدادي عن أبي عبد الله الإصبهاني عن درست ، عن ذكره ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ستّة أشياء ليس للعباد فيها صنع : المعرفة ، والجهل ، والرضا ، والغضب ، والنوم ، واليقظة .
« ج ١ ص ١٥٧ »

سن : أبي رفعه إلى أبي عبد الله (عليه السلام) مثله . « ص ١٠ »

٣ - يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن معروف ، عن ابن أبي نجران ، عن حماد بن عثمان ، عن عبد الرحيم القصير قال : كتبت على يدي عبد الملك بن أعين فسألته عن المعرفة والجحود أهما مخلوقتان ؟ فكتب (عليه السلام) : سألت عن المعرفة ماهي فاعلم رحمك الله أنّ المعرفة من صنع الله عزّ وجلّ في القلب مخلوقة ، والجحود صنع الله في القلب مخلوق وليس للعباد فيهما من صنع و لهم فيهما الاختيار من الاكتساب ، فبشهوتهما الإيمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين ، وبشهوتهما الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضالّين وذلك بتوفيق الله لهم ، وخذلان من خذله الله ، فبالاختيار والاكتساب عاقبهم الله وأثابهم . الخبر . « ص ٢٢٧ - ٢٢٨ »

٤ - سن : أبي ، عن النضر ، عن الحلبي ، عن أبي المغيرة ، عن أبي بصير ،^(١) عن أبي جعفر عليه السلام قال :^(٢) قال : إني لأعلم أن هذا الحب الذي تحببونا ليس بشيء صنعتموه ولكن الله صنعه . «ص ١٤٩»

٥ - سن : ابن فضال ، عن علي بن عقبة ، وفضل الأسدي ، عن عبد الأعلى مولى آل سام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لم يكلف الله العباد المعرفة ولم يجعل لهم إليها سبيلاً . «ص ١٩٨»

٦ - سن : الوشاء ، عن أبان الأحمر ، عن عثمان ، عن الفضل أبي العباس بقباق قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : «وكتب في قلوبهم الإيمان» هل لهم في ذلك صنع ؟ قال : لا . «١٩٩»

٧ - سن : الوشاء ، عن أبان الأحمر ، عن الحسن بن زياد قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإيمان هل للعباد فيه صنع ؟ قال : لا ولاكرامة ، بل هو من الله وفضله . «ص ١٩٩»

٨ - سن : محمد بن خالد ، عن النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن أيوب بن الحر ، عن الحسن بن زياد قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : «حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم» هل للعباد بما حبيب صنع ؟ قال : لا ولاكرامة . «ص ١٩٩»

٩ - سن : أبي خداش المهدي ،^(٣) عن الهيثم بن حفص ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ليس على الناس أن يعلموا حتى يكون الله هو المعلم لهم ، فإذا علمهم^(٤) فاعلمهم أن يعلموا . «ص ٢٠٠»

١٠ - سن : عدّة عن عباس بن عامر ، عن مثنى الحنطاط ، عن أبي بصير قال :

(١) ليس في المصدر «عن أبي بصير» بل روى الحديث أبو الفراعن أبي جعفر عليه السلام بلا واسطة م

(٢) في المصدر عن أبي جعفر عليه السلام قال : إني لأعلم . م

(٣) يحتمل قويا كون لفظة المهدي مصحف (المهري) ومهرة معلقة بالبصرة ، وأبو خداش

كنية لعبد الله بن خداش المهري البصري ، الذي ضعفه التجاشي و قال : في مذهبه ارتفاع . وحكى الكشي عن الطيالسي توثيقه .

(٤) في المصدر : فإذا علمهم . م

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن الله خلق خلقه فخلق قوماً أحببنا لو أن أحدهم خرج من هذا الرأي لردّه الله إليه وإن رغم أنفه ، وخلق خلقاً^(١) لبغضنا لا يحبوننا أبداً .
« ص ٢٠٠ »

١١ - ما : الحسين بن إبراهيم القزويني ، عن محمد بن وهبان ، عن أحمد بن إبراهيم عن الحسن بن علي الزعفراني ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : فطرة الله التي فطر الناس عليها قال : التوحيد . « ص ٥٩ »

١٢ - سنن : أبي ، عن صفوان قال : قلت لعبد صالح^(٢) : هل في الناس استطاعة يتعاطون بها المعرفة ؟ قال : لا إنما هو تطوّل من الله . قلت : أفلهم على المعرفة ثواب إذا كان^(٣) ليس فيهم ما يتعاطونه بمنزلة الركوع والسجود الذي أمروا به ففعلوه ؟ قال : لا إنما هو تطوّل من الله عليهم وتطوّل بالثواب . « ص ٢٨١ »

١٣ - سنن : أبي ، عن فضالة ، عن جميل بن درّاج ، عن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم » قال : كان ذلك معانية الله^(٤) فأناهم المعانية وأثبت الإقرار في صدورهم ، ولولا ذلك ما عرف أحد خلقه ولا رازقه ، وهو قول الله : « ولئن سألنهم من خلقهم ليقولن الله » .
« ص ٢٨١ »

بيان : المعانية مجاز عن المواجهة بالخطاب أي خلق الكلام قبالة وجههم فنسوا تلك الحالة ، وثبتت المعرفة في قلوبهم .^(٥) ثم أعلم أن أخبار هذا الباب و كثيراً

(١) : في المصدر : قوماً . م

(٢) الظاهر : « للعبد الصالح » وهو كناية عن موسى بن جعفر عليه السلام . م

(٣) في المصدر : كانوا . م

(٤) في المصدر : معانية لله . م

(٥) قد تقدم في أخبار الرؤية وجوامع التوحيد من كتاب التوحيد ما يظهر به معنى هذه المعانية وهو العلم اليقيني بالله سبحانه من غير وساطة تفكر عقلي وتصور خيالي أو وهمي أو اتصال حسي ومن غير لزوم تجسيم أو تحديد فارجم وتأمل . ولا يغلو موجود ذو شعور بل موجود مخلوق عن هذا العلم فلا حجاب بينه وبين خلقه كما في الروايات . ط

من أخبار الأبواب السابقة تدلُّ على أنَّ معرفة الله تعالى بل معرفة الرسول والأئمة صلوات الله عليهم وسائر العقائد الدينية هويَّة وليست بكسبيَّة ، ويمكن حملها على كمال معرفته ؛ أو المراد أنَّه تعالى احتجَّ عليهم بما أعطاهم من العقول ولا يقدر أحد من الخلق حتَّى الرسل على هداية أحد و تعريفه ؛ أو المراد أنَّ المفيض للمعارف هو الربُّ تعالى ، وإنَّما أمر العباد بالسعي في أن يستعدَّوا لذلك بالفكر والنظر كما يشير إليه خبر عبدالرحيم ؛ أو يقال : هي مختصة بمعرفة غير ما يتوقَّف عليه العلم بصدق الرسل فإنَّ ما سوى ذلك إنَّما نعرفه بما عرفنا الله على لسان أنبيائه وحججه صلوات الله عليهم ؛ أو يقال : المراد بها معرفة الأحكام الفرعية لعدم استقلال العقل فيها ؛ أو المعنى أنَّها إنَّما تحصل بتوفيقه تعالى للاكتساب ، هذا ما يمكن أن يقال في تأويلها مع بعداً أكثرها .^(١) والظاهر منها أنَّ العباد إنَّما يكلفون بالانقياد للحق وترك الاستكبار عن قبوله ، فأما المعارف فإنَّها بأسرها ممَّا يلقيه الله تعالى في قلوب عباده بعد اختيارهم للحق ، ثمَّ يكمل ذلك يوماً فيوماً بقدر أعمالهم وطاعاتهم حتَّى يوصلهم إلى درجة اليقين ، وحسبك في ذلك ما وصل إليك من سيرة النبيين وأئمة الدين في تكميل أممهم وأصحابهم ، فإنَّهم لم يحياهم على الاكتساب والنظر وتتبع كتب الفلاسفة والاعتباس من علوم الزنادقة ، بل إنَّما دعوهم أولاً إلى الإذعان بالتوحيد وسائر العقائد ، ثمَّ دعوهم إلى تكميل النفس بالطاعات والرياضات حتَّى فازوا بأعلى درجات السعادات .

(١) لا يخفى أنَّ الإرادة التي هي مناط الاختيار لا تتعلق بشئ . الا عن تصور وتصديق سابق اجمالاً أو تفصيلاً . فمن المحال أن يتعلق الإرادة باصل المعرفة والعلم فيكون اختيارياً من صنع المبدع كافعال الجوارح وهذا هو الذي تذكره الروايات . وإما تفاصيل العلم والمعرفة فهي كسبية اختيارية بالواسطة بمعنى أنَّ الفكر في القدمات يجعل الانسان مستعداً لإفاضة النتيجة منه تعالى ، والعلم مع ذلك ليس فعلاً من افعال الانسان ، ولتفصيل الكلام محل آخر يرجع إليه . ط

﴿باب ١٠﴾

﴿الطينة والميثاق﴾

الآيات ، الاعراف « ٧ » ، وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إنما كنا عن هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ١٧٦-١٧٣.

الاحزاب « ٣٣ » ، وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً * ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً ٧- ٨.

١ - سن : أبي ، عن صالح بن سهل قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك من أي شيء خلق الله طينة المؤمن ؟ قال من طينة الأنبياء فلن ينجس أبداً . «ص ١٣٣»
٢ - سن : بهذا الإسناد قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : المؤمنون من طينة الأنبياء ؟ قال : نعم . «ص ١٣٣»

٣ - ما : المفيد ، عن ابن قولويه ، عن أبيه ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمد بن خالد ، عن فضالة ^(١) ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنا وشيعتنا خلقنا من طينة من عليين ^(٢) وخلق عدونا من طينة خبال من حمأ مسنون . «ص ٩٢»

بيان : قال الجزري : فيه : من شرب الخمر سقاه الله من طينة الخبال يوم القيامة جاء تفسيره في الحديث أن الخبال : عصارة أهل النار ، والخبال في الأصل : الفساد . وقال الفيروز آبادي : الخبال كسحاب : النقصان ، والهلاك ، والعناء ، والكل ، والعيال والسم القاتل ، وصديداً أهل النار . وقال : الحمأ محرّكة : الطين الأسود الملتن . وقال : الملسون : الملتن .

(١) في المصدر : عن فضالة عن علي بن أبي طالب ؛ وعن أبي بصير عن أبي جعفر عليهما السلام .

(٢) اسم لاعلى الجنان . وقيل : بل ذلك في الحقيقة اسم لسكانها .

٤ - ما : شيخ الطائفة ، عن أبي منصور السكّري : عن جدّه عليّ بن عمر ، عن إسحاق بن مروان القطّان ، عن أبيه ، عن عبيد بن مهران العطار ، عن يحيى بن عبد الله ابن الحسن ، عن أبيه ، وعن جعفر بن محمد عليه السلام : عن أبيهما ، عن جدّهما قالا : قال : رسول الله ﷺ : إن في الفردوس لعيناً أحلى من الشهد ، وألين من الزبد ، وأبردم من الثلج وأطيب من المسك ، فيها طينة خلقنا الله عز وجلّ منها وخلق منها شيعتنا ، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منها ولا من شيعتنا ، وهي الميثاق الذي أخذنا الله عز وجلّ عليه ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام . قال عبيد : فذكرت لمحمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عليه السلام هذا الحديث فقال : صدق يحيى بن عبد الله ؛ هكذا أخبرني أبي ، عن جدّي ، عن النبي ﷺ . (١) ص ١٩٤ .

٥ - ع : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ؛ و حدّثنا أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن حبيب السجستاني قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن الله عز وجلّ لما أخرج ذريّة آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية وبالنبوة ^(٢) لكلّ نبيّ كان أوّل من أخذ عليهم الميثاق بالنبوة نبوة محمد بن عبد الله ﷺ ، ثمّ قال الله جلّ جلاله لآدم عليه السلام : انظر ماذا ترى ؟ قال : فنظر آدم إلى ذريّته وهم ذرّ قد ملؤوا السماء فقال آدم : ياربّ ما أكثر ذريّتي ؛ ولأمر ما خلقتهم ؟ ^(٣) فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم ؟ فقال الله جلّ وعزّ : ليعبدوني ولا يشركون بي شيئاً ، و يؤمنون برسلي و يتبعونهم ، قال آدم عليه السلام : فمالى ^(٤) أرى بعض الذرّ أعظم من بعض ، و بعضهم له نور قليل ، و بعضهم ليس له نور ؟ قال الله عز وجلّ : كذلك خلقتهم لأبْلُوهم في كلّ حالاتهم ؛ قال آدم عليه السلام : ياربّ فتأذن لي في الكلام فاتكلّم ؟ قال الله جلّ جلاله : تكلم فإنّ روحك من روحي وطبيعتك من خلافي كينونتي . قال آدم : ياربّ لو كنت خلقتهم

(١) يأتي الحديث عن أمالي الشيخ بسند آخر تحت رقم ٢٨ وفي ذيله تفسير للخبر .

(٢) في نسخة : وبالنبوة .

(٣) وفي نسخة : ولأمر خلقتهم .

(٤) في المصدر : قال آدم عليه السلام ياربّ فمالى .

على مثال واحد ، وقدر واحد ، وطبيعة واحدة ، وجبلة واحدة ، وألوان واحدة ، وأعمار واحدة ، وأرزاق سواء لم يبع بعضهم على بعض ، ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباعد ولا اختلاف في شيء من الأشياء ، فقال الله جلّ جلاله : يا آدم بروحي نطقت ، و بضعف طبعك تكلفت ما لا علم لك به وأنا الله الخلاق^(١) العليم ، بعلمي خالفت بين خلقهم ، وبمشييتي أمضي فيهم أمري . وإلى تدبيري وتقديري هم صامرون ، لا تبديل لخلقهم وإنما خلقت الجن والإنس ليعبدوني ، و خلقت الجنة لمن عبدني وأطاعني منهم واتبع رسلي ولا أبالي ، و خلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتبع رسلي ولا أبالي ، و خلقتك و خلقت ذريتك من غير فاقة بي إليك وإلهم ، وإنما خلقتك و خلقتهم لأبلوك وأبلوهم أيتكم أحسن عملاً في دار الدنيا في حياتكم وقبل مماتكم ، وكذلك خلقت الدنيا والآخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنار ، وكذلك أردت في تقديري وتدبيري و بعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم وأجسامهم ،^(٢) وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم ؛ فجعلت منهم السعيد والشقي ، والبصير والأعمى ، والقصير والطويل ، والجميل والذميم ، والعالم والجاهل ، والغني والفقير ، والمطيع والعاصي ، والصحيح والسقيم ، ومن به الزمانة ومن لا عاهة به ؛^(٣) فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة فيحمدني على عافيته ، و ينظر الذي به العاهة إلى الصحيح فيدعوني ويسألني أن أعافيه ويصبر على بلائه^(٤) فأثيبه جزيل عطائي ، و ينظر الغني إلى الفقير فيحمدني ويشكرني ، و ينظر الفقير إلى الغني فيدعوني ويسألني ، و ينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هديته ، فلذلك خلقتهم لأبلوهم في السراء والضراء وفيما عافيتهم وفيما ابتليتهم وفيما أعطيتهم وفيما أنعمهم^(٥) وأنا الله الملك القادر ، ولي أن أمضي جميع ما قدرت على ما دبّرت ، وإلي أن أغير عن ذلك ما شئت إلى ما شئت فأقدم من

(١) في نسخة : الخالق . (٢) في نسخة : أجسادهم

(٣) الزمانة : عدم بعض الاعضاء ؛ تعطيل القوى . العاهة : الافة .

(٤) في المصدر : على بلائي فأثيبه على جزيل عطائي .

(٥) في نسخة : وفيما أعافيتهم ، وفيما ابتليتهم ، وفيما أعطيتهم ، وفيما أنعمتهم .

ذلك ما أخبرت وأؤخر من ذلك ما قدّمت ، وأنا الله الفعّال لما أريد ، لا أسأل عما أفعل ،
وأنا أسأل خلقي عما هم فاعلون . «ص ١٥»

ختص : هشام بن سالم مثله .

بيان : قوله تعالى : من روعي أي من الروح الذي اصطفيه وانتخبته ، أي من
عالم المجردات أو من عالم القدس ، وطبيعتك من عالم الخلق والجسمانيات ، أو تماهو
معدن الشهوات والجهالات فطبيعتك و بشريتك سألت ما سألت . والذميم : المذموم ،
وفي بعض النسخ بالبدال المهملة ، يقال : رجل ذميم أي قصير قبيح .

٦ - ع : أبي رحمه الله ، عن سعد بن عبد الله ، عن محمد بن أحمد السّيّاري ، عن محمد بن
عبد الله بن مهران الكوفي ، عن حنان بن سدير ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق اللّيثي قال :
قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام : يا بن رسول الله أخبرني عن المؤمن المستبصر
إذا بلغ في المعرفة و كمل هل يزني ؟ قال : اللّهم لا ، قلت : فيلوط ؟ قال : اللّهم لا ، قلت :
فيسرق ؟ قال : لا ، قلت : فيشرب الخمر ؟ قال : لا ؛ قلت : فيأتي بكبيرة من هذه الكبائر
أفاحشة من هذه الفواحش ؟ قال : لا ؛ قلت : فيذنّب ذنباً ؟ قال : نعم وهو مؤمن مذهب
مسلم ؛ قلت : ما معنى مسلم ؟ قال : المسلم بالذنب لا يلزمه ولا يصير عليه ، ^(١) قال فقلت :
سبحان الله ما أعجب هذا ! لا يزني ولا يلوط ولا يسرق ولا يشرب الخمر ولا يأتي بكبيرة ^(٢) من
الكبائر ولا فاحشة ؟ فقال : لا عجب من أمر الله ، إن الله عزّ وجلّ يفعل ما يشاء ولا يسأل عما
يفعل وهم يسألون ؛ فمّم عجبت يا إبراهيم ؟ سل ولا تستكف ولا تستحسر ^(٣) فإنّ هذا
العلم لا يتعلّمه مستكبر ولا مستحسر ؛ قلت : يا بن رسول الله أني أجد من شيعةكم من يشرب ،
ويقطع الطريق ، ويحيف السبيل ، ويزني ويلوط ، ويأكل الرّبا ، ويرتكب الفواحش ،
ويتهاون بالصلاة والصيام والزّكاة ، ويقطع الرحم . ويأتي الكبائر ، فكيف هذا ؟ ولم
ذاك ؟ فقال : يا إبراهيم هل يختلج ^(٤) في صدرك شيء غير هذا ؟ قلت : نعم يا بن رسول الله

(١) وفي نسخة : ولا يصير عليه .

(٢) في التصدير : بكبيرة . م

(٣) استحسر : تعب وأعيأ . وفي نسخة : ولا تستح . وكذا فيما بعده

(٤) اختلج الشيء في صدره : شغله وتجاوزه .

أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ : وَمَا هُوَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ قَالَ : فَقُلْتُ : يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ وَأَجِدُ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَمَنَاصِيكُم مِّنْ يَكْثُرُ مِنَ الصَّلَاةِ وَمِنَ الصِّيَامِ ، وَ يَخْرُجُ الزَّكَاةَ ، وَ يَتَابِعُ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ، وَ يَحْضُ عَلَى الْجِهَادِ ، وَيَأْتِرُ عَلَى الْبَرِّ وَعَلَى صِلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَ يَقْضِي حَقُّوقَ إِخْوَانِهِ ، وَ يُوَاسِيهِمْ مِنْ مَالِهِ ، ^(١) وَ يَتَجَنَّبُ شَرْبَ الْخَمْرِ وَالزَّنا وَاللَّوْاطِ وَسَائِرَ الْفَوَاحِشِ ، فَمِمَّ ذَاكَ ؟ وَلِمَ ذَاكَ ؟ فَسَمَّرَهُ لِي يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ وَ بَرَهْنَهُ وَ بَيَّنَّهُ فَقَدْ وَاللَّهِ كَثُرَ فِكْرِي وَأَسْهَرَ لَيْلِي وَضَاقَ ذَرْعِي !

قَالَ : فَتَبَسَّسَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : يَا إِبْرَاهِيمَ خُذْ إِلَيْكَ بَيِّنَاتًا شَافِيَةً فِيمَا سَأَلْتُ ، وَعِلْمًا مَكْنُونًا مِّنْ خَزَائِنِ عِلْمِ اللَّهِ وَسِرِّهِ ، أَخْبِرْنِي يَا إِبْرَاهِيمَ كَيْفَ تَجِدُ اعْتِقَادَهُمَا ؟ قُلْتُ : يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ أَجِدُ مُحِبِّيكُمْ وَ شِيعَتَكُمْ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِمَّا وَصَفْتَهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ لَوْ أُعْطِيَ أَحَدُهُمْ مِمَّا ^(٢) بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ذَهَبًا وَ فِضَّةً أَنْ يَزُولَ عَنْ وِلَايَتِكُمْ وَ مُحِبَّتِكُمْ إِلَى مَوَالِيَتِكُمْ غَيْرَكُمْ وَ إِلَى مُحِبَّتِهِمْ مَا زَالَ ، وَلَوْ ضُرِبَتْ خِيَاشِيمُهُ ^(٣) بِالسَّيْفِ فَيَكُمُ ، وَلَوْ قُتِلَ فِيكُمْ مَا ارْتَدَعَ ^(٤) وَ لَارْجَعَ عَنْ مُحِبَّتِكُمْ وَ وِلَايَتِكُمْ ؛ وَ أَرَى النَّاصِبَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِمَّا وَصَفْتَهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ لَوْ أُعْطِيَ أَحَدُهُمْ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ذَهَبًا وَ فِضَّةً أَنْ يَزُولَ عَنْ حُبِّهِ الطَّوَاغِيتِ وَ مَوَالِيَتِهِمْ إِلَى مَوَالِيَتِكُمْ مَا فَعَلَ وَ لَازَالَ وَلَوْ ضُرِبَتْ خِيَاشِيمُهُ بِالسَّيْفِ فِيهِمْ ، وَلَوْ قُتِلَ فِيهِمْ مَا ارْتَدَعَ وَ لَارْجَعَ ، وَ إِذَا سَمِعَ أَحَدُهُمْ مُنْقِبَةً لَكُمْ وَ فُضْلًا أَشْمَأَزَّ مِنْ ذَلِكَ ^(٥) وَ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، وَ رُئِيَ كِرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، بَغْضًا لَكُمْ وَ مُحِبَّةً لَهُمْ .

قَالَ : فَتَبَسَّسَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ ^(٦) ثُمَّ قَالَ : يَا إِبْرَاهِيمَ هَهْنَا ^(٦) هَلَكْتَ الْعَامِلَةُ النَّاصِبَةِ ، تَصَلَّى زَارًا حَامِيَةً ، تَسْقَى مِنْ عَيْنِ آتِيَةٍ ، ^(٧) وَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « وَ قَدَمْنَا إِلَى

(١) أَى يَعَاوَنُهُمْ مِنْ مَالِهِ .

(٢) فِى نَسْخَةٍ : مَا .

(٣) جَمْعُ الْخِيَشُومِ : أَقْصَى الْأَنْفِ .

(٤) فِى نَسْخَةٍ : مَا ابْتَدَعَ .

(٥) أَى انْقَبَضَ وَ نَفَرَ كِرَاهِيَةً مِنْهُ .

(٦) فِى الْمَصْدَرِ : مِنْ هَهْنَا .

(٧) أَى بَلَغَ إِيَّاهُ فِى شِدَّةِ الْحَرِّ .

مأعملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ، ^(١) ويحك يا إبراهيم أتدري ما السبب والقصة في ذلك ؟ وما الذي قد خفي على الناس منه ؟ قلت : يا بن رسول الله فيبينه لي وأشرحه وبرهنه .

قال : يا إبراهيم إن الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الأشياء لا من شيء ، ومن زعم أن الله عز وجل خلق الأشياء من شيء ، فقد كفر لأنه لو كان ذلك الشيء الذي خلق منه الأشياء قديماً معه في أزليته وهويته كان ذلك أزلياً ؛ بل خلق الله عز وجل الأشياء كلها لا من شيء ، فكان مما خلق الله عز وجل أرضاً طيبة ، ثم فجّر منها ماءً عذباً زلالاً ، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها ، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبّقها وعمّها ، ثم نضب ذلك الماء عنها ، ^(٢) وأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الأئمة عليهم السلام ، ثم أخذ نفل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ، ولوترك طينتكم يا إبراهيم على حاله كما ترك طينتنا لكنتم ونحن شيئاً واحداً .

قلت : يا بن رسول الله فما فعل بطينتنا ؟ قال : أخبرك يا إبراهيم خلق الله عز وجل بعد ذلك أرضاً سبخة ^(٣) خبيثة منتنة ، ثم فجّر منها ماءً أجاباً ، آسناً ، مالحاً ، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت ولم تقبلها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبّقها وعمّها ، ثم نضب ذلك الماء عنها ، ثم أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة وأئمتهم ، ثم مزجه بنفل طينتكم ، ولوترك طينتهم على حاله ولم يمزج بطينتكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلّوا ولا صاموا ولا زكّوا ولا حجّوا ولا أدّوا أمانة ولا أشبهواكم في الصور ، وليس شيء أكبر على المؤمن من أن يرى صورة عدوه مثل صورته .

قلت : يا بن رسول الله فما صنع بالطينتين ؟ قال : مزج بينهما بالماء الأوّل والماء الثاني ، ثم عرّكها عرك الأديم ، ثم أخذ من ذلك قبضة فقال : هذه إلى الجنة ولا أبالي وأخذ قبضة أخرى وقال : هذه إلى النار ولا أبالي ؛ ثم خلط بينهما فوق من سنخ المؤمن

(١) الهباء : دقاق التراب ومائت في الهواء ، فلا يبدو إلا في أثناء ضوء الشمس في الكوة .

(٢) أي نزع ماؤه ونشف .

(٣) أي أرضاً ذات نزع وملح .

وطينته على سنخ الكافر وطينته، ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته، فمارأيتهم من شيعتنا من زناً، أولواط، أترك صلاة، أوصيام، أوحج، أوجهاد، أوخيانة، أو كبيرة من هذه الكبائر فهم من طينة الناصب وعنصره الذي قدمزج فيه لأن من سنخ الناصب وعنصره وطينته اكتساب الممائم والفواحش والكبائر؛ وما رأيت من الناصب ومواظبته على الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وأبواب البر فهم من طينة المؤمن وسنخه الذي قد مزج فيه لأن من سنخ المؤمن وعنصره وطينته اكتساب الحسنات واستعمال الخير واجتناب الممائم، فإذ عرضت هذه الأعمال كلها على الله عز وجل قال: أنا عدل لأجور، ومنصف لأظلم، وحكم لأحيف ولأأميل ولأأشطط،^(١) ألحقوا الأعمال السيئة التي اجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطينته، وألحقوا الأعمال الحسنة التي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطينته ردوها كلها إلى أصلها، فإني أنا الله لا إله إلا أنا، عالم السر وأخفى وأنا المطلع على قلوب عبادي، لا أحيف ولا أظلم ولا ألزم أحداً إلا ما عرفته منه قبل أن أخلقه.

ثم قال الباقر عليه السلام: يا إبراهيم اقرأ هذه الآية، قلت: يا بن رسول الله آية آية؟ قال: قوله تعالى: «قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون» هو في الظاهر ما تفهمونه، وهو والله في الباطن هذا بعينه، يا إبراهيم إن للقرآن ظاهراً وباطناً، ومحكماً ومتشابهاً، وناسخاً ومنسوخاً.

ثم قال: أخبرني يا إبراهيم عن الشمس إذا طلعت وبدأ شعاعها في البلدان، أهو بائن من القرص؟ قلت: في حال طلوعه بائن؛ قال: أليس إذا غابت الشمس اتصل ذلك الشعاع بالقرص حتى يعود إليه؟ قلت: نعم، قال: كذلك يعود كل شيء إلى سنخه وجوهره وأصله، فإذا كان يوم القيامة نزع الله عز وجل سنخ الناصب وطينته مع أثقاله وأوزاره من المؤمن فيلحقها كلها بالناصر، وينزع سنخ المؤمن وطينته مع حسناته وأبواب بره واجتهاده من الناصب فيلحقها كلها بالمؤمن. أفترى ههنا^(٢) ظلماً وعدواناً؟ قلت: لا يا بن رسول الله؛ قال: هذا والله القضاء الفاصل والحكم القاطع والعدل اليقين،

(١) الحيف: الجور والظلم. ومال الحاكم في حكمه: جار وظلم. وشطط الرجل: أفرط

وتباعد عن الحق.

(٢) في المصدر: أفترى هذا؟

لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، هذا - يا إبراهيم - الحق من ربك فلا تكن من الممترين هذا من حكم الملكوت .^(١)

قلت : يا بن رسول الله وما حكم الملكوت ؟ قال : حكم الله وحكم أنبيائه ، و قصة الخضر وموسى عليهما السلام حين استصحبه فقال : « إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً » .

افهم يا إبراهيم واعقل ، أنكر موسى على الخضر واستفزع أفعاله^(٢) حتى قال له الخضر يا موسى ما فعلته عن أمري ، إنما فعلته عن أمر الله عز وجل ، من هذا - ويحك يا إبراهيم - قرآن يتلى ، وأخبار تؤثر عن الله عز وجل ، من رد منها حرفاً فقد كفر وأشرك ورد على الله عز وجل .

قال الليثي : فكأنني لم أعقل الآيات - وأنا أقرؤها أربعين سنة - إلا ذلك اليوم ، فقلت : يا بن رسول الله ما أعجب هذا ! تؤخذ حسنات أعدائكم فتزد على شيعتكم ، وتؤخذ سيئات محبيكم فتزد على مبغضيتكم ؟ قال : إي والله الذي لا إله إلا هو ، فالتحبة ، وبارئ النعمة ، وفاطر الأرض والسماء ، ما أخبرتك إلا بالحق : وما أتيتك إلا بالصدق ، وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ، وإن ما أخبرتك لموجود في القرآن كله .

قلت : هذا بعينه يوجد في القرآن ؟ قال : نعم يوجد في أكثر من ثلاثين موضعاً في القرآن ، أحب أن أقرأ ذلك عليك ؟ قلت : بلى يا بن رسول الله ؛ فقال : قال الله عز وجل : « وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء ، إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم » الآية .

أزيدك يا إبراهيم ؟ قلت : بلى يا بن رسول الله قال : « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الأساء ما يزدرون » أحب أن أزيدك ؟ قلت : بلى يا بن رسول الله ، قال : « فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً

(١) الملكوت : الملك العظيم . العز والسلطان . و الملكوت الساوي هو محل القديسين في السماء .

(٢) استفزع الامر أى وجده فظيماً ، و الامر الفظيع : الذي اشتدت شناعته و جاوز القدر في ذلك .

رحيماً ، يبدل الله سيئات شيعتنا حسنات ، ويبدل الله حسنات أعدائنا سيئات ؛ وجلال الله وجهه الله إن هذا لمن عدله وإنصافه لاراد لقضائه ، ولامعقب لحكمه وهو السميع العليم .

ألم أبين لك أمر المزاج والطينتين من القرآن ؟ قلت : بلى يا بن رسول الله ؛ قال : اقرأ يا إبراهيم : «الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللّم» ^(١) إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ، يعني من الأرض الطيبة والأرض المنيئة «فلاترگوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى» يقول : لا يفتخر أحدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه لأن الله عز وجل أعلم بمن اتقى منكم ، فإن ذلك من قبل اللّم وهو المزاج . ^(٢)

أزيدك يا إبراهيم ؟ قلت : بلى يا بن رسول الله ؛ قال : «كما بدأكم تعودون فريقتاهدي وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله» يعني أئمة الجور دون أئمة الحق «ويحسبون أنهم مهتدون» خذها إليك يا أبا إسحاق ، فوالله إنّه لمن غرر أحاديثنا وباطن سرائرنا ومكنون خزاننا وانصرف ولانطلع على سرنا أحداً إلا مؤمناً مستبصراً فإنك إن أذعت سرنا بليت في نفسك ومالك وأهلك ولذك . ^(٣)

ص ٢٠١-٢٠٣

بيان : قال الفيروز آبادي : أثر على الأمر كفرح : عزم ؛ وله : تفرق . وقال : الآسن من الماء : الآجن وقال : عركه : دلكه وحكه .
ولعل المراد بالأديم هنا الطعام المأدوم «ثم» في قوله : «ثم أخذ» للترتيب الذكري ولتفصيل ما أجمل سابقاً .

(١) اللّم : مقاربة الذنب من غير أن يقع فيه ، من قولك : ألمت بكذا ؛ أي نزلت به وقاربته من غير موقعة ، ويعبر به عن الصغيرة . ويأتي أيضاً بمعنى جنون خفيف ، أو طرف من الجنون يلم بالإنسان .

(٢) أي الافتخار بكثرة الصلاة وغيرها من العبادات من قبل اللّم وهو المزاج ، والظاهر أنه عليه السلام أراد باللّم المعنى الثاني الذي ذكرناه ؛ أو مقاربه مما يكون لازماً للطبع ومنسداً إلى المزاج .

(٣) وختم بهذا الحديث الشريف كتاب علل الشرايع . م

ثم أعلم أن هذا الخبر وأمثاله مما يصعب على القلوب فهمه وعلى العقول إدراكه ويمكن أن يكون كناية عما علم الله تعالى وقدره من اختلاط المؤمن والكافر في الدنيا واستيلاء أئمة الجور وأتباعهم على أئمة الحق وأتباعهم ، و علم أن المؤمنين إنما يرتكبون الآثام لاستيلاء أهل الباطل عليهم ، وعدم تولي أئمة الحق بسياستهم فيعذرهم بذلك ويعفو عنهم ، ويعذب أئمة الجور وأتباعهم بتسببهم لجرائمهم من خالطهم مع ما يستحقون من جرائم أنفسهم ، والله يعلم وحججه صلوات الله عليهم .^(١)

٧ - فبس : علي بن الحسين ، عن البرقي ، عن محمد بن علي ، عن علي بن أسباط ، عن علي بن معمر ، عن أبيه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل « هذا نذير من النذر الأولى » قال : إن الله تبارك وتعالى لما ذرأ الخلق في الذر الأول فأقامهم صفوفاً قد أمه بعث الله محمداً عليه السلام فآمن به قوم ، وأنكره قوم ،^(٢) فقال الله : « هذا نذير من النذر الأولى » يعني به محمد وآل محمد حيث دعاهم إلى الله عز وجل في الذر الأول . « ص ٦٥ »

٨ - فبس : علي بن الحسين ، عن البرقي ، عن ابن محبوب ، عن الحسين بن نعيم الصحافي قال : سألت الصادق عليه السلام عن قوله : « فمنكم كافر ومنكم مؤمن » فقال : عرف الله عز وجل إيمانهم بولايتنا ، وكفرهم بتركها يوم أخذ عليهم الميثاق وهم ذر في صلب آدم عليه السلام . « ص ٦٨٢ »

ير : أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب مثله .^(٣) « ص ٢٢ »

٩ - فبس : أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن القاسم بن سليمان ، عن جابر قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه الآية : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً » يعني من جرى فيه شيء من شرك الشيطان على الطريقة يعني على الولاية في الأصل عند الأئمة حين أخذ الله ميثاق بني آدم^(٤) « أسقيناهم

(١) استيفاء البحث عن مسألة نقل الأعمال الذي يدل عليه الرواية وما بناظره من النقل والتوضيح تعرضنا له في الجزء الثاني من تفسير الميزان وسنستوفى تمام البحث في تفسير سورة الأناجيل إن شاء الله تعالى . ط
(٢) في المصدر : قوم آخر .

(٣) فيه بادني تغيير : فمنكم مؤمن ومنكم كافر فقال عرف الله الله إيمانهم بولايتنا وكفرهم بها يوم أخذ الله عليهم الميثاق في صلب آدم وهم ذر . هذه تمام الحديث في المصدر . م

(٤) في المصدر : ذرية آدم . م

ماءً غدقاً ، يعني لكننا وضعنا أظلتهم في الماء الفرات العذب . ص ٧٠٠-٧٠١ .
 بيان : قوله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : يعني من جرى أي لما كانت لفظة « لو » دالة على عدم تحقق الاستقامة فالمراد بهم من جرى فيهم شرك الشيطان من المنكرين للولاية ، وحاصل الخبر أن المراد بالآية أنهم لو كانوا أقرّوا في عالم الظلال والأرواح بالولاية لجعلنا أرواحهم في أجساد مخلوقة من الماء العذب . فمنشأ اختلاف الطينة هو التكليف الأوّل في عالم الأرواح عند الميثاق .

١٠ - فس : أبي ، عن محمد ، عن محمد بن إسماعيل ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله خلقنا من أعاليّين ، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه وخلق أبدانهم من دون ذلك ، فقلوبهم تهوي إلينا وأنّها خلقت ممّا خلقنا منه ؛ ثمّ تلا قوله : « كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرِيكَ مَا عِلْمُ سَوَاءٍ مَرْقُومٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ » . ص ٧١٧ .

١١ - ع : ابن المتوكّل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن أبي نهشل عن محمد بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول : إن الله عزّ وجلّ خلقنا . الخبر « ص ٥٠ »

سن : أبي ، عن أبي نهشل ، عن محمد بن إسماعيل ، عن أبي حمزة مثله . « ص ١٣٢ »
 بيان : قد اختلف في تفسير عليّين فقيّل : هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة . وقيل : السماء السابعة . وقيل : سدرة المنتهى . وقيل : الجنة . وقيل : لوح من زبرجد أخضر ، معلق تحت العرش ، أعمالهم مكتوبة فيه . وقال القرّاء : أي في ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له . والمراد أن كتابة أعمالهم أو ما يكتب من أعمالهم في عليّين أي في دفتر^(١) أعمالهم أو المراد أن دفتر أعمالهم في تلك الأمكنة الشريفة ، وعلى الأخير فيه حذف مضاف أي وما أدريك ما كتاب عليّين ؛ والظاهر أن مفاد الخبر أن دفتر أعمالهم موضوع في مكان أخذت منه طينتهم ، ويحتمل أن يكون المراد بالكتاب الروح لأنّه محلّ العلوم ترسم فيها .

١٢ - فس : أبي ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن ابن سنان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «أول من سبق من الرسل إلى بلى رسول الله عليه السلام ، وذلك أنه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى ، وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل : - لما أسري به إلى السماء - تقدم يا محمد فقد وطأت موطأ لم تطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل^(١) . ولولا أن روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه ، فكان من الله عز وجل كما قال الله : «قاب قوسين أو أدنى» أي بل أدنى^(٢) فلما خرج الأمر من الله وقع إلى أوليائه عليهم السلام فقال الصادق عليه السلام : كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية ، ولرسوله بالنبوة ، ولأمر المؤمنين والأئمة بالإمامة ، فقال : ألسنت بر بكم ، و محمد نبيكم ، وعلي إمامكم ، والأئمة الهادون أئمتكم ؟ فقالوا : بلى ، فقال الله : «شهدنا أن تقولوا يوم القيمة» أي لئلا تقولوا يوم القيامة «إننا كنّا عن هذا غافلين» فأول ما أخذ الله عز وجل الميثاق على الأنبياء بالربوبية^(٣) ، وهو قوله : «وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم» فذكر جملة الأنبياء ، ثم أبرز أفضلهم بالأسامي فقال : «ومنك» يا محمد ، فقدّم رسول الله عليه السلام لأنه أفضلهم ، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ، فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء ، ورسول الله عليه السلام أفضلهم ، ثم أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله على الأنبياء له بالإيمان به ، وعلي أن ينصروا أمير المؤمنين ، فقال : «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم» يعني رسول الله عليه السلام «لتؤمنن به ولتنصرنه» يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه تخبروا أئمتكم بخبره وخبر وليه من الأئمة . ص ٢٢٩ - ٢٣٠

١٣ - فس : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن عبد الله بن مسكان ، عن أبي عبد الله عليه السلام

(١) في المصدر : لم يطأه احد قبلك ملك ولا نبي مرسل . م

(٢) أواد عليه السلام في هذا التفسير القرب المعنوي لا المكاني ، وفسرت الآية بأن العدو و

التدلي كان بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين جبرئيل عليه السلام وسياق الايات قبلها وبعدها يؤيده .

(٣) في المصدر : له بالربوبية . م

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «لتؤمنن به ولتنصرنه» قال: ما بعث الله نبياً عن آدم ^(١) فلهم جرّاً إلا ويرجع إلى الدنيا فيقاتل وينصر رسول الله عليه السلام وأمير المؤمنين، ثم أخذ أيضاً ميثاق الأنبياء على رسول الله عليه السلام فقال: قل يا محمد «آمن بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والآساط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرت بين أحد منهم ونحن له مسلمون». ص ٢٣٠.

١٤ - فمس: أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، ^(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا» قلت: معانية كان هذا؟ قال: نعم، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيدكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحد من خلقه ورازقة، فمنهم من أقر بلسانه في الذر ولم يؤمن بقلبه، فقال الله: «فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل». ص ٢٣٠.

١٥ - أقول: روى الشيخ أحمد بن فهد في المذهب وغيره بإسنادهم عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا معلى يوم النروز هو اليوم الذي أخذ الله ميثاق العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وأن يدينوا برسله وحججه وأوليائه عليهم السلام. الخبر.

١٦ - فمس: أبي، عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن ثابت الحدّاد ^(٣) عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام في خبر طويل: قال الله تبارك وتعالى للملائكة: «إني خالق بشرأ من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين» قال: وكان ذلك من الله مقدمة في آدم قبل أن يخلقه واحتجاجاً منه عليهم، قال: فاغترف ربنا تبارك وتعالى غرفة يمينه من الماء العذب

(١) في المصدر: من لدن آدم. م

(٢) قد حكينا سابقاً عن الكشي أن عبداً بن مسكان لم يرو عن أبي عبد الله عليه السلام إلا حديث (من أدرك المشعر فقد أدرك الحج) ففي سائر رواياته عنه عليه السلام ظن إرسال.

(٣) هو ثابت بن هرمز، أبو المقدم العجلي، والد عمرو بن أبي المقدام، عده الكشي في النبرية. ولم يثبت توثيقه ولا توثيق ابنه.

الفرات - وكلتا يديه يمين - فصلصلها في كفة فجمدت فقال لها : منك أخلق النبيين والمرسلين ، وعبادي الصالحين ، والأئمة المهتدين ، والدعاة إلى الجنة وأتباعهم إلى يوم الدين ولا أبالي ، ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون . ثم اغترفت غرفة أخرى من الماء المالح الأجاج فصلصلها في كفة فجمدت ثم قال لها : منك أخلق الجبارين ، والفراعنة ، والعقاة ، وإخوان الشياطين ، والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة وأشيعهم ولا أبالي ، ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون . قال : وشرط في ذلك البدء فيهم ، ولم يشترط في أصحاب اليمين البدء ، ثم خلط المائتين جميعاً في كفة فصلصلهما ثم كفاهما قدّام عرشه وهما سالة من طين . الخبر «ص ٢٣- ٢٤»

شي : عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام مثله .

ع : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب . عن عمرو بن أبي المقدم ، عن جابر مثله . «ص ٤٦»

بيان : قال الجزري : فيه : كلتا يديه يمين أي يديه تبارك وتعالى بصفة الكمال لا تنقص في واحدة منهما ، لأن الشمال ينقص عن اليمين ، وإطلاق هذه الأسماء إنما هو على سبيل المجاز والاستعارة ، والله منزّه عن التشبيه والتجسيم انتهى .

أقول : لما كانت اليد كناية عن القدرة فيحتمل أن يكون المراد باليمين القدرة على الرحمة والنعمة والفضل ، وبالشمال القدرة على العذاب والقهر والابتلاء ، فالمعنى : أن عذابه وقهره وإمراضه وإماتته وسائر المصائب والعقوبات لطيف ورحمة لاشتمالها على الحكم الخفية والمصالح العامة ، وبه يمكن أن يفسر ما ورد في الدعاء : والخير في يديك . والصلصال : الطين الجرح خلط بالرمل ، فصار يتصلصل إذا جف . وسالة الشيء : ما نسل منه واستخرج بجذب ونزع .

١٧ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسن بن فضال ، عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق ماءً أذاباً فخلق منه أهل طاعته ، وجعل ماءً مرّاً فخلق منه أهل معصيته ، ثم أمرهما فاختلفا ، فلولاً ذلك ما ولد المؤمن إلا مؤمناً ، ولا الكافر إلا كافراً . «ص ٣٩»

١٨ - ع : ابن اليد ، عن الصفار ، عن الحسن بن فضال ، عن ابن أبي الخطاب ، عن حماد بن عيسى ، عن ربيع بن ^(١) عبدالله بن الجارود ، عن ذكره ، عن علي بن الحسين صلوات الله عليه قال : إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم وأبدانهم ، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة ، وخلق أبدانهم من دون ذلك ، وخلق الكافرين من طينة سجّيل قلوبهم وأبدانهم ، فخلط بين الطينتين فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن ، ومن هنا يصيب المؤمن السيئة ، ويصيب الكافر الحسنة ، فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه ^(٢) وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه . «ص ٣٩»

١٩ - ع : أحمد بن هارون ، عن محمد الحميري ، عن أبيه ، عن ابن يزيد ، عن حماد بن عيسى ، عن أبي نعيم الهذلي ، عن رجل ، عن علي بن الحسين عليه السلام مثله . وفيه : وخلق أبدان المؤمنين وخلق الكفار . وسجّين مكان سجّيل . ^(٣) «ص ٥٠»
ير : ابن معروف ، عن حماد ، عن ربيع ، عنه عليه السلام مثله .

سن : أبي ، عن حماد إلى قوله : وخلق أبدانهم من دون ذلك . «ص ١٣٢-١٣٣»
بيان : سجّين : موضع فيه كتاب الفجر ودواوينهم ، قال أبو عبيد : هو فعيل من السجن كالفسيق من الفسق ، وقيل : هو الأرض السابعة أو أسفل منها ، أوجب في جهنم . والسجّيل كسكيت : حجارة من مدر ، معرب (سنك كل) و السجّين أظهر .
٢٠ - ع : ماجيلويه ، عن محمد العطّار ، عن ابن أبان ، عن ابن أورمة ، عن عمرو بن عثمان ، عن العبري ، عن عمر بن ثابت ، عن أبيه ، عن حبة العرن ، عن علي عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام من أديم الأرض ، فمنه السباح ^(٤) ومنه الملح ومنه الطيب ؛ فكذلك في ذرّية الصالح والطالح . «ص ٣٩»

(١) بكسر الراء وسكون الباء ، وكسر العين ، ثم الياء عنوانه النجاشي في رجاله «ص ١٢٠» فقال : ربيع ابن عبدالله بن الجارود بن أبي سبرة الهذلي أبو نعيم بصرى ثقة ، روى عن أبي عبدالله و أبي الحسن عليهما السلام ، وصحب الفضيل بن يسار ، وأكثر الإخانة عنه ، وكان خصيصا به ، له كتاب رواه عدة من أصحابنا .

(٢) أى تشتنق إلى ما خلقوا منه .

(٣) فى الملل المطبوع : سجّين فى كلا الروايتين ٢٠

(٤) السباح من الأرض : مالم يحترق ولم يعمر .

٢١ - ع : ابن المتوكل ، عن محمد العطّار ، عن ابن أبان ، عن ابن أوزمة ، عن محمد بن سنان ، عن معاوية بن شريح ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل أجرى ماءً فقال له : كن عذباً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي ، وإن الله عز وجل أجرى ماءً فقال له : كن بحراً مالحاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي ، ثم خلطهما جميعاً فمن ثم يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن ، ولولم يخلطهما لم يخرج من هذا إلا مثله ، ولأمن هذا إلا مثله . «ص ٣٩»

٢٢ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسن بن فضال ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث طويل - يقول في آخره : مهما رأيت من نزق أصحابك وخرقهم فهو ممّا أصابهم من لطخ أصحاب الشمال ^(١) ، ومارأيت من حسن شيم ^(٢) من خالفهم ووقارهم فهو من لطخ أصحاب اليمين . «ص ٣٩»

٢٣ - ع : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن أبي الخطاب : عن محمد بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألت عن أوّل ما خلق الله عز وجل ، قال : إن أوّل ما خلق الله عز وجل ما خلق منه كل شيء ، قلت : جعلت فداك وما هو ؟ قال : الماء ، قال : إن الله تبارك وتعالى خلق الماء بحرّين : أحدهما عذب ، والآخر ملح ^(٣) فلمّا خلطهما نظر إلى العذب فقال : يا بحر فقال : لبّيك وسعديك ، قال : فيك بركتي ورحمتي ، ومنك أخلق أهل طاعتي وجنّتي . ثمّ نظر إلى الآخر فقال : يا بحر فلم يجب فأعاد عليه ثلاث مرّات يا بحر فلم يجب ! فقال : عليك لعنتي ، ومنك أخلق أهل معصيتي ومن أسكنته ناري ، ثمّ أمرهما أن يمتزجا فامتزجا ، قال : فمن ثمّ يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن . «ص ٣٩»

٢٤ - ع : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ، عن البرنظي ، عن أبان بن عثمان ، وأبي الربيع يرفعانه قال : إن الله عز وجل خلق ماءً فجعله عذباً فجعل منه أهل

(١) النزق : الخفة في كل أمر ؛ العجلة في جهل وحق . الخرق : ضعف الرأي ؛ سوء التصرف ؛ الجهل والعمق ؛ ضد الرفق . اللطخ : كل شيء ، لوث بغير لونه .

(٢) جمع للشيمة : الخلق والطبيعة .

(٣) في نسخة : والآخر مالح .

طاعته ، وخلق ماءً مرّاً فجعل منه أهل معصيته ، ثم أمرهما فاختلطتا ولولا ذلك ما ولد المؤمن إلا مؤمناً ، ولا الكافر إلا كافراً . «ص ٣٩»

٢٥ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن أبي الخطّاب ، عن جعفر بن بشير ، عن ابن أبي العلاء ، عن حبيب قال : حدّثني الثقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلة قبل الميлад ، فما تعارف من الأرواح ائتلف ، وما تناكر منها اختلف . «ص ٣٩»

٢٦ - ع : بهذا الإسناد عن حبيب ، عمن رواه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما تقول في الأرواح إنّها جنود مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ؟ قال : فقلت : إنّا نقول ذلك ، قال : فإنّه كذلك ، إن الله عزّ وجلّ أخذ من العباد ميثاقهم وهم أظلة قبل الميлад ، وهو قوله عزّ وجلّ : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم » إلى آخر الآية ، قال : فمن أقرّ له يومئذ جاءته لفته ههنا ومن أنكره يومئذ جاء خلافه ههنا . «ص ٣٩»

بيان : جاءت لفته أي لفته مع أمّته ومعرفته لهم ، أو ألفة المؤمنين بعضهم ببعض من جهة اتّفاقهم في المذهب ؛ ويحتمل أن يكون التعارف معرفة الشيعة لأنّهم ، و الائتلاف ألفة المؤمنين بعضهم ببعض لموافقتهم في المذهب .

٢٧ - ع : أبي ، عن سعد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كنّا عنده فذكرنا رجلاً من أصحابنا فقلنا : فيه حدّة ، ^(١) فقال : من علامة المؤمن أن تكون فيه حدّة ، قال : قلنا له : إنّ عامّة أصحابنا فيهم حدّة ؛ فقال : إن الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم أمر أصحاب اليمين - وأنتم هم - أن يدخلوا النار فدخلوها فأصابهم وهج ^(٢) فالحدّة من ذلك الوهج ، وأمر أصحاب الشمال - وهم مخالفوهم - أن يدخلوا النار فلم يفعلوا فمن ثمّ لهم سمت ولهم وقار . «ص ٤٠»

٢٨ - ما : الغضائري ، عن عليّ بن محمد العلوي ، عن عبد الله بن محمد ، عن الحسين ،

(١) العدة من الانسان : بأسه وما يعتريه من الغضب .

(٢) الوهج : انتعاد النار .

عن أبي عبد الله بن أسباط ، عن أحمد بن محمد بن زياد العطّار ، عن محمد بن مروان الغزال ، عن عبيد بن يحيى ، عن يحيى بن عبد الله بن الحسن ، عن جده الحسن بن عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ في الفردوس لعيناً أحلى من الشهد ، وألين من الزبد ، وأبرد من الثلج ، وأطيب من المسك ، فيها طينة خلقنا الله عزّ وجلّ منها ، وخلق شيعتنا منها ، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منّا ولا من شيعتنا ، وهي الميثاق الذي أخذ الله عزّ وجلّ على ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام . قال عبيد : فذكرت لمحمد ابن الحسين ^(١) هذا الحديث فقال : صدقك يحيى بن عبد الله ، هكذا أخبرني أبي ، عن جدي ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وآله . قال عبيد : قلت : أشتبه أن نفسه . ولنا إن كان عندك تفسير قال : نعم أخبرني أبي ، عن جدي ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : إنّ لله ملكاً رأسه تحت العرش ، وقدماه في تخوم الأرض السابعة السفلى ، بين عينيه راحة أحدكم ، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق خلقاً على ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام أمر ذلك الملك فأخذ من تلك الطينة فرمى بها في النطفة حتّى تصير إلى الرحم منها يخلق وهي الميثاق .

ص ٥٧

٢٩ - ع : أبي ، عن محمد العطّار ، عن جعفر بن محمد بن مالك ، قال : حدثنا أحمد ابن مدين من ولد مالك بن الحارث الأشر ، عن محمد بن عمار ، عن أبيه ، عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبد الله ومعي رجل من أصحابنا فقلت له : جعلت فداك يا ابن رسول الله إنّي لأغتم وأحزن من غير أن أعرف لذلك سبباً ؛ فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنّ ذلك الحزن والفرح يصل إليكم منّا إذا دخل علينا حزن أو سرور كان ذلك داخلًا عليكم ، لأنّا وإياكم من نور الله عزّ وجلّ ، فجعلنا طينتنا وطينتكم واحدة ، ولو تركت طينتكم كما أخذت لكنّا وأنتم سواء ، ولكن مزجت طينتكم بطينة أعدائكم ، فلو لا ذلك ما أذنبتم ذنباً أبداً ، قال : قلت : جمعت فداك فتعود طينتنا ونورنا كما بدا ؟ فقال إي والله يا عبد الله أخبرني عن هذا الشعاع الزاجر من القرص إذا طلع ، أهو متصل به أو بامن

(١) تقدم الحديث عن الامالى بسند آخر تحت رقم ٤ وفيه : فذكرت ذلك لمحمد بن علي بن

منه ؟ فقلت له : جعلت فداك بل هو بائن منه ، فقال : أفليس إذا غابت الشمس وسقط القرص عاد إليه فاتصل به كما بدا منه ؟ فقلت له : نعم ، فقال : كذلك والله شيعتنا من نور الله خلقوا وإليه يعودون ، والله إنكم ملحقون بنايوم القيامة ، وإننا لنشفع فنشفع ^(١) والله إنكم لتشفعون فنشفعون ، وما من رجل منكم إلا وسترفع له نار عن شماله ، وجنة عن يمينه ، فيدخل أحبائه الجنة ، وأعداءه النار . «ص ٤٢»

٣- ع : الدقاق ، عن محمد الأسدي ، عن محمد بن إسماعيل رفعه إلى محمد بن سنان ، عن زيد الشحام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى خلقنا من نور مبتدع من نور رسخ ذلك النور في طينة من أعلا عليين ، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلق منه أبداننا ، وخلق أبدانهم من طينة دون ذلك ، فقلوبهم تهوي إلينا ، لأنّها خلقت ممّا خلقنا منه ، ثم قرأ : «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِنسَانِ لَفِي سَجِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَالِيُونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهده المقرَّبُونَ» وإن الله تبارك وتعالى خلق قلوب أعدائنا من طينة من سجّين ، وخلق أبدانهم من طينة من دون ذلك وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلق منه أبدانهم فقلوبهم تهوي إليهم ، ثم قرأ : «إِنَّ كِتَابَ الْعَجَّارِ لَفِي سَجِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ وَلَ يَوْمُئِذٍ لِّلْمَكذِبِينَ» . «ص ٥٠»

٣١- ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن أبي يحيى الواسطي رفعه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَنَا مِنْ عَلَيَّيْنِ ، وَخَلَقَ أَرْوَاحَنَا مِنْ فَوْقَ ذَلِكَ ، وَخَلَقَ أَرْوَاحَ شِيعَتِنَا مِنْ عَلَيَّيْنِ ، وَخَلَقَ أَجْسَادَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ ، فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَانَ الْقَرَابَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، وَمَنْ تَمَّ تَحَنُّ قُلُوبِهِمْ إِلَيْنَا . «ص ٥٠»

٣٢- ع : أبي ، عن سعد ، عن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن فضال ، عن ابن بكير عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : «وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى قَالَ : ثَبَّتْ الْمَعْرِفَةَ وَنَسُوا الْوَقْتَ ^(٢) وَسِذَّكَرُونَهُ يَوْمًا ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَدْرَأْ أَحَدٌ مِنْ خَالْقِهِ وَلَا مِنْ رَازِقِهِ . «ص ٥٠»

شي : عن زرارة مثله .

(١) نشفع على صيغة المجهول من باب التفعيل ، أى يقبل شفاعتنا .

(٢) فى نسخة : إلوقوف .

٣٣ - ع : ابن المتوكل ، عن الحميري ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن عبد الرحمن بن كثير ، عن داود الرقي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما أراد الله عز وجل أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه ، ثم قال لهم : من ربكم ؟ فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين فقالوا : أنت ربنا ، فحملهم العلم والدين ، ثم قال للملائكة : هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي ، وهم المسؤولون . ثم قال لنبى آدم : أقرؤا لله بالربوبية ، ول هؤلاء النفر بالطاعة والولاية فقالوا : نعم ربنا أقرنا ، فقال الله جل جلاله للملائكة : اشهدوا ، فقالت الملائكة : شهدنا على أن لا يقولوا غداً إننا كنّا عن هذا غافلين ، أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرية من بعدهم أفهلكنّا بما فعل المبطلون ؛ يا داود الانبياء ^(١) مؤكدة عليهم في الميثاق . ص ٥٠ - ٥١ .

بيان : قوله عليه السلام : هم المسؤولون أي يجب على الناس أن يسألوهم عن أمور دينهم أوفيه حذف وإيصال ، أي يسأل الناس يوم القيامة عن حبسهم وولايتهم .

٣٤ - ع : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن بزيق ، عن صالح بن عقبة ، ^(٢) عن عبد الله بن محمد الجعفي وعقبة جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق الخلق فخلق من أحبّ ممّا أحبّ ، وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنة ، وخلق من أبغض ممّا أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار ، ثم بعثهم في الظلال ؛ فقلت : وأي شيء الظلال ؟ فقال : ألم تر إلى ظلك في الشمس شيء ، وليس بشيء ؟ ثم بعث منهم النبيين فدعواهم إلى الإقرار بالله ، وهو قوله عز وجل : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » ثم دعواهم إلى الإقرار بالنبيين فأنكر بعض وأقر بعض ، ثم دعواهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أحبّ ، وأنكرها من أبغض ، وهو قوله عز وجل : « ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » ثم قال أبو جعفر عليه السلام كان التكذيب ثم . ص ٥١ .

(١) في نسخة : ولايتنا .

(٢) ضبطه الطريحي في الضوابط بضم العين ، وسكون القاف ، وفتح الباء ، واحتمل المامقاني

كونه بالفتحات الثلاث .

ير : محمد بن الحسين عن محمد بن إسماعيل ، عن صالح بن عقبة ، عن عبد الله بن محمد الجعفي عن أبي جعفر ؛ وعن عقبة عن أبي جعفر عليه السلام مثله . «ص ٢٢»
شي : عن عبد الله الجعفي مثله .

توضيح : قوله عليه السلام : في الضلال أي عالم الأرواح بناءً على أنها أجسام لطيفة ، ويحتمل أن يكون التشبيه للتجريد أيضاً تقريباً إلى الأفهام ، أو عالم المثال على القول به قبل الانتقال إلى الأبدان .

قوله عليه السلام : وهو قوله أي هذه المعرفة الفطرية إنما حصل من أخذ تلك الميثاق .
٣٥ - ع : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن اليقطيني ، عن زياد القندي ، عن عبد الله ابن سنان قال : بينا نحن في الطواف إذ مر رجل من آل عمر فأخذ ^(١) بيده رجل فاستلم الحجر فانتهره وأغلظ له ، وقال له : بطل حجك إن الذي تستلمه حجر لا يضر ولا ينفع فقلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك أما سمعت قول العمري لهذا الذي استلم الحجر فأصابه ما أصابه ؛ فقال : وما الذي قال ؟ قلت له : قال : يا عبد الله بطل حجك إنما هو حجر لا يضر ولا ينفع ! فقال أبو عبد الله عليه السلام : كذب ، ثم كذب ، ثم كذب إن للحجر لساناً ذليلاً يوم القيامة ، يشهد لمن وافاه بالموافة ، ثم قال : إن الله تبارك وتعالى لما خلق السماوات والأرض خلق بحرين : بحراً عذباً ، وبحراً أجاجاً ، فخلق تربة آدم من البحر العذب ، وشن ^(٢) عليها من البحر الأجاج ، ثم جبل آدم فعرك عرك الأديم فتركه ما شاء الله فلمّا أراد أن ينفخ فيه الروح أقامه شجراً فقبض قبضة من كتفه الأيمن فخرجوا كالذر فقال : هؤلاء إلى الجنة ؛ وقبض قبضة من كتفه الأيسر وقال : هؤلاء إلى النار ؛ فأطلق الله عز وجل أصحاب اليمين وأصحاب اليسار ، فقال أهل اليسار : ياربّ لما خلقت ^(٣) لنا النار ولم تبن لنا ولم تبعث إلينا رسولاً ؟ فقال الله عز وجل لهم : ذلك لعلمي بما أنتم صائرون إليه ، وإنّي سأبتليكم ، فأمر الله عز وجل النار فأسعرت ، ثم قال لهم : تقحموا

(١) في نسخة : واخذ .

(٢) في المصدر : سن . م

(٣) في المصدر : لم خلقت . م

جميعاً في النار فأنتم أجعلها عليكم برداً وسلاماً ، فقالوا : يا رب إنما سألناك لأني شيء ، جعلتها لنا هرباً منها ، ولو أمرت أصحاب اليمين ما دخلوا ؛ فأمر الله عز وجل النار فأُسعرت ثم قال لأصحاب اليمين : تقهّموا جميعاً في النار ، فتقهّموا جميعاً فكانت عليهم برداً وسلاماً فقال لهم : ^(١) ألسنت بربكم ؛ قال أصحاب اليمين : بلى طوعاً ، وقال أصحاب الشمال : بلى كرهاً ؛ فأخذ منهم جميعاً ميثاقهم ، وأشهدهم على أنفسهم ؛ قال : وكان الحجر في الجنة فأخرجه الله عز وجل فالتقم الميثاق من الخلق كلهم ، فذلك قوله عز وجل : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون » فلمّا أسكن الله عز وجل آدم الجنة وعصى أهبط الله عز وجل الحجر وجعله في ركن بيته وأهبط آدم عليه السلام على الصفا فمكث ما شاء الله ، ثم رآه في البيت فعرفه و عرف ميثاقه و ذكره فجاء إليه مسرعاً فأكبّ عليه وبكى عليه أربعين صباحاً تائباً من خطيئته ، ونادماً على نقضه ميثاقه ؛ قال : فمن أجل ذلك أمرتم أن تقولوا إذا استلمتم الحجر : أما نتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة يوم القيامة . « ص ١٤٧ »

٣٦ - ع : ابن المتوكل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن عبد الله ابن محمد الهمداني ، عن إسحاق القمي قال : دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السلام فقلت له : جعلت فداك أخبرني عن المؤمن يزني ؟ قال : لا ، قلت : فيلوط ؟ قال : لا ، قلت : فيشرب المسكر ؟ قال : لا ، قلت : فيذنب ؟ قال : نعم ؛ قلت : جعلت فداك لا يزني ولا يلوط ولا يرتكب السيئات ، فأبي شيء ذنبه ؟

فقال : يا إسحاق قال الله تبارك وتعالى : « الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللّٰم » وقد يلم المؤمن بالشئ الذي ليس فيه مراد قلت : جعلت فداك أخبرني عن الناصب لكم يظهر بشيء أبداً ؟ قال : لا .

قلت : جعلت فداك فقد أرى المؤمن الموحد الذي يقول بقولني و يدين الله بولايتكم وليس بيني وبينه خلاف يشرب المسكر ، و يزني ، و يلوط ، و آتية في حاجة واحدة فأصيبه معبس الوجه ، كأمح اللون ، ثقيلاً في حاجتي ، بطيئاً فيها ؛ وقد أرى

الناصب المخالف لما أنا عليه ويعرفني بذلك فآتيه في حاجة فأُصِبه فطلق الوجه ، حسن البشر ، متسرّعاً في حاجتي ، فرحاً بها ، يحبّ قضاءها ،^(١) كثير الصلاة ، كثير الصوم ، كثير الصدقة ، يؤدّي الزكاة ، ويستودع فيؤدّي الأمانة .

قال : يا إسحاق ليس تدرون من أين أوتيتهم ؟ قلت : لا والله ، جعلت فداك إلا أن تخبرني ، فقال : يا إسحاق إن الله عزّ وجلّ لمّا كان متفرّداً بالوحدانية ابتداء الأشياء لا من شيء ، فأجرى الماء العذب على أرض طيّبة طاهرة سبعة أيّام مع لياليها ، ثمّ نضب الماء عنها فقبض قبضة من صفاوة ذلك الطين ، وهي طينتنا أهل البيت ، ثمّ قبض قبضة من أسفل ذلك الطينة ، وهي طينة شيعتنا ، ثمّ اصطفانا لنفسه ، فلو أن طينة شيعتنا تركت كما تركت طينتنا لما زنى أحد منهم ، ولا سرق ، ولا لاط ، ولا شرب المسكر ، ولا اكتسب شيئاً ممّا ذكرت ، ولكن الله عزّ وجلّ أجرى الماء المالح على أرض ملعونة سبعة أيّام و لياليها ، ثمّ نضب الماء عنها ؛ ثمّ قبض قبضة ، وهي طينة ملعونة من حامسّون^(٢) وهي طينة خبال^(٣) ، وهي طينة أعدائنا ، فلو أن الله عزّ وجلّ ترك طينتهم كما أخذها لم تروهم في خلق الآدميين ، ولم يقرّوا بالشهادتين ، ولم يصوموا ، ولم يصلّوا ، ولم يزكّوا ، ولم يحجّوا البيت ، ولم تروا أحداً منهم بحسن خلق ، ولكن الله تبارك وتعالى جمع الطينتين طينتكم و طينتهم فخلطهما و عركهما عرك الأديم ، و مزجهما بالمائين فما رأيت من أخيك من شرفٍ أَوْزناً ، أو شيء ممّا ذكرت من شرب مسكراً أو غيره ، فليس من جوهريته ولا من إيمانه ، إنّما هو بمسحة الناصب اجترح هذه السيئات التي ذكرت ؛ وما رأيت من الناصب من حسن وجه وحسن خلق ، أو صوم ، أو صلاة أو حج بيت ، أو صدقة ، أو معروف فليس من جوهريته ، إنّما تلك الأفاعيل من مسحة الإيمان اكتسبها وهو اكتساب مسحة الإيمان .

قلت : جعلت فداك فإذا كان يوم القيامة فمه ؟^(٤) قال لي : يا إسحاق أيجمع الله الخير

(١) كذا في نسخة المصنف لكن الظاهر كما في بعض النسخ : فرحاً بما يجب قضاءها .

(٢) الحما : الطين الاسود المتغير . والهمسّون : المنّون . وقيل : المصور . والمصوب المفرغ كأنه أفرغ حتى صار صورة .

(٣) : الخبال الفساد ، نقصان .

(٤) في نسخة : قسمه .

والشرّ في موضع واحد ؟ إذا كان يوم القيامة نزع الله عزّ وجلّ مسحة الإيمان منهم فردّها إلى شيعتنا ، ونزع مسحة الناصب بجميع ما اكتسبوا من السيئات فردّها على أعدائنا ، وعاد كل شيء إلى عصره الأوّل الذي منه ابتداء ؛ أمارأيت الشمس إذا هي الأتري لها شعاعاً زاجراً متصلاً بها أو بائناً منها ؟ قلت : جعلت فداك الشمس إذا هي غربت بدا إليها الشعاع كما بدا منها ، ولو كان بائناً منها لمابدا إليها .

قال : نعم يا إسحاق كل شيء يعود إلى جوهره الذي منه بدا ، قلت : جعلت فداك تؤخذ حسناتهم فتردّ إلينا ؟ وتؤخذ سيئاتنا فتردّ إليهم ؟ قال : إي والله الذي لا إله إلا هو ؛ قلت : جعلت فداك أجدّها في كتاب الله عزّ وجلّ ؟ قال : نعم يا إسحاق ؛ قلت : في أيّ مكان ؟ قال لي : يا إسحاق أماتلو هذه الآية ؟ « أولئك الذين يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً » فلم يبدّل الله سيئاتهم حسنات إلا لكم والله يبدّل لكم . « ص ١٦٧ »

إيضاح : قال الجزريّ : في حديث الإفك : وإن كنت أملت بذنب فاستغفرني الله أي قاربت . وقيل : اللّم مقاربة المعصية من غير إيقاع فعل . وقيل : هو من اللّم : صغار الذنوب . قوله : يظهر بشيء على البناء للمفعول من أظهره بمعنى أعانه ، أي هل يعان بشيء من الخير ؛ ولعلّه كان (يظفر) أو (يطهر) بالطاء المهملة . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : أتيتم ، أي هل كنتم ، وفي بعض النسخ « أو تيتم » أي أناكم الذنب . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : شعاعاً زاجراً أي شديداً يزجر البصر عن النظر . قوله : بدا إليها لعلّه ضمّن معنى الانتهاء .

٣٧- ير : عمران بن موسى ، عن موسى بن جعفر ، عن عليّ بن سعيد ، عن إبراهيم بن إسحاق ، عن الحسين بن زيد ، ^(١) عن جعفر بن محمد ، عن جدّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : قال عليّ بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ : إن الله بعث جبرئيل إلى الجنّة فأثاه بطينة من طينها ،

(١) هو الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام ، الملقب بذي الدمة ، الذي تبناه

ووباه أبو عبد الله عليه السلام ، وزوجه بنت الارقط . وفي البصائر المطبوع « عليّ بن معبد » بدل « عليّ بن سعيد » ويؤيد ذلك ما حكى عن جامع الرواة أن الصواب موسى بن جعفر ، عن عليّ

بن معبد ؛ دون عليّ بن سعيد .

وبعث ملك الموت إلى الأرض فجاءه بطينة من طينها ؛ فجمع الطينتين ثم قسمها نصفين ، فجعلنا من خير القسمين ، وجعل شيعتنا من طينتنا ، فما كان من شيعتنا مما يرغب بهم عنه ^(١) من الأعمال القيحة فذاك مما خالطهم من الطينة الخبيثة ومصيرها إلى الجنة ؛ وما كان في عدونا من برٍّ وصلاة وصوم ومن الأعمال الحسنة فذاك لما خالطهم من طينتنا الطيبة ومصيرهم إلى النار . « ص ٥ »

٣٨- ير : عبد الله بن محمد ، عن إبراهيم بن محمد ، عن مسعود بن يوسف بن كليب ، عن الحسن بن حماد ، عن فضيل بن الزبير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : يا فضيل أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إنا أهل بيت خلقنا من عليين ، وخلق قلوبنا من الذي خلقنا منه ، وخلق شيعتنا من أسفل من ذلك ، وخلق قلوب شيعتنا منه ؛ وإن عدونا خلقوا من سجين ، وخلق قلوبهم من الذي خلقوا منه ، وخلق شيعتهم من أسفل من ذلك ، وخلق قلوب شيعتهم من الذي خلقوا منه ، ^(٢) فهل يستطيع أحد من أهل عليين أن يكون من أهل سجين ؟ وهل يستطيع أهل سجين أن يكونوا من أهل عليين ؟ . « ص ٥ »

٣٩- ير : عنه ، عن محمد بن الحسين ، عن الحسن بن محبوب ، عن سيف بن عميرة ، عن أبي بكر الحضرمي ، عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال : أخذ الله ^(٣) ميثاق شيعتنا معنا على ولايتنا لا يزيدون ولا ينقصون : إن الله خلقنا من طينة عليين وخلق شيعتنا من طينة أسفل من ذلك وخلق عدونا من طينة سجين ، وخلق أولياءهم من طينة أسفل من ذلك . « ص ٥ »

٤٠- ير : أحمد بن محمد ، عن محمد بن عمار ، عن أحمد بن محمد الجبلي ، عن إبراهيم بن عمران ، عن محمد بن سوبة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله خلقنا من طينة عليين ، وخلق قلوبنا من طينة فوق عليين ، وخلق شيعتنا من طينة أسفل من ذلك ، وخلق قلوبهم من طينة عليين ، فصارت قلوبهم تحن إلينا لأننا منّا ، وخلق عدونا من طينة سجين ، وخلق قلوبهم من طينة أسفل من سجين ، وإن الله أراد كل طينة إلى معدنها فإرادهم إلى عليين ، ورادهم إلى سجين .

(١) مما يرغب به عنهم (ظ) .

(٢) في المصدر : مما خلقوا منه م (٣) في المصدر : قد أخذ الله م

٤١ - ير : أحمد بن محمد ، عن الحسن بن موسى ، عن علي بن حسان ، عن عبد الرحمن بن كثير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « وإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ » إلى آخر الآية ، قال : أخرج الله من ظهر آدم ذرّيته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ ^(١) فعرفهم نفسه ، و لولا ذلك لن يعرف ^(٢) أحد ربه ، ثم قال : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » قالوا بلى ، وإنّ هذا محمد رسولى ، ^(٣) وعليّ أمير المؤمنين خليفتي وأميني . « ص ٢٠ »

٤٢ - ير : بعض أصحابنا ، عن محمد بن الحسين ، عن علي بن أسباط ، عن علي بن معمر ، عن أبيه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى : « هذا نذير من النذر الأولى » قال : يعني به محمداً صلّى الله عليه وآله حيث دعاهم إلى الإقرار بالله في الذرّ الأوّل . « ص ٢٣ »

٤٣ - سن : ابن محبوب ^(٤) ، عن ابن رئاب ، عن بكير قال : كان أبو جعفر عليه السلام يقول : إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ بالإقرار له بالربوبية ، ولمحمد بالنبوة ، وعرض على محمد صلّى الله عليه وآله أمّته في الظلّ ^(٥) وهم أظلمة ، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم وخلق أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام ، وعرضهم عليه ، وعرفهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ونحن نعرفهم في لحن القول . « ص ٢٤ »

و رواه عثمان بن عيسى ، عن أبي الجراح ، عن أبي الحسن عليه السلام وزاد فيه : وكلّ قلب يحنّ إلى بدنه .

شي : عن بكير مثله .

٤٤ - سن : أبي ، عن القاسم بن محمد ، عن البطائني ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر

(١) فى المصدر : فخرجوا الى يوم القيامة كالذر . م

(٢) فى المصدر : لم يعرف . م

(٣) فى المصدر : وان هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ أمير المؤمنين (ع) . م

(٤) فى المصدر : احمد بن محمد ومحمد بن الحسين جميعاً عن ابن محبوب . م

(٥) فى المصدر : فى الطين . م

عليه السلام قال : لا تخاصموا الناس فإنّ الناس لو استطاعوا أن يحبّبونا لا حبّونا ، إنّ الله أخذ ميثاق النفس ^(١) فلا يزيد فيهم أحد أبداً ، ولا ينقص منهم أحد أبداً . «ص ١٣٦»

٤٥ - سنن : محمد بن عليّ ، عن إسماعيل بن يسار ، عن عثمان بن يوسف ، عن عبد الله بن كيسان قال ، قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك أنا مولاك عبد الله بن كيسان فقال : أمّا النسب فأعرفه ، وأمّا أنت فلست أعرفك ؛ قال : قلت : ولدت بالجبل ، ^(٢) ونشأت بأرض فارس وأنا أخالط الناس في التجارات وغير ذلك ، فأرى الرجل حسن السمّت ، وحسن الخلق والأمانة ، ثمّ أفتشه فأفتشه عن عداوتكم : وأخالط الرجل وأرى فيه سوء الخلق ، وقلة أمانة وزعارة ثمّ أفتشه فأفتشه عن ولايتكم ، فكيف يكون ذلك ؟ فقال : ^(٣) أمّا علمت يا بن كيسان أنّ الله تبارك وتعالى أخذ طينة من الجنّة ، وطينة من النار فخلطهما جميعاً ، ثمّ نزع هذه من هذه فما رأيت من أولئك من الأمانة وحسن السمّت وحسن الخلق فمما مستهم من طينة الجنّة وهم يعودون إلى ما خلقوا منه ، وما رأيت من هؤلاء من قلة الأمانة وسوء الخلق والزعارة فمما مستهم من طينة النار ، وهم يعودون إلى ما خلقوا منه . «ص ١٣٦ - ١٣٧»

بيان : قوله عليه السلام : فلست أعرفك أي بالتشيع ، والزعارة بالتشديد وقد يخفف

شراسة الخلق .

٤٦ - سنن : أبي ، عن عبد الله بن القاسم ، عمّن حدّثه قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أرى الرجل من أصحابنا ممّن يقول بقولنا خبيث اللسان ، خبيث الخلطة ، قليل الوفاء بالميعاد ، فيغمّني غمّاً شديداً ؛ وأرى الرجل من المخالفين علينا حسن السمّت ، حسن الهدى ، ^(٤) وفيما بالميعاد ، فأغتم غمّاً ؛ ^(٥) فقال : أو تدري لمّ ذاك ؟ قلت : لا ، قال :

(١) هكذا في نسخ من البحار ، وفي المحاسن المطبوع (الناس) وفي هامش نسخة المصنف : (الشيمة ظ) بخطه الشريف قدس سره .

(٢) يطلق بلاد الجبل على مدن بين آذربيجان وعراق العرب ، وخوزستان وفارس ، وبلاد الهم .

(٣) في المصدر : فقال لي .

(٤) الهدى : الطريقة ؛ السيرة .

(٥) في المصدر : فأغتم لذلك عما شديداً .

إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الطَّيْنَتَيْنِ فَعَرَّ كُهُمَا - وَقَالَ يَبْدُهُ هَكَذَا رَاحَتِيهِ جَمِيعاً وَاحِدَةً عَلَى الْآخَرَى . ثُمَّ فَلَقَهُمَا فَقَالَ : هَذِهِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَهَذِهِ إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي ، فَالَّذِي رَأَيْتَ مِنْ خَبَثِ اللِّسَانِ وَالْبَدَنِ ، وَسُوءِ الْخُلُقَةِ وَقَلَّةِ الْوَفَاءِ بِالْمُعَادِ مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَصْحَابِكُمْ ، يَقُولُ بِقَوْلِكُمْ فَبِمَا التَّطَخَّ بِهَذِهِ مِنَ الطَّيْنَةِ الْخَبِيثَةِ وَهُوَ عَائِدٌ إِلَى طَبْنَتِهِ ؛ وَالَّذِي رَأَيْتَ مِنْ حَسَنِ الْهَدْيِ وَحَسَنِ السَّمْتِ وَحَسَنِ الْخُلُقَةِ وَالْوَفَاءِ بِالْمُعَادِ مِنَ الرَّجَالِ مِنَ الْمُخَالَفِينَ فَبِمَا التَّطَخَّ بِهِ مِنَ الطَّيْنَةِ . فَقُلْتُ : ^(١) فَرَجَّتْ عَنِّي فَرَجَ اللَّهِ عَنكَ . « ص ١٣٧ - ١٣٨ »

٤٧ - سن : يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن رجل من أصحابه يقال له : عمران أنّه خرج في عمرة زمن الحجاج فقلت له : هل لقيت أبا جعفر عليه السلام قال : نعم ، قلت : فما قال لك ؟ قال : قال لي : يا عمران ما خبر الناس ؟ فقلت : تركت الحجاج يشتم أباك على المنبر - أعني عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه - فقال : أعداء الله يبدّهون سببنا ؛ أما إنهم لو استطاعوا أن يكونوا من شيعتنا لكانوا ، ولكنهم لا يستطيعون ؛ إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِيثَاقَنَا وَمِيثَاقَ شِيعَتِنَا وَنَحْنُ وَهُمْ أَظْلَمَةٌ ، فَلَوْ جَهَدَ النَّاسُ أَنْ يَزِيدُوا فِيهِ ^(٢) رَجُلًا أَوْ يَنْقُصُوا مِنْهُ ^(٣) رَجُلًا مَا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ . « ص ١٣٥ - ١٣٦ »

بيان : يبدّهون بالباء أي يأتون به بديهة وفجأة بلا روية ، وفي بعض النسخ بالنون ، يقال : ندهت الإبل أي سقتها مجتمعة ، والندهة بالضم والفتح : الكثرة من المال .

٤٨ - سن : عليّ بن الحكم ، عن أبان ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق لما اختلف إننان . فقال : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ قَالَ : كُنْ مَاءً عَذْبًا أَخْلَقَ مِنْكَ جَنَّتِي وَأَهْلَ طَاعَتِي . وَقَالَ : كُنْ مَاءً مَلْحًا أَجَاأَ أَخْلَقَ مِنْكَ نَارِي وَأَهْلَ مَعْصِيَتِي ، ثُمَّ أَمْرُهُمَا فَا مَتَرَجَا ، فَمِنْ ذَلِكَ صَارَ يَلِدُ الْمُؤْمِنُ كَافِرًا وَالْكَافِرُ مُؤْمِنًا ، ثُمَّ أَخَذَ طَيْنَ آدَمَ مِنْ أَرْضِ فَعَرَّكَهُ عَرَكًا شَدِيدًا فَأَذا

(١) في المصدر : من الطينة الطيبة فقلت جملة فذلك م

(٢) في المصدر : فيهم م

(٣) في المصدر : منهم م

هم في الذرّ يدبّون ، فقال لأصحاب اليمين : إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب النار : إلى النار ولا أبالي ، ثم أمر ناراً فأُسرعت فقال لأصحاب الشمال : ادخلوها ، فهابوها وقال لأصحاب اليمين : ادخلوها ، فدخلوها : فقال كوني برداً وسلاماً فكانت برداً وسلاماً ؛ فقال أصحاب الشمال : ياربّ أفلنا ، ^(١) فقال : قد أقتلكم فادخلوها ، فذهبوا فهابوها ، فثمّ نبتت الطاعة و المعصية ، فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء . ص ٢٨٢

بيان : قوله ﷺ : لما اختلف اثنان أي في مسألة القضاء والقدر ، أو لما تنازع اثنان في أمر الدين .

٤٩ - سن : عبد الله بن محمد النهيكى ، عن حسان ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قال : كان في بدء خلق الله أن خلق أرضاً وطينةً وفجر منها ماءها ، وأجرى ذلك الماء على الأرض سبعة أيام ولياليها . ثم نضب الماء عنها ، ثم أخذ من صفوة تلك الطينة وهي طينة الأئمة ، ثم أخذ قبضة أخرى من أسفل تلك الطينة وهي طينة ذرية الأئمة وشيعتهم ، فلو تركت طينتكما كما ترك طينتنا لكنتم أنتم ونحن شيئاً واحداً ، قلت : فما صنع بطينتنا ؟ قال : إن الله عز وجل خلق أرضاً سيخة ، ثم أجرى عليها ماءً أجاجاً ، أجراها سبعة أيام ولياليها ، ثم نضب عنها الماء ، ثم أخذ من صفوة تلك الطينة وهي طينة الكفر فلو تركت طينة عدونا كما أخذها لم يشهدوا الشهادتين : أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، و لم يكونوا يحبّون البيت ، ولا يعتمرون ، ولا يؤتون الزكاة ، ولا يصدقون ، ولا يعملون شيئاً من أعمال البر . ثم قال : أخذ الله طينة شيعتنا وطينة عدونا فخلطهما وعركهما عرك الأديم ، ثم مزجهما بالماء ، ثم جذب هذه من هذه ، وقال : هذه في الجنة ولا أبالي ، وهذه في النار ولا أبالي ، فما رأيت في المؤمن من زعارة وسوء الخلق واكتساب سيئات فمن تلك

السبخة^(١) التي مازجته من الناصب ، وما رأيت من حسن خلق الناصب وطلاقة وجهه وحسن بشره وصومه وصلاته فمن تلك السبخة التي أصابته من المؤمن . ص ٢٨٢-٢٨٣ .

٥٠ - نهج : من كلام له روى اليمامي ، عن أحمد بن قتيبة ، عن عبد الله بن يزيد ، عن مالك بن دحية قال : كنّا عند أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقد ذكر عنده اختلاف الناس : إنّما فرّق بينهم مبادي طينتهم ، وذلك أنّهم كانوا فلقة من سبخ أرض وعذبها ، وحزن^(٢) تربة وسهلها ، فهم على حسب قرب أرضهم بتقاربون ، وعلى قدر اختلافها يتفاوتون ، فتأمّ الرواء ناقص العقل ، ومادّ القامة^(٣) قصير الهمة ، وزاكي العمل قبيح المنظر ، وقريب القعر بعيد السبر ، ومعروف الضريبة منكر الجليية ، وتائه القلب متفرّق اللب ، وطليق اللسان حديد الجنان .

بيان : قوله عليه السلام : إنّما فرّق بينهم قال ابن ميثم : أي تقاربهم في الصور والأخلاق تابع لتقارب طينهم وتقارب مبادئه وهي السهل والحزن ، والسبخ والعذب ؛ وتفاوتهم فيها لتفاوت طينهم ومبادئه المذكورة . وقال أهل التأويل : الإضافة بمعنى اللام أي المبادي لطينهم ، كناية عن الأجزاء العنصرية التي هي مبادي المركبات ذوات الأمزجة ، والسبخ كناية عن الحارّ اليابس ، والعذب عن الحارّ الرطب ، والسهل عن البارد الرطب والحزن عن البارد اليابس . والفلقة : القطعة والشقّ من الشيء ، والرواء : المنظر الحسن ، وقريب القعر أي قصير . بعيد السبر أي داهية يبعد اختبار باطنه يقال : سبرت الرجل أسبره أي اخترت باطنه وغوره . والضريبة : الخلق والطبيعة . والجابية : ما يجلبه الإنسان ويتكلّفه أي خلقه حسن يتكلّف فعل القبيح ، وحمله ابن ميثم على العكس ، وقال : متفرّق اللب أي يتبع كلّ ناعق . ثمّ قال : الخمسة الأول ظاهرهم مخالف لباطنهم ، والأخيرتان ليستا على تلك الوتيرة ، ذكرنا التتميم الأقسام .

٥١ - شى : عن زرارة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : رأيت حين أخذ الله الميثاق

(١) سبخ الأرض : مالحها .

(٢) الحزن بفتح الحاء : الغشن ضد السهل .

(٣) مادّ القامة : طولها .

على الذرّ في صلب آدم فعرضهم على نفسه كانت معاينة منهم له^(١) قال : نعم يا زرارۃ وهم ذرّ بين يديه ،^(٢) وأخذ عليهم بذلك الميثاق بالربوبية له ، ولمحمد ﷺ بالنبوة ثم كفّل لهم بالأرزاق ، وأنساهم رؤيته ، وأثبت في قلوبهم معرفته ، فلا بدّ من أن يخرج الله إلى الدنيا كلّ من أخذ عليه الميثاق ، فمن جحد ما أخذ عليه الميثاق لمحمد ﷺ لم ينفعه إقراره لربه بالميثاق ، ومن لم يجحد ميثاق تمّ نفعه الميثاق لربه .

٥٢ - شى : عن عمار بن أبي الأحوص ، عن أبي عبد الله عليه السلام : إن الله تبارك و تعالى خلق في مبتدأ الخلق بحرّين : أحدهما عذب فرات ، والآخر ملح أجاج ، ثم خلق تربة آدم من البحر العذب الفرات ثم أجراه على البحر الأجاج فجعله ماءً مسنوناً وهو خلق آدم ، ثم قبض قبضة من كنف آدم الأيمن فذرأها في صلب آدم ، فقال : هؤلاء في الجنة ولا بالي ، ثم قبض قبضة من كنف آدم الأيسر فذرأها في صلب آدم ، فقال : هؤلاء في النار ولا بالي ولا أسأل عما أفعل ، ولي في هؤلاء البدء بعد :^(٣) وفي هؤلاء هؤلاء سيبتلون ؛ قال أبو عبد الله عليه السلام : فاحتجّ يومئذ أصحاب الشمال وهم ذرّ على خالقهم فقالوا : يا ربنا بم أوجبت لنا النار - وأنت الحكم العدل - من قبل أن تحتجّ علينا ، وتبلونا بالرسول ، وتعلم طاعتنا لك ومعصيتنا ؛ فقال الله تبارك و تعالى : فأنا أخبركم بالحجة عليكم الآن في الطاعة والمعصية ، والإعذار بعد الإخبار . قال أبو عبد الله عليه السلام : فأوحى الله إلى مالك خازن النار : أن مر النار تشهق ، ثم تخرج عنقاً منها^(٤) فخرجت لهم ، ثم قال الله لهم : ادخلوها طامعين ، فقالوا : لا ندخلها طامعين ؛ ثم قال : ادخلوها طامعين ، أولاً عذب بكم بها كارهين ، قالوا : إننا هربنا إليك منها ، وحاجبناك فيها حيث أوجبها علينا ، وصيرتنا من أصحاب الشمال ، فكيف ندخلها

(١) أراد من المعاينة الشهود اليقيني والعضود العلمى ، لا المشاهدة والرؤية بالعين الجسدى لظهور انتفاء شرائط الرؤية من وجود الباصرة لهم هناك ، والجسدية له تعالى .

(٢) أى متفرق بين يديه أى فى الارض ، والذر أيضاً بمعنى النسل .

(٣) وفى نسخة : ولّى فى هؤلاء البلاء بعد .

(٤) أى قطعة وبماعة منها .

طائعين ؟ ولكن ابدأ أصحاب اليمين في دخولها ، كي تكون قد عدلت فينا و فيهم ؛ قال أبو عبد الله عليه السلام : فأمر أصحاب اليمين وهم ذرّبين يديه فقال : ادخلوا هذه النار طائعين قال : فطفقوا يتبادرون في دخولها فولجوا فيها جميعاً فصيرّها الله عليهم برداً وسلاماً ، ثم أخرجهم منها . ثم إن الله تبارك وتعالى نادى في أصحاب اليمين وأصحاب الشمال : ألسن برّيتكم ؟ فقال أصحاب اليمين : بلى ياربنا نحن برّيتك وخلقت مفرّين طائعين ، وقال أصحاب الشمال : بلى ياربنا نحن برّيتك وخلقت كارهين ؛ وذلك قول الله : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون » قال : توحيدهم لله .

٥٣ - شى : عن عثمان بن عيسى ، عن بعض أصحابه ، عنه قال : إن الله قال لماء : كن عذاباً فرائاً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي ؛ وقال لماء : كن ملجأً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي ، فأجرى المائين على الطين ، ثم قبض قبضةً بهذه - وهي يمين - فخلقهم خلقاً كالذرّ ، ثم أشهدهم على أنفسهم : ألسن برّيتكم وعليكم طاعتي ؟ قالوا : بلى ، فقال للذّار : كونى ناراً ، فإذا نارت أجّج ، وقال لهم قعوا فيها ، فمنهم من أسرع ، ومنهم من أبطأ في السعي ، ومنهم من لم يرم مجلسه ، فلمّا وجدوا حرّاً رجعوا فلم يدخلها منهم أحد ، ثم قبض قبضةً بهذه فخلقهم خلقاً مثل الذّر ، مثلاً ولثك ، ثم أشهدهم على أنفسهم مثل ما أشهد الآخرين ، ثم قال لهم : قعوا في هذه النار ، فمنهم من أبطأ ، ومنهم من أسرع ، ومنهم من مرّ بطرف العين ، فوقعوا فيها كلّهم ، فقال : أخرجوا منها سامطين ، فخرجوا لم يصبهم شىء ؛ وقال الآخرون : ياربنا أقلنا نفعل كما فعلوا ، قال : قد أقلتكم ، فمنهم من أسرع في السعي ، ومنهم من أبطأ ، ومنهم من لم يرم مجلسه ، مثل ما صنعوا في المرة الأولى ؛ فذلك قوله : ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون . بيان : يقال : رام يريم : إذا برح وزال من مكانه ، وأكثر ما يستعمل في النفي .

٥٤ - شى : خالد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه ، إنّهم ملعونون في الأصل .

٥٥ - شى : عن زرارة وجران وحماد بن مسلم ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام

عن قول الله : « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ، إلى آخر الآية : أمّا قوله : « كما لم يؤمنوا به أول مرة » فإنه حين أخذ عليهم الميثاق .

٥٦ - شى : عن رفاة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم » قال : نعم أخذ الله الحجة على جميع خلقه يوم الميثاق هكذا - وقبض يده .

٥٧ - شى : عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كيف أجابوا وهم ذرء ؟ قال : جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه - يعني في الميثاق .

بيان : أي تعلقت الأرواح بتلك الذرء وجعل فيهم العقل وآلة السمع وآلة النطق حتى فهموا الخطاب وأجابوا وهم ذرء .^(١)

٥٨ - شى : عن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز و جل : « وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم » إلى « قالوا بلى » قال : كان محمد عليه وآله السلام أول من قال : بلى ؛ قلت : كانت رؤية معاينة ؟ قال : ثبتت المعرفة في قلوبهم وأنسوا ذلك الميثاق وسيذكرونه بعد ، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من يرزقه .

٩٥ - شى : عن زرارة أن رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم » فقال - و أبوه يسمع - : حدثني أبي أن الله تعالى قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم ، فصب عليها الماء العذب الفرات ، فتركها أربعين صباحاً ، ثم صب عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحاً ، فلما اختمرت الطينة أخذها تبارك وتعالى فعرکہا عركاً شديداً ، ثم هكذا - حكى^(٢) بسط كفيه - فخرجوا كالذرء من يمينه وشماله فأمرهم جميعاً أن يبعوا في النار ، فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً ، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها .

(١) ظاهر الرواية لسان الحال ، أو أنهم كانوا على خلقه لوزلوا منزل الدنيا ظهر ذلك منهم في صورة السؤال والجواب ، و أما ما ذكره رحمه الله فيبعد عن سياق الخبر وأوضح لكن هو الخلق الدنيوى بعينه . ط

(٢) حكى المقدمة : شدّها .

بيان : قوله ﷺ : من يمينه و شماله أي من يمين الملك المأمور بهذا الأمر و شماله ، أو من يمين العرش و شماله ، أو استعار اليمين للجهة التي فيها اليمين و البركة و كذا الشمال بعكس ذلك .

٦٠ - شى : عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله ﷺ في قول الله : «أست بر بكم قالوا بلى» : قلت : قالوا بالسنتهم ؟ قال : نعم وقالوا بقلوبهم ؛ فقلت : وأي شيء كانوا يومئذ ؟ قال : صنع منهم ما اكتفى به .

٦١ - شى : عن زرارة قال : سألت أبا جعفر ﷺ عن قول الله : «و إذ أخذ ربك من بني آدم» إلى «أنفسهم» قال : أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة ، فخرجوا كالذر ، فعرّفهم نفسه ، و أراهم نفسه ، و لولا ذلك ما عرف أحد ربّه ، و ذلك قوله : «ولئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولنّ الله» .

٦٢ - شى : عن الأصمغ بن نباتة ، عن عليّ ﷺ قال : أتاه ابن الكوّاء^(١) فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله تبارك و تعالى هل كلم أحداً من ولد آدم قبل موسى ؟ فقال عليّ : قد كلم الله جميع خلقه برّهم و فاجرهم و ردّوا عليه الجواب . فتقل ذلك على ابن الكوّاء و لم يعرفه ، فقال له : كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : أو ما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبيّه : «و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألت بر بكم قالوا بلى» ؟ فقد أسمعكم كلامه ، و ردّوا عليه الجواب . كما تسمع في قول الله - يا ابن الكوّاء - «قالوا بلى» فقال لهم : إنني أنا الله لا إله إلا أنا ، و أنا الرحمن ، فأقرّوا له بالطاعة و الرّبوبيّة ، و ميّز الرسل و الأنبياء و الأوصياء ، و أمر الخلق بطاعتهم ، فأقرّوا بذلك في الميثاق ، فقالت الملائكة عند إقرارهم بذلك : شهدنا عليكم يا بني آدم أن تقولوا يوم القيامة إنّنا كنّا عن هذا غافلين .

٦٣ - قال أبو بصير : قلت لأبي عبدالله ﷺ أخبرني عن الذرّ و حيث أشهدهم على أنفسهم ألت بر بكم ؟ قالوا : بلى ، و أسرّ بعضهم خلاف ما ظهر ، قلت : كيف علموا (١) كشداد ، هو عبدالله بن عمرو اليشكري ، خارجي ملعون .

القول حيث قيل لهم : ألسنت بربركم ؟ قال : إن الله جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه .

٦٤ - شى : عن زرارة وجران ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا : إن الله خلق الخلق وهي أظلة ، فأرسل رسوله محمداً عليه السلام فمنهم من آمن به ومنهم من كذب به ، ثم بعثه في الخلق الآخر فآمن به من كان آمن به في الأظلة وجحد من جحد به يومئذ ، فقال : ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل .

٦٥ - شى : عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : « ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم » إلى « بما كذبوا به من قبل » قال : بعث الله الرسل إلى الخلق وهم في أصلاب الرجال ، وأرحام النساء ، فمن صدق حينئذ صدق بعد ذلك ، ومن كذب حينئذ كذب بعد ذلك .

٦٦ - شى : عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى هبط إلى الأرض في ظلل من الملائكة على آدم وهو بواد يقال له : الروحاء وهو واديين الطائف ومكة ، قال : فمسح على ظهر آدم ثم صرخ بذريته وهم ذر ، قال : فخرجوا كما يخرج النحل من كورها . فاجتمعوا على شفير الوادي ^(١) فقال الله آدم : انظر ما ذاترى فقال آدم : أرى ذراً كثيراً على شفير الوادي ، فقال الله : يا آدم هؤلاء ذريتك ، أخرجتهم من ظهرك لآخذ عليهم الميثاق لي بالربوبية ، ولمحمد بالنبوة ، كما آخذهم عليهم في السماء ؛ قال آدم : يارب وكيف وسعتهم ظهري ؟ قال الله : يا آدم بلطف صنيعي و نافذ قدرتي ؛ قال آدم : يارب فما تريد منهم في الميثاق ؟ قال الله : أن لا يشرکوا بي شيئاً ، قال آدم : فمن أطاعك منهم يا رب فما جزاؤه ؟ قال : أسكنه جنتي ؛ قال آدم : فمن عصاك فما جزاؤه ؟ قال : أسكنه ناري ، قال آدم : يارب لقد عدلت فيهم ، وليعصينك أكثرهم إن لم تعصمهم .

بيان : هبط إلى الأرض أي هبط ونزل أمره ووحيه مع طوائف كثيرة من الملائكة شبههم بالظلل في وفورهم وكثرتهم وتراكمهم ، والظلل جمع الظلة وهي ما أظلك من

(١) الشفير : ناحية كل شى ، ومن الوادي : ناحية من أعلاه .

سحاب ونحوه ، وهذا مثل قوله تعالى : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة » ^(١) والمسح : كناية عن شمول اللطف والرحمة .

٦٧ - كشف : من كتاب دلائل الحميري ، عن أبي هاشم الجعفري قال : كنت عند أبي محمد عليه السلام فسأله محمد بن صالح الأرميني عن قول الله : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريبتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » قال أبو محمد عليه السلام ثبتت المعرفة ونسوا ذلك الموقف وسيدكرونه ، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه ؛ قال أبو هاشم : فجعلت أتعجب في نفسي من عظيم ما أعطى الله وليه وجزيل ما حمّله ، فأقبل أبو محمد عليّ فقال : الأمر أعجب مما عجبت منه يا أبا هاشم وأعظم ! ما ظنك بقوم من عرفهم عرف الله ، ومن أنكرهم أنكر الله ؟ فلا مؤمن إلا وهو بهم مصدق وبمعرفتهم موقن . « ص ٣٠٦ »

بيان اعلم ان أخبار هذا الباب من متشابهات الأخبار ، ومعضلات الآثار ، ولأصحابنا رضي الله عنهم فيها مسالك .

منها ما ذهب إليه الأخباريون ، وهو أننا نؤمن بها مجملاً ، ونعترف بالجهل عن حقيقة معناها ، وعن أنها من أي جهة صدرت ، ونرد علمه إلى الأمة عليها السلام . ومنها أنها محمولة على التقيّة لموافقتها الروايات العامة ولما ذهبت إليه الأشاعرة وهم جلهم ، ولمخالفتها ظاهراً لما مر من أخبار الاختيار والاستطاعة .

ومنها أنها كناية عن علمه تعالى بما هم إليه صائرون ، فإنه تعالى لما خلقهم مع علمه بأحوالهم فكأنه خلقهم من طينات مختلفة ،

ومنها أنها كناية عن اختلاف استعداداتهم وقابليّاتهم ، وهذا أمر بين لا يمكن إنكاره ، فإنه لا شبهة في أن النبي عليه السلام وأباجهل ليسا في درجة واحدة من الاستعداد والقابليّة ، وهذا لا يستلزم سقوط التكليف ، فإن الله تعالى كلف النبي عليه السلام حسب ما أعطاه من الاستعداد لتحصيل الكمالات ، وكلف أباجهل حسب ما أعطاه من ذلك ولم يكلفه ما ليس في وسعه ، ولم يجبره على شيء من الشر والفساد .

ومنها أنه لما كلف الله تعالى الأرواح أولاً في الذرّ وأخذ ميثاقهم فاختاروا الخير والشرّ باختيارهم في ذلك الوقت ، و تفرّع اختلاف الطينة على ما اختاروه باختيارهم كما دلّ عليه بعض الأخبار السابقة فلا فساد في ذلك .

ولا يخفى ما فيه وفي كثير من الوجوه السابقة ، وترك الخوض في أمثال تلك المسائل الغامضة التي تعجز عقولنا عن الإحاطة بكنهها أولى ، لاسيّما في تلك المسألة التي نهى أئمتنا عن الخوض فيها ، ولنذكر بعض ما ذكره في ذلك علماؤنا رضوان الله عليهم ومخالفوهم .

فمنها ما ذكره الشيخ المفيد قدّس الله روحه في جواب المسائل السريّة حيث سئل : ما قوله - آدم الله تأييده - في معنى الأخبار المرويّة عن الأئمة الهادبة عليهم السلام في الأشباح و خلق الله تعالى الأرواح قبل خلق آدم عليه السلام بألفي عام ، وإخراج الذرّية من صلبه على صور الذرّ ، ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله : الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ؟ .

الجواب :- وبالله التوفيق - أنّ الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها ، وتتباين معانيها ، وقد بذت الغلاة عليها أباطيل كثيرة ، وصنّفوا فيها كتباً لغوا فيها ، وهزّوا فيما أثبتوه منه في معانيها ، وأضافوا ما حوته الكتب إلى جماعة من شيوخ أهل الحقّ و تخرّصوا الباطل بإضافتها إليهم ، من جعلتها كتاب سمّوه كتاب (الأشباح و الأظلمة) نسبوه في تأليفه إلى محمد بن سنان ، ولسنا نعلم صحّة ما ذكروه في هذا الباب عنه وإن كان صحيحاً فإنّ ابن سنان قد طعن عليه وهو متهم بالغلوّ ، فإن صدقوا في إضافة هذا الكتاب إليه فهو ضلال لصالّ عن الحقّ ، وإن كذبوا فقد تحمّلوا أوزار ذلك ، والصحيح من حديث الأشباح الرواية التي جاءت عن الثقة بأنّ آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلعب نورها ، فسأل الله تعالى عنها ، فأوحى إليه أنّها أشباح رسول الله صلى الله عليه وآله وآله ، وأمير المؤمنين ، والحسن ، والحسين ، وفاطمة صلوات الله عليهم ؛ وأعلمه أنّه لولا الأشباح التي رآها ما خلقه ولا خلق سماءاً ولا أرضاً . والوجه فيما

أظهره الله تعالى من الأشباح والصور لآدم أن دله على تعظيمهم وتبجيلهم، ^(١) وجعل ذلك إجلالاً لهم، ومقدمة لما يفترضه من طاعتهم، ودليلاً على أن مصالح الدين والدنيا لا تتم إلا بهم ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيبة، ولا أرواحاً ناطقة لكنها كانت على مثل صورهم في البشرية، يدل على ما يكونوا عليه في المستقبل في الهيئة، والنور الذي جعله عليهم يدل على نور الدين بهم وضيء الحق بحججهم؛ وقد روي أن أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش، وأن آدم عليه السلام لما تاب إلى الله عز وجل وناجاه بقبول توبته سأله بحقهم عليه ومحلمهم عنده فأجاب، وهذا غير منكر في العقول، ولا مضاف للشرع المنقول، وقد رواه الصالحون الثقة المأمونون، وسلم لروايته طائفة الحق، ولا طريق إلى إنكاره، والله ولي التوفيق.

فصل : و مثل ما بشر الله به آدم عليه السلام من تأهيله نبيه عليه السلام لما أهله له، و تأهيل أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام لما أهلهما له، وفرض عليه تعظيمهم وإجلالهم كما بشر به في الكتب الأولى من بعثته لنبيين عليهما السلام فقال في محكم كتابه : « النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » ^(٢) وقوله تعالى - مخبراً عن المسيح عليه السلام : « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » ^(٣) وقوله سبحانه : « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » ^(٤) يعني رسول الله عليه السلام، فحصلت البشائر به من الأنبياء وأمرهم قبل إخراجهم إلى العالم بالوجود، وإنما أراد جل اسمه بذلك إجلاله وإعظامه، وأن يأخذ العهد على الأنبياء والأمم كلها، فلذلك أظهر لآدم عليه السلام صورة شخصه، وأشخاص أهل بيته عليهم السلام، وأثبت أسماءهم له ليخبره بعاقبتهم، وبيّن له عن محلمهم عنده ومنزلتهم لديه، ولم يكونوا

(١) بجله : عظمه وكرمه .

(٢) الاعراف : ١٥٧ .

(٣) الصف : ٦ .

(٤) آل عمران : ٨١ .

في تلك الحال أحياءاً ناطقين ، ولا ارواحاً مكلفين ، وإنما كانت أشباحهم دائمة عليهم حسب ما ذكرناه .

فصل : وقد بشر الله عز وجل بالنبي والأئمة عليهم السلام في الكتب الأولى ، فقال في بعض كتبه التي أنزلها على أنبيائه عليهم السلام ، وأهل الكتب يقرؤونه ، واليهود يعرفونه : إنه ناجى إبراهيم الخليل عليه السلام في مناجاته : إني قد عظممتك وباركت عليك وعلى إسماعيل ، وجعلت منه اثني عشر عظيماً ، وكبرتهم جداً جداً ، وجعلت منهم شعباً عظيماً لأمة عظيمة ؛ وأشبه ذلك كثير في كتب الله تعالى الأولى .

فصل : فأما الحديث في إخراج الذرية من صلب آدم عليه السلام على صورة الذر فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف ألفاظه ومعانيه ؛ والصحيح أنه أخرج الذرية من ظهره كالذر فملاً بهم الأفق ، وجعل على بعضهم نوراً لا يشوبه ظلمة ، وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور ، وعلى بعضهم نوراً وظلمة ؛ فلما رآهم آدم عليه السلام عجب من كثرتهم وما عليهم من النور والظلمة ، فقال : يارب ما هؤلاء ؟ قال الله عز وجل له : هؤلاء ذريتك - يريد تعريفه كثرتهم ، وامتلأ الآفاق بهم ، وأن نسله يكون في الكثرة كالذر الذي رآه ليعرفه قدرته ، ويبشّره بإفضال نسله وكثرتهم - فقال عليه السلام : يا رب مالي أرى على بعضهم نوراً لا ظلمة فيه ؛ وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور ؛ وعلى بعضهم ظلمة و نوراً ؛ فقال تبارك وتعالى : أما الذين عليهم النور منهم بلا ظلمة فهم أصفيائي من ولدك الذي يطيعوني ولا يعصوني في شيء من أمري فأولئك سكان الجنة ، وأما الذين عليهم ظلمة ولا يشوبها نور فهم الكفار من ولدك الذين يعصوني ولا يطيعوني ، فأما الذين عليهم نور و ظلمة فأولئك الذين يطيعوني من ولدك و يعصوني فيخلطون أعمالهم السيئة بأعمال حسنة ، فهؤلاء أمرهم إلي ، إن شئت عذبتهم فبعدي وإن شئت عفوت عنهم فبفضلي . فأنبأ الله تعالى بما يكون من ولده ، وشبههم بالذر الذي أخرجهم من ظهره ، وجعله علامة على كثرة ولده . ويحتمل أن يكون ما أخرجه من ظهره وجعل أجسام ذريته دون أرواحهم ، وإنما فعل الله تعالى ذلك ليدل آدم عليه السلام على العاقبة منه ، ويظهر له من قدرته وسلطانه وعجائب صنعته ، وأعلمه

بالكائن قبل كونه ، و ليزداد آدم عليه السلام يقيناً بربه ، و يدعو ذلك إلى التوفّر على طاعته ، و التمسك بأوامره ، و الاجتناب لزواجه . فأمّا الأخبار التي جاءت بأن ذرّية آدم عليه السلام استنطقوا في الذرّ فنطقوا فأخذ عليهم العهد فاقروا فهي من أخبار التناسخية ، و قد خلطوا فيها و مزجوا الحقّ بالباطل ، و المعتمد من إخراج الذرّية ما ذكرناه دون ما عدها ممّا استمرّ القول به على الأدلّة العقلية و الحجج السمعية ، وإنّما هو تخليط لا يثبت به أثر على ما وصفناه .

فصل : فإن تعلّق متعلّق بقوله تبارك اسمه : « و إذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة انّا كنّا عن هذا غافلين » ^(١) فظنّ ظاهر هذا القول تحقّق ما رواه أهل التناسخ و الحشوية و العامة في إنطاق الذرّية و خطابهم و أنّهم كانوا أحياءاً ناطقين . فالجواب عنه أنّ لهذه الآية من المجاز في اللغة كنظائرها ممّا هو مجاز و استعارة و المعنى فيها أنّ الله تبارك و تعالى أخذ من كلّ مكلف يخرج من ظهر آدم و ظهور ذرّيته العهد عليه بر بوبئته ، من حيث أكمل عقله ، و دلّه بأنّار الصنعة على حدّته ، و أنّ له محدثاً أحدثه لا يشبهه يستحقّ العبادة منه بنعمه عليه ، فذلك هو أخذ العهد منهم ، و أنّار الصنعة فيهم ، و الإشهاد لهم على أنفسهم بأنّ الله تعالى ربهم . و قوله تعالى : « قالوا بلى » يريد به أنّهم لم يمتنعوا من لزوم أنّار الصنعة فيهم ، و دلائل حدّتهم اللازمة لهم ، و حجة العقل عليهم في إثبات صانعهم ، فكانت سبجانه ممّا ألزمهم الحجة بقولهم على حدّتهم و وجود محدّثهم قال لهم : « ألست بربكم » ؛ فلمّا لم يقدروا على الامتناع من لزوم دلائل الحدث لهم كانوا كفّافين : « بلى شهدنا » و قوله تعالى : « أن يقولوا يوم القيمة انّا كنّا عن هذا غافلين أو يقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل و كنّا ذرّية من بعدهم أفهللنا بما فعل المبطلون » ألا ترى أنّه احتجّ عليهم بما لا يقدرون يوم القيامة أن يتأوّلوا في إنكاره و لا يستطيعون ، و قد قال سبحانه : « و الشمس

العذاب» ^(١) ولم يرد أن المذكور يسجد كسجود البشر في الصلاة ، وإنما أراد به غير ممتنع من فعل الله فهو كالمطيع لله وهو معبر عنه بالساجد ، قال الشاعر :

بجمع تظل البلق في حجراته * ترى الأكم فيها سجداً للحوافر ^(٢)
يريد أن الحوافر تذلل الأكم بوطينها عليها

وقوله تعالى : «ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» ^(٣) وهو سبحانه لم يخاطب السماء بكلام ؛ ولا السماء قالت قولاً مسموعاً ، وإنما أراد أنه عمداً إلى السماء فخلقها ولم يتعدّر عليه صنعها ، فكأنه لما خلقها قال لها وللأرض : ائتيا طوعاً أو كرهاً ، فلمّا تملّقت بقدرته كانتا كالقائل : أتينا طائعين وكمثل قوله تعالى : «يوم نقول لجهنّم هل امتلأت و تقول هل من مزيد» ^(٤) والله تعالى يجلّ عن خطاب النار وهي ممّا لا يعقل ولا يتكلّم ، وإنما الخبر عن سعتها وأنّها لا تضيق بمن يحلّها من المعاقين ، وذلك كلّ على مذهب أهل اللغة وعادتهم في المجاز ، ألا ترى إلى قول الشاعر :

وقالت له العينان سمعاً وطاعة * وأسبلتا ^(٥) كالدينّ مالم يشقّب

و العينان لم تقولا قولاً مسموعاً ، ولكنّه أراد منهما البكاء ، فكانت كما أراد من غير تعدّر عليه . ومثله قول عنترة :

فازورّ من وقع القنا بلبانه * وشكى إليّ بعبرة وتحمّم ^(٦)

(١) الحج : ١٨ .

(٢) الأكم جمع الكمة : التل . والحوافر جمع الحافر ، والعافر للدابة بمنزلة القدم للإنسان .

(٣) حم السجدة : ١١ .

(٤) ق : ٣٠ .

(٥) أسبلت العين الدمع : أرسلت .

(٦) الااورار عن الشيء المدول عنه ، والقنا جمع قناة وهي الرمح ، ووقعها وقوعها والضرب بها ، واللبان بالفتح ماجرى عليه اللبن . منه قدس سره .

والفرس لا يشتكي قولاً ، لكنّه ظهر منه علامة الخوف و الجزع ، فسمي ذلك قولاً . ومنه قول الآخر :

وشكى إليّ جملي طول السرى .^(١)

والجمال لا يتكلم ، لكنّه لما ظهر منه النصب والوصب لطول السرى عبّر عن هذه العلامة بالشكوى التي تكون كالنطق و الكلام ، ومنه قولهم أيضاً :

امتلاً الحوض وقال قطني^(٢) * حسبك منّي قد ملأت بطني .

والحوض لم يقل قطني ، لكنّه لما امتلأ بالماء عبّر عنه بأنّه قال : حسبني . ولذلك أمثال كثيرة في منشور كلام العرب ومنظومه ، وهو من الشواهد على ما ذكرناه في تأويل الآية و الله تعالى نسأل التوفيق .

فصل : فأما الخبر بأنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فهو من أخبار الآحاد ، وقد روته العامة كما روته الخاصة ، وليس هو مع ذلك ممّا يقطع على الله بصحته ، وإنّما نقله رواه لحسن الظنّ به ، وإن ثبت القول فالمعنى فيه أنّ الله تعالى قدّر الأرواح في علمه قبل اختراع الأجساد ، واختراع الأجساد واخترع لها الأرواح فالخلق للأرواح قبل الأجساد خلق تقدير في العلم كما قدّمناه ، وليس بخلق لذواتها كما وصفناه ، و الخلق لها بالإحداث و الاختراع بعد خلق الأشياء ، و الصور التي تدبّرها الأرواح ، ولولا أنّ ذلك كذلك لكانت الأرواح تقوم بأنفسها ، ولا تحتاج إلى آلات يعتملها ، ولكنّا نعرف ما سلف لنا من الأحوال قبل خلق الأجساد ، كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد ، وهذا محال لاخفاء بفساده .

وأما الحديث بأنّ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ، فالمعنى فيه أنّ الأرواح التي هي الجواهر البسائط تتناثر بالجنس و تتخاذل بالعوارض ، فما تعارف منها باتّفاق الرأي و الهوى ائتلف ، وما تناكر منها

(١) بضم السين : سير الليل .

(٢) أي حسبني .

بمباينة في الرأي والهوى اختلف ، وهذا موجود حساً ومشاهد ، وليس المراد بذلك أن ما تعارف منها في الذرات اختلف - كما يذهب إليه الحشوية - كما بيناه من أنه لا علم للإنسان بحال كان عليها قبل ظهوره في هذا العالم ، ولو ذكر بكل شيء ما ذكر ذلك ، فوضح بما ذكرناه أن المراد بالخبر ما شرحناه ، والله الموفق للصواب انتهى .

أقول : طرح ظواهر الآيات والأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة والوجوه السخيفة جراءة على الله وعلى أئمة الدين ، ولو تأملت فيما يدعوههم إلى ذلك من دلائلهم وما يرد عليها من الاعتراضات الواردة لعرفت أن بأمثالها لا يمكن الاجترار على طرح خبر واحد ، فكيف يمكن طرح تلك الأخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة بها بأمثالها ، وسيأتي الأخبار الدالة على تقدم خلق الأرواح على الأجساد في كتاب السماء والعالم ، وستكلم عليها .

ومنها ما ذكره السيد المرتضى رضي الله عنه في قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من الآيات حيث قال : وقد ظن بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده أن تأويل هذه الآية : أن الله سبحانه استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته - وهم في خلق الذر - ففرهم بمعرفته ، وأشهدهم على أنفسهم ، وهذا التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأن الله تعالى قال : « وإذ أخذ ربك من بني آدم ما يشهدهم » وقال : « من ظهورهم » ولم يقل : « من ذريتهم » ولم يقل : « ذريته » ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا يوم القيامة أنهم كانوا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم وأنهم نشؤوا على دينهم وسنتهم ، وهذا يقتضي أن الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلام لصاحبه ، وإنما إنما تناولت من كان له آباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية بني آدم ، فهذه شهادة الظاهر بطلان تأويلهم ؛ فأما شهادة العقول فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام وخطبت وقررت من أن تكون كاملة العقول ، مستوفية بشروط التكليف ، ألا تكون كذلك ، فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه ، لأن العاقل

لا ينسى ما جرى هذا المجرى وإن بعد العهد و طال الزمان ، ولهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم و سائر أحواله . وليس أيضاً لتخلل الموت بين الحالين تأثير لأنه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم ؛ لأن سائر ما عدناه مما ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب ، وليس لهم أن يقولوا : إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرنا ، و ذلك أننا إنما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادّعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملوا العقل ، ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه ، على أن تجوز النسيان عليهم ينقض الغرض في الآية ، و ذلك أن الله تعالى أخبر بأنه إنما قرّره وأشهدهم لثلاث يدّعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك ، وسقوط الحجّة عنهم فيه ، فإذا جاز نسيانهم له عاداً لم يرد إلى سقوط الحجّة عنهم وزواله .

و إن كانوا على الصفة الثانية من فقد العلم و شرائط التكليف قبح خطايبهم و تقريرهم وإشهادهم ، وصار ذلك عبثاً قبيحاً يتعالى الله عنه .

فإن قيل : قد أبطلتم تأويل مخالفيكم فما تأويلها الصحيح عندهم ؟

قلنا : في الآية وجهان : أحدهما أن يكون تعالى إنما عني بها جماعة من ذرية بني آدم خلقيهم و بلغهم و أكمل عقولهم و قرّره على السن رسله ﷺ بمعرفته و ما يجب من طاعته ، فأقرّوا بذلك وأشهدهم على أنفسهم به ، لثلاث يقولوا يوم القيامة : كنّا عن هذا غافلين ، أوبعتدروا بشرك آبائهم ، وإنما أتي من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظن أن اسم الذرية لا يقع إلا على من لم يكن كاملاً عاقلاً ، وليس الأمر كما ظن لأننا نسمي جميع البشر بأنهم ذرية آدم ، وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون ، وقد قال الله تعالى : « ربنا و أدخلهم جنّات عدن التي وعدتهم و من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذريّاتهم » . و لفظ الصالح لا يطلق إلا على من كان كاملاً عاقلاً ، فإن استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلفين فهذا جوابهم .

الجواب الثاني : أنه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيباً يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته وأراهم العبر والآيات والدلائل في غيرهم وفي أنفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم ، وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي أراده الله تعالى ، وتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقر الماعترف ، وإن لم يكن هناك إشهاد ولا اعتراف على الحقيقة ، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى : « ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » وإن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب . ومثله قوله تعالى : « شاهدین على أنفسهم بالكفر » ونحن نعلم أن الكفار لم يعترفوا بالكفر بأنفسهم ، وإنما ذلك لما ظهر منهم ظهوراً لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة الماعترفين به ، ومثل هذا قولهم : جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة بإحسانك .

وما روي عن بعض الحكماء من قوله : سل الأرض من شق أنهارك ؟ وغرس أشجارك ؟ و جنى ثمارك ؟ فإن لم تجبك جواراً^(١) أجابتك اعتباراً . وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر ، يعني عن ذكر جميعها القدر الذي ذكرناه منها . ومنها ما ذكره الرازي في تفسير تلك الآية حيث قال : في تفسير تلك الآية قولان مشهوران :

الأول وهو مذهب المفسرين وأهل الأثر ما روى مسلم بن يسار الجهني أن عمر سئل عن هذه الآية فقال : سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها ، فقال : إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ، فقال رجل : يا رسول الله فقيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل النار . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما خلق الله آدم

(١) جار إلى الله : رفع صوته إلى الله .

مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة ^(١) من ذريته إلى يوم القيامة .

وقال مقاتل : إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر تتحرك ، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرية سود كهيئة الذر ؛ فقال : يا آدم هؤلاء ذريتك ، ثم قال لهم : «أست بربكم قالوا بلى » فقال للبيض : هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين ، وقال للسود : هؤلاء في النار ولا أبالي ، وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة ؛ ثم أعادهم جميعاً في صلب آدم ، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء . وقال تعالى فيمن نقض العهد الأول : « وما وجدنا لأكثرهم من عهد » ^(٢) . وهذا القول قد ذهب إليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وعكرمة ، والكلبي .

وأما المعتزلة فقد أطبقوا على أنه لا يجوز تفسير هذه الآية بهذه الوجه واحتجوا على فساد هذا القول بوجوه :

الأول : أنه قال : « من بني آدم من ظهورهم » فقوله : « من ظهورهم » بدل من قوله : « بني آدم » فلم يذكر الله أنه أخذ من ظهر آدم شيئاً .

الثاني : أنه لو كان كذلك لما قال : « من ظهورهم » ولا « من ذريتهم » بل قال : من ظهره وذريته .

الثالث : أنه تعالى حكى عن أولئك الذرية أنهم قالوا : إنما أشرك آبائنا من قبل وهذا الكلام لا يليق بأولاد آدم لأنه عليه السلام ما كان مشركاً .

الرابع : أن أخذ الميثاق لا يمكن إلا من العاقل ، فلو أخذ الله الميثاق من أولئك لكانوا عقلاء ، ولو كانوا عقلاء وأعطوا ذلك الميثاق حال عقلمهم لوجب أن يتذكروا في هذا الوقت أنهم أعطوا الميثاق قبل دخولهم في هذا العالم لأن الإنسان إذا وقعت له واقعة عظيمة مهمة فإنه لا يجوز مع كونه عاقلاً أن ينساها نسياناً كلياً لا يتذكر منها

(١) النسمة : الإنسان ، أو كل دابة فيهاروح ، والمراد منها الاول .

(٢) الاعراف : ١٠٢ .

شيئاً لا بالقليل ولا بالكثير، وبهذا الدليل يبطل القول بالتناسخ، فإننا نقول: لو كانت أرواحنا قد حصلت قبل هذه الأجساد في أجساد أخرى لوجب أن نتذكر الآن أننا كنّا قبل هذا الجسد في أجساد أخرى، وحيث لم نتذكر ذلك كان القول بالتناسخ باطلاً فإذا كان اعتقادنا في إبطال التناسخ ليس إلا على هذا الدليل، وهذا الدليل بعينه قائم في هذه المسألة وجب القول بمقتضاه.

الخامس: أن جميع الخلق الذين خلقهم الله من أولاد آدم عليه السلام عدد عظيم وكثرة كثيرة فالمجموع الحاصل من تلك الذرات تبلغ مبلغاً في الحجمية والمقدار وصلب آدم عليه السلام على صغره يبعد أن يتسع لهذا المجموع.

السادس: أن البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم، إذ لو لم يكن كذلك لم يبعد في كل ذرة من ذرات الهباء أن تكون عاقلاً فاهماً مصنفاً للتصانيف الكثيرة في العلوم الدقيقة، وفتح هذا الباب يقضي إلى التزام الجهالات، وإذا ثبت أن البنية شرط لحصول الحياة فكل واحد من تلك الذرات لا يمكن أن يكون فاهماً عاقلاً إلا إذا حصلت له قدرة من البنية والجثة، وإذا كان كذلك فمجموع تلك الأشخاص الذين خرجوا إلى الوجود من أول تخلق آدم إلى آخر فناء الدنيا لا تحويهم عرصة الدنيا، فكيف يمكن أن يقال: إنهم بأسرهم حصلوا دفعة واحدة في صلب آدم عليه السلام؟

السابع: قالوا: هذا الميثاق إما أن يكون قد أخذ الله منهم في ذلك الوقت ليصير حجة عليهم في ذلك الوقت، أو ليصير حجة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا، والأول باطل لانعقاد الإجماع على أن بسبب ذلك القدر من الميثاق لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب، والمدح والذم، ولا يجوز أن يكون المطلوب منه أن يصير ذلك حجة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا لأنهم لما لم يذكروا ذلك الميثاق في الدنيا فكيف يصير حجة عليهم في التمسك بالإيمان؟

الثامن: قال الكعبي: إن حال أولئك الذرية لا يكون أعلى في الفهم والعلم من حال الأطفال، فلمّا لم يمكن توجيه التكليف على الطفل فكيف يمكن توجيهه على أولئك الذرّة؟

وأجاب الزجاج عنه وقال : لمّا لم يبعد أن يؤتي الله النمل العقل كما قال : « قالت نملة يا أيّها النمل »^(١) وأن يعطي الجبل الفهم حتى يسبح كما قال : « وسخرنا مع داود الجبال يسبحن »^(٢) وكما أعطى الله العقل للبعر حتى سجد للرسول ﷺ ، وللنحلة حتى سمعت وانقادت حين دعيت فكذا ههنا .

التاسع : أن أولئك الذرّ في ذلك الوقت إمّا أن يكونوا كاملّي العقول والقدر أو ما كانوا كذلك فإن كان الأول كانوا مكلفين لا عالة ، وإنّما يبقون مكلفين إذا عرفوا الله بالاستدلال ، ولو كانوا كذلك لما امتازت أحوالهم في ذلك الوقت عن أحوالهم في هذه الحياة الدنيا ، فلو افتقر التكليف في الدنيا إلى سبق ذلك الميثاق لافتقر التكليف في وقت ذلك الميثاق إلى سبق ميثاق آخر ، ولزم التسلسل وهو محال .

وأما الثاني وهو أن يقال : إنهم في وقت ذلك الميثاق ما كانوا كاملّي العقول ولا كاملّي القدر ، فيحنّذ يمتنع توجيه الخطاب والتكليف عليهم .

العاشر : قوله تعالى : « فلينظر الإنسان ممّ خلق خلق من ماء دافق »^(٣) ولو كانت تلك الذرّات عقلاء فاهمين كاملين لكانوا موجودين قبل هذا الماء الدافق ، ولا معنى للإنسان إلّا ذلك الشيء ، فيحنّذ لا يكون الإنسان مخلوقاً من الماء الدافق ، وذلك ردّ لنص القرآن .

فإن قالوا : لم لا يجوز أن يقال : إنّه تعالى خلقه كامل العقل والفهم والقدرة عند الميثاق ، ثمّ أزال عقله وفهمه وقدرته ، ثمّ إنّه خلقه مرّة أخرى في رحم الأم ، وأخرجه إلى هذه الحياة ؟

قلنا : هذا باطل ، لأنّه لو كان الأمر كذلك لما كان خلقه من النطفة خلقاً على سبيل الابتداء ، بل كان يجب أن يكون خلقاً على سبيل الإعادة ، وأجمع المسلمون على أن خلقه من النطفة هو الخلق المبتدأ ، فدلّ هذا على أن ما ذكرتموه باطل .

الحادي عشر هي أن تلك الذرّات إمّا أن يقال : إنّه عين هؤلاء الناس أو غيرهم ،

(٣) الطارق : ٦

(٢) الانبياء : ٧٩ .

(١) النمل : ١٨ .

والقول الثاني باطل بالإجماع ، وفي القول الأول فنقول : إمّا أن يقال : إنهم بقوا فهماء ، عقلاء ، قادرين حال ما كانوا نطفة وعلقة ومضغة ، أو ما بقوا كذلك ، والأول باطل ببديهية العقل . والثاني يقتضي أن يقال : الإنسان حصل له الحياة أربع مرّات : أولها وقت الميثاق ، وثانيها في الدنيا ، وثالثها في القبر ، ورابعها في القيامة ، وأنه حصل له الموت ثلاث مرّات : موت بعد الحياة الحاصلة في الميثاق الأول ، وموت في الدنيا ، وموت في القبر ، وهذا العدد مخالف للعدد المذكور في قوله تعالى : « ربّنا أمّتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » .^(١)

الثاني عشر قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين »^(٢) فلو كان القول بهذا الذرّ صحيحاً لكان ذلك الذرّ هو الإنسان ، لأنّه هو المكلف المخاطب ، المثاب المعاقب ، وذلك باطل لأنّ الذرّ غير مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة ، ونص الكتاب دليل على أنّ الإنسان مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة ، وهو قوله : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » وقوله : « قتل الإنسان ما أكفره من أيّ شيء خلقه من نطفة خلقه فقدّره »^(٣) فهذه جملة الوجوه المذكورة في بيان أنّ هذا القول ضعيف .

و القول الثاني في تفسير هذه الآية قول أصحاب النظر وأرباب المعقولات أنّه أخرج الذرّ وهم الأولاد من أصلاب آبائهم ، وذلك الإخراج أنّهم كانوا نطفة فأخرجها الله تعالى في أرحام الأمّهات ، وجعلها علقه ، ثمّ مضغة ، ثمّ جعلهم بشراً سوياً ، وخلقاً كاملاً ، ثمّ أشهدهم على أنفسهم بماركب فيهم من دلائل وحدانيّته ، وعجائب خلقه و غرائب صنعه ، فبالإشهاد صاروا كأنّهم قالوا : بلى وإن لم يكن هناك قول باللسان لذلك نظائر .

منها قوله تعالى : « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتيننا طائعين » .

ومنها قوله تعالى : « إنّما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون »

وقول العرب : قال الجدار للوتد : لم تشقني ؟ قال : سل من يدقني ، فإنّ الذي

ورائي ما خلاني ورأيي . وقال الشاعر :

امتلاً الحوض وقال قطني .

(٢) المؤمنون : ١٢ .

(١) المؤمن : ١١ .

(٥) النحل : ٤٢ .

(٤) فصلت : ١١ .

(٣) عبس : ١٩ .

فهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهورة في الكلام فوجب حمل الكلام عليه ،
فهذا هو الكلام في تقرير هذين القولين ، وهذا القول الثاني لاطعن فيه البتة ، وبتقدير
أن يصح هذا القول لم يكن ذلك منافياً لصحة القول الأول ، إنما الكلام في أن القول
الأول هل يصح أم لا ؟ .

فإن قال قائل : فما المختار عندكم فيه ؟ قلنا : ههنا مقامان : أحدهما أنه هل
يصح القول بأخذ الميثاق عن الذر ؟ والثاني أن بتقدير أن يصح القول به فهل يمكن
جعله تفسيراً لألفاظ هذه الآية ؟
أمّا المقام الأول فالمنكرون له قد تمسكوا بالدلائل العقلية التي ذكرناها و
قررناها .

ويمكن الجواب عن كل واحد منها بوجه مقنع .

أمّا الوجه الأول من الوجوه العقلية المذكورة وهو أنه لو صح القول بأخذ
هذا الميثاق لوجب أن نتذكره الآن .

قلنا : خالق العلم بحصول الأحوال الماضية هو الله تعالى لأن هذه العلوم عقلية
ضرورية ، والعلوم الضرورية خالقها هو الله تعالى ، وإذا كان كذلك صح منه تعالى أن
يخلقها .

فإن قالوا : فإذا جوّزتم هذا فجوّزوا أن يقال : إن قبل هذا البدن كنّا في
أبدان أخرى على سبيل التناسخ ، وإن كنّا لا نتذكر الآن أحوال تلك الأبدان .
قلنا : الفرق بين الأمرين ظاهر ، وذلك لأنّا إذا كنّا في أبدان أخرى وبقينا
فيها سنين ودهوراً امتنع في مجرى العادة نسيانها أمّا أخذ هذا الميثاق إنما حصل في
أسرع زمان وأقلّ وقت فلم يبعد حصول النسيان ، والفرق الظاهر حاكم بصحة هذا
الفرق لأن الإنسان إذا بقي على العمل الواحد سنين كثيرة يمتنع أن ينساها ، أمّا إذا مارس
العمل الواحد لحظة واحدة فقد ينساها فظهر الفرق .

وأمّا الوجه الثاني وهو أن يقال : مجموع تلك الذرات يمتنع حصولها بأسرها في

ظهر آدم ﷺ ! قلنا : عندنا البنية ليست شرطاً لحصول الحياة والجوهر الفرد والجزء الذي لا يتجزئ قابل للحياة والعقل ، فإذا جعلنا كل واحد من تلك الذرات جوهرًا فرداً فلم قلتم : إن ظهر آدم لا يتسع لمجموعها ؛ إلا أن هذا الجواب لا يتم إلا إذا قلنا : الإنسان جوهر فرد وجزء لا يتجزئ في البدن على ما هو مذهب بعض القدماء ، وأما إذا قلنا : الإنسان هو النفس الناطقة وأنه جوهر غير متحيز ولا حال في متحيز فالسؤال زائل .

وأما الوجه الثالث وهو قوله : فائدة أخذ الميثاق هي أن تكون حجة في ذلك الوقت ، أو في الحياة الدنيا ، فجوابنا أن نقول : يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ، وأيضاً ليس أن من المعتزلة إذا أرادوا تصحيح القول بوزن الأعمال وإنطاق الجوارح قالوا : لا يبعد أن يكون لبعض المكلفين في إسماع هذه الأشياء لطف فكذا ههنا لا يبعد أن يكون لبعض الملائكة من تميز السعداء من الأشقياء في وقت أخذ الميثاق لطف . وقيل أيضاً : إن الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيامة ؛ وبقية الوجوه ضعيفة والكلام عليها سهل هين .

وأما المقام الثاني وهو أن بتقدير أن يصح القول بأخذ الميثاق من الذر فهل يمكن جعله تفسيراً لآفاظ هذه الآية فنقول : الوجوه الثلاثة المذكورة أولاً دافعة لذلك ، لأن قوله : « أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم » فقد بينا أن المراد منه : وإذا أخذ ربك من ظهور بني آدم ؛ وأيضاً لو كانت هذه الذرية مأخوذة من ظهر آدم لقال : من ظهره ذريته ولم يقل : « من ظهورهم ذريتهم » أجاب الناصرون لذلك القول بأنه صحت الرواية عن رسول الله ﷺ أنه فسّر هذه الآية بهذا الوجه ، والطعن في تفسير رسول الله ﷺ غير ممكن ، فنقول : ظاهر الآية تدل على أنه تعالى أخرج ذراً من ظهور بني آدم فيحمل ذلك على أنه تعالى يعلم أن الشخص الغلاني يتولد منه فلان ، ومن ذلك الغلاني فلان آخر ، فعلى الترتيب الذي علم دخولهم في الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض ، وأما أنه تعالى يخرج كل تلك الذرية من صلب آدم فليس في لفظ الآية ما يدل على نبوته ، و ليس في الآية أيضاً ما يدل على بطلانه ، إلا أن الخبر قد دلّ عليه فثبت

إخراج الذرية من ظهور بني آدم في القرآن ، و ثبت إخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر ، وعلى هذا التقدير فلا منافاة بين الأمرين ولا مدافعة ، فوجب المصير إليهما معاً صوتاً للآية والخبر عن الطعن بقدر الإمكان ، فهذه انتهى الكلام في تقرير هذا المقام انتهى . ولنكتف بقل ما نقلناه من غير تعرض لجرح وتعديل ، فإن من له بصيرة نافذة إذا أحاط بما نقلنا من الأخبار وكلام من تكلم في ذلك يتضح له طريق الوصول إلى ما هو الحق في ذلك بفضلته تعالى . ^(١) ثم أعلم أنه سيأتي بعض الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب علّة استلام الحجر من كتاب الحج ، وباب خلق الأئمة وباب أخذ ميثاقهم عليهم السلام من كتاب الإمامة وأبواب أحوال آدم عليه السلام من كتاب النبوة .

﴿باب ١١﴾

﴿من لا ينجبون من الناس ، ومحاسن الخلقة وعيوبها اللتين﴾

﴿تؤثران في الخلق﴾

١ - ل : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن أبيه ، عن سعيد بن جناح ^(٢) يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : ستة لا ينجبون : السندي ، والزنجي ، والتركي ، والكرد ، والخوزي ، ونبك الري . ج ١ ص ١٥٩

بيان : الخوزي : أهل خوزستان . والنبك : المكان المرتفع ^(٣) ويحتمل أن يكون إضافته إلى الري بيانية ؛ وفي بعض النسخ بتقديم الباء على النون وهو بالضم أصل الشيء ، وخالصة .

(١) ما يشتمل عليه أخبار الباب ليس مسألة واحدة بل كل من مسألة نقل الاعمال ومسألة الطينة ومسألة أخذ الميثاق ومنه ميثاق الذر ومسألة بدء الخلقة مسائل مختلفة مرتبطة بالقضاء الكلي وقد خلطها الباحثون من المتكلمين والمفسرين ؛ ويحتناهنها في رسالة الافعال ورسالة الانسان قبل الدنيا ونرجو أن يوفقنا الله سبحانه لاستيفاء هذه الابحاث في مواضع تناسبها من تفسير الميزان انشاء الله . ط

(٢) يحتمل قويا أن يكون الواسطة (مطرف مولى من) الاتي بعد ذلك ، لان سعيد بن جناح يروى عنه ، وأن يكون الخبر متحداً مع الحديث الاتي بعده .

(٣) والاكمة المحددة الرأس ، أو التل الصغير .

٢ - ل : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن أحمد ، عن سهل ، عن منصور ،^(١)
عن نصر الكوسج ،^(٢) عن مطرف مولى معن ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا يدخل حلاوة
الإيمان قلب سندي ، ولا زنجي ، ولا خوزي ، ولا كردي ، ولا بربري ، ولا نيك الري ، ولا
من حملته أمته من الزنا . « ج ٢ ص ٧ »

٣ - ع : أبي ، عن محمد العطار ، عن الحسين بن زريق ، عن هشام ، عن أبي
عبد الله عليه السلام قال : ياهشام النبط ليس من العرب ولا من العجم ، فلا تتخذ منهم ولياً
ولا نصيراً . فإن لهم أصولاً^(٣) تدعو إلى غير الوفاء .^(٤) « ص ١٨٩ »

٤ - ل : ابن إدريس ، عن أبيه ، عن محمد بن أحمد ، عن محمد بن عليّ الهمداني^(٥)
يرفعه إلى داود بن فرقد ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال : ثلاثة لا ينجبون : أعور
يمين ، وأزرق كالفص ، ومولد السند . « ج ١ ص ٥٤ »

٥ - ل : أبي ، عن سعد ، عن البرقي ، عن عدة من أصحابنا ، عن ابن أسباط ، عن
بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما ابتلى الله به شيعة فلان يبتليهم بأربع : أن
يكونوا لغير رشدة ، أو أن يسألوا بأكفهم^(٦) ، أو يؤتوا في أدبارهم ، أو أن يكون فيهم
أزرق أخضر . « ج ١ ص ١٠٧ »

٦ - ل : أبي ، وابن الوليد ، عن محمد العطار ، وأحمد بن إدريس ، عن الأشعري
بإسناده رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : خمسة خلقوا ناريتين : الطويل الذاهب ، و
القصير القمي ، والأزرق بخضرة ، والزائد ، والناقص . « ج ١ ص ١٣٨ »

بيان : قماً كجمع وكرم : ذل وصغر ، فهو قمي ، ذكره الفيروز آبادي .

٧ - ل : أبي ، وابن الوليد ، عن أحمد بن إدريس ، ومحمد العطار ، عن الأشعري ، عن

(١) لعله منصور بن العباس أبو الحسين الرازي الضعيف ، وإلا فمجهول .

(٢) لم نجد له ولا لطرف ذكر أفي التراجم .

(٣) في المصدر : اصواتا م .

(٤) الحديث مجهول بحسين بن زريق .

(٥) ضمه الاصحاب .

(٦) في نسخة : بكفهم .

محمد بن الحسين بإسناد له يرفعه قال : قال رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة مد من خمر ولا سكير ، ولا عاق ، ولا شديد السواد ، ولا ديتوث ، ولا قلاع وهو الشرطي ، ولا زنوق وهو الخنثى ، ولا خيوف^(١) وهو النباش ، ولا عشار ، ولا قاطع رحم ، ولا قدري .

قال الصدوق رضي الله عنه : يعنى شديد السواد الذى لا يبيض شي من شعر رأسه ولا من شعر لحيته مع كبر السن ، ويسمى الغريب . (ج ٢ ص ٥٤)

٨ - ل : القطان ، وعلي بن أحمد بن موسى ، عن ابن زكريا القطان ، عن ابن حبيب ، عن ابن بهلول ، عن أبي معاوية الضرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن محمد بن محمد بن حبيب : وحدثنى عبدالله بن محمد بن ناطويه ، عن علي بن عبدالمؤمن الزعفراني ، عن مسلم بن خالد الزنجي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه عالمه : قال ابن حبيب : وحدثنى الحسن بن سنان ، عن أبيه ، عن محمد بن خالد البرقي ، عن مسلم بن خالد ، عن جعفر بن محمد قالوا كلهم : ثلاثة عشر صنفاً - وقال تميم^(٢) : ستة عشر صنفاً من أمة جدّي عليه السلام لا يحببونا ولا يحببونا إلى الناس ، ويبغضونا ولا يتولّونا ، ويخذلونا ويخذلون الناس عنا ، فهم أعداؤنا حقاً ، لهم نار جهنم ، ولهم عذاب الحريق قال : قلت : بينهم لي يا أبا عبد الله شرهم ، قال : الزائد في خلقه ، فلا ترى أحداً من الناس في خلقه زيادة إلا وجدته لنا مناصباً ولم تجده لنا موالياً ؛ والناقص الخلق من الرجال ، فلا ترى لله عز وجل خلقاً ناقص الخلقه إلا وجدت في قلبه علينا غلاً ؛^(٣) والأعور باليمين للولادة ، فلا ترى لله خلقاً ولد أعور اليمين إلا كان لنا محارباً ولأعدائنا مسلماً ؛ والغريب من الرجال فلا ترى لله عز وجل خلقاً غريباً - وهو الذي قد طال عمره فلم يبيض شعره وترى لحيته مثل حنك الغراب - إلا كان علينا مؤتباً ولأعدائنا مكثراً ؛ والحلكوك من الرجال ، فلا ترى منهم أحداً إلا كان لنا شتماً ولأعدائنا مدحاً ؛

(١) فى نسخة : خنوف .

(٢) هو ابن بهلول الواقع فى الطريق الاول .

(٣) الغل بكسر اللين وتشديد اللام : الحقد والفتن .

والأقرع^(١) من الرجال فلا ترى رجلاً به قرع إلا وجدته همّازاً ، لمّازاً ، مشاءاً بالنميمة علينا ؛ والمفصّص^(٢) بالخضرة من الرجال فلا ترى منهم أحداً - وهم كثيرون - إلا وجدته يلقانا بوجه ويستدبرنا بآخر ، يبتغي لنا الغوائل^(٣) ؛ والمنبوذ من الرجال ، فلا تلقى منهم أحداً إلا وجدته لنا عدواً ، مضلاً ، مبيئاً ؛ والأبرص من الرجال فلا تلقى منهم أحداً إلا وجدته يرصد لنا المراسد ويقعد لنا ولشييعتنا مقعداً ليضلّنا بزعمه عن سواء السبيل ؛ والمجذوم ، وهم حصب جهنّم هم لها واردون ؛ والمنكوح فلا ترى منهم أحداً إلا وجدته يتغنّى بهجاننا ويؤثّب علينا ؛ وأهل مدينة تدعى (سجستان) هم لنا أهل عداوة ونصب وهم شرّ الخلق والخلقة ، عليهم من العذاب ما على فرعون و هامان و قارون ؛ وأهل مدينة تدعى (الري) هم أعداء الله ، وأعداء رسوله ، وأعداء أهل بيته ، يرون حرب أهل بيت رسول الله ﷺ جهاداً ، ومالهم مغزماً ، ولهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا والآخرة ولهم عذاب مقيم ؛ وأهل مدينة تدعى (الموصل) هم شرّ من على وجه الأرض ؛ وأهل مدينة تسمى (الزوراء) تبنى في آخر الزمان ، يستشفون بدمائنا ويتقرّبون ببيغضنا ، يوالون في عداوتنا ، ويرون حربنا فرضاً ، وقتالنا حتماً . يا بنيّ فاحذر هؤلاء ، ثم احذرهم ، فإنّه لا يخلو إثنان منهم بواحد من أهلك إلا همّوا بقتله . واللفظ لتميم من أوّل الحديث إلى آخره . «ج ٢ ص ٩٤-٩٥»

بيان : قوله ﷺ : «مؤثّب أي يجمع الناس علينا بالعداوة والظلم . والحلكوك بالضمّ و الفتح : الشديد السواد . و المفصّص بالخضرة : هو الذي يكون عينه أزرق كالفضّ ، كما مرّ في الخبر ، والفص أيضاً حذقة العين ، وفي بعض النسخ بالضادين المعجمتين وهو تصحيف . والمنبوذ : ولد الزنا . و الزوراء بغداد . ثمّ أعلم أنّه لا يبعد أن يكون

(١) الأقرع : من سقط شعر رأسه .

(٢) في النسخ المطبوعة ذكر ثلاثة عشر صنفاً بغذف قوله : والمفصّص بالخضرة الى قوله : و الأبرص ، وليس في آخرها جملة : واللفظ لتميم من اول الحديث إلى آخره . م

(٣) جمع الغائلة : الداهية . الفساد . المهلكة . الشر .

بعض البلاد كالري يكون هذا لبيان حالهم في تلك الأزمان لا إلى يوم القيامة ، ولعله سقط واحد من الستة عشر من النسخ أو من الرواة .

٩ - ن : بالأسانيد الثلاثة عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لا تجد في أربعين أصلع رجل سوء ، ولا تجد في كوسجاً رجلاً صالحاً ، وأصلع سوء أحب إليّ من كوسج صالح . «ص ٢١٠»
صح : عنه عليه السلام مثله .

بيان : الصلح : انحسار شعر مقدم الرأس .

١٠ - ع : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن أحمد ، عن عليّ الريان ، عن الحسين بن محمد ، عن عبد الرحمن بن أبي نجران ، عن عبد الرحمن بن حماد ، عن ذريح المحاربي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال : يا رسول الله يسأل الله عما سوى الفريضة ؟ قال : لا ، قال : فوالذي بعثك بالحق لا تقرّبت إلى الله بشيء سواها ! قال : ولم ؟ قال : لأن الله قبّح خلقي ! قال : فأمسك النبي عليه السلام ونزل جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمد ربك يقرؤك السلام ، ويقول : اقرأ عبيدي فلاناً السلام ، وقل له : أما ترضى أن أبعثك غداً في الآمين ؟ فقال : يا رسول الله وقد ذكرني الله عنده ؟ قال : نعم ، قال : فوالذي بعثك بالحق لا بقي شيء يتقرّب به إلى الله إلا تقرّبت به . «ص ١٥٨ - ١٥٩»

١١ - ع : أبي ، عن سعد ، عن البرقي ، عن محمد بن يحيى ، عن حماد قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك نرى الخصي من أصحابنا غفياً له عبادة ، ولا نكاد نراه إلا فظاً غليظاً سفيه الغضب ! فقال : إنّما ذلك لأنه لا يزني . «ص ٢٠٠»
بيان : يحتمل أن يكون قوله عليه السلام : إنّما ذلك علّة لعفته ، أو المعنى أن غلظته وفخره وعجبه بترك الزنا ؛ ويحتمل أن يكون المراد عدم قدرته على الجماع مطلقاً فإن به تندفع المواد الفاسدة وبه يستقيم الطبع والخلق .

١٢ - ع : بهذا الإسناد عن البرقي رفع الحديث إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن الخصي ، فقال : لم تسأل عمن لم يلد مؤمناً ولا يلد مؤمناً ! . «ص ٢٠»

١٣ - ما : محمد بن علي بن حشيش ، عن محمد بن أحمد بن عبد الوهاب ، عن محمد بن محمد بن يحيى ، عن الحسن بن علي ، عن اللؤلؤمي ، عن شعبة ، عن توبة العنبري ، عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : عليكم بالوجه الملاح والحدق السود فإن الله يستحي أن يعذب الوجه المليح بالنار . (ص ١٩٧)

١٤ - نو : أبي ، عن علي ، عن أبيه ، عن محمد بن عمرو ، عن موسى بن إبراهيم ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : سمعته يقول : ما حسن الله خلق عبد ولا خلقه إلا استحي أن يطعم لحمه يوم القيامة النار . (ص ١٧٥)

١٥ - ين : بعض أصحابنا ، عن حسان بن سدير ، عن محمد بن طلحة ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : أيما عبد كان له صورة حسنة مع موضع لا يشينه ثم تواضع لله كان من خالصة الله ؛ قال : قلت : ما موضع لا يشينه ؟ قال : لا يكون ضرب فيه سفاح .

بيان : يمكن توجيه تلك الأخبار على قانون أهل العدل بأن الله تعالى خلق من علم أنهم يكونون شراراً باختيارهم بهذه الصفات ، وجعلهم من أهل تلك البلاد من غير أن يكون لتلك الأحوال مدخل في أعمالهم ؛ أو المراد أنهم في درجة ناقصة من الكمال ، غير قابلين لمعالي الفضائل والكمالات ، من غير أن يكونوا مجبورين على القبائح والسيئات .

﴿باب ١٢﴾

﴿١﴾ علة عذاب الاستيصال ، وحال ولد الزنا ، وعلة اختلاف أحوال الخلق ﴿٢﴾

الآيات ، الانفال « ٨ » ، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ٢٥ .

حمعسق « ٤٢ » ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خير بصير ٢٧ .

الزخرف : ٤٣ «أهم يسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون * ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولييوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون * وزخرفاً وإن كل ذلك لمنا متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ٣٢-٣٥

تفسير : قال الطبرسي رحمه الله في الآية الأولى : حذرهم الله من هذه الفتنة ، و أمرهم أن يتقوها ، وكأنه قال : اتقوا فتنة لا تقر بوها فتصيبكم ، فإن قوله : «لاتصين» نهي مسوق على الأمر ، ولفظ النهي واقع على الفتنة ، وهو في المعنى للمأمورين بالاتقاء ، كقوله : «لاتموتن إلا وأنتم مسلمون»^(١) واختلف في معنى الفتنة هنا ف قيل : هي العذاب ، أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم فيعمتهم الله بالعذاب ، والخطاب لأصحاب النبي ﷺ خاصة ، وقيل : هي البلية التي يظهر باطن أمر الإنسان فيها . عن الحسن قال : نزلت في عليّ وعمار وطلحة والزبير ، قال : وقد قال الزبير : لقد قرأنا هذه الآية زماناً و ما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها فخالفنا حتى أصابتنا خاصة . وقيل : نزلت في أهل بدر خاصة فأصابته يوم الجمل فاقتتلوا . عن السديّ : وقيل : هي الضلالة وافتراق الكلمة ، ومخالفة بعضهم بعضاً . وقيل : هي الهرج الذي يركب الناس فيه بالظلم ويدخل ضرره على كل أحد . ثم اختلف في إصابة هذه الفتنة على قولين : أحدهما أنها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم ، أما الظالمون فمعذبون ، وأما المؤمنون فممتحنون محصون . عن ابن عباس : وروي أنه سئل عنها فقال : أبهموا ما أبهم الله .

والثاني أنها تخص الظالم ، لأن الغرض منع الناس عن الظلم ، وتقديره : واتقوا عذاباً يصيب الظلمة خاصة ، وتقوية قراءة من قرأ «لتصين» باللام . وقيل : إن «لا» في قوله : «لاتصين» زائدة ، ويجوز أن يقال : إن الألف في «لا» لإشباع الفتحة .

وقال البيضاوي في قوله تعالى : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » : و أوقفنا

بينهم التفاوت في الرزق وغيره ، لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سَخِرِيّاً ، لِيَسْتَعْمَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف ونظام ينتظم بذلك نظام العالم ، لا الكمال في الموسع ، ولانقص في المقتر ، ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ، ولولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبّهم الدنيا فيجتمعوا عليه .

١ - ع : ن : الهمداني ، عن علي ، عن أبيه ، عن الهروي ، عن الرضا عليه السلام قال : قلت له : لايّ علّة أغرق الله عزّ وجلّ الدنيا كلّها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال وفيهم من لا ذنب له ؟ فقال عليه السلام : ما كان فيهم الأطفال ، لأنّ الله عزّ وجلّ أعقم أصلاب قوم نوح عليه السلام وأراح نساءهم أربعين عاماً ، فانقطع نسلهم فغرقوا ولأطفال فيهم ، وما كان الله عزّ وجلّ ليهلك بعباده من لا ذنب له ، وأمّا الباقيون من قوم نوح عليه السلام فأغرقوا لتكذيبهم لنبيّ الله نوح عليه السلام ، وسائرهم أغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين ، ومن غاب من أمر ^(١) فرضي به كان كمن شهد وأتاه . «ص ٢٢٠ ص ٢٣١»

٢ - ع : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن محمد بن إسماعيل ، عن حنّان بن سدير ^(٢) ، عن أبيه قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : أرايت نوحاً عليه السلام حين دعا على قومه فقال : « ربّ لا تذّر على الأرض من الكافرين ديناً ، إنك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً » ؟ قال عليه السلام : علم أنّه لا ينجب من بينهم أحد . قال : قلت : وكيف علم ذلك ؟ قال : أوحى الله إليه « إنّه لن يؤمن من قومك إلّا من قد آمن » فعند هذا دعا عليهم بهذا الدعاء . «ص ٢٢٠»

٣ - ع : طاهر بن محمد بن يونس ، عن محمد بن عثمان الهروي ، عن الحسن بن مهاجر ، عن هشام بن خالد ، عن الحسن بن يحيى ، عن صدقة بن عبدالله ، عن هشام ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وآله ، عن جبرئيل عليه السلام قال : قال الله تبارك وتعالى : من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، وماتردّت عن شيء أنافاعله ماتردّت ^(٣) في قبض نفس المؤمن ، يكره

(١) في المصدر : عن امر ٢٠

(٢) بفتح السين وكسر الدال المهملتين - وزان شريف - هو حنّان بن سديّ بن حكيم بن صهيب ، أبو الفضل الصيرفي ، كوفي من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام ، وافقهما في (فهرست) ، واختلف الأصحاب في توثيقه وتضعيفه .

(٣) في نسخة : كتر دوى .

الموت وأكره مساءته ولا بدّ منه؛ وما يتقرّب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه؛ ولا يزال عبدي يتنهل إليّ^(١) حتّى أحبّته، ومن أحبّته كنت له سمعاً وبصراً ويداً وموئلاً^(٢)، إن دعاني أحبّته، وإن سألتني أعطيتّه؛ وإنّ من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأكفّته عنه ثلاثاً يدخله عجب فيفسده، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالسقم، ولو صحّحت جسمه لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالقسم ولو صحّحت جسمه لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك؛ إنّي أدبّر عبادي بعلمي بقلوبهم فانّي علمي خبير. «ص ١٥-١٦»

بيان : قال الشيخ البهائيّ قدّس الله روحه : ما تضمّنه هذا الحديث من نسبة التردّد إليه سبحانه يحتاج إلى التأويل وفيه وجوه : الأوّل أنّ في الكلام إضماراً، والتقدير: لو جاز عليّ التردّد ما تردّدت في شيء، كتردّد في وفات المؤمن .

الثاني أنّه لمّا جرت العادة بأن يتردّد الشخص في مساءة من يحترمه ويوقّره كالصديق الوفيّ والخلّ الصفيّ، وأن لا يتردّد في مساءة من ليس له عنده قدر ولا حرمة كالعدوّ والحبيّة والعقرب، بل إذا خطر بالبال مساءة أوقعها من غير تردّد ولا تأمل صحّ أن يعبّر بالتردّد والتأمل في مساءة الشخص من توقيره واحترامه، وبعدهما عن إذلاله واحتقاره، فقوله سبحانه : «ما تردّدت» المراد به - والله أعلم - : ليس لشيء من مخلوقاتي عندي قدر وحرمة كقدر عبدي المؤمن وحرمة فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية .

(١) أى يدعو ويتضرع . وفي الحديث : الابتهاال : تبسط يديك وذراعيك إلى السماء حين ترى أسباب البكاء . وفي حديث آخر : الابتهاال : مديده تلقاه وجهه إلى القبلة ، ولا يبتهل حتى تجرى الدفعة . وفي حديث آخر : الابتهاال : رفع يديك تجاوز بهما رأسك .
(٢) الموئل : الملجأ والنجاء .

الثالث أنه قد ورد في الحديث من طرق الخاصة والعامّة أن الله سبحانه يظهر للعبد المؤمن عند الاحتضار من اللطف والكرامة والبشارة بالجنة ما يزيل عنه كراهة الموت ، ويوجب رغبته في الانتقال إلى دار القرار ، فيقلّ تأذيه به ، ويصير راضياً بنزوله ، راغباً في حصوله فأشبهت هذه المعاملة من يريد أن يولم حبيبه ألماً يتعقبه نفع عظيم فهو يتردد في أنه كيف يوصل ذلك الألم إليه على وجه يقلّ تأذيه فلا يزال يظهر له ما يرغبه فيما يتعقبه من اللذة الجسيمة والراحة العظيمة إلى أن يتلقاه بالقبول ، ويعدّه من الغنائم المؤدّية إلى إدراك المأمول . انتهى .

أقول : قد أثبتنا الأخبار الدالة على علل اختلاف الخلق في باب الطينة والاشقاق .

٤ - ع : أحمد بن محمد ، عن أبيه ، عن محمد بن أحمد ، عن إبراهيم بن إسحاق ، عن محمد بن علي الكوفي ، عن محمد بن الفضيل ، عن سعد بن عمر الجلاب قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : إن الله عزّ وجلّ خلق الجنة طاهرة مطهرة فلا يدخلها إلا من طابت ولادته . وقال أبو عبد الله عليه السلام : طوبى لمن كانت أمّه عفيفة . «ص ١٨٨»

٥ - ع : بهذا الإسناد ، عن محمد بن أحمد ، عن إبراهيم بن إسحاق ، عن محمد بن سليمان الديلمي ، عن أبيه رفع الحديث إلى الصادق عليه السلام قال : يقول ولد الزنا : يا ربّ ما ذنبي ؟ فما كان لي في أمري صنع ! قال : فيناديه مناد فيقول : أنت شرُّ الثلاثة أذنب والدك فتبت عليهما وأنت رجس ، ولن يدخل الجنة إلا طاهر . «ص ١٨٨»

٦ - ثو : ابن البرقي ، عن أبيه ، عن جدّه أحمد ، عن أبيه ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : لا خير في ولد الزنا ولا في بشره ولا في شعره ولا في لحمه ولا في دمه ولا في شيء منه ؛ يعني ولد الزنا . «ص ٢٥٤ - ٢٥٥»

سن : أبي ، عن ابن فضال مثله . «ص ١٠٨»

٧ - ثو : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن الوشاء ، عن أحمد بن عائد ، عن أبي خديجة ،^(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لو كان أحد من ولد الزنا نجاً نجاساً بني

(١) كنية لسالم بن مكرم .

إسرائيل ؛ ف قيل له : وما سائح بني إسرائيل ؟ قال : كان عابداً ؛ ف قيل له : إن ولد الزنا لا يطيب أبداً ؛ ولا يقبل الله منه عملاً ؛ قال : فخرج يسبح بين الجبال ويقول مـا ذنبي ؟ . ص ٢٥٥

سن : في رواية أبي خديجة مثله . (١) ص ١٠٨ - ١٠٩

٨ - ص : الصدوق ، عن جعفر بن محمد بن شاذان ، عن أبيه ، عن الفضل ، عن محمد ابن زياد ، عن أبان بن عثمان ، عن أبان بن تغلب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال عزيز : (٢) يارب أني نظرت في جميع أمورك وإحكامها ففرفت عدلك بعقلي ، وبقي باب لم أعرفه : إنك تسخط على أهل البليّة فتعمّمهم بعذابك وفيهم الأطفال ! فأمر الله تعالى أن يخرج إلى البريّة وكان الحرّ شديداً ، فرأى شجرة فاستظل بها ونام ، فجاءت نملة فقرصته فذلك الأرض برجله فقتل من النمل كثيراً ، فعرف أنه مثل ضرب ، ف قيل له : يا عزيز إن القوم إذا استحقّوا عذابي قدّرت نزولهم عند انقضاء آجال الأطفال فماتوا أولئك بأجالهم وهلك هؤلاء بعذابي .

ليان : القرص : أخذك لحم إنسان بإصبعك حتّى تؤلمه ، ولسع البراغيث ، والقبض والقطع : كذا ذكره الفيروز آبادي .

أقول : لعلمه تعالى إنّما أراه قصّة النمل لبيان أن الحكمة قد تقتضي تعميم البليّة والانتقام لرعاية المصالح العامّة ، وحاصل الجواب إنّ الله تعالى كما أنّه يميّت الأطفال متفرّقا إمّا لمصلحتهم أو لمصلحة آبائهم أو لمصلحة النظام الكلّي كذلك قد يقدر موتهم جميعاً في وقت واحد لبعض تلك المصالح ، وليس ذلك على حجة الغضب عليهم ، بل هي رحمة لهم لعلمه تعالى بأنّهم يصيرون بعد بلوغهم كفّاراً ، أو يعوّضهم في الآخرة ويميتهم لردع سائر الخلق عن الاجترار على مساسخ الله ، أو غير ذلك ؛ مع أنّه ليس

(١) وفي المحاسن : ان كان احدهم اولاد الزنا نجا لنجا اه وهذا احسن لمكان «إن» وفاقا للمذهب العدلي .

(٢) بتقديم الزاي المحجمة على الراء وزان (رجل) نبي من أنبياء بني إسرائيل ، وهو الذي قال بنو اسرائيل فيه : (عزيز ابن الله !!) بعد ما كتب التوراة عن ظهر قلبه . وسيأتي ذكره وقصته في كتاب النبوة .

يجب على الله تعالى إبقاء الخلق أبداً ، فكل مصلحة تقتضي موتهم في كبرهم يمكن جريانها في موتهم عند صغرهم والله تعالى يعلم .

٩ - سن : الحجال ، عن حماد بن عثمان ، عن معمر بن يحيى ، عن أبي خالد الكلابي ، أنه سمع علي بن الحسين عليه السلام يقول : لا يدخل الجنة إلا من خلص من آدم . « ص ١٣٩ »

١٠ - سن : القاسم بن يحيى ، عن جده الحسن ، عن ضريس الوابشي ^(١) ، عن سدير قال : قال أبو جعفر عليه السلام : من طهرت ولادته دخل الجنة . « ص ١٣٩ »

١١ - سن : القاسم بن يحيى ، عن جده الحسن ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : خلق الله الجنة طاهرة مطهرة لا يدخلها إلا من طابت ولادته . « ص ١٣٩ »

١٢ - سن : أبي ، عن النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن أيوب بن حر ، عن أبي بكر ^(٢) قال : كنّا عنده ومعنا عبدالله بن عجلان ، فقال عبدالله بن عجلان : معنا رجل يعرف ما نعرف و يقال : إنّه ولد زناه ؛ فقال : ما تقول ؟ فقلت : إنّ ذلك ليقال له ؛ فقال : إن كان ذلك كذلك بني له بيت في النار من صدر ، يردّ عنه وهج جهنم ^(٣) ويؤتى برزقه . « ص ١٤٩ »

بيان : من صدر أي يبني له ذلك في صدر جهنم وأعلاه ، والظاهر أنّه مصحف (صبر) بالتحريك وهو الجمد .

١٣ - سن : أبي ، عن حمزة بن عبدالله ، عن هاشم أبي سعيد الأنصاري ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ نوحاً حمل في السفينة الكلب والخنزير ، ولم يحمل فيها ولد الزنا ، وإنّ الناصب شرّ من ولد الزنا . « ص ١٧٥ »

١٤ - كا : الحسين بن محمد ، عن الملعكي ، عن الوشاء ، عن أبان ، عن ابن أبي يعفور قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إنّ ولد الزنا يستعمل ، إن عمل خيراً جزى به ، وإن عمل شراً جزى به . بيان : هذا الخبر موافق لما هو المشهور بين الإماميّة من أنّ ولد الزنا كسائر الناس

(١) ضريس وزان « ذبير » ولم نجد في التراجم ما يدل على مدحه أو ذمه .

(٢) لعله عبدالله بن محمد الحضرمي ، و« ذبير » عنده يرجع إلى الصادق عليه السلام .

(٣) الوهج : انتقاد النار .

مكلف بأصول الدين وفروعه، ويجري عليه أحكام المسلمين مع إظهار الإسلام، ويثاب على الطاعات ويعاقب على المعاصي. ونسب إلى الصدوق والسيّد المرتضى وابن إدريس رحمهم الله القول بكفره وإن لم يظهره، وهذا يخالف لأصول أهل العدل إذ لم يفعل باختياره ما يستحق به العقاب فيكون عذابه جوراً وظلماً، والله ليس بظلام للعبيد، فأما الأخبار الواردة في ذلك فممنهم من حملها على أنه يفعل باختياره ما يكفر بسببه، فلذا حكم عليه بالكفر وأنه لا يدخل الجنة، وأما ظاهراً فلا يحكم بكفره إلا بعد ظهور ذلك منه. أقول: يمكن الجمع بين الأخبار على وجه آخر يوافق قانون العدل بأن يقال: لا يدخل ولد الزنا الجنة، لكن لا يعاقب في النار إلا بعد أن يظهر منه ما يستحقه، ومع فعل الطاعة وعدم ارتكاب ما يحبطه يثاب في النار على ذلك، ولا يلزم على الله أن يثيب الخلق في الجنة، ويدل عليه خبر عبد الله بن عجلان، ولا ينفيه خبر ابن أبي يعفور إذ ليس فيه تصريح بأن جزاءه يكون في الجنة^(١) وأما العمومات الدالة على أن من يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله الله الجنة يمكن أن تكون مخصوصة بتلك الأخبار، وبالجمله فهذه المسألة مما قد تحير فيه العقول، وارتاب به الفحول، والكف عن الخوض فيها أسلم، ولا نرى فيها شيئاً أحسن من أن يقال: الله أعلم.

﴿باب ١٢﴾

﴿الاطفال ومن لم يتم عليهم الحجة في الدنيا﴾

الآيات، الطور ٥٢، والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم

ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء، ٢١

تفسير: قال الطبرسي رحمه الله يعني بالذرية أولادهم الصغار والكبار لأن الكبار يتبعون الآباء بإيمان منهم، والصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء، فالولد يحكم

(١) ويمكن حملها على بيان البالغة، وبين أن الناجي منهم قليل، والأكثرون منهم يختارون النجى على الرشاد، والضلال على الهدى، هذا مع غرض النظر عما في كثير من أسنادها من الضعف والجهالة والإرسال.

له بالإسلام تبعاً لوالده والمعنى : أننا لنحق الأ ولاد بالآباء في الجنة والدرجة من أجل الآباء لتقر عين الآباء باجتماعهم معهم في الجنة كما كانت تقر بهم في الدنيا ، عن ابن عباس والضحك وابن زيد ، وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنهم البالغون لحقوا بدرجة آبائهم وإن قصرت أعمالهم ، تكرمهم لآبائهم ، وإذا قيل : كيف يلحقون بهم في الثواب ولم يستحقوه ؟ فالجواب أنهم يلحقون بهم في الجمع لا في الثواب والمرتبة .

وروى زاذان^(١) عن علي^(عليه السلام) قال : قال رسول الله ﷺ : إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ، ثم قرأ هذه الآية .

وروي عن الصادق^(عليه السلام) قال : أطفال المؤمنين يهدون إلى آباءهم يوم القيامة « وما ألتناهم من عملهم من شيء » أي لم ننقص الآباء من الثواب حين ألحقنا بهم ذريّاتهم .
١- فُس : قوله : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريّاتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريّتهم » فإنه حدّثني أبي ، عن سليمان الديلمي ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله^(عليه السلام) قال : إن أطفال شيعتنا من المؤمنين تربيتهم فاطمة^(عليها السلام) ، قوله : « ألحقنا بهم ذريّتهم » قال : يهدون إلى آباءهم يوم القيامة . « ص ٤٤٩ »

وقال علي^(عليه السلام) بن إبراهيم في قوله : « وما ألتناهم من عملهم من شيء » : أي ما نقصناهم . « ص ٦٥٠ »

٢- ل : أبي ، عن محمد العطّار ، عن الأشعري ، عن علي بن إسماعيل ، عن حماد ، عن حريز ، عن زرارة ، عن أبي جعفر^(عليه السلام) قال : إذا كان يوم القيامة احتج الله عز وجل على خمسة : على الطفل ، والذي مات بين النبيين ، والذي أدرك النبي وهو لا يعقل ، والأب له^(٢) والمجنون الذي لا يعقل ، والأصم والأبكم ؛ فكل واحد منهم يحتج على الله عز وجل ؛ قال فيبعث الله إليهم رسولا فيؤجّج لهم نارا فيقول لهم : ربكم يأمركم

(١) زاذان - بالزاي والذال المعجمتين بينهما ألف وذان (هامان) - أبو عمرة الفارسي عنه الشيخ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ؛ وقال العلامة في خاتمة القسم الأول من خلاصته : كنيته أبو عمر (أبو عمرو خ ل) . ويوجد ترجمته في ص ١٦١ من تقريب ابن حجر ، قال : زاذان أبو عمر الكندي البراز ، ويكنى أباهداه أيضاً ، صدوق ، يرسل ، وفيه شيعية ، من الثانية ، مات سنة ٧٢٢ .

(٢) هو من ضعف عقله وعجز رأيه .

أَنْ تَتَّبِعُوا فِيهَا ، فَمَنْ وَثَبَ فِيهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَ سَلَامًا ، وَمَنْ عَصَى سَبِقَ إِلَى النَّارِ .
«ص ١٣٦»

قال الصدوق رضي الله عنه : إِنَّ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِ الْكَلَامِ يَنْكُرُونَ ذَلِكَ وَيَقُولُونَ :
إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي دَارِ الْجَزَاءِ تَكْلِيفٌ ، وَ دَارِ الْجَزَاءِ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا هِيَ الْجَنَّةُ ، وَ
دَارِ الْجَزَاءِ لِلْكَافِرِينَ إِنَّمَا هِيَ النَّارُ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا التَّكْلِيفُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي غَيْرِ
الْجَنَّةِ وَ النَّارِ فَلَا يَكُونُ كَلْفُهُمْ فِي دَارِ الْجَزَاءِ نَهْمٌ يَصِيرُهُمْ إِلَى الدَّارِ الَّتِي يَسْتَحَقُّونَهَا
بِطَاعَتِهِمْ أَوْ مَعْصِيَتِهِمْ ، فَلَا وَجْهَ لِانْكَارِ ذَلِكَ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

٣ - مع : أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ حَمَّادٍ ، عَنْ حَرِيزٍ ، عَنْ
زُرَّارَةَ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ (عليه السلام) : هَلْ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) عَنْ الْأَطْفَالِ ؟ فَقَالَ : قَدْ سَأَلَ
فَقَالَ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ . ثُمَّ قَالَ : يَا زُرَّارَةُ هَلْ تَدْرِي مَا قَوْلُهُ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
كَانُوا عَامِلِينَ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ الْمَشِيَّةُ ؛ إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَتَى
بِالْأَطْفَالِ ، وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ الَّذِي قَدْ أَدْرَكَ السَّنَ ^(١) وَلَمْ يَعْقِلْ مِنَ الْكِبَرِ وَالْخُرْفِ ^(٢) ،
وَالَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ بَيْنَ النَّبِيِّينَ ، وَالْمُجَنُّونَ ، وَالْأَبْلَهَ الَّذِي لَا يَعْقِلُ فَكُلُّ وَاحِدٍ يَحْتَاجُ
عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيُبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ يُؤَجِّجُ نَارًا فَيَقُولُ : إِنَّ
رَبَّكُمْ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُوا فِيهَا ، فَمَنْ وَثَبَ فِيهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَ سَلَامًا ، وَمَنْ عَصَاهُ سَبِقَ
إِلَى النَّارِ .

٤ : عَلِيٌّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ حَمَّادٍ مِثْلَهُ . « ف ج ص ٦٨ »

٤ - غُطَّ : ابْنُ أَبِي عَمِيرٍ ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ ، عَنْ زُرَّارَةَ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (عليه السلام) ،
أَنَّهُ قَالَ : حَقِيقَ عَلَيٍّ اللَّهُ أَنْ يَدْخُلَ الضُّلَّالُ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ زُرَّارَةُ : كَيْفَ ذَلِكَ جَعَلَتْ
فِدَاكَ ؟ قَالَ : يَمُوتُ النَّاطِقُ وَلَا يَنْطِقُ الصَّامَتُ فَيَمُوتُ الْمَرْءُ بَيْنَهُمَا فَيَدْخُلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ . ^(٣)

«ص ٢٩٢»

(١) فِي نَسْخَةٍ : قَدْ أَدْرَكَ النَّبِيَّ

(٢) هُوَ الَّذِي فَسَدَ عَقْلُهُ مِنَ الْكِبَرِ .

(٣) لِأَنَّهُ لَمْ تَبْلُغْ الْحُجَّةَ ، وَلَمْ يَرُشِدْ إِلَى الْمَعْجَةِ . وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى
تُبَيِّنَ رَسُولًا » .

٥ - كنز : قوله تعالى : « يطوف عليهم ولدان مخلدون » عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : الولدان أولاد أهل الدنيا ، لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها ، ولا سيئات فيعاقبون عليها فأُزِلوا هذه المنزلة .

٦ - وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عن أطفال المشركين ، فقال : خدم أهل الجنة على صورة الولدان خلقوا لخدمة أهل الجنة .

٧ - يد : الحسين بن يحيى بن ضريس : عن أبيه ، عن محمد بن عمارة السكري ، عن إبراهيم بن عاصم ، عن عبد الله بن هارون الكرخي ، عن أحمد بن عبد الله بن يزيد ، عن أبيه يزيد بن سلام ، عن أبيه سلام بن عبيد الله ، عن أخيه عبد الله بن سلام هولى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت : أخبرني أي عذاب الله عز وجل خلقاً بالاحبة ؟ قال : معاذ الله ! قلت : فأولاد المشركين في الجنة أم في النار ؟ فقال : الله تبارك وتعالى أولى بهم . أنه إذا كان يوم القيامة - وساق الحديث إلى أن قال - : فيأمر الله عز وجل ناراً يقال له : الفلق ، أشد شيء في نار جهنم عذاباً ، فتخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل والأغلال ، فيأمرها الله عز وجل أن تنفخ في وجوه الخلائق نفخة ، فتنفخ فمن شدة نفختها تنقطع السماء ، وتنطمس النجوم ، وتجمد البحار ، وتزول الجبال ، وتظلم الأبصار ، وتضع الحوامل حملها ، وتشيب الولدان من هولها يوم القيامة ؛ فيأمر الله تعالى أطفال المشركين أن يلقوا أنفسهم في تلك النار ؛ فمن سبق له في علم الله عز وجل أن يكون سعيداً ألقى نفسه فيها فكانت عليه برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم عليه السلام ، ومن سبق له في علم الله تعالى أن يكون شقيماً امتنع فلم يلق نفسه في النار فيأمر الله تعالى النار فتلته لتركه أمر الله وامتناعه من الدخول فيها فيكون تبعاً لا بآئه في جهنم .^(١)

« ص ٣٩٩ - ٤٠١ »

٨ - ٥ : العدة ، عن سهل ، عن غير واحد رفعه أنه سئل عن الأطفال فقال : إذا كان يوم القيامة جمعهم الله وأجج ناراً^(٢) وأمرهم أن يطرحوا أنفسهم فيها ، فمن كان في

(١) للحديث ثمة ما نقلت بتمامها . ٢

(٢) في المصدر : واجج لهم ناراً . ٢

علم الله عز وجل أنه سعيد رمى نفسه فيها وكانت عليه برداً وسلاماً^(١)، ومن كان في علمه أنه شقي امتنع فيأمر الله تعالى بهم إلى النار، فيقولون: ياربنا تأمرنا إلى النار ولم يجز علينا القلم؟ فيقول الجبار: قد أمرتكم مشافهة فلم تطيعوني فكيف لو أرسلت رسلي بالغيب إليكم؟ «ف ج ١ ص ٦٨»

٩ - وفي حديث آخر أمّا أطفال المؤمنين فأبناهم يلحقون بآبائهم، وأولاد المشركين يلحقون بآبائهم وهو قول الله عز وجل: «يا أيما ألقنا بهم ذريتهم» . «ف ج ١ ص ٦٨»

١٠ - كا: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحماني، عن ابن مسكان، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الولدان، فقال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الولدان والأطفال فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين. «ف ج ١ ص ٦٨»

١١ - كا: علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في الأطفال الذين ماتوا قبل أن يبلغوا؟ فقال: سئل عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثم أقبل عليّ فقال: يا زرارة هل تدري ما عني بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: قلت: لا، فقال: إنما عني: كفوا عنهم ولا تقولوا فيهم شيئاً وردوا علمهم إلى الله. «ف ج ١ ص ٦٨»

١٢ - كا: العدة، عن سهل، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألقناهم بهم ذريتهم» قال: فقال: قصرت الأبناء عن عمل الآباء^(٢) فألحقوا الأبناء بالآباء لتقرّ بذلك أعينهم. «ف ج ١ ص ٦٨»

١٣ - يه: عن أبي بكر الحضرمي، عنه عليه السلام مثله. «ص ٤٣٩»

١٤ - كا: علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه

(١) في المصدر: وسلاماً م.

(٢) في المصدر: على عمل الآباء م.

سئل عمن مات في الفترة^(١) وعمن لم يدرك الحنث^(٢) والمعنوه^(٣) فقال: يحتج الله عليهم يرفع لهم ناراً فيقول لهم: ادخلوها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبى قال: ها أنتم قد أمرتكم فعصيتُموني. « ف ج ١ ص ٦٨ »

١٥ - ك: بهذا الإسناد قال: ثلاثة يحتج عليهم: الأباكم، والطفل، ومن مات في الفترة، فيرفع لهم ناراً فيقال لهم: ادخلوها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبى قال تبارك وتعالى: هذا قد أمرتكم فعصيتُموني. « ف ج ١ ص ٦٨ »

١٦ - نوادر الراوندي: بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تزوجوا الحسناء الجميلة العاقرة^(٤) فإنني أباهي بكم الأمم يوم القيامة، أو ما علمت أن الولدان تحت عرش الرحمن يستغفرون لأبايهم، يحضنهم إبراهيم، وتربيهم سارة عليها السلام في جبل من مسك وعنبر وزعفران؟

١٧ - يه: في الصحيح روى أبو زكريا، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا مات طفل من أطفال المؤمنين نادى مناد في ملكوت السماوات والأرض: ألا إن فلان بن فلان قدم، فإن كان مات والداه أو أحدهما أو بعض أهل بيته من المؤمنين دفع إليه يغذوه، وإلا دفع إلى فاطمة عليها السلام تغذوه حتى يقدم أبواه أو أحدهما أو بعض أهل بيته فتدفعه إليه. « ص ٤٣٩ »

١٨ - يه: في الصحيح عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى يدفع إلى إبراهيم وسارة أطفال المؤمنين يغذوانهم بشجرة في الجنة لها أخلاف^(٥) كأخلاف البقر في قصر من الدر،^(٦) فإذا كان يوم

(١) أي في زمان انقطاع الرسل وعدم تيسر الوصول إلى الحجة.

(٢) أي البلوغ والادراك.

(٣) المعنوه: من نقص عقله. ويقال أيضاً: لمن دهش من غير مس جنون. وفي الحديث اريد

به المعنى الاول.

(٤) أي البررة التي تحبس رحمها فلم تلد.

(٥) جمع (خلف) بكسر الغاء وسكون اللام: حلقة ضرع الناقة.

(٦) في المصدر: من ددة م.

القيامة ألبسوا وأطبوا وأهدوا إلى آبائهم ، فهم ملوك في الجنة مع آبائهم ، وهو قول الله تعالى : «والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم بإيمان الحقنا بهم ذرّيتهم» . (ص ٤٣٩ ، بيان : يمكن الجمع بين الخبرين بأن بعضهم تربيه فاطمة عليها السلام ، وبعضهم إبراهيم وسارة عليهما السلام على اختلاف مراتب آبائهم ، أودفعه فاطمة عليها السلام إليهما .^(١)

١٩ - و روى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب المختصر^(٢) نقلاً من كتاب المعراج للشيخ الصالح أبي محمد الحسن بإسناده عن الصدوق ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي القاسم ، عن محمد بن علي الكوفي ، عن محمد بن عبد الله بن مهران ، عن صالح بن عقبة ، عن يزيد بن عبد الملك ، عن الباقر عليه السلام قال : لمّا صدر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء وانتهى إلى السماء السابعة ولقى الأنبياء عليهم السلام قال : أين أبي إبراهيم عليه السلام ؟ قالوا له : هو مع أطفال شيعة عليّ ؛ فدخل الجنة فإذا هو تحت شجرة لها ضروع كضروع البقر ، فإذا انفلت الضرع من فم الصبي قام إبراهيم فردّ عليه ؛ قال : فسلمّ عليه فسأله عن عليّ عليه السلام فقال : خلفته في أمّتي ، قال : نعم الخليفة خلفت ، أما إن الله فرض على الملائكة طاعته ، وهؤلاء أطفال شيعته ، سألت الله أن يجعلني القائم عليهم ففعل ، وإن الصبي ليجرّع الجرعة فيجد طعم نمار الجنة وأنهارها في تلك الجرعة .

٢٠ - يه : في الصحيح سأل جميل بن درّاج أبا عبد الله عليه السلام عن أطفال الأنبياء ، فقال : ليسوا كأطفال الناس ؛ وسأله عن إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله : لو بقي كان صدّيقاً نبياً ؟ قال : لو بقي كان عليّ منهاج أبيه صلى الله عليه وآله . (ص ٤٣٩ ، بيان : أي كان مؤمناً موحداً تابعاً لأبيه لانبياً .

٢١ - يه : روى وهب بن وهب ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليه السلام قال : قال عليّ عليه السلام : أولاد المشركين مع آبائهم في النار ، وأولاد المسلمين مع آبائهم في الجنة . (ص ٤٣٩ ،

(١) ليس في نظام الجنة تراحم كما هو في الدنيا ، والكتاب والسنة ناطقان بذلك فلانفاة بين تربية فاطمة عليها السلام لأطفال المؤمنين في الجنة و تربية إبراهيم و سارة عليهما السلام لهم حتى يحتاج الى الجمع بين الروايات . ط
(٢) أي المختصر من بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله .

٢٢ - يه : في الصحيح روى جعفر بن بشير ، عن عبد الله بن سنان قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أولاد المشرّكين يموتون قبل أن يبلغوا الحنث ؛ قال : كفّار ، والله أعلم بما كانوا عاملين ، يدخلون مداخل آبائهم . وقال عليه السلام : يؤجّج ^(١) لهم ناراً فيقال لهم : ادخلوها ، فإن دخلوها كانت عليهم برداً وسلاماً ، وإن أبوا قال لهم الله عز وجل : هوذا أنافد أمرتكم فعصيتموني ؛ فيأمر الله عز وجل بهم إلى النار . ص . ٤٤ ،

بيان : قال الصدوق رحمه الله - بعد إيراد تلك الأخبار - : هذه الأخبار متّفة وليست بمختلفة ، وأطفال المشرّكين والكفّار مع آبائهم في النار لا يصيبهم من حرّها لتكون الحجّة أوكد عليهم متى أمروا يوم القيامة بدخول نار تؤجّج لهم مع ضمان السلامة متى لم يتقوا به ولم يصدقوا وعده في شيء ، قد شاهدوا مثله .

أقول : جمع الصدوق بينها بحمل مادل على إطلاق دخولهم النار على نار البرزخ ، وقال : لا يصيبهم حرّها حينئذ ، ورأى أن فائدة ذلك توكيد الحجّة عليهم في التكليف بدخول نار تؤجّج لهم في القيامة . ويمكن أن يقال : لعلّ الله تعالى يعلم أن كل أولاد الكفار الذين يموتون قبل الحلم لا يدخلون النار يوم القيامة بعد التكليف ، فلذا قال : الله أعلم بما كانوا عاملين أي في القيامة بعد التكليف ، ولذا جعلهم من أولادهم ، ويمكن أيضاً أن يحمل قوله عليه السلام : كفّار على أنه يجري عليهم في الدنيا أحكام الكفار بالتبعية في النجاسة وعدم التفسير ، والتكفين ، والصلاة ، والتوارث ، وغير ذلك ؛ ويخصّ دخولهم النار ودخولهم مداخل آبائهم بمن لم يدخل منهم نار التكليف ، والأظهر حملها على التقيّة لموافقها لروايات المخالفين وأقوال أكثرهم ، قال النووي في شرح صحيح المسلم : اختلف العلماء فيمن مات من أطفال المشرّكين فمنهم من يقول : هم تبع لآبائهم في النار ، ومنهم من يتوقف فيهم ، والثالث - وهو الصحيح - الذي ذهب إليه المحقّقون - أنهم من أهل الجنّة واستدلّوا بأشياء :

منها حديث إبراهيم الخليل حين رآه النبي صلى الله عليه وآله وحوله أولاد الناس ؛ قالوا : يا رسول الله وأولاد المشرّكين ؛ قال : وأولاد المشرّكين . رواه البخاري في صحيحه .

(١) في المصدر : وقال على عليه السلام يؤجّج . الخبر ؛ والظاهر يؤجّج

ومنها قوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ^(١) ولا يتوجبه على المولود التكليف حتى يبلغ فيلزم الحجة انتهى .

وروى الحسين بن مسعود البغوي في شرح السنة باسناده عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين ، قال : الله أعلم بما كانوافاعلين . وقال : هذا حديث متفق على صحته .

وروي باسناد آخر عن صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله من يولد يولد على الفطرة ، وأبواه يهودانه وينصرانه ، كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها جدعا ^(٢) حتى تكونوا أنتم تجدونها ؟ قالوا : يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين .

ثم قال : هذا حديث متفق على صحته . ثم قال في شرح الخبر : قلت : أطفال المشركين لا يحكم لهم بجنة ولا نار ، بل أمرهم موكول إلى علم الله فيهم ، كما أفتى به الرسول ﷺ ، وبجملته الأمر أن مرجع العباد في المعاد إلى ما سبق لهم في علم الله من السعادة والشقاوة . وقيل : حكم أطفال المؤمنين والمشركين حكم آبائهم وهو المراد بقوله : الله أعلم بما كانوا عاملين ، يدل عليه ما روي مفسراً عن عائشة أنها قالت : قلت يا رسول الله ذراري المؤمنين ؟ قال : من آبائهم ، فقلت : يا رسول الله بلا عمل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، قلت : فذراري المشركين ؟ قال : من آبائهم ، قلت : بلا عمل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين .

وقال معمر ، عن قتادة ، عن الحسن : إن سلمان قال : أولاد المشركين خدم أهل الجنة ، قال الحسن : أتعجبون ؟ أكرمهم الله وأكرمهم به . انتهى .

أقول : فظهر أن تلك الروايات موافقة لما رواه المخالفون في طرقهم ، وقد أوالها أئمتنا عليهم السلام بممار في الأخبار السابقة . ثم أعلم أنه لا خلاف بين أصحابنا في أن أطفال المؤمنين يدخلون الجنة ، وذهب المتكلمون منها إلى أن أطفال الكفار لا يدخلون النار

(١) اسرى : ١٥ .

(٢) أى مقطوع الاذن وناقص الاعضاء . وفى نسخة المصنف : من جدعا .

فهم إمّا يدخلون الجنّة ، أو يسكنون الأعراف ؛ وذهب أكثر المحدثين منّا إلى ما دلّت عليه الأخبار الصحيحة من تكليفهم في القيامة بدخول النار المؤجّجة لهم ؛ قال المحقق الطوسي رحمه الله في التجريد : تعذيب غير المكلّف قبيح ، وكلام نوح عليه السلام مجاز والخدمة ليست عقوبة له ، والتبعية في بعض الأحكام جائزة .

وقال العلامة قدّس الله روحه في شرحه : ذهب بعض الحشويّة إلى أنّ الله تعالى يعذب أطفال المشركين ويلزم الأشاعرة تجويزه ، والعدليّة كافّة على منعه ، والدليل عليه أنّه قبيح عقلاً فلا يصدر منه تعالى ، احتجّوا بوجوه :

الأوّل قول نوح عليه السلام : «ولا يلدوا إلّا ناعراً كفّاراً» والجواب أنّه مجاز والتقدير أنّهم بصيرون كذلك لأحال طفوليّتهم .

الثاني : قالوا : إنّنا نستخدمه لأجل كفر أبيه فقد فعلنا فيه ألماً وعقوبة فلا يكون قبيحاً .

والجواب : أنّ الخدمة ليست عقوبة للطفل ، وليس كلّ ألم عقوبة ، فإنّ الفصد والحجامة ألمان وليس عقوبة ، نعم استخدامه عقوبة لأبيه وامتحان له يعوّض عليه كما يعوّض على إمرأته .

الثالث : قالوا : إنّ حكم الطفل يتبع حكم أبيه في الدفن ، ومنع الثوارث ، والصلاة عليه ، ومنع التزويج .

والجواب : أنّ المنكر عقابه لأجل جرم أبيه ، وليس بمنكر أن يتبع حكم أبيه في بعض الأشياء ، إذا لم يجعل له بها ألم وعقوبة ، ولألم له في منعه من الدفن والتوارث وترك الصلاة عليه .

﴿باب ١٤﴾

﴿من رفع عنه القلم ، ونفى الحرج في الدين ، وشرائط صحة التكليف﴾

﴿وما يعذر فيه الجاهل وأنه يلزم على الله التعريف﴾ ☆

الآيات ، البقرة ٢٠ ، لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ٢٥٦ . وقال تعالى : لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ٢٨٦ .

الأنعام ٦ ، قد جائكم بضائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ١٠٤ .

الأنعام ٦ ، الاعراف ٧ ، لا تكلف نفساً إلا وسعها ١٥٤ ، ٤٧ .
الأنفال ٨ ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم ٤٢ .

التوبة ٩ ، وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ١١٥ .

النحل ١٦ ، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهدىكم أجمعين ٩ .

الاسرى ١٧ ، من اهتدى فإنا نمشي له ونصلي له ونخمس له فواته ومن ضل فإنا نضل عليه ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ١٥ .

طه ٢٠ ، ولو أننا أهلكناهم بعداذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ١٣٤ .

الحج ٢٢ ، وما جعل عليكم في الدين من حرج ٧٨ .

النور ٢٤ ، كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ٥٨ ، وقال : كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ٥٩ .

الشعراء ٢٦٠ ، وما أهلكنا من قرية إلا ولها منذرون * ذكرى وما كنا ظالمين ١٠٨-١٠٩ .

القصص ٢٨٠ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدّمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ٤٦ وقال تعالى : وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمّها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ٥٩ .

الاحزاب ٣٣ ، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ٥ .
الطلاق ٦٥ ، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتيا ٧ .

تفسير : « لا إكراه في الدين » قيل : هو منسوخ بآيات الجهاد . وقيل : خاص بأهل الكتاب . وقيل : الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً ؛ ولكن « قد تبين الرشد من الغي » أي تميّز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة ، ودلت الدلائل على أن الإيمان يوصل إلى السعادة ، والكفر يوصل إلى الشقاوة ، والعاقلة متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان من غير إلجاء وإكراه « إلا وسعها » أي ما يسعه قدرتها ، أو مادون مدى طاقتها ، بحيث يتسع فيه طوقها كقوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر » .

« إن نسينا أو أخطأنا » أي لا تؤاخذنا بما أدّى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط وقلة مبالاة ، أو يكون سؤالا على سبيل التضرّع والاستكانة ، وإن كان ما يسأله لازماً على الله تعالى ، أو المراد بنسينا تركنا ، وبأخطأنا أذنبنا . « إصرأ » أي عبثاً ثقيلأ يأصر صاحبه أي يحبس في مكانه ، يريد به التكليف الشاقّة . « ملاطاقة لنا به » أي من البلايا والعقوبة أو ما يثقل علينا تحمّله من التكليف الشاقّة ، وقد يقول الرجل لأمر يصعب عليه : إنني لأطيقه ؛ أو يكون الدعاء على سبيل التبعّد كما مرّ .

« أهلك من هلك عن بينة » أي ليموت من يموت عن بينة عاينها ، ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها ، لئلا يكون له حجة ومعدرة ؛ أوليصدركفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بينة ، على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام ، والمراد بمن

هلك ومن حي المشافر للهلاك والحياة ، أو من هذا حاله في علم الله وقضائه .
 « وما كان الله ليضلّ قوماً أي ليسمهم ضاللاً ، أو يؤخذهم مؤاخذههم ويعذبهم
 ويضلهم عن سبيل الجنة .

قوله تعالى : وعلى الله قصد السبيل أي يجب على الله في عدله بيان الطريق المستقيم
 « ومنها جائز » أي من السبيل ما هو عادل عن الحق . قوله تعالى : « لولا أن تصيبهم مصيبة »
 لولا الأولى امتناعية ، و لولا الثانية تحضيضية ، وجواب الأولى محذوف ، أي ما
 أرسلناك . قوله تعالى : في أممها أي في أصلها ومعظمها فإن الأشراف غالباً يسكنون
 المدن . « إلا ما آتينا » أي لا بقدر ما أعطاها من الطاقة .

١ - ب : هارون ، عن ابن زياد ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : « بما
 أعطى الله أممتي وفضلهم به على سائر الأمم أعطاهم ثلاث خصال لم يعطها إلا نبي ،
 وذلك أن الله تبارك وتعالى كان إذا بعث نبياً قال له : اجتهد في دينك ولا حرج عليك .
 وإن الله تبارك وتعالى أعطى ذلك أممتي حيث يقول : « وما جعل عليكم في الدين من
 حرج » يقول : من ضيق . الخبر « ص ٤١ »

٢ - ب : البرزاز ، عن أبي البخري ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن عليّ ﷺ قال :
 لا غلط على مسلم في شيء .^(١) « ص ٦٣ »

٣ - ل : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن ابن
 مسكان ، عن موسى بن بكر قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : الرجل يغمى عليه اليوم و
 اليومين والثلاثة والأربعة وأكثر من ذلك ، كم يقضي من صلاته ؟ فقال : ألا أخبرك
 بما يجمع لك هذا وأشباهه ؟ كلما غلب الله عز وجل عليه من أمر الله أعذر لعبد . وزاد
 فيه غيره : إن أبا عبد الله ﷺ قال : وهذا من الأبواب التي يفتح كل باب منها ألف
 باب . « ص ١٧٤ »

٤ - سن : عليّ بن الحكم ، عن أبان الأحمر ، عن حمزة الطيار ، عن أبي عبد الله
 عليه السلام قال : قال لي : اكتب ، وأملئ : أن من قولنا : إن الله يحتج على العباد بالذي

(١) كذا في نسخة المصنف بغطه الشريف ؛ وفي المصدر وكذا في بعض نسخ البحار : « لا غلط »
 أي ليس فيما لم يعرف وجه الصواب فيه على السلم مؤاخذه ، أو حكم إلزامي .

آتاهم وعرفهم ، ثم أرسل إليهم رسولا وأنزل عليه الكتاب ، وأمر فيه ونهى ، أمر فيه بالصلاة والصوم فنام رسول الله ﷺ عن الصلاة فقال : أنا أنيمك وأنا أوقظك ، فإذا قمت فصل ليعلموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون ليس كما يقولون : إذا نام عنها هلك ؛ وكذلك الصيام أنا أمرضك وأنا أصحك ، فإذا شفيتك فاقضه . ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : وكذلك إذا نظرت في جميع الأشياء لم تجد أحداً ^(١) إلا والله عليه حجة وله فيه المشيئة ، ولأقول : إنهم ماشاؤوا صنعوا . ثم قال : إن الله يهدي ويضل ، وقال : ما أمروا إلا بدون سعتهم ، وكل شيء أمر الناس به فهم يسعون له ، وكل شيء لا يسعون له فموضوع عنهم ولكن الناس لا خير فيهم ، ثم تلا : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج » فوضع ^(٢) عنهم « ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » قال : فوضع عنهم لأنهم لا يجدون ما ينفقون ، وقال : « إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون » . « ص ٢٣٦ - ٢٣٧ »

شى : عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام مثله .
٥ - سنن : محمد بن علي ، عن حكم بن مسكين الثقفي ، عن النضر بن قرواش قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنما احتج الله على العباد بما آتاهم وعرفهم . « ص ٢٣٦ »
سنن : بعض أصحابنا ، عن ابن أسباط ، عن حكم بن مسكين مثله . « ص ٢٧٥ - ٢٧٦ »
٦ - سنن : أبي ، عن صفوان ، عن منصور بن حازم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : الناس مأمورون ومنهينون ومن كان له عذر عذره الله . ^(٣) « ص ٢٤٥ »

٧ - سنن : ابن فضال ، عن ثعلبة ، عن حمزة بن الطيار ؛ وحدثننا أبي ، عن فضالة عن أبان الأحمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « ما كان الله ليضل قوماً بعد إذهابهم حتى يبين لهم ما يتقون » قال : حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسيخطه ، وقال : « فآلهمها

(١) في المصدر : في ضيق ولم تجد أحداً . م

(٢) ليست في المصدر جملة « فوضع عنهم » إلى « غفور رحيم » . م

(٣) أى قبل عذره ورفع عنه اللوم والذنب .

فجورها وتقويها » قال : يبين لها ما تأثم وما تترك ؛ وقال : « إننا هديناه السبيل إما شاكراً وإمّا كفوراً » قال : عرفناه فإمّا أخذ وإمّا ترك .^(١)

رسأله عن قول الله : « يحول بين المرء وقلبه » قال : يشتهي سمعه وبصره ولسانه ويده وقلبه ؛ أما إنه هوعسى^(٢) شيء مما يشتهي فإنه لا يأتيه إلا وقلبه منكسر ، لا يقبل الذي يأتي ، يعرف أن الحق غيره . وعن قوله : « فأما ثمود فهديناهم فاستجبوا للعمى على الهدى » قال : نهاهم عن فعلهم فاستجبوا العمى على الهدى وهم يعرفون . « ص ٢٧٦ »

٨ - سن : ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « إننا هديناه السبيل إما شاكراً وإمّا كفوراً » قال : علمه السبيل فإمّا أخذ فهو شاكراً ، وإمّا تارك فهو كافر . « ص ٢٧٦ »

٩ - سن : ابن يزيد ، عن رجل ، عن الحكم بن مسكين ، عن أيوب بن الحر بن سباع الهروي قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا أيوب ما من أحد إلا وقد يرد^(٣) عليه الحق حتى يصدع ، قبله أم تركه ، وذلك أن الله يقول في كتابه : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون » . « ص ٢٦ »

بيان : الصدع الإظهار والتبيين ، وقال البيضاوي في قوله : « فيدمغه » أي فيمحقه وإنما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم اصلاحة المرمي ، والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدي إلى زهوق الروح تصويراً لإبطاله ، ومبالغة فيه « فإذا هو زاهق » هالك ، والزهوق : ذهاب الروح ، وذكره لترشيح المجاز .

١٠ - سن : أبي ، عن يونس ، عن حماد بن عثمان ، عن عبد الأعلى قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة ؟ قال : لا ؛ قلت : فهل كلّفوا المعرفة ؟ قال : لا إن على الله البيان ، لا يكلف الله العباد إلا وسعها . ولا يكلف نفساً إلا ما آتاها . « ص ٢٧٦ - ٢٧٧ »

(١) في نسخة : فاما أخذ وإمّا تارك .

(٢) في المصدر : اما انه هوعسى شيئاً .

(٣) في المصدر : يرد .

١١ - سن : عدة من أصحابنا ، عن علي بن أسباط ، عن جميل بن دراج ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى ليمن على قوم وما فيهم خير فيحتج الله عليهم فيلزمهم الحجة . «ص ٢٧٧»

١٢ - سن : ابن محبوب ، عن سيف بن عميرة ، و عبد العزيز العبدى ، و عبد الله ابن أبي يعفور ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أبى الله أن يعرف باطلاً حقاً ، أبى الله أن يجعل الحق في قلب المؤمن باطلاً ، لا شك فيه ، و أبى الله أن يجعل الباطل في قلب الكافر المخالف حقاً ، لا شك فيه ، و لولم يجعل هذا هكذا ما عرف حق من باطل . «ص ٢٧٧»

١٣ - ل : الحسن بن محمد السكوني ، عن محمد بن عبد الله الحضرمي ، عن إبراهيم ابن أبي معاوية ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن ابن ظبيان قال ، أتني عمر بامرأة مجنونة قد فجرت ، فأمر برجمها ، فمروا بها على علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : ماهذه ؟ قالوا : مجنونة فجرت فأمر بها عمر أن ترجم ؛ قال : لا تعجلوا ، فأتني عمر فقال له : أما علمت أن القلم رفع عن ثلاث : عن الصبي حتى يحتلم ، و عن المجنون حتى يفيق ، و عن النائم حتى يستيقظ ؟ . «ج ١ ص ٤٦»

١٤ - يد ، ل : العطاس ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن حماد ، عن حرير . عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : رفع عن أمتي تسعة : الخطاء ، والنسيان ، و ما أكرهوا عليه ، و ما لا يعلمون ، و ما لا يطيقون ، و ما اضطرر إليه ، و الحسد ، و الطيرة و التفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشقة . «ص ٣٦٤» «ج ٢ ص ٤٤»

بيان : المراد بالرفع في أكثرها رفع المؤاخذة والعقاب ، و في بعضها يحتمل رفع التأثير ، و في بعضها النهي أيضاً ، فأما اختصاص رفع الخطاء والنسيان بهذه الأمة فلعله لكون سائر الأمم مؤاخذين بها إذا كان مباديها باختيارهم ، على أنه يحتمل أن يكون المراد اختصاص المجموع ، فلا ينافي اشتراك البعض .

وأما ما أكرهوا عليه فلعله كان يلزمهم تحمل المشاق العظيمة فيما أكرهوا عليه ، و قد وسع الله على هذه الأمة بتوسيع دائرة التقية . وأما ما لا يعلمون فرفع

كثير منها ظاهر كالصلاة في الثوب والمكان المغصوبين والثوب النجس ، والسجود على الموضع النجس ، وجهل الحكم في كثير من المسائل ، والجهل بالأحكام التي لم تصل إلينا ، ولعل سائر الأمم كانوا يؤخذون بالقضاء والإعادة ، واللفظ وإن كان عاماً لكنّه مختص بالإجماع بالموارد الخاصة . وأمّا مالا يطيقون فقد مرّ بيانه .

وأما الطيرة - بكسر الطاء وفتح الياء وسكونها ، وهو ما يتشاهم به من الفال الرديّ - فيمكن أن يكون المراد برفعها النهي عنها ، بأن لا تكون منهيّاً عنها في الأمم السالفة ، ويحتمل أن يكون المراد تأثيرها ، أو حرمة تأثر النفس بها والاعتناء بشأنها ، والأخير أظهر ، وسيأتي بيانه . وكذا الحسد يحتمل الوجهين الأولين وثالثاً وهو عدم حرمة مالا يظهر من الحسد ، وهو أظهر كما ورد في الأخبار : **إِلَّا أَنْ الْمُؤْمِنَ لَا يَظْهَرُ الْحَسَدُ** .

وأما التفكير في الوسوسة في الخلق ويحتمل أن يكون المعنى التفكير فيما يوسوس الشيطان في القلب في الخالق ومبدئه وكيفية خلقه فإنّها معفو عنها مالم يعتقد خلاف الحق ، ومالم ينطق بالكفر الذي يخطر بباله ، أو المراد التفكير في خلق الأعمال ومسألة القضاء والقدر ؛ أو المراد التفكير فيما يوسوس الشيطان في النفس من أحوال المخلوقين وسوء الظنّ بهم في أعمالهم وأحوالهم ، ويؤيد الأخير كثير من الأخبار ، وقد فصلنا القول فيه في شرح روضة الكافي .

١٥ - ين : فضالة ، عن سيف بن عميرة ، عن إسماعيل الجعفي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : وضع عن هذه الأمة ستة : الخطاء ، والنسيان ، وما استكرهوا عليه ، وما لا يعلمون ، وما لا يطيقون ، وما اضطروا عليه .

١٦ - ين : عن ربعي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : الله عفى عن أمتي ثلاثاً : الخطاء ، والنسيان ، والاستكراه . وقال أبو عبد الله عليه السلام : وفيها رابعة : وما لا يطيقون .

١٧ - يد : عن الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام : وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه .

١٨ - ابن : عن أبي الحسن قال : سأله عن الرجل يستكره على اليمين فيحلف بالطلاق والعناق وصدقة ما يملك ، أيلزمه ذلك ؟ فقال : لا . ثم قال : قال رسول الله ﷺ : وضع عن أمتي ما أكرهوا عليه ، وما لم يطبقوا ، وما أخطؤوا .

عد : اعتقادنا في التكليف هو أن الله تعالى لم يكلف عباده إلا دون ما يطبقون كما قال الله عز وجل : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » والوسع دون الطاقة .

١٩ - قال الصادق عليه السلام : والله ما كلف الله العباد إلا دون ما يطبقون لأنه كلفهم في كل يوم ليلة خمس صلوات ، وكلفهم في السنة صيام ثلاثين يوماً ، وكلفهم في كل مائتي درهم خمسة دراهم ، وكلفهم حجة واحدة ، وهم يطبقون أكثر من ذلك . « ص ٦٨ - ٦٩ »

٢٠ - ما : جماعة ، عن أبي الفضل ، عن أحمد بن محمد بن الحسين العلوي ، عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى ، عن عميه علي والحسين ابني موسى بن جعفر ، عن آبائهم عليهم السلام عن النبي ﷺ قال : يوحى الله عز وجل إلى الحفظة الكرام : لا تكتبوا على عبدي المؤمن عند ضجره شيئاً . « ص ١٦ »

٢١ - نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام : قد بصرتم إن أبصرتم ، ^(١) وقد هديتم إن اهتديتم ، وأسمعتهم إن استمعتم .

٢٢ - وقال عليه السلام : قد أضاء الصبح لذي عينين . ^(٢)

٢٣ - كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي : بإسناده عن يحيى بن سعيد ، عن أبيه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنه ليس لهاك هلك من يعذره في تعمّد ضلالة حسبها هدى ، ولا ترك حق حسبها ضلالة .

٢٤ - سنن : أبي ، عن يونس رفعه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ليس من باطل يقوم بإزاء الحق إلا أغلب الحق الباطل ، وذلك قوله : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » . « ص ٢٧٧ »

(١) أي كشف الله لكم عن الخير والشر وعرفهم بما لكم ان استملتكم بصركم . وكذا فيما بعده .

(٢) أي تبين ووضع سبيل الهدى لمن كان له بصيرة في أمر الدنيا وفنائها ، وبصيرة في الآخرة وبقيائها .

٢٥ - سن : النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كل قوم يعملون على ريبة من أمرهم ، ومشكلة من رأيهم ، وزاري منهم على من سواهم ، وقد تبين الحق من ذلك بمقايضة العدل عند ذوي الألباب . «ص ٢٧٧»

٢٦ - شي : عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم ، عن أحدهما عليه السلام قال : في آخر البقرة لما دعوا أجيبوا : «لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها» قال : ما افترض الله عليها «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» وكذا قوله : «لا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا» .

٢٧ - شي : عن عمرو بن مروان الخزّاز قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : رفعت عن أمتي أربع خصال : ما أخطؤوا ، وما نسوا ، وما أكرهوا عليه ، وما لم يطيقوا ؛ وذلك في كتاب الله قول الله تبارك وتعالى : «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به» وقول الله : «إلّا من أكره» وقلبه مطمئن بالإيمان .

٢٨ - شي : عن محمد بن حكيم رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته أنستطيع النفس المعرفة ؟ قال : فقال : لا ، فقلت : يقول الله : «الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً» قال : هو كقوله : «وما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون» قلت : فعابهم ؟ قال : لم يعيهم بما صنع في قلوبهم ، ولكن عابهم بما صنعوا ولولم يتكلفوا لم يكن عليهم شيء .

بيان : أي الغطاء والمنع عن السمع والبصر إنما ترتبت على أعمالهم السيئة ، فإنما عابهم على أفعالهم التي صارت أسباباً لتلك الحالات ؛ أو المعنى أن المراد بالغطاء وعدم استطاعة السمع والبصر ما سلطوا على أنفسهم من التعصب والامتناع عن قبول الحق ، لاشيء صنعه الله في قلوبهم وسمعهم وبصرهم .

٢٩ - ٣٥ : علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن علي بن عطية ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كنت عنده وسأله رجل عن رجل يجيء منه الشيء على حدّ الغضب : يؤاخذ الله

به ؟ فقال : الله أكرم من أن يستغلق عبده . و في نسخة أبي الحسن الأول عليه السلام : يستغلق عبده .

توضيح : قوله : من أن يستغلق عبده أي يكلفه و يجبره فيما لم يكن له فيه اختيار ، قال الفيروز آبادي : استغلقني في بيعته : لم يجعل لي خياراً في ردّه . قوله : و في نسخة أبي الحسن الأول يستغلق لعله كان الحديث في بعض الأصول مروياً عن أبي الحسن عليه السلام ، و فيه كان « يستغلق » بالقاف ، من القلق بمعنى الانزعاج والاضطراب ، و يرجع إلى الأول بتكلف .

تذنيب : قال السيّد المرتضى رضي الله عنه : إن سأل سائل عن قوله تعالى : « ما كانوا يستطيعون السمع و ما كانوا يبصرون » ^(١) كيف نفى استطاعتهم للسمع و الإبصار ، وأكثرهم كان يسمع بأذنه و يرى بعينه ؟ قلنا : فيه وجوه :

أحدها أن يكون المعنى : يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون ، و بما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً للحقّ ، فأسقط الباء من الكلام ، و ذلك جائز ، كما جاز في قولهم : لأجزينك بما علمت ، ولأجزينك ما علمت ؛ ولأحدثك بما علمت ، ولأحدثك ما علمت .

والثاني أنهم لاستثقالهم استماع آيات الله و كراهتهم تذكرها و تدبرها وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل : ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة عداوته إلى فلان ، و ما يقدر أن يكلمه . ومعنى ما كانوا يبصرون : أن إبصارهم لم يكن نافعا لهم ولا مجدياً عليهم مع الإعراض عن تأمل آيات الله تعالى و تدبرها ، فلمّا انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي عنهم الإبصار نفسه .

و الثالث أن يكون معنى نفي السمع و البصر راجعاً إلى آلهتهم لا إليهم ، و تقدير الكلام : أولئك و آلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض ، يضاعف لهم العذاب ، ثم قال مخبراً عن الآلهة : ما كانوا يستطيعون السمع و ما كانوا يبصرون ، وهذا الوجه يروى عن ابن عباس ، و فيه أدنى بعد . ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن تكون « ما »

في قوله : « ما كانوا يستطيعون السَّمْع » ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم : لا واصلنك ملاح نجم ، ويكون المعنى : أن العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ، أي أنهم معذبون ما كانوا أحياء .

وقال رحمه الله في تأويل قوله تعالى : « ربَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا »^(١) قيل : المراد بنسياننا تركنا ، قال قطرب : معنى النسيان ههنا الترك ، كما قال تعالى : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي »^(٢) أي ترك ، ولولا ذلك لم يكن فعله معصية ، وكقوله تعالى : « نسوا الله فنسيهم »^(٣) أي تركوا طاعته فتركهم من نوابه ورحمته ، وقد يقول الرجل لصاحبه : لا تنسني من عطيتك أي لا تتركني منها ، وقد يمكن في الآية وجه آخر وهو أن يحمل النسيان على السهو وفقد العلوم ، ويكون وجه الدعاء بذلك ما قد بينناه فيما تقدّم من السؤال على سبيل الانقطاع إلى الله والاستغاثة به وإن كان مأموماً منه المؤاخذة بمثله ، ويجري مجرى قوله : « ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به » وهذا الوجه أيضاً يمكن في قوله : « وأخطأنا » إذا كان الخطأ ما وقع سهواً أو عن غير عمد ، فأما على ما يطابق الوجه الأول فقد يجوز أن يريد بالخطأ ما يفعل من المعاصي بالتأويل السيئ ، وعن جهل بأنها معاص ، لأن من قصد شيئاً على اعتقاده أنه بصفة فوق ما هو بخلاف معتقده يقال : قد أخطأ فكأنه أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل ، ومما أقدموا عليه خطئين متأولين ، ويمكن أيضاً أن يريد بأخطأنا ههنا أذنبنا وفعلنا قبيحاً ، وإن كانوا له متعمدين وبه عالين ، لأن جميع معاصينا لله تعالى قديوصف كلها بأنها خطأ من حيث فارقت الصواب ، وإن كان فاعلها متعمداً ، وكأنه أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه من الواجبات ، ومما فعلوه من المقبّحات ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب ، والله أعلم بمراده .

(٣) التوبة : ٦٧ .

(٢) طه : ١١٥ .

(١) البقرة : ٢٨٦ .

﴿باب ١٥﴾

﴿علّة خلق العباد وتكليفهم ، والعلّة التي من أجلها جعل الله في الدنيا﴾

﴿الذات والالام والمحن﴾

الآيات ، الحجر «١٥» وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإنّ السّاعة لآتية ٨٥ .

الأنبياء «٢١» وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لآعين * لو أردنا أن نتخذ لهم آتخذنا من دنا إن كنّا فاعلين * بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل ممّا تصفون ١٦-١٨ .

المؤمنين «٢٣» أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ١١٥ .

الفرقان «٢٥» قل ما يعزّبكم ربّي لولا دعوكم فقد كذّبتم فسوف يكون لزاماً ٧٧ .

الروم «٣٠» أولم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمّى وإنّ كثيراً من النّاس بلقاء ربّهم لكافرون ٨ « وقال تعالى : ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي النّاس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلّهم يرجعون ٤١ .

الاحزاب «٣٣» إنّنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّّه كان ظلوماً جهولاً ٧٢ .

ص « ٣٨ » وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الذين كفروا ٢٧ .

الزمر «٣٩» خلق السموات والأرض بالحق ٥ .

حمص «٤٢» وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ٣٠ .

الدخان «٤٤»، وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لآعين * ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ٣٨-٣٩ .

الجاثية «٤٥»، وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ٢٢ .

الاحقاف «٤٦»، ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ٣ .
الذاريات «٥١»، وما خلقت الجن والإانس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ٥٦ - ٥٧ .

القيامة «٧٥»، أحسب الإنسان أن يترك سدى ٣٦ .

تفسير : قال البيضاوي في قوله تعالى : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لآعين » : وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار ، وتذكراً لذوي الاعتبار ، وتسبيحاً لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد ، فينبغي أن يتشبهوا بها إلى تحصيل الكمال ، ولا يفتروا بزخارفها ، فإنها سريعة الزوال . « لو أردنا أن نتخذلهوا » ما يتلهمى به ويلعب « لا نتخذناه من لدنا » من جهة قدرتنا ، أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لامن الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة ، كعادتك في رفع السقوف وتزييقها ، وتسوية الفروش وتزيينها . وقيل : اللهو : الولد بلغة اليمن . وقيل : الزوجة ، والمراد الرد على النصارى . « إن كنّا فاعلين » ذلك ، ويدل على جوابه الجواب المتقدم . وقيل : « إن » نافية ، والجملة كالنتيجة للشرطيّة « بل نقذف بالحق على الباطل المذي من عداد اللهو فيدمغه » فيمحقه « فإذا هو زاهق » هالك انتهى ^(١) .

(١) قال الرضى رحمه الله : و هذه استعارة لان حقيقة القذف من صفات الاشياء الثقيلة التي يرم بها ، كالحجارة وغيرها ، فجعل سبحانه إيراد الحق على الباطل بمنزلة الحجر الثقيل الذي يرمض ما صكه و يدمغ مامسته ، و لما بدأ تعالى بذكر قذف الحق على الباطل - و في الاستعارة حنفاً وأعطاها واجبها - فقال سبحانه : « فيدمغه » ولم يقل : فيذمه و يبطله ؛ لان الدمغ إنما يكون عن وقوع الاشياء الثقال على طريق القلب و الاستملاء ، فكأن الحق أصاب دماغ الباطل فأهلكه ، و الدماغ مقتل ، و لذلك قال سبحانه من بعد : « فإذا هو زاهق » و الزاهق : الهالك .

قوله تعالى : «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً» استدلال على البعث بأن لذات هذه الدار الفانية لا تليق بأن تكون مقصودة لخلق هذه العالم مع هذه الآلام والمشاق والمصائب المشاهدة فيها فلولم يكن لاستحقاق داراً أخرى باقية خالية عن المحن والآلام لكان الخلق عبثاً ولذا قال بعده : «وأنتم إلينا لترجعون» .

قوله تعالى : « قل ما يعبوبكم ربّي لولا دعآؤكم »^(١) أي ما يصنع بكم أولاً يعتدّ بكم لولا دعآؤكم إلى الدين ، أولولا عبادتكم ، أولولا دعآؤكم لله عند الشدائد ، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام .

قوله تعالى : «إنّا عرضنا الأمانة» قيل : هي التكليف بالأوامر والنواهي ، و المعنى أنّها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام وكانت ذا شعور وإدراك «لأنّين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان» مع ضعف بنيته ورخاوة قوّته لاجرم فإن الراعي لها بخير الدارين «إنّه كان ظلوماً» حيث لم يراع حقّها «جهولاً» بكنهه عاقبتها . وقيل : المراد الطاعة التي تعمّ الاختيارية والطبيعية ، و عرضها : استدعاؤها الذي يعمّ طلب الفعل من المختار وإرادة صدور من غيره ، وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها . والظلم والجهالة : الخيانة والتقصير . وقيل : إنّ تعالى لمّا خلق هذه الأجرام خلق فيها فهماً وقال لها : إنّي فرضت فريضةً و ناراً لمن عصاني ، فقلن : نحن مسخّرات على ما خلقنا لانحتمل فريضة ، ولا نبغي نواباً ولا عقاباً ؛ ولمّا خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحملة ، وكان ظلوماً لنفسه بتحمّل ما يشقّ عليها ، جهولاً بوخاومة عاقبته . وقيل : المراد بالأمانة العقل أو التكليف ، و بعرضها عليهنّ اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهنّ ، وبإبائهنّ الإيباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الإنسان قابليّته واستعداده لها ، و كونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوّة

(١) قال الراغب في مفرداته : ما عبأت به أي لم أبال به ، وأصله من العبء أي الثقل ، كأنه

قال : ما أدري له وزناً وقدراً ، قال : «قل ما يعبوبكم ربّي» وقيل : أصله من عبأت العطيّب ، كأنه قيل : ما يعيبكم لولا دعآؤكم .

الغضبية والشهوية^(١) وقد ورد في بعض الروايات أن المراد بها الخلافة والمراد بالإِنسان أبوبكر ، و سيأتي شرحها في أبواب الآيات النازلة في أمير المؤمنين عليه السلام .

١ - ع : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن الحسين بن عبيد الله ، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان ، عن عبد الكريم بن عبيد الله ، عن سلمة بن عطا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه فقال : أيُّها الناس ! إنَّ الله جلَّ ذكره ما خلق العباد إلاَّ ليعرفوه ، فإذا عرفوه عبدوه ، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه فقال له رجل : يا بن رسول الله بأبي أنت وأُمِّي فما معرفة الله ؟ قال : معرفة أهل كلِّ زمان إمامهم الَّذي يجب عليهم طاعته . « ص ١٤ »

قال الصدوق رحمه الله : يعني بذلك أن يعلم أهل كلِّ زمان أن الله هو الَّذي لا يخلفهم في كلِّ زمان من إمام معصوم ، فمن عبد ربًّا لم يَقم لهم الحجة فإِنما عبد غير الله عزَّ وجلَّ .

بيان : يحتمل أن يكون المراد أن معرفة الله تعالى إِنما ينفع مع سائر العقائد الَّتِي منها معرفة الإمام ، أو أن معرفة الله إِنما يحصل من معرفة الإمام ، إذ هو السبيل إلى معرفته تعالى .

(١) و قيل : المراد بذلك أهل السماوات والارض و الجبال فنحذف لفظ الاهل اختصاراً له للدلالة الكلام عليه ، ولما حذف الاهل أجرى الفعل على لفظ السماوات والارض والجبال فقيل : « فإين أن يحملنها وأشققن منها » كقوله تعالى : « ونجيناه من القرية الَّتِي كانت تعمل الخيانت » أي من أهل القرية ، فلما حذف الاهل أجرى الفعل على القرية فقيل : « كانت تعمل الخيانت » ردأعلى أهل القرية ، وهذا موضع حسن . وقال بعضهم : عرض الشيء على الشيء . و مآرضته سواء ، و المعارضة والمقايضة والوازنة بمعنى واحد ، فاخبر الله تعالى عن عظم أمر الامانة ونقلها وأنها إذا قيست بالسماوات والارض والجبال ووزنت بها رجعت عليها ، ولم تنطق حملها ضعفاً عنها ، وذلك معنى قوله تعالى : « فإين أن يحملنها وأشققن منها » ومن كلامهم : (فلان يابى الضيم) إذا كان لا يحتمله فالأبواب ههنا هو أن لا يقام بحمل الشيء ، والاشفاق في هذا الموضع هو الضعف عن الشيء ، ولذلك كنى عن الخوف الذى هو ضعف القلب ، فقالوا : (فلان مشفق من كذا) أى خائف منه ، يقول تعالى : فإلسماوات والارض والجبال لم تعمل الامانة ضعفاً عنها ، و حملها الإنسان ، أى تقلدها وتطوق الثمائم فيها للمعروف من كثرة جهله وظلمه لنفسه .

٢ - ع : الطالقاني ، عن عبد العزيز بن يحيى الجلودي ، عن محمد بن زكريا الجوهري ، عن جعفر بن محمد بن عمارة ، عن أبيه قال : سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له : لم تخلق الله الخلق ؟ فقال : إن الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى ، بل خلقهم لإظهار قدرته ، ولتكليفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه ، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ، ولا يدفع بهم مضرة بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد . «ص ١٤ - ١٥»

٣ - ع : أبي ، عن الحميري ، عن هارون ، عن ابن زياد قال : قال رجل لجعفر بن محمد عليه السلام : يا أبا عبد الله ! إننا خلقنا للمعجب ! قال : وما ذاك ؟ الله أنت ^(١) قال : خلقنا للفناء ؟ فقال : مه يا بن أخ ! خلقنا للبقاء ، وكيف تفنى جنّة لا تبديد ونار لا تتمد ؟ ولكن قل : إنما نتحوّل من دار إلى دار . «ص ١٥»

٤ - ع : الحسين بن يحيى بن ضريس البجلي ، عن أبيه ، عن محمد بن عمارة السكري عن إبراهيم بن عاصم ، عن عبد الله بن هارون الكرخي ، عن أحمد بن عبد الله بن يزيد بن سلام بن عبد الله ^(٢) مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، عن أبيه عبد الله ، عن أبيه يزيد ، عن أبيه سلام بن عبد الله أخيه عبد الله بن سلام ، عن عبد الله بن سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال : في صحف موسى بن عمران عليه السلام : يا عبادي ! إنني لم أخلق الخلق لأستكثر بهم من قلة ، ولا لأنس بهم من وحشة ، ولا لأستعين بهم على شيء عجزت عنه ، ولا لأجر منفعة ولا لدفع مضرة ، ولأن جميع خلقي من أهل السماوات والأرض اجتمعوا على طاعتي وعبادتي لا يفترون عن ذلك ليلاً ولا نهاراً ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، سبحانه وتعالى عن ذلك . «ص ١٦» .

٥ - ع : السناني ، عن محمد الأسدي ، عن النخعي ، عن النوفلي ، عن علي بن سالم

(١) كذا في المصدر والبحار والظاهر «ثانت» كان المخاطب خاص وخالص له تعالى ويؤيده الحديث المذكور في هذا الباب من مسعدة بن زياد قال : قال رجل لجعفر بن محمد عليه السلام : يا أبا عبد الله ! إننا خلقنا للمعجب ، قال وما ذاك ثانت ؟ . الحديث م

(٢) في المصدر : عبداً . م

عن أبيه، عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » قال : خلقتهم ليأمرهم بالعبادة ، قال : وسألته عن قوله عز وجل : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم » قال : خلقتهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم . (ص ١٦)

بيان : قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « إلا ليعبدون » أي لم أخلق الجن والإنس إلا لعبادتهم إيتي فإذا عبدوني استحقوا الثواب . وقيل : إلا لآمرهم وأنهام وأطلب منهم العبادة ، واللام لام الغرض ، والمراد أن الغرض في خلقهم تعريض الثواب ، وذلك لا يحصل إلا بأداء العبادات ، فصار كأنه سبحانه خلقهم للعبادة ، ثم إنه إذا لم يعبدوه قوم لم يبطل الغرض ، ويكون كمن هيباً طعاماً لقوم ودعاهم ليأكلوه فحضروا ولم يأكله بعضهم ، فإنه لا ينسب إلى السفه وبصح غرضه ، فإن الأكل موقوف على اختيار الغير ، وكذلك المسألة فإن الله إذا أراح علة المكلفين من القدرة والآلة والآلاف وأمرهم بعبادته فمن خالف فقد أثنى من قبل نفسه لامن قبله سبحانه . وقيل : معناه : ألا ليقرؤا بالعبودية طوعاً وكرهاً . ثم قال تعالى : « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون » لنفي إيهام أن يكون ذلك لعائدة نفع تعود إليه تعالى ، فيبين أنه لعائدة النفع على الخلق دونه تعالى لأنه غني بنفسه ، غير محتاج إلى غيره ، وكل الخلق محتاجون إليه . وقيل : معناه : ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي ، وإنما أسند الطعام إلى نفسه لأن الخلق كلهم عيال الله ، ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه .

٦ - ع : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن البرقي ، عن عبد الله بن أحمد النهيكي ، عن علي بن الحسن الطاطري ، عن درست ، عن جميل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك ما معنى قول الله عز وجل : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » ؟ فقال : خلقتهم للعبادة . (١) (ص ١٦)

٧ - ع : ابن المتوكل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن الحسن بن فضال ، عن ثعلبة ، عن جميل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : « وما خلقت

الجنّ والإِنس إلا ليعبدون» قال : خلقهم للعبادة ، قلت : خاصة أم عامّة ؟ قال : لأجل عامّة . «ص ١٦»

بيان : لمّا توهم الراوي أن معنى الآية أن الغرض من الخلق حصول نفس العبادة فيلزم تخلف الغرض في الكفار ، فلهذا سأل ثانياً أن هذا خاص بالمؤمنين ، أو عام لجميع الخلق ؟ فأجاب عليه السلام بأنه عام ، إذ الغرض التكليف بالعبادة وقد حصل من الجميع .

٨ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن حفص بن البختري قال : إنّما جعلت العاهات في أهل الحاجة لئلاّ يستتروا ولو جعلت في الأغنياء لسترت . «ص ٣٨-٣٩»

٩ - لمي : العطار ، عن سعد ، عن النهدي ، عن ابن محبوب ، عن سماعة ، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : إنّ العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يجد مايكفرها به ابتلاه الله عزّ وجلّ بالحزن في الدنيا ليكفرها ، فإن فعل ذلك به و إلاّ أسقم بدنه ليكفرها به ، فإن فعل ذلك به ولاشدد عليه عند موته ليكفرها به ، فإن فعل ذلك به و إلاّ عذّبه في قبره ليلقى الله عزّ وجلّ يوم يلقاه و ليس شيء يشهد عليه بشيء من ذنوبه . «ص ١٧٧»

١٠ - ما : الغضائري ، عن عليّ بن محمد العلوي ، عن الحسن بن عليّ بن صالح ، عن الكليني ، عن عليّ بن محمد ، عن إسحاق بن إسماعيل النيسابوري ، عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام ، عن الحسن بن عليّ عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ بمنّته و رحمته لمّا فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليه بل رحمة منه ، لا إله إلاّ هو ، ليميز الخبيث من الطيب ، وليبلي ما في صدوركم ، وليمحص ما في قلوبكم ، ولتتسابقوا إلى رحمته ، ولتفاضل منازلكم في جنّته . إلى آخر ما سيأتي في كتاب الإمامة . «ص ٥٦»

١١ - نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه : بعث رسله بما خصّهم به من وحيه ، وجعلهم حجة له على خلقه ، لئلاّ تجب الحجّة لهم بترك الإغذار إليهم فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق ، إلاّ أن الله قد كشف الحق كشفه لا أنّه جهل

ما أخفوه من مصون أسرارهم و مكنون ضمائرهم ، ولكن ليلوهم أيهم أحسن عملاً ،
فيكون الثواب جزاءً والعقاب بواءً .

بيان : قال في النهاية : الجراحات بواء أي سواء في القصاص ، ومنه حديث عليّ عليه السلام : والعقاب بواء ؛ وأصل البوء : اللزوم .

١٢ - ل : أبي ، عن الحميري ، عن هارون ، عن ابن زياد ، عن جعفر بن محمد ،
عن أبيه عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : لولا ثلاث في ابن آدم ما طأطأ رأسه شيء : (١)
المرض ، والفقر ، والموت ، وكلهم فيه وإِنَّه معهم لو ثاب . « ج ١ ص ٥٥ »

١٣ - ج : و روي أَنه اتَّصل بأمر المؤمنين عليهم السلام أَنَّ قومًا من أصحابه خاضوا
في التعديل والتجوير ، (٢) فخرج حتى سعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ؛
إنَّ الله تبارك وتعالى لما خلق خلقه أراد أن يكونوا على آداب رفيعة ، وأخلاق
شريفة ، فعلم أَنهم لم يكونوا كذلك إلَّا بأن يعرفهم ما لهم وما عليهم ، والتعريف لا
يكون إلَّا بالأمر والنهي ، والأمر والنهي لا يجتمعان إلَّا بالوعد والوعيد ، والوعد لا يكون
إلَّا بالترغيب ، والوعيد لا يكون إلَّا بالترهيب ، والترغيب لا يكون إلَّا بما تشتهيهِ أنفسهم
وتلذَّه أعينهم ، والترهيب لا يكون إلَّا بضدِّ ذلك ، ثم خلقهم في داره وأراهم طرفاً (٣)
من اللذات ليستدلُّوا به على ما ورائهم من اللذات الخالصة التي لا يشوبها ألم ، الأدهي
الجنة ؛ وأراهم طرفاً من الآلام ليستدلُّوا به على ما ورائهم من الآلام الخالصة التي لا
يشوبها لذَّة ، الأدهي النار ؛ فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحنها ، وسرورها
بمزوجاً بكدرها وغمومها .

(١) طأطأ الرأس : خفضه ، أي اسلوا ثلاث في ابن آدم ما تواضع ولا خضع ، وكان يتكبر و
يعجب بنفسه .

(٢) في المصدر : والتجريح . م

(٣) الطرف بفتح الطاء والراء : طائفة من الشيء .

قيل : فحدّث الجاحظ^(١) بهذا الحديث فقال : هو جامع الكلام الذي دوّنه الناس في كتبهم و تحاوروه بينهم . قيل : ثمّ سمع أبو عليّ الجبائي^(٢) بذلك فقال : صدق الجاحظ ، هذا ما لا يحتمله الزيادة والنقصان . «ص ١٠٩»

١٤ - ج : روى هشام بن الحكم أنّه سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام : لأيّ علّة خلق الخلق وهو غير محتاج إليهم ولا مضطرّ إلى خلقهم ، ولا يليق به العبث بنا ؟ قال : خلقهم لإظهار حكمته ، وإنفاذ علمه ، وإمضاء تدييره ؛ قال : وكيف لا يقتصر على هذه الدار فيجعلها دار ثوابه ومحبس عقابه ؟ قال : إنّ هذه دار بلاء ، ومتجر الثواب ،^(٣) ومكتسب الرحمة ، ملئت آفات وطبقت شهوات ليختبر فيها عباده بالطاعة ؛ فلا يكون دار عمل دار جزاء . الخبر . «ص ١٨٤»

١٥ - ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن عبد الله بن الحسين العلويّ ، عن عبد العظيم الحسينيّ ، عن أبي جعفر الجواد ، عن آبائه عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : المرض لا أجر فيه ، ولكنه لا يدع على العبد ذنباً إلّا حطّه ، وإنّما الأجر في القول باللسان ، والعمل بالجوارح ؛ وإنّ الله بكرمه وفضله يدخل العبد بصدق النية والسريرة الصالحة الجنة . «ص ٣٠»

١٦ - ثو : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، ومحمد العطّار جميعاً ، عن الأشعريّ ، عن محمد بن حسان ، عن الحسين بن محمد النوفليّ ، عن جعفر بن محمد ، عن محمد بن عليّ ، عن عيسى ابن عبد الله العمريّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام : في المرض يصيب الصبيّ ؟ قال : كفارة لو والديه . «ص ١٨٧»

(١) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الليثي البصري اللغوي النحوي ، كان من غلمان النظام ، و ما تلا إلى النصب والعمامة ، تنقّف في البصرة وبغداد ، و اطّلع على جميع العلوم المعروفة في عصره ، نسبت إليه فرقة الجاحظية من المعتزلة ، ولد بالبصرة ، وتوفّي فيها سنة ٢٥٥ وأصابه الفلج في آخر عمره ، له كتب : منها (العيون) في سبعة أجزاء ، و(البيان والتبيين) و(البغلاء) و(المنانية) التي نقض عليها أبو جعفر الاسكافي ، والشيخ المفيد ، والسيد أحمد بن طاووس .

(٢) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان ، منسوب إلى (جبي) بالضم كورة بخوزستان ، أحد أئمة المعتزلة ، له مقالات كلامية على مذهب الاعتزال ، أخذ الكلام عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره ، وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري شيخ السنة علم الكلام ؛ ولد سنة ٢٣٥ وتوفّي في شعبان سنة ٣٠٣ .

(٣) في نسخة المصنف : ومنجز الثواب .

١٧ - شى : عن يعقوب بن شعيب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قول الله : « وما خلقت الجنّ والإِنس إلاّ ليعبدون » قال : خلقتهم للعبادة ؛ قال : قلت و قوله : « لايزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك » ولذلك خلقهم ؟ فقال : نزلت هذه بعد تلك .

١٨ - كشف : من كتاب الدلائل للحميريّ ، عن داود بن أعين قال : تفكرت في قول الله تعالى : « وما خلقت الجنّ والإِنس إلاّ ليعبدون » قلت : خلقوا للعبادة ، و يعصون و يعبدون غيره ؛ والله لا سألنّ جعفرأ عن هذه الآية ، فأثبتت الباب فجلست أريد الدخول عليه ، إذ رفع صوته فقرا : « وما خلقت الجنّ والإِنس إلاّ ليعبدون » ثمّ قرا : « لا تدري لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً » فعرفت أنّها منسوخة . (ص ٢٣٧)

بيان : هذا الخبر والخبر السابق يدلّان على أنّ آية « وما خلقت » منسوخة ، و لعلّ المعنى أنّه على تقدير تسليم دلالتها على ما يزعمون فهي منسوخة بآيات معارضة لما نزلت بعدها ، ويكون المراد بالنسخ البداء ، أو التخصيص ، أو التبيين .
أقول : إقامة البراهين العقلية على حسن التكليف ووقوع الآلام والأحزان و الأمراض و وجوب العوض على الله تعالى فيها ، والفرق بين الثواب و العوض موكل إلى مظانّها من الكتب الكلامية ، والتعرّض لها خروج عن مقصود الكتاب .

﴿باب ١٦﴾

﴿عموم التكليف﴾

الآيات ، المدثر (٤٧) ، يتساءلون عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين ٤٠ - ٤٣ .

١ - شى : عن البرقيّ ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : « يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » قال : هي للمؤمنين خاصّة .

٢ - شى : عن جميل بن درّاج قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « كتب عليكم القتال ، يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » قال : فقال : هذه كلّها تجمع الضلال و المناقين و كلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة .

بيان : كـون ظاهر الخطاب المصدّر بياباتها الذين آمنوا مختصاً بالمؤمنين ،
أو بهم و بالمنافقين والمخالفين لا ينافي شمول التكليف بدليل آخر لجميع المكلفين ، وقد
حقت ذلك في كتب الأصول وكتب الكلام .

٣ - نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام : اعلموا أنه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على
من كان قبلكم ، ولن يسخط عليكم بشيء ضيه ممن كان قبلكم ، وإنما تسيرون في
أثر بين ، وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم .

﴿ باب ١٧ ﴾

﴿ أن الملائكة يكتبون أعمال العباد ﴾

الآيات ، الانعام ٦٠ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عابه حفظه ٦١ .

يونس ١٠٠ إن رسلنا يكتبون ما تمكرون ٢١

الرعد ١٣ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ١١ .

مريم ١٩ كلاً سنكتب ما يقول ٧٩ .

الأنبياء ٢١ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له
كاتبون ٩٤ .

المؤمنون ٢٣ ولدينا كتاب ينطق بالحق ^(١) وهم لا يظلمون ٦٢ .

يس ٣٦ ونكتب ما قدّموا وآثارهم ١٢ .

الزخرف ٤٣ أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجويهم بلى ^(٢) ورسلنا لديهم

يكتبون ٨٠ .

الجاثية ٤٥ كل أمة ندعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون * هذا

كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ٢٨ - ٢٩ .

(١) قيل : وصف الكتاب بالنطق مبالغة في وصفه باظهار البيان وإعلان البرهان ، تشبيهاً باللسان
الناطق في الإبانة عن ضيقه ، والكشف عن مستوره ؛ وقد يقال الناطق لما يدل على شيء ، وعلى
هذا قيل لحكيم : ما الناطق الصامت ؟ فقال : الدلائل المخبرة والعبر الواظعة .

(٢) أى بل نسمع ذلك و ندركه ومع ذلك رسلنا لديهم يكتبون .

ق «٥٠» إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين و عن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول
إلا لديه رقيب عتيد^(١) ١٧ ١٨ .

القمر «٥٤» وكل شيء فعلوه في الزبر^(٢) وكل صغير وكبير مستطر^{٢٥-٥٣} .
التكوير «٨١» وإذا الصحف نشرت ١٠ .

الانفطار «٨٢» وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون ١٠-١٢ .
الطارق «٨٦» إن كل نفس لما عليها حافظ ٤ .

تفسير : قال الطبرسي رحمه الله : « ويرسل عليكم حفظة » أي ملائكة يحفظون
أعمالكم ، و يحصونها عليكم و يكتبونها ؛ و في قوله تعالى : « إن رسلنا » : يعني الملائكة
الحفظة ؛ و في قوله تعالى : « لمعقبات » : قيل : إنها الملائكة يتعاقبون ، تعقب ملائكة
الليل ملائكة النهار و ملائكة النهار ملائكة الليل ، وهم الحفظة يحفظون على العبد
عمله . و قيل : هم أربعة أملاك مجتمعون عند صلاة الفجر ، و روي ذلك أيضاً عن
أئمتنا عليهم السلام ؛ و قيل : إنهم ملائكة يحفظونه عن المهالك حتى ينتهوا به إلى المقادير .
و في قوله تعالى : « كلا سنكتب ما يقولون » : أي سنأمر الحفظة بإبائته عليه لنجازيه
به في الآخرة ؛ و في قوله تعالى : « و إنما له كاتبون » أي نأمر ملائكتنا أن يكتبوا ذلك
فلا يضيع منه شيء . و قيل : أي ضامنون جزاءه ؛ و في قوله تعالى : « ولدينا كتاب ينطق
بالحق » يريد صحائف الأعمال ؛ و في قوله تعالى : « إذ يتلقى المتلقيان » إذ متعلقة
بقوله : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » أي ونحن أعلم به وأملك له حين يتلقى
المتلقيان ، وهما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه * عن اليمين
و عن الشمال قعيد » أراد : عن اليمين قعيد ، و عن الشمال قعيد ، فاكثفي بأحدهما عن
الآخر ؛ و المراد بالقعيد هنا الملازم الذي لا يبرح ، لا القاعد الذي هو ضال القائم .
و قيل : عن اليمين كاتب الحسنات ، و عن الشمال كاتب السيئات . و قيل : الحفظة أربعة :
ملك بالليل ، و ملك بالنهار ، و ملك بالليل ، « وما يلفظ من قول » أي ما يتكلم بكلام فيلفظه ، أي

(١) الرقيب : الحارس ، الحافظ . العتيد : الحاضر المهيأ والمعده للزوم الامر . و قيل : القعيد :

الرصيد . و يوصف به الواحد والاثنين والجمع .

(٢) أي مكتوب في الكتب التي كتبها الحفظة .

يرميه من فمه «إلاّديه» حافظ حاضر معه ، يعني الملك الموكل به ، إمّا صاحب اليمين ، وإمّا صاحب الشمال ، يحفظ عمله ، لا يغيب عنه . والنهاء في لاديه تعود إلى القول أو إلى القائل . وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ ، أو المسيء ، فإن ندم واستغفر الله منها ألفاهو وإلاّ كتب واحدة . وفي رواية أخرى إن صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال ، فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها ، وإذا عمل سيئة فأرّاد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين : أمسك ، فيمسك عنه سبع ساعات ، فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيء ، وإن لم يستغفر الله كتبت له سيئة واحدة .

و قال في قوله تعالى : « إن عليكم لحافظين » أي من الملائكة يحفظون عليكم ماتعملونه من الطاعات والمعاصي ، ثم وصف الحفظة فقال : « كراماً » على ربهم « كاتنين » يكتبون أعمال بني آدم يعلمون ماتفعلون من خير و شر فيكتبونه عليكم لا يخفي عليهم من ذلك شيء . وقيل إن الملائكة تعلم ماتفعله العبد إمّا باضطرار وإمّا باستدلال . وقيل : معناه : يعلمون ماتفعلون من الظاهر دون الباطن .

١ - ٣٨ : عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن يحيى بن المبارك ، عن عبد الله بن جبلة ، عن إسحاق بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن المؤمنين إذا قعدا يتحدثان قالت الحفظة بعضها لبعض : اعتزلوا بنا فلعلّ لهما سرّاً وقد ستر الله عليهما ؛ فقلت : أليس الله عز وجل يقول : « ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد » ؟ فقال : يا إسحاق إن كانت الحفظة لاتسمع فإنّ عالم السرّ يسمع ويرى .

٢ - ٣٨ : علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن عبد الرحمن بن سالم ، عن إسحاق بن عمار قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أخبرني بأفضل المواقيت في صلاة الفجر ، فقال : مع طلوع الفجر إن الله تعالى يقول : « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً » يعني صلاة الفجر تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار ، فإذا صلى العبد الصبح مع ^(١) طلوع الفجر أثبت له مرتين : أثبتها ملائكة الليل وملائكة النهار . « ف ج ١ ص ٧٨ »

٣ - نهج : اعلموا عباد الله أن عليكم رصداً من أنفسكم ، وعيوناً^(١) من جوارحكم ، وحفاظ صدق يحفظون أعمالكم وعدد أنفسكم ، لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ، ولا يكتنكم^(٢) منهم باب ذورتاج .

بيان الرصد بالتحريك القوم يرصدون . والرتاج بالكسر : الغلق .

٤ - ين : الحسين بن علوان ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن موضع الملكين من الإنسان ، قال : ههنا واحد ، و ههنا واحد . يعني عند شقيقه .^(٣)

٥ - ين : ابن أبي عمير ، عن محمد بن حمران ، عن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : مامن أحد إلا ومعه ملكان يكتبان ما يلفظه ، ثم يرفعان ذلك إلى ملكين فوقهما فيثبتان ما كان من خير وشر ويلقيان ما سوى ذلك .

٦ - ين : حماد ، عن حريز ، وإبراهيم بن عمر ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لا يكتب الملكان إلا ما نطق به العبد .

٧ - ين : حماد ، عن حريز ، عن زرارة ، عن أحدهما عليهما السلام قال : لا يكتب الملك إلا ما يسمع قال الله عز وجل : « واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة » قال : لا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس العبد غير الله تعالى .

٨ - ين : النضر ، عن حسين بن موسى ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن في الهواء ملكاً يقال له : إسماعيل على ثلاثمائة ألف ملك ، كل واحد منهم على مائة ألف ، يحصون أعمال العباد ، فإذا كان رأس السنة بعث الله إليهم ملكاً يقال له : السجل فانتسخ ذلك منهم ، وهو قول الله تبارك و تعالى : « يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب » .

(١) جمع العين : الجاسوس والديدان .

(٢) أى لا يستركم ولا يخفكم .

(٣) الشدق بكسر الشين وفتحها و سكون الدال : زاوية الفم من باطن الغدين . ولعله إشارة

إلى احاطة الملكين بما يلفظ ، وشدة اطلاعهما بما يتكلم .

٩ - ين : النضر ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : « إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد » قال : هما الملكان . وسألته عن قول الله تبارك وتعالى : « هذا مالدّي عتيد » قال : هو الملك الذي يحفظ عليه عمله . وسألته عن قول الله عز وجل : « قال قرينه ربنا ما أطغيته » قال : هو شيطان .

١٠ - ج : سأل الزنديق الصادق عليه السلام : ما علة الملائكة الموكلين بعباده يكتبون عليهم ولهم ، والله عالم السر وما هو أخفى ؟ قال : استعبدهم بذلك وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد ملأزمتم إتيانهم أشد على طاعة الله مواظبة ، و عن معصيته أشد انقباضاً ، وكم من عبد بهم بمعصية فذكر مكانها فارعوى وكف ، فيقول : ربني يراني ، و حفظتي بذلك تشهد ^(١) وإن الله برأفته و لطفه أيضاً وكلهم بعباده يذبون عنهم مرده الشياطين ، وهوام الأرض ، وآفات كثيرة من حيث لا يرون باذن الله إلى أن يجي أمر الله عز وجل . « ص ١٩١ »

١١ - أقول : روي في كتاب قضاء الحقوق و نواب الأعمال و رجال الكشي بأسانيدهم عن إسحاق بن عمار قال : لما كثر مالي أجلس على بابي بوأباً يرد عني فقراء الشيعة ، فخرجت إلى مكة في تلك السنة فسلمت على أبي عبد الله عليه السلام ، فرد علي بوجه قاطب مزور ^(٢) ، فقلت له : جعلت فداك ما الذي غير حالني عندك ؟ قال : تغيرك على المؤمنين ، فقلت : جعلت فداك والله إنني لأعلم أنهم على دين الله ولكن خشيت الشهرة على نفسي ، فقال : يا إسحاق أما علمت أن المؤمنين إذا التقيا فتصافوا أنزل الله بين إيهاميهما مائة رحمة ، تسعة و تسعين لأشدهما حباً ، فإذا اعتنقا غمرتاهما الرحمة ، فإذا لبنا لا يريدان بذلك إلا وجه الله تعالى قيل لهما . غفر لكما ؛ فإذا جلسا يتسائلان قالت الحفظة بعضها لبعض : اعتزلوا بنا عنهما فإن لهما سرّاً وقد ستره الله عليهما ؛ قال قلت : جعلت فداك فلا تسمع الحفظة قولهما ولا تكتبه وقد قال تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » قال : فنكسر رأسه طويلاً ثم رفعه وقد فاضت دموعه على لحيته ،

(١) في المصدر : وحفظني على ذلك يشهد . م

(٢) قطب الرجل . زوى وقبض ما بين عينيه وعبس . وزور عنه : مال .

وقال : إن كانت الحفظة لا تسمعه ولا تكتبه فقد سمعه عالم السرّ وأخفى ، يا إسحاق خف الله كأنك تراه ، فإن كنت لا تراه فإنّه يراك ، فإن شككت أنّه يراك فقد كفرت وإن أيقنت أنّه يراك ثمّ بارزته بالمعصية فقد جعلته أهون الناظرين إليك .^(١)

١٢ - سعد السعود : رواه من كتاب قصص القرآن للمهيصم بن محمد النيسابوري قال : دخل عثمان على رسول الله ﷺ فقال : أخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ قال : ملك على يمينك^(٢) على حسناتك ، وواحد على الشمال ، فإذا عملت حسنة كتب عشرأ ، وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أكتب ؟ قال : لعله يستغفر ويتوب فإذا قال ثلاثاً قال : نعم اكتب ، أراحنا الله منه فبئس القرين ، ما أقلّ مراقبته عز وجل ! وما أقلّ استحيائه منه !^(٣) يقول الله : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » وملكان بين يديك ومن خلفك يقول الله سبحانه : « لهمة بمات من بين يديه ومن خلفه » وملك قابض على ناصيتك ، فإذا تواضعت لله رفعك ، وإذا تجبرت على الله وضعك وفضحك ، وملكان^(٤) على شفقتك ليس يحفظان إلا الصلاة على محمد ﷺ ، وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك ، وملكان على عينيك ، فهذه عشرة أملاك على كلّ آدمي ، وملائكة الليل سوى ملائكة النهار ، فهؤلاء عشرون ملكاً على كلّ آدمي ، وإبليس بالنهار وولده بالليل ، قال الله تعالى : « وإن عليكم لحافظين » الآية . وقال عز وجل : « إذ يتلقى المتلقين » الآية .

ثم قال السيّد رحمه الله : واعلم أن الله عز وجلّ وكلّ بكلّ إنسان ملكين يكتبان عليه الخير والشرّ . ووردت الأخبار بأنّه يأتيه ملكان بالنهار وملكان بالليل ، وذلك قوله تعالى : « له معقبات » لأنهم يتعاقبون ليلاً ونهاراً ، وإن ملكي النهار يأتيانه إذا انفجر الصبح فيكتبان ما يعمله إلى غروب الشمس ، فإذا غربت نزل إليه الملكان الموكلان بكتابة الليل ، ويصعد الملكان الكاتبان بالنهار بديوانه إلى الله عز وجلّ فلا يزال ذلك دأبهم إلى

(١) وروى الكليني في باب المصافحة بإسناده عن إسحاق بن عمار نحوه .

(٢) في نسخة : عن يمينك .

(٣) في نسخة : منا .

(٤) في نسخة : وملكان مفرقان .

حضور أجله ، فإذا حضر أجله قالوا للرجل الصالح : جزاك الله من صاحب عنا خيراً ، فكم من عمل صالح أريتناه ، وكم من قول حسن أسمعناه ، وكم من مجلس حسن أحضرناه ، فنحن لك اليوم على ما تجبه ، وشفعاء إلى ربك ؛ وإن كان عاصياً قالوا له : جزاك الله من صاحب عنا شراً ، فلقد كنت تؤذينا ، فكم من عمل سيئ ، أريتناه ، وكم من قول سيئ ، أسمعناه ، وكم من مجلس سوء أحضرناه ، ونحن لك اليوم على ما تكره ، وشهيدان عند ربك .

١٣ - وفي رواية أنهما إذا أراد النزول صباحاً ومساءً أنسخ لهما إسرائيل عمل العبد من اللوح المحفوظ فيعطيهما ذلك ، فإذا صعدا صباحاً ومساءً بديوان العبد قابله إسرائيل بالنسخة التي نسخ لهما حتى يظهر أنه كان كما نسخ لهما .

١٤ - وعن ابن مسعود أنه قال : الملكان يكتبان أعمال العالانية في ديوان وأعمال السر في ديوان آخر .^(١)

١٥ - ٥ : العدد ، عن البرقي ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن المؤمن ليهم بالحسنة ولا يعمل بها فتكتب له حسنة ، فإن هو عملها كتبت له عشر حسنات ؛ وإن المؤمن ليهم بالسيئة أن يعملها فلا يعملها فلا تكتب عليه . « ج ٢ ص ٤٢٨ - ٤٢٩ »

١٦ - ٥ : العدد عن البرقي ، عن علي بن حفص العوسي ، عن علي بن السائح ، عن عبد الله بن موسى بن جعفر ، عن أبيه قال : سأته ، عن الملكين : هل يعلمان بالذنوب إذا أراد العبد أن يفعلها أو الحسنات ؟ فقال : ريح الكنيف وريح الطيب^(٢) سواء ؛ قلت : لا ، قال : إن العبد إذا هم بالحسنة خرج نفسه طيب الريح فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال : قم فإني قد هم بالحسنة ، فإذا فعلها كان لسانه قلمه ، وريقه مهادده ، فأثبتها له ؛ وإذا هم بالسيئة خرج نفسه منتن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين :
(١) الديوان : مجتمعات الصحف . والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية ، والجمع دواوين ودواوين .

(٢) بفتح الطاء وتشديد الياء ، أو بكسر الطاء ، وكان هذين ريحان معنويان يجدهما الملائكة قاله المصنف في المرات .

(٣) في نسخة : قف .

قف فأنه قد همّ بالسيئة ، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه ، و ريقه مداده ، فأنبتها عليه . «ج ٢ ص ٤٢٩»

١٧ - ك : محمد بن يحيى ، عن ابن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن فضيل بن عثمان المرادي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أربع من كن فيه لم يهلك على الله بعدهن إلا هالك^(١) : بهم العبد الحسنه فيعملها فإن هو لم يعملها كتب الله له حسنة بحسن نيته ، وإن هو عملها كتب الله له عشرأ ؛ وبهم بالسيئة أن يعملها فإن لم يعملها لم يكتب عليه شيء ، وإن هو عملها أجل سبع ساعات ، وقال صاحب الحسنات لصاحب السيئات و هو صاحب الشمال : لا تعجل عسى أن يتبعها بحسنة تمحوها ، فإن الله يقول : « إن الحسنات يذهبن السيئات » أو الاستغفار ، فإن هو قال : « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو ، عالم الغيب والشهادة ، العزيز الحكيم ، الغفور الرحيم ذو الجلال والإكرام وأتوب إليه » لم يكتب عليه شيء ، وإن مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة ولا استغفار^(٢) قال صاحب الحسنات لصاحب السيئات : اكتب على الشقي المحروم . «ج ٢ ص ٤٢٩ - ٤٣٠»

١٨ - نهج : قال : أمير المؤمنين عليه السلام : فاتقوا الله الذي أنتم بعينه ، ونواصيكم بيده ، وتقلبكم في قبضته ، إن أسررتهم علمه ، وإن أعلنتم كتبه ، وقد وكل بذلك حفظة كراماً ، لا يسقطون حقاً ولا يثبتون باطلاً .

(١) قال المصنف في مرآت العقول : اعلم أن الهلاك في قوله : (يهلك) بمعنى الخسران واستحقاق العقاب ، وفي قوله : (هالك) بمعنى الضلال والشقاوة الجلية ، وتمديته بكلمة (على) إما بتضمين الورد ، أي لم يهلك حين وروده على الله ، أو معنى الاجترأ ، أي مجترئاً على الله ، أو معنى الملو و الرفعة ، كأن من يصعب تعالى يترفع عليه وبخاصه . ويحتمل أن يكون (على) بمعنى (في) نعوذ قوله تعالى : (على حين غفلة) أي في معرفته وأوامره ونواهي ، أو بمعنى (من) بتضمين معنى العينية ، كما في قوله تعالى : « إذا اكثالوا على الناس يستوفون » أو بمعنى (عن) بتضمين معنى الجاوزه ، أو بمعنى (مع) أي حالكونه معه ومع ما هو عليه من اللطف والعناية . أقول : الغصال الأربع : أولها أن بهم بالهسته من دون عمل ، الثانية أن يعمل بها ، الثالث أن بهم بالسيئة من دون عمل و الرابعة أن يعمل بها ولكن يتبعها بحسنة تمحوها ، أو استغفار قبل مضى سبع ساعات .

(٢) في المصدر : ولم يتبعها حسنة واستغفار . م

١٩ - يب : محمد بن علي بن محبوب ، عن اليقطيني ، عن الحسن بن علي ، عن إبراهيم ابن عبد الحميد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا أراد قضاء الحاجة وقف على باب المذهب^(١) ثم التفت يمينا وشمالا إلى ملكيه فيقول أميطة عني^(٢) فلما قال الله علي أن لأحدث حدثا حتى أخرج إليكما .

٢٠ - ين : ابن المغيرة ، عن جميل بن دراج ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا همّ العبد بسيئة لم تكتب عليه ، وإذا همّ بحسنة كتبت له .

٢١ - عد : اعتقادنا أنه مامن عبد إلا وملكان هو كلان به يكتبان جميع أعماله ، ومن همّ بحسنة ولم يعملها كتب له حسنة ، فإن عملها كتب له عشر ، فإن همّ بسيئة لم تكتب حتى يعملها ، فإن عملها كتب عليه سيئة واحدة^(٣) ، والملكان يكتبان على العبد كل شيء ، حتى النفخ في الرماد ، قال الله عز وجل : « وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون » .

ومر أمير المؤمنين عليه السلام برجل وهو يتكلم بفضول الكلام فقال : يا هذا ؛ إنك تملي على كاتبك^(٤) كتابا إلى ربك فتكلم بما يعينك ودع ما لا يعينك . «ص ٨٦»

٢٢ - وقال عليه السلام : لا يزال الرجل المسلم يكتب محسنا مادام ساكنا فإذا تكلم كتب إما محسنا أو مسيئا ، و موضع المكليين من ابن آدم الشدقان ، صاحب اليمين يكتب الحسنات ، وصاحب الشمال يكتب السيئات ، وملكا النهار يكتبان عمل العبد بالنهار ، وملكا الليل يكتبان عمل العبد في الليل . «ص ٨٦»

٢٣ - و روى الصدوق رحمه الله في كتاب فضائل الشيعة : عن أبيه ، عن سعد ، عن عباد بن سليمان ، عن سدير الصيرفي ،^(٥) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : دخلت عليه وعنده أبو بصير وميسر وعدة من جلسائه ، فلما أن أخذت مجلسي أقبل علي بوجهه ، وقال :

(١) أي باب الكنيف .

(٢) أي ابعاد وتناعني .

(٣) في المصدر : وإن عملها أجل سبع ساعات فإن تاب قبلها لم يكتب عليه وإن لم يتب كتب عليه

سيئة واحدة . م

(٥) سدير وزان شريف .

(٤) في نسخة : ملائكتك

يا سدير أما إن^١ وليتنا ليعبد الله قائماً وقاعداً ونائماً وحيّاً وميتاً ؛ قال : قلت جعلت فداك : أما عبادته قائماً وقاعداً وحيّاً فقد عرفنا ، فكيف يعبد الله نائماً وميتاً ؛ قال : إن^٢ وليتنا ليضع رأسه فيرقد فاذا كان وقت الصلاة وكل به ملكين خلقا في الأرض لم يصعدا إلى السماء ولم يريا ملكوتهما ، فيصليان عنده حتى ينتبه فيكتب الله ثواب صلاتهما له ، و الركعة من صلاتهما تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين ؛ وإن^٣ وليتنا ليقبضه الله إليه فيصعد ملكاه إلى السماء فيقولان : يا ربنا عبدك فلان بن فلان انقطع واستوفى أجله ، ولأنت أعلم منا بذلك ، فأذن لنا نعبدك في آفاق سماءك وأطراف أرضك ؛ قال : فيوحي الله إليهما : أن^٤ في سمائي لمن يعبدني وما لي في عبادته من حاجة بل هو أحوج إليهما ، وأن^٥ في أرضي لمن يعبدني حقّ عبادتي ، وما خلقت خلقاً أحوج إليّ منه فأهبطا إلى قبر وليي ؛ فيقولان : ياربنا من هذا يسعد بحبك إيتاه ؛ قال : فيوحي الله إليهما : ذلك من أخذ ميثاقه بمحمد عبيدي وصيّيه وذريتهما بالولاية ، اهبطا إلى قبر وليي فلان بن فلان فصلياً عنده إلى أن أبعثه في القيامة ، قال : فيهبط الملكان فيصليان عند القبر إلى أن يبعثه الله فيكتب ثواب صلاتهما له ، و الركعة من صلاتهما تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين ؛ قال سدير : جعلت فداك يا بن رسول الله فاذا وليتكم نائماً وميتاً أعبد منه حيّاً وقائماً ؛ قال : فقال : هيهات ياسدير إن^٦ وليتنا ليؤمن على الله عزّ وجلّ يوم القيامة فيجيز أمانه .

٢٤ - ما : جماعة عن أبي المفضل ، عن أحمد بن محمد بن إسحاق العلوي العريضي ، عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر ، عن عمّيه عليّ والحسين ابني موسى ، عن أبيهما موسى بن جعفر ، عن آبائه ، عن عليّ عليه السلام عن النبي عليه السلام قال : يوحى الله عزّ وجلّ إلى الحفظة الكرام : لا تكتبوا على عبيد المؤمنين عند ضجره شيئاً .^(١) ص ١٦ ، أقول : الأخبار الدالة على الكاتبين مبثوثة في الأبواب السابقة و اللاحقة وفيما ذكرناه هنا كفاية .

٢٥ - محاسبة النفس : للسيد عليّ بن طاووس قدس الله روحه : من أمالي المفيد

(١) نقل هذه الرواية بعينها في باب من رفع عنه القلم تحت رقم ٢٠ عن هذا المصدر . م

بإسناده إلى علي بن الحسين عليه السلام قال : إن الملك الموكل على العبد يكتب في صحيفة أعماله ، فأملوا بأولها وآخرها خيراً يغفر لكم ما بين ذلك .

٢٦ - ومنه نقلاً من كتاب الدعاء لمحمد بن الحسن الصفار بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : طوبى لمن وجد في صحيفته عمله يوم القيامة تحت كل ذنب : استغفر الله .

٢٧ - ومنه مراسلاً عن الصادق عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا تقطعوا نهاركم بكذا وكذا ، وفعلنا كذا وكذا ، فإن معكم حفظه يحصون عليكم وعلينا .

٢٨ - ومنه نقلاً من تبيان شيخ الطائفة في تفسير قوله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » قال : روي في الخبر أن الأعمال تعرض على النبي صلى الله عليه وآله في كل اثنين وخميس فيعلمها ، وكذلك تعرض على الأئمة عليهم السلام فيعرفونها وهم المعنيون بقوله : والمؤمنون .

٢٩ - ومنه نقلاً من كتاب الأئمة لمحمد بن عمران المرزباني قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصوم الإثنين والخميس ، فقيل له : لم ذلك ؟ فقال صلى الله عليه وآله : إن الأعمال ترفع في كل اثنين وخميس ، فأحب أن ترفع عملي وأناصام .

٣٠ - وإسناده عن أبي أيوب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما من اثنين ولا خميس إلا ترفع فيه الأعمال إلا عمل المقادير .

٣١ - ومنه نقلاً من كتاب التذييل لمحمد بن النجاشي بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال : إذا كان يوم الخميس عند العصر أبط الله عز وجل ملائكة من السماء إلى الأرض ، معها صحائف من فضة ، بأيديهم أقلام من ذهب تكتب الصلاة على محمد وآله إلى غروب الشمس ^(١) .

٣٢ - ومنه نقلاً من كتب بعض الأصحاب بإسناده إلى عبد الصمد بن عبد الملك قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : آخر خميس من الشهر ترفع فيه الأعمال .

٣٣ - ومنه بإسناده إلى شيخ الطائفة ، بإسناده إلى عتبة العابد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : آخر خميس في الشهر ترفع فيه أعمال الشهر .

٣٤ - ومنه نقلاً من كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام لعبد العزيز الجلودي قال :
 إنَّ ابن الكوَّاء سأل أمير المؤمنين عن البيت المعمور والسقف المرفوع ، قال : وبلك ذلك
 الضراح بيت في السماء الرابعة حيال الكعبة من لؤلؤة واحدة ، يدخله كل يوم سبعون
 ألف ملك ، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة ، فيه كتاب أهل الجنة عن يمين الباب يكتبون
 أعمال أهل الجنة ، وفيه كتاب أهل النار عن يسار الباب يكتبون أعمال أهل النار بأقلام
 سود ، فإذا كان وقت العشاء ارتفع الملكان فيسمعون منهما ما عمل الرجل فذلك قوله
 تعالى : « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » .

٣٥ - ومنه نقلاً من كتاب ابن عمر الزاهد صاحب تغلب قال : أخبرني عطاء ، عن
 الصباحي أستاذ الإمامية من الشيعة ، عن جعفر بن محمد الصادق ، عن آبائه عليهم السلام قالوا : قال
 أمير المؤمنين عليه السلام : إنَّ الملكين يجلسان على ناجذي الرجل ، يكتبان خيره وشره ،
 ويستمدآن من غريته وربما جلسا على الصماغين .

فسمعت تغلباً يقول : الاختيار من هذا كله ما قال أمير المؤمنين عليه السلام . قال :
 الناجدان : النابان ، والفران : الشدقان ، والصامغان والصماغان - ومن قالهما بالعين
 فقد صحفهما - مجتمعاً الريق من الجانبين ، وهما اللذان يسميهما العامة الصوارين .
 وقال : سئل عن قول أمير المؤمنين عليه السلام : نظفوا الصماغين فإنَّهما مقعدا الملكين ، فقال
 تغلب : هما الموضع الذي يجتمع فيه الريق من الإنسان ، وهما الذي يسميه العامة
 الصوارين .

بيان روى في النهاية الخبرين عن أمير المؤمنين عليه السلام وقال : النواجد : هي التي
 تبدو عند الضحك ، وقال الفران بالضم : الشدقان . وقال : الصماغان : مجتمع الريق
 في جانبي الشفة . وقيل : هما ملتقي الشدقين ، ويقال لهما : الصامغان والصماغان .
 والصواران .

﴿باب ١٨﴾

الوعد والوعيد والحبط والتكفير

الآيات البقرة ٢٠ «ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢١٧ .

آل عمران ٣٠ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ ٩ «وقال تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَالُهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ٢٢ «وقال: «إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ ١٩٤ .

النساء ٤ «إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ٣١ «وقال تعالى: «لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَى بِهِ ١٢٣ .

الاعراف ٧ «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ١٤٧ .

الأنفال ٨ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٢٩ .

التوبة ٩ «مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١٧ «وقال: «أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ٦٩ .

الرعد ١٣ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ ٣١ .

الكهف ١٨ «أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ١٠٥ .

الأنبياء ٢٩ «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ٧ .

الروم ٣٠ «وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٦ «وقال سبحانه: «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يَوْقُونَ ٦٠ .

الاحزاب ٣٣ «وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ١٢ «وقال تعالى: «أُولَئِكَ لَمْ يَأْمَنُوا فَأُخْطِطُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ١٩ .

الزمر «٣٩» وعد الله لا يخلف الله الميعاد ٢٠ «وقال تعالى: ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ٣٥. المؤمن ٤٠» إن وعد الله حق ٧٧.

محمد «٤٧» كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ٢ «وقال تعالى: ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ٩» وقال: ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ٢٨ «وقال: إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم ٣٢. الفتح «٤٨» ويكفر عنهم سيئاتهم ٥.

الحجرات «٤٩» ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ٢.

التغابن «٦٤» ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ٩.

الطلاق «٦٥» ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ٥.

التحريم «٦٦» عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ٨.

الزلازال «٩٩» فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ٥ ومن يعمل مثقال ذرة

شراً يره ٧-٨.

تحقيق: اعلم أن المشهور بين متكلمي الإمامية بطلان الإحباط و التكفير ، بل قالوا باشتراط الثواب والعقاب بالموافاة ، بمعنى أن الثواب على الإيمان مشروط بأن يعلم الله منه أنه يموت على الإيمان ؛ والعقاب على الكفر والفسوق مشروط بأن يعلم الله أنه لا يسلم ولا يتوب وبذلك أولوا الآيات الدالة على الإحباط و التكفير ، وذهبت المعتزلة إلى ثبوت الإحباط والتكفير للآيات و الأخبار الدالة عليها .

قال شارح المقاصد : لاخلاف في أن من آمن بعد الكفر والمعاصي فهو من أهل الجنة ، بمنزلة من لا معصية له ، ومن كفر - نعوذ بالله - بعد الإيمان والعمل الصالح فهو من أهل النار ، بمنزلة من لا حسنة له ؛ وإنما الكلام فيمن آمن وعمل صالحاً آخر ميئاً كما يشاهد من الناس فعندنا مآله إلى الجنة ولو بعد النار ، واستحقاقه للثواب

والعقاب بمقتضى الوعد والوعيد ثابت من غير حبوط ، والمشهور من مذهب المعتزلة أنه من أهل الخلود في النار إذامات قبل التوبة ، فأشكل عليهم الأمر في إيمانه وطاعاته ، وما يثبت من استحقاقاته ، أين طارت ؟ وكيف زالت ؟ فقالوا : بحبوط الطاعات ، و مالوا إلى أن السيئات يذهبن الحسنات ، حتى ذهبت الجمهور منهم إلى أن الكبيرة الواحدة تحبط ثواب جميع العبادات . وفساده ظاهر ، أما سمعاً فللنصوص الدالة على أن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً وعمل صالحاً ، وأما عقلاً فللقطع بأنه لا يحسن من الحليم الكريم إبطال ثواب إيمان العبد ومواظبته على الطاعات طول العمر بتناول لقمة من الربا ، أو جرعة من الخمر . قالوا : الإحباط مصرّح في التنزيل ، كقوله تعالى : « ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم ، أولئك حبطت أعمالهم ، ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » قلنا : لا بالمعنى الذي قصدتم ، بل بمعنى أن من عمل عملاً استحق به الذم ، وكان يمكنه أن يعمل على وجه يستحق به الممدح والثواب ؛ يقال : إنه أحبط عمله كالصدقة مع المن والأذى وبدونها . وأما إحباط الطاعات بالكفر بمعنى أنه لا يثاب عليها البتة فليس من التنازع في شيء ؛ وحين تنبّه أبو عليّ وأبو هاشم لفساد هذا الرأي رجعا من التماذي بعض الرجوع ، فقالا : إن المعاصي إنما يحبط الطاعات إذا أوردت عليها ، وإن أوردت الطاعات أحبطت المعاصي ، ثم ليس النظر إلى أعداد الطاعات والمعاصي بل إلى مقادير الأوزار والأجور ، فربّ كبيرة يغلب وزرها أجر طاعات كثيرة ، ولا سبيل إلى ضبط ذلك بل هو مفوض إلى علم الله تعالى ، ثم افترقا فزعم أبو عليّ أن الأقل يسقط ولا يسقط من الأكثر شيئاً ، و يكون سقوط الأقل عقاباً إذا كان الساقط ثواباً ، و ثواباً إذا كان الساقط عقاباً ، و هذا هو الإحباط المحض . وقال أبو هاشم : الأقل يسقط ويسقط من الأكثر ما يقابله ، مثلاً من له مائة جزء من العقاب واكتسب ألف جزء من الثواب فإنه يسقط منه العقاب ومائة جزء من الثواب بمقابلته ، ويبقى له تسعمائة جزء من الثواب ، وكذا العكس ، وهذا هو القول بالموازنة انتهى كلامه .

أقول : الحق أنه لا يمكن إنكار سقوط ثواب الإيمان بالكفر اللاحق الذي

يموت عليه ، وكذا سقوط عقاب الكفر بالإيمان اللاحق الذي يموت عليه . وقد دلت الأخبار الكثيرة على أن كثيراً من المعاصي يوجب سقوط ثواب كثير من الطاعات ، وأن كثيراً من الطاعات كفارة لكثير من السيئات ، والأخبار في ذلك متواترة ، وقد دلت الآيات على أن الحسنات يذهبن السيئات ، ولم يبق دليل تام على بطلان ذلك ، وأما أن ذلك عام في جميع الطاعات والمعاصي فغير معلوم ، وأما أن ذلك على سبيل الإحباط والتكفير بعد ثبوت الثواب والعقاب ، أو على سبيل الاشتراط بأن الثواب في علمه تعالى على ذلك العمل مشروط بعدم وقوع ذلك الفسق بعده ، وأن العقاب على تلك المعصية مشروط بعدم وقوع تلك الطاعة بعدها فلا يثيب ، أولاً ثواب وعقاب ، فلا يهتأ تحقيق ذلك ، بل يرجع النزاع في الحقيقة إلى اللفظ ، لكن الظاهر من كلام المعتزلة وأكثر الإمامية أنهم لا يعتقدون إسقاط الطاعة شيئاً من العقاب ، أو المعصية شيئاً من الثواب سوى الإسلام والارتداد والتوبة ، وأما الدلائل التي ذكروها لذلك فلا يخفى وهنها ، وليس هذا الكتاب موضع ذكرها .

نمّ أعلم أنه لا خلاف بين الإمامية في عدم خلود أصحاب الكبائر من المؤمنين في النار ، وأما أنهم هل يدخلون النار ، أو يعدّون في البرزخ والمحشر فقط ؟ فقد اختلف فيه الأخبار وسيأتي تحقيقها .

١ - سن : علي بن محمد القاساني ، عمّن ذكره ، عن عبد الله بن القاسم الجعفري ، عن أبي عبد الله ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من وعده الله على عمل ^(١) ثواباً فهو منجز له ، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار . «ص ٢٤٦»

٢ - كنز الكراجمي : عن المفيد ، عن أحمد بن الحسن بن الوليد ، عن أبيه ، عن محمد بن الحسن الصفار ، عن علي بن محمد القاساني ، عن القاسم بن محمد الإصبهاني ، عن سليمان بن خالد المنقري ^(٢) ، عن سفيان بن عيينة ، عن حميد بن زياد ، عن عطاء بن يسار ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : يوقف العبد بين يدي الله تعالى فيقول : قيسوا بين

(١) في المصدر : من وعده على عمل . م

(٢) نسبة إلى منقر - وزان منبر - أبو بطن من سعد ثم من تميم ، وهو منقر بن عبيد بن معاص .

نعمي عليه و بين عمله ، فستغفر النعم العمل ؛ فيقولون : قد استغفر النعم العمل ، فيقول : هبوا له النعم ، وقيسوا بين الخير والشر منه ، فإن استوى العملان أذهب الله الشر بالخير ، وأدخله الجنة ، وإن كان له فضل أعطاه الله بفضله ، وإن كان عليه فضل و هو من أهل التقوى ولم يشرك بالله تعالى واتقى الشرك به فهو من أهل المغفرة يغفر الله له برحمته إن شاء ، ويتفضل عليه بغفوه .

عد : اعتقادنا في الوعد والوعيد هو أن من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه ، ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار ، إن عذّب به فبعده ، و إن عفاه فبفضله ، و ما الله بظلام للعبيد ، وقد قال الله عزّ وجلّ : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .^(١) (ص ٨٦)

واعتقادنا في العدل هو أن الله تبارك وتعالى أمرنا بالعدل ، وعاملنا بما هو فوقه وهو التفضل ، وذلك أنه عزّ وجلّ يقول : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها و من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلاًها وهم لا يظلمون » .^(٢) (ص ٨٦-٨٧)

بيان : قال الشيخ المفيد قدس الله روحه في شرح القول الأخير : العدل هو الجزاء على العمل بقدر المستحق عليه ، و الظلم هو منع الحقوق ، والله تعالى كريم ، جواد ، متفضل ، رحيم ، قد ضمن الجزاء على الأعمال ، والعوض على المبتدأ من الآلام ، و وعد التفضل بعد ذلك بزيادة من عنده ، فقال تعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »^(٣) فخبّر أن للمحسن الثواب المستحق وزيادة من عنده ، وقال : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » يعني له عشر أمثال ما يستحق عليها « ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلاًها وهم لا يظلمون » يريد أنه لا يجازيه بأكثر مما يستحقه . ثم ضمن بعد ذلك العفو ، ووعد بالغفران ، فقال سبحانه : « وإن ربك لذومغفرة للناس على ظلمهم »^(٤) وقال : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »^(٥) وقال : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا »^(٦) والحق الذي للعبد هو ما جعل الله حقاً له واقتضاء جود الله وكرمه ، وإن

(٢) الانعام : ١٦٠ .

(٤) الرعد : ٦ .

(٦) يونس : ٥٨ .

(١) النساء : ٤٨ و ١١٦ .

(٣) يونس : ٢٦ .

(٥) النساء : ٤٧ .

كان لوحاسبه بالعدل لم يكن له عليه بعد النعم التي أسلفها حقاً ، لأنّه تعالى ابتداء خلقه بالنعم ، وأوجب عليهم بها الشكر ، وليس أحد من الخلق يكافيه نعم الله تعالى عليه بعمل ، ولا يشكره أحد إلا وهو مقصّر بالشكر عن حق النعمة ، وقد أجمع أهل القبلّة على أن من قال : إنّي وفيت جميع ما لله عليّ وكافأت نعمه بالشكر فهو ضالّ ، وأجمعوا على أنّهم مقصّرون عن حق الشكر ، وأنّ الله عليهم حقّاً لومداً في أعمارهم إلى آخر مدى الزمان لما وفوا الله سبحانه بما له عليهم ، فدلّ ذلك على أنّ ما جعله حقّاً لهم فإنّما جعله بفضله وجوده وكرمه ، ولأنّ حال العامل الشاكر خلاف حال من لا عمل له في العقول ، وذلك أنّ الشاكر يستحقّ في العقول الحمد ، ومن لا عمل له فليس له في العقول حمد ، وإذ ثبت الفصل بين العامل ومن لا عمل له كان ما يجب في العقول من حمده هو الذي يحكم عليه بحقه ويشار إليه بذلك ، وإذا أوجب العقول له مزيّة على من لا عمل له كان العدل من الله تعالى معاملته بما جعل في العقول له حقّاً ، وقد أمر تعالى بالعدل ونهى عن الجور فقال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » (١) الآية انتهى .

وقال العلامة رحمه الله في شرحه على التجريد : ذهب جماعة من معتزلة بغداد إلى أنّ العفو جائز عقلاً ، غير جائز سمعاً ، وذهب البصريّون إلى جوازه سمعاً وهو الحق ، واستدلّ المصنّف رحمه الله بوجوه ثلاثة :

الأوّل أن العقاب حق لله تعالى فجاز تركه ، والمقدّماتان ظاهرتان .

الثاني أن العقاب ضرر بالملكف ، ولا ضرر في تركه على مستحقّه ، وكلّ ما كان كذلك كان تركه حسناً ، أمّا أنّه ضرر بالملكف فضروريّ ، وأمّا عدم الضرر في تركه فقطعيّ ، لأنّه تعالى غنيّ بذاته عن كلّ شيء ، وأمّا إن ترك مثل هذا حسن فضروريّة ، وأمّا السمع فالآيات الدالّة على العفو كقوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك » فإنّما أن يكون هذان الحكمان مع التوبة أو بدونها ، والأوّل باطل لأنّ الشرك يغفر من التوبة فتعيّن الثاني ، وأيضاً المعنوية مع التوبة يجب غفرانها ،

وليس المراد في الآية المعصية التي يجب غفرانها لأن الواجب لا يعلّق بالمشيئة ، فما كان يحسن قوله : « لمن يشاء » فوجب عود الآية إلى معصية لا يجب غفرانها ؛ ولقوله تعالى : « إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلَمِهِمْ » و « على » يدل على الحال أو الغرض كما يقال : ضربت زيداً على عصيانه أي لأجل عصيانه ، و هو غير مراد هنا قطعاً فتعيّن الأوّل ، والله تعالى قد نطق في كتابه العزيز بأنّه عفوٌ غفور ، وأجمع المسلمون عليه ، ولا معنى له إلا إسقاط العقاب عن العاصي انتهى . أقول : سيأتي الآيات والأخبار في ذلك .

إلى هنا تمّ الجزء الخامس من كتاب بحار الأنوار من هذه الطبعة المزدانة

بتعليق نفيسة قيّمة و فوائد جمة ثمينة ؛ ويحوي

هذا الجزء ٥٢٨ حديثاً في ١٨ باباً .

والله الموفق للخير والرشاد .

ذیحجّة الحرام ١٣٧٦

الموضوع	الصفحة
خطبة الكتاب	١

﴿ أبواب العدل ﴾

باب ١ نفي الظلم و الجور عنه تعالى ، وإبطال الجبر و التفويض ، وإثبات الأمرين الأمرين ، وإثبات الاختيار و الاستطاعة ؛ وفيه ١١٢ حديثاً .	٦٧ - ٢
باب ٢ آخر وهو من الباب الأوّل ؛ وفيه حديث .	٨٤ - ٦٨
باب ٣ القضاء و القدر ، و المشيئة و الإرادة ، و سائر أبواب الفعل ؛ وفيه ٧٩ حديثاً .	١٣٥ - ٨٤
باب ٤ الآجال ؛ وفيه ١٤ حديثاً .	١٤٣ - ١٣٦
باب ٥ الأرزاق و الأسعار ؛ وفيه ١٣ حديثاً .	١٥٢ - ١٤٣
باب ٦ السعادة و الشقاوة ، و الخير و الشر ، و خالقهما و مقدّرهما ؛ وفيه ٢٣ حديثاً .	١٦١ - ١٥٢
باب ٧ الهداية و الإضلال و التوفيق و الخذلان ؛ وفيه ٥٠ حديثاً .	٢١٠ - ١٦٢
باب ٨ التمحيص و الاستدراج ، و الابتلاء و الاختبار ؛ وفيه ١٨ حديثاً .	٢٢٠ - ٢١٠
باب ٩ أن المعرفة منه تعالى ؛ وفيه ١٣ حديثاً .	٢٢٤ - ٢٢٠
باب ١٠ الطينة و الميثاق ؛ وفيه ٦٧ حديثاً .	٢٧٦ - ٢٢٥
باب ١١ من لا ينجبون من الناس ، و محاسن الخلقة و عيوبها اللتين تؤثّران في الخلق ؛ وفيه ١٥ حديثاً .	٢٨١ - ٢٧٦
باب ١٢ علّة عذاب الاستيصال ، و حال ولد الزنا ، و علّة اختلاف أحوال الخلق ؛ وفيه ١٤ حديثاً .	٢٨٨ - ٢٨١
باب ١٣ الأطفال و من لم يتمّ عليهم الحجّة في الدنيا ؛ وفيه ٢٢ حديثاً .	٢٩٧ - ٢٨٨

الموضوع	الصفحة
باب ١٤ من رفع عنه القلم ، ونفي الحرج في الدين ، و شرائط صحة التكليف ، وما يعذرفيه الجاهل ، وأنه يلزم على الله التعريف وفيه ٢٩ حديثاً .	٣٠٨-٢٩٨
باب ١٥ علة خلق العباد وتكليفهم ، والعلة التي من أجلها جعل الله في الدنيا اللذات والآلام والمحن ؛ وفيه ١٨ حديثاً .	٣١٨-٣٠٩
باب ١٦ عموم التكليف ؛ وفيه ثلاثة أحاديث .	٣١٩-٣١٨
باب ١٧ أن الملائكة يكتبون أعمال العباد ؛ وفيه ٣٥ حديثاً .	٣٣٠-٣١٩
باب ١٨ الوعد والوعيد ، والحبط والتكفير ؛ وفيه حديثان .	٣٣٧-٣٣١

[illegible]

بسمه تعالى

قد قبول هذا الجزء من هذا الكتاب القيم بعدة نسخ مطبوعة و مخطوطة ، منها نسخة ثمينة نفيسة توجد بخط المصنّف قدّس سرّه الشريف ، و يجد القارىّ أنموذجاً من صورتها الفتوغرافية في أوّل الجزء وفي آخره . والنسخة لخزانة كتب فضيلة الفقيه ثقة الاسلام والمحدثين الحاجّ السيّد (صدرالدين الصدر العاملي) الخطيب الشهير الإصفهانيّ رضوان الله عليه ؛ وقد أتحننا إليها ولده المعظم العالم العامل الحاجّ السيّد (مهدي الصدر العاملي) نزيل طهران فمن واجبنا أن تقدّم إليه ثناءنا العاطر وشكرنا الجزيل ؛ وفقه الله تعالى وإيانا لجميع مرضاته . وممّا يشكر عليه ويقدر رجداً قيام فضيلة الخطيب المصنّع المفوّه المفضال الحاجّ السيّد (مصطفى الطباطبائيّ القميّ) مقابلة ما في البحار من الحديث بمصادره المنقول عنها و بيان ما هنالك من الاختلاف و ذكر أرقام صفحاته عدداً المخطوط منها وما لم يتح له الوقوف عليه و نحن نرمز لكم التعاليق بـ (م) والله المستعان إنّه وليّ

التوفيق .

يحيى عابدی

* (رموز الكتاب) *



لد : للبلد الامين .	ع : لعل الشرائع .	ب : لقرب الاسناد .
لى : لامل الى الصدوق .	عا : ندعائم الاسلام .	بشا : لبشارة المصطفى .
م : لتفسير الامام العسكري (ع).	عد : للعقائد .	تم : لفلاح السائل .
ما : لامل الى الطوسي .	عدة : للعدة .	ثو : لثواب الاعمال .
محص : للتحصيل .	عم : لاعلام الورى .	ج : للاحتجاج .
مد : للمدة .	عين : للعيون والمحاسن .	جا : لمجالس المفيد .
مص : لمصباح الشريعة .	غر : للفرور والدرر .	جش : لفهرست النجاشى .
مصبا : للمصباحين .	غط : لنفية الشيخ .	جع : لجامع الاخبار .
مع : لمعاني الاخبار .	غو : لنوالى اللثالى .	جم : لجمال الاسبوع .
مكا : لمكارم الاخلاق .	ف : لتحف المقول .	جنة : للجنة .
مل : لكامل الزيارة .	فتح : لفتح الابواب .	حة : لفرحة الفرى .
منها : للمنهاج .	فر : لتفسير فرات بن ابراهيم .	ختص : لكتاب الاختصاص .
مهرج : لمهج الدعوات .	فس : لتفسير على بن ابراهيم .	خص : لمنتخب البصائر .
ن : لميون اخبار الرضا (ع).	فض : لكتاب الروضة .	د : للمدد .
نبه : لتنبيه الخاطر .	ق : للكتاب العتيق الغرورى .	سر : للسرائر .
نجم : لكتاب النجوم .	قب : لمناقب ابن شهر آشوب .	سن : للمحاسن .
نص : للكفاية .	قبس : لقبس المصباح .	شا : للإرشاد .
نهب : لنهج البلاغة .	قضا : لقضاء الحقوق .	شف : لكشف اليقين .
نى : لنفية التعمانى .	قل : لاقبال الاعمال .	شى : لتفسير العياشى .
هد : للهداية .	قية : للدروع .	ص : لقصص الانبياء .
يب : للتهذيب .	ك : لاكمال الدين .	صا : للاستبصار .
يج : للخرائج .	كا : للكافى .	صبا : لمصباح الزائر .
يد : للتوحيد .	كش : لرجال الكشى .	صح : لمصحفة الرضا (ع) .
ير : لبصائر الدرجات .	كشف : لكشف الغمة .	ضا : لفقه الرضا (ع) .
يف : للطرائف .	كف : لمصباح الكفعمى .	ضوء : لضوء الشهاب .
يل : للفنائل .	كنز : لكنز جامع الفوائد و	ضه : لروضة الواعظين .
ين : لكتايب الحسين بن سعيد	تاويل الايات الظاهرة	ط : للمصراط المستقيم .
او لكتابه والنوادر .	مأ .	طا : لآمان الاخطار .
يه : لمن لا يحضره الفقيه .	ل : للخصال .	طب : لطب الائمة .